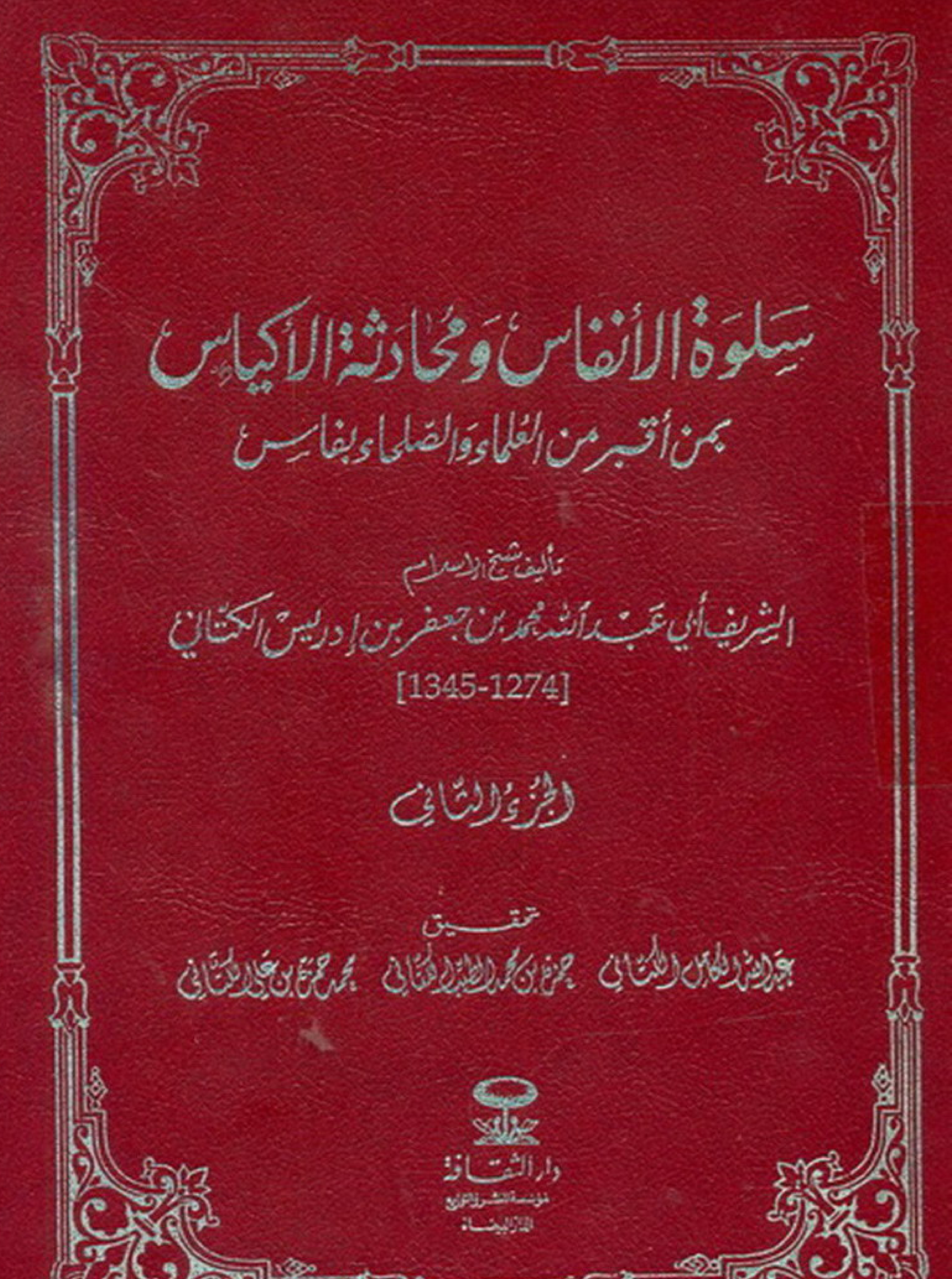

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس
بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس
تأليف شيخ الإسلام
الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني
[1345-1274]
الجزء الثاني
تحقيق
عبد الله الكامل الكتاني حمزة بن محمد الطيب الكتاني محمد حمزة بن علي الكتاني
دار الثقافة
مؤسسة النشر والتوزيع
الدار البيضاء

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس

بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس

تأليف شيخ الإسلام

الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني

[1274-1345]

الجزء الثاني

تحقيق

عبد الله الكامل الكتاني — حمزة بن محمد الطيب الكتاني — محمد حمزة بن علي الكتاني



دار الثقافة

مؤسسة للنشر والتوزيع

34-32 شارع فيكتور هيكو — ص.ب. 4038

الهاتف 022.30.76.44 - 022.30.23.75

فاكس 022.30.65.11 — الدار البيضاء 20300

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء داخل باب الفتوح
نفعنا الله بهم

[402- أمير المؤمنين أحمد بن محمد بن إدريس]
(ت: أواسط القرن الثالث)

منهم: الشيخ الإمام، الزكي المبرور الهمام، الشريف العفيف، ذو القدر المنيف؛ أبو العباس سيدنا أحمد ابن الخليفة الأمجد أبي عبد الله سيدي محمد ابن القطب الأشهر، والنور الأبهر؛ أبي العلاء مولانا إدريس باني فاس – رضي الله عنهم.

رأيت في غير ما تقييد أن ضريحه – رحمه الله – بحومة كرواوة، داخل باب الفتوح، والأقرب: أنه بالجامع الذي ينسب هناك لمولانا إدريس، داخل البستان الأول عن يمين الداخل لزنقة كرواوة.

ووفاته – بتقريب – بعد وفاة والده المذكور: أواسط القرن الثالث. والله أعلم.

[403- سيدي ميمون بن مساعد الفخار]
(ت: 816)

ومنهم: الولي الشهير، ذو القدر الكبير؛ أبو وكيل سيدي ميمون الفخار، بروضته الشهيرة به، إزاء الكدية المشهورة بالفخارين، قريبا من قصبة تامدرتْ، وهو مشهور، مزار متبرك به إلى الآن.

وأظنه: الشيخ الأستاذ الفقيه، المؤلف النزيه، المقرىء المحقق المجيد، المنتشر الصيت عند كل قريب وبعيد؛ أبا وكيل ميمون بن مساعد المصمودي الفخار؛ مولى الشيخ الفقيه، الأستاذ الأعرف؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم السَّاتي؛ الشهير بالفخار. وقد ترجمه في "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج"؛ فقال فيهما: «ميمون بن مساعد المصمودي؛ مولى أبي عبد الله الفخار. كان فقيها أستاذا، وله تواليف في علم القرآن؛ رسما وقراءة. توفي بفاس جوعا سنة ست عشرة وثمانمائة ». هـ. وهو مترجم أيضا في "جذوة الاقتباس"، و"درة الحجال"... وغيرهما.

ومن تآليفه: "التحفة" [2]، و"الدرة"، و"المورد الروي في نقط المصحف العلي"، ونظم "الجرومية"، وله قصائد خاطب بها أهل مالقة وغيرها.

وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله الفخار المذكور، وعن أبي العباس أحمد بن أبي عمران موسى بن محمد المرسي السبتي، الشهير بـ: ابن حدادة. وعن الأستاذ المقرئ بمدينة فاس، المحدث المعمر، ملحق الأحفاد بالأجداد؛ أبي عبد الله محمد بن عمر اللخمي، وعن الحافظ أبي عبد الله محمد - الشهير بالزيتوني.

وأخذ عنه هو جماعة؛ منهم: الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الوَرتناجي؛ الشهير بالوَهري. وكانت وفاته بمجاعة كانت بفاس مع جماعة من الفقهاء، ما توا كلهم جوعا - رحمة الله عليهم.

وقد أشار إليه - أيضا - بعض المتأخرين في تأليف له سماه: "بكتاب التفكر والاعتبار"؛ فقال ما نصه: « ومنهم: الشيخ الزاهد، القطب العابد؛ سيدي ميمون بن مساعد الفخار، كان مولى لأبي عبد الله الفخار، يعمل له بالنهار، ويقبل على صلاته بالليل، وكان مجاب الدعوة. توفي سنة ست عشرة وثمانمائة » . هـ.

[404- سيدي عمرو الشريف]

ومنهم: رجل تسميه العامة الآن بسيدي عمرو الشريف، بروضته القريبة من روضة سيدي ميمون عند رأسه، وقبره بها في حفرة. . .

ويقولون: إنه تلميذ سيدي ميمون. ولم أقف له الآن على ترجمة؛ إلا أنه يحتمل عندي احتمالا قويا أن يكون هو: ابن عُمر اللخمي؛ شيخ سيدي ميمون، ولا يبعد من العامة تغيير الألفاظ، وقلب المعاني؛ سيما مع تطاول الأزمان، وتبدل الأحوال.

[405- الفقيه المقرئ سيدي محمد بن محمد ابن عمر اللخمي]
(ت: 794)

وابن عمر هذا: هو الشيخ الفقيه، المحدث الجليل، الأستاذ المقرئ الراوية الحفيل، البركة الصالح، المتخلق الواضح، المسن الفاضل، الغيث الهاطل؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عمر. به عرف، اللخمي الفاسي.

انفرد – رحمه الله – بعلوم الرواية في هذا القطر المغربي، وجلس للإقراء بفاس مواظبا عليه، صابرا محتسبا لله.

قرأ عليه خلق كثير؛ منهم: الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجاديري الفاسي، وأبو الحسن علي بن أحمد الورتناجي؛ الشهير بالوهري، والشيخ أبو وكيل ميمون بن مساعد المصمودي المقدم، وأبو زكرياء يحيى السراج الكبير؛ تلميذ ابن عباد . . . وغيرهم.

حتى كبر وضعف، وعجز عن الخروج من داره بفاس؛ فأقرأ بها مدة؛ ثم اشتد ضعفه؛ فصار يقريء في بعض الأوقات خاصة.

أخذ عن أبي الحسن ابن سليمان القرطبي القراءات، وعن قاضي الجماعة ابن عبد الرزاق.

ولد عام ثلاثة وسبعمائة، وتوفي ليلة الأحد ثاني عشر المحرم عام أربعة وتسعين وسبعمائة. ترجمه تلميذه السراج في فهرسته، وتبعه في "النيل"، وذكر وفاته – أيضا – في "لقط الفرائد".

[406– سيدي الحاج بودرهم]

ومنهم: الولي الصالح، الشهير الواضح؛ سيدي الحاج بودرهم [3]، بالركن المقابل لكدية سيدي ميمون الفخار، بين باب الخوخة وقصبة تامدرت، إزاء البرج المنكسر هناك. أورده في "التنبيه"، وتبعه الشيخ المدرع في منظومته، ولم أقف له على ترجمة.

وفي كتاب "سلوة المحبين" للفقيه الأستاذ سيدي عبد الله بن يخلف الأندلسي: أن الشيخ العارف سيدي محمد ابن الفقيه – دفين مدارج العيون من فاس القرويين – كان يكثر من زيارته، وأنه احتاج الناس مرة للمطر؛ فذهبوا إليه وطلبوا منه أن يستسقي لهم؛ فذهب لضريحه واستسقى؛ فسقوا. ونصه: «ولما ضاق الحال بالمسلمين من حبس المطر، وخيف على الزرع، اجتمعوا وجاءوا إلى الشيخ سيدي محمد – رضي الله عنه – وقالوا له: أردنا أن نستسقي، وأردنا منك تخرج معنا. فقال لهم: على بركة الله. فخرجوا؛ حتى إذا كانوا بباب الفتوح؛ توجه الشيخ – رضي الله عنه – لزيارة الشيخ سيدي الحاج بودرهم، وكان يكثر من زيارته، حتى إذا بلغ ضريحه؛ التفت إلى أصحابه وقال لهم: أعطوني أشرب. فأتوه بقلة، فشرب منها، ورمى به إلى السماء، وكان ذلك قرب المغرب، فرجع الشيخ ورجعوا، وبات المطر الكثير في تلك الليلة، وظهر فضل الله تعالى، وفرح الله على المسلمين. . والحمد لله». هـ.

[407- الفقيه الفَرَضي الحَيسوبي سيدي إبراهيم المصمودي]
(ت: 912، أو 913)

ومنهم: الشيخ الصالح الفقيه، الإمام الفرضي النبيه، الحيسوبي الأبهر، العلامة الأشهر؛ أبو إسحاق إبراهيم المصمودي.

ترجمه في "جذوة الاقتباس"؛ فقال: «إبراهيم المصمودي: الشيخ الفقيه الفرضي الحيسوبي، شيخ الفرائض والحساب بمدينة فاس. أخذ عنه شيخ الجماعة عبد الحق المصمودي وغيره. وتوفي سنة اثنتي أو ثلاث عشرة وتسعمائة بمدينة فاس المحروسة، في أواسط شعبان، ودفن بتامدرت داخل مدينة فاس، قرب باب الفتوح، وكان آية في الفرائض والحساب». هـ.

ونحوه له في "درة الحجال"؛ إلا أنه قال: «وكان أمير المؤمنين في الفرائض والحساب». وقال في "نيل الابتهاج": «إبراهيم المصمودي: الشيخ الفقيه الفرضي الحيسوبي، متقدم في الفرائض والحساب، وتصدر لإقرائهما بفاس، وأخذ عنه جماعة؛ منهم: عبد الحق المصمودي وغيره، وتوفي سنة اثنتي أو ثلاث عشرة وتسعمائة. كذا كتبه لي صاحبنا ابن يعقوب الأديب. سدده الله تعالى». هـ.وتامدَرت: هي القصبة المعروفة بإزاء سور المدينة، داخل باب الفتوح، عن يسار الخارج منها. وقبره بها غير معروف الآن، وهي مشتملة على مقابر كثيرة. . . والله أعلم.

[408- الفقيه سيدي الغازي بن فتوح]
(ت: القرن الرابع)

ومنهم: الشيخ العارف بالله، الدال على الله، الفقيه المجتهد العابد، الصائم القائم الزاهد، أحد أوتاد زمانه؛ أبو محمد سيدي الغازي بن فتوح. [4].

كان - رحمه الله - من أهل الزهد والورع، مجتهدا في العبادة، قائم الليل صائم النهار، فقيها نبيلا، عارفا جليلا، له كرامات في حياته وبعد مماته.

وقد ترجمه في "الجذوة"؛ فقال: «ومن الأفراد من أهلها - أي: من أهل فاس - في غالب الظن: الغازي بن فتوح؛ الشيخ الصالح، كان في زمن دارس بن إسماعيل ومقارنا له، وكان فقيها عابدا، مجتهدا صواما قواما».

« حكي أن جوهرا لما حاصر مدينة فاس؛ أقام عليها مدة ولم يفتح له، فساءه ذلك، فرأى في المنام قائلا يقول: لا تقدر على دخول هذه المدينة عنوة أبدا ولو أقمت عليها أعواما؛ لأن فيها أربعة من الأبدال أوتاد الأرض: دراس بن إسماعيل، وأبو جيدة بن أحمد، والغازي بن فتوح، وابن شيبة!. ذكره الكتاني في "المستفاد" ولم يذكر وفاته، وإنما عينه بوقت دراس بن إسماعيل فقط - رحمة الله على الجميع، ورحمنا من بعدهم.. آمين ». هـ.

وفي بعض تقاييد الشيخ المسناوي بخطه، بعد ذكره لصاحب الترجمة ما نصه: « ولم أقف على تاريخ وفاته، غير أن ضريحه عن يمين الطالع من الفخارين، فوق البئر الأحمر الذي هنالك، داخل باب الفتوح. ذكره سيدي عبد الرحمن ابن القاضي ». هـ. ورأيت مثله مقيدا، منسوبا لسيدي عبد الرحمن المذكور، وزاد مقيده فيه أن سيدي عبد الرحمن هذا: كان مواظبا على زيارته. قلت: وهو الآن غير معروف.. رضي الله عنه ونفعنا به.

[409- سيدي بورمانة]

ومنهم: الولي المدعو بسيدي أبو رمانة. لكونه كانت عند رأسه رمانة نابتة؛ فاحترقت في هذه السنين. ضريحه قريب من ضريح سيدي علي الهيري بإزائه، عن يسار الطريق الهابطة من باب الفتوح إلى الفخارين. وهو الآن قريب من الاندثار. أورده في "التنبيه"، ولم أقف له على ترجمة.

[410- سيدي علي الهيري]
(ت: 1027)

ومنهم: الشيخ الجليل الشهير، الولي الصالح الكبير، ذو الحال الصادق، والكشف الصحيح الخارق؛ أبو الحسن سيدي علي الهيري. بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة. الواريثي بكسر الراء.

كان - رحمه الله - قوي الحال، فائض النور، مرتسما بالشريعة، حافظا لها، ذا هيبة وجلالة، وتعتريه أحيانا غيبة حتى يسأل عن داره أين هي؟. وكان له أتباع وتلامذة، وله مكاشفات وإخبار بمغيبات وكرامات. وأثر الخير عليه لائح، وسرور المحبة وبهجتها منه واضح.

أخذ - كما في "المقصد" وغيره - عن الشيخ أبي محمد سيدي الحسن بن عيسى الجزولي - دفين خارج باب الفتوح - عن الغزواني عن التباع عن الجزولي، ولقيه هو: سيدي قاسم الخصاصي مرارا وتبرك به وأخذ عنه. وكان يثني عليه ويقول: « إذا رأيته رأيت جبلا من نور! ».

توفي – كما [5] في "المقصد" وغيره – في حدود سنة سبع وعشرين وألف. وقال في "ممتع الأسماع" و"تحفة أهل الصديقية": « توفي – فيما أظن – سنة سبع وعشرين وألف، أو ما يقرب منها ». هـ. قال في "المقصد": «ودفن بمسجد الفخارين داخل باب الفتوح. وله عقب ». هـ.

قلت: وهذا المسجد الآن متهدم، ولم يبق له أثر يتميز به. وكان على قبر صاحب الترجمة به سدرة عظيمة مظللة عليه، بإزاء الطريق، يسار الطالع ويمين الهابط، أسفل من البير الأحمر الذي كان هناك من الناحية المقابلة له؛ فقطعت، وبني في محلها عليه حوش عال يدور به، وهو معروف مزار متبرك به.

ترجمه في "المقصد"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"، و"الممتع"، و"تحفة أهل الصديقية"... وغيرها.

[411– سيدي محمد بن أحمد الزكاري]

ومنهم: الولي الصالح، البركة الواضح، الزاهد الورع، التقي؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن منصور، الشريف الحسني الإدريسي؛ الشهير بالزكاري، من الشرفاء الأدارسة المعروفين بالزكاريين، وهم من أبناء القاسم بن إدريس.

وجدته محلى في ظهير سلطاني مؤرخ بالسادس من شعبان سنة اثنتين وألف؛ بالسيد الأتقى الأحظى البركة. ومحلي – أيضا – في بعض الرسوم التي بيد بعض أحفاده؛ بالولي الصالح، المتبرك به حيا وميتا. وفي رسم آخر؛ بالولي الصالح، الزاهد الناصح.

وذكره صاحب "التنبيه"؛ فقال أثناء عده لصلحاء داخل باب الفتوح: «ومنهم: سيدي محمد بن أحمد. قرب سيدي الحسن ابن ريسون. توفي عام ستين وألف، ينسب للطريق، وأخذ عن رجل يقال له: سيدي عبد الله بن كرري الحبيبي، بصاريوة من بني يازغة، ولا نعرفه. وأخذ – أيضا – عن سيدي علي الهيري بفاس ». هـ.

وضريحه – رحمه الله – قرب الفخارين، بينها وبين قبة سيدي قدور الشرايبي، يدور به بيت بناء قريب من السقوط. وهو معروف مزار متبرك به.

[412– المجذوب سيدي عبد القادر (قدور) الشرايبي]
(ت: 1213)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب السائح، الملامتي؛ أبو محمد سيدي عبد القادر – المدعو: قدور – الشرايبي.

كان – رحمه الله – أسمر اللون بهلولا، مجذوبا لا يشعر بحر ولا برد، على طريق الملامتية، وكان يخبر بمغيبات، وتظهر على يده كرامات.

توفي بالطاعون سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، ودفن بروضة قريبة من جامع الأندلس، وبني عليه بها قبة.. وهو معروف مزار إلى الآن.

[413- المؤدب الفقيه سيدي العربي بن الكبير الطويري]
(ت: 1163)

ومنهم: الفقيه المؤدب الخاشع، البكاء المتواضع، المحب في أهل جانب الله تعالى؛ سيدي الحاج العربي بن الكبير – به شهر – الطويري.

كان – رحمه الله – يعلم الصبيان بمكتب مولانا إدريس، وكان في كل [6] يوم إذا أخذ في سلك الألواح للمتعلمين يقرأ بأعلى صوته ويبكي، ودموعه سائلة على الألواح، ويقف المارون مع الطريق لاستماع قراءته والالتذاذ بها، وكان يؤثر ذلك فيهم. وكان – رحمه الله – يتواجد كثيرا عند قراءة القرآن، وعند مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويقع له الهيام، ويشتد بكاؤه.

وكان من أصحاب سيدي عبد المجيد المنالي المحبين له، والمجتمعين عليه، واجتمع أيضا بغيره من الأخيار، وتبرك بهم؛ كالشيخ سيدي أحمد العباس بن الشيخ سيدي أحمد السوسي المراكشي.

وتوفي – رحمه الله – بالوباء عام ثلاثة وستين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": «ودفن بروضة قرب جامع الأندلس – رحمه الله »، هـ. ترجمه فيه.

[414- الفقيه الشريف سيدي الحسن بن محمد ابن ريسون]
(ت: 1055)

ومنهم: السيد الأصيل، الحافظ النبيل، الفقيه الصالح، البركة الناصح؛ أبو علي سيدي الحسن بن الولي الشهير، العارف الكبير؛ أبي عبد الله سيدي محمد[1] بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن ابن ريسون، الشريف الحسني العلمي اليونسي؛ من بني يونس؛ عم القطب مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهما.

---

[1] توفي عام 1018. مؤلف.

أخذ – رحمه الله – عن والده الشيخ سيدي محمد بن علي؛ وهو دفين تاصروت، ولقّنه الصلاة المنسوبة إليهم؛ وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، كما لا نهاية لكمالك وعد كماله»، وقال له: «إن الواحدة منها بعشرة آلاف!». وأخذ – أيضا – عن العارف الفاسي، ولازمه، وسمع منه، وجالسه كثيرا إلى وفاته. وأخذ عنه ما لا يحصى.

وكان فقيها خيرا. وله تأليف في مناقب والده المذكور، ومناقب جده سيدي علي بن عيسى، وعم والده سيدي عبد الرحمن[1] بن عيسى، ذكر فيه أخبارهم، وشهادة المشايخ لهم... وغير ذلك من مآثرهم.

توفي – كما ذكره في "بستان الأذهان" – ضحوة الجمعة سادس وعشري جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وألف. قال في "النشر": «ودفن بالروضة المعروفة لهم بفاس، قرب الفخارين» هـ. وفي "التقاط الدرر" ما نصه: «وفي عام خمسة وخمسين – يعني: من القرن الحادي – توفي الفقيه البركة النسابة الحسن بن محمد ابن ريسون الحسني العلمي، ودفن داخل باب الفتوح».هـ.

وروضته – رحمه الله – تعرف بروضة الشرفاء أولاد ابن ريسون، وهي قريبة من جامع الأندلس، تقابل الفندق الكبير الذي تباع به الخضر؛ المسمى على لسان العامة بالسويقة. بينه وبين الفخارين.

[415– سيدي علي بن منصور]

ودفن بهذه الروضة قبله رجل آخر من أولياء الله تعالى؛ يقال له: سيدي علي بن منصور. أورده في "التنبيه"، ولم أقف له على ترجمة. وهي روضة مباركة [7]؛ اشتملت على علماء وصلحاء وشرفاء – نفعنا الله بجميعهم.

[416– سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائي]
(ت: 1088)

ومنهم: الإمام الأجل، العالم العلامة الأكمل، الفاضل الجليل، الماجد الأصيل، رافع رايات الأدب على كاهل التحصيل، صاحب القلم البارع في الإنشاء والإنشاد والترسيل، الحافظ المتقن، البليغ

[1] توفي في شعبان عام 954. مؤلف.

الأديب المتفنن؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة الإمام سيدي محمد ابن العالم الكبير أبي زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ العارف القطب الجامع سيدي أبي بكر الدلائي؛ دفين زاويته بالدلاء، ابن الشيخ الولي سيدي امحمد ابن الولي الصالح سيدي سعيد ابن الإمام العالم الفاضل سيدي أحمد ابن الشيخ العارف سيدي عمر البكري نسبا الصنهاجي اللمتوني.

ولد صاحب الترجمة – رحمه الله – بزاويتهم التي بالدلاء، وكان من الأدباء الموفقين، والعلماء العاملين، والفقهاء الفاضلين، والصلحاء الكاملين، والأولياء الواصلين. . .ممن تغتنم بركة دعائه، وتستلم مواضع سكونه وحركاته.

أخذ علم الطريقة وعلم الحقيقة وأنواع علوم الظاهر عن عم والده الإمام العارف الكامل سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي. وعن أولاده: سيدي المسناوي، وسيدي أبي عمر، وسيدي محمد الخديم.

وحصل واستفاد، وأوصل وأفاد، ودرس بالزاوية الدلائية وخطب وأم، وكمل بدر هالته في المعالي وتم، وتخرج به بها جماعة من ذويه وغيرهم. ولما خرجوا من الزاوية وانتقلوا عنها لمدينة فاس؛ كان – رحمه الله – ممن انتقل منهم إليها.

ولما استقر بفاس؛ لزم داره، وأخمل نفسه من التعرض للظهور، طالبا نجاة نفسه على مرور الأيام والشهور. وأكب على الإقراء والتدريس، وانتفع به خلق كثير وجم غفير؛ منهم: ولده الإمام سيدي محمد؛ خطيب المدرسة العنانية، وصاحب التصانيف الربانية؛ التي منها: "درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان"، وشرح "الشفاء"، وحاشية الكلاعي. . . وغير ذلك.

وكان لصاحب الترجمة – رحمه الله – أنظام، وله كرامات؛ منها: ما يحكى أنه لما قرب أجله؛ قال للطلبة الذين يقرؤون عليه: «أحضروا ختمة عندنا يوم كذا – ليوم معين – في روضة الشرفاء أولاد ابن ريسون»، فلم يروه إلى أن مات في ذلك اليوم الذي عين. فرغب الشرفاء أولاد ابن ريسون في دفنه بروضتهم المذكورة تبركا؛ فأجابهم أهله لذلك. وقد كانوا أرادوا دفنه بروضتهم المعروفة لهم بالكغادين، فما أمكنهم إلا مساعفة الشرفاء؛ إذ كان شأنهم: محبة آل البيت. وتبركا أيضا [8] بهم.

ووافق حين دفنه أن كان حبس المطر مدة مع الاحتياج إليه؛ فاستشفع الحاضرون به وهو على النعش، واستغاثوا إلى الله به؛ فأرسل الله المطر عليهم في الحين؛ فكان في موته كرامتان؛ إحداهما: ما أشار إليه من الختمة؛ إذ كانت ختمة عمره؛ فكأنه أخبرهم بموته. ثانيهما: إجابة الله تعالى عباده الذين توسلوا به لربهم!.

وكانت وفاته – رحمه الله – كما وجد بخط المسناوي: «صبيحة يوم الجمعة الرابع والعشرين من رجب عام ثمانية وثمانين وألف. قال: ودفن بمقبرة الشرفاء أولاد سيدي الحسن ابن ريسون». هـ. وقال الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الفاسي في شرحه "لدرة التيجان" لولد صاحب الترجمة، بعد ذكر وفاته كما ذكر؛ ما نصه: «ودفن بروضة الإمام الصالح؛ العارف سيدي الحسن ابن ريسون الحسني العلمي، المقابلة للفندق الأكبر المعد لبيع الخضر، داخل باب الفتوح من فاس، بين مسجد الأندلس الأعظم والفخارين». هـ.

ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، وفي شرح "درة التيجان" المذكور، وفي "البدور الضاوية". وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" بعد ذكر والده سيدي محمد بن عبد الرحمن بقوله:

«ولمحمد السراجُ الأقمرُ	محمد مَن منه تجري أبحرُ
قد كان عارفا بمن سواه	ليس يُرى في فكره سواه
له كرامات كعدِّ القطر	في حالة الرُّوح وبعد القبر
عام الثمانين مع الثمان	قد عقبت ألفا من الزمان
صار إلى رحمة من أولاه»	

وفي مدح آله – أهل الزاوية الدلائية – يقول الشيخ العلامة أبو العباس سيدي أحمد ابن القاضي حسبما نسبه له في "البدور الضاوية":

يا آل فخر الدلا لله دركمُ	حزتم مفاخر لم تدرك ولم تُرَمِ
العلم والحلم والتقى ومعرفة	والعز والنصر والحيا مع الكرم
لا تعجبوا لحسود بات يحسدكم	إذ خصكم ربنا بأعظم النعم

وها هنا إشكال؛ وهو: أنه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله المسناوي – رحمه الله – عند ذكره لوفاة صاحب الترجمة: وصفه بالشاب. مع أن والده سيدي محمد بن عبد الرحمن توفي سنة اثنين وعشرين وألف؛ فيكون بين وفاته ووفاة ولده – صاحب الترجمة – ما ينيف على خمس وستين سنة، وصاحب هذا السن لا يقال فيه: شاب، وإنما يقال فيه: شيخ، أو كهل. قال في "البدور الضاوية": «ولعل أحد هذا العمود ساقط؛ ويقال – حينئذ – [9] لصاحب الترجمة هو: محمد بن محمد بن محمد – ثلاث مرات – ابن عبد الرحمن. فيكون حينئذ[1] هو محمد الثالث لا محمد الثاني...». هـ.

---

[1] في الأصل: ح. فقط.

قلت: تقدم – تبعا لصاحب البدور المذكورة – أن صاحب الترجمة أخذ علم الطريقة والحقيقة، وأنواع علم الظاهر عن قريبه سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي وأولاده، وسيدي محمد المذكور توفي في رجب سنة ست وأربعين وألف؛ فبين وفاته ووفاة صاحب الترجمة نحو من اثنين وأربعين عاما، ولا أقل من أن يكون أخذه عنه؛ لما ذكر في سن التكليف ونحوه؛ كأن يكون ابن ثمانية عشر عاما أو ما قاربها. وإذا أضفتها إلى المدة المذكورة؛ كان المجموع منها: نحو من ستين عاما، وصاحب هذا السن – أيضا – لا يقال فيه: شاب. فتأمله. والظاهر أن صاحب الترجمة هو محمد بن محمد (مرتين) ابن عبد الرحمن كما ذكرنا أولا، وهو الذي عند الشيخ المسناوي وغير واحد ممن ترجمه، وأن وصف المسناوي له بالشاب سبق قلم منه. . . والله أعلم.

[417– السيدة صفية لبادة]

(ت: 1199)

ومنهم: المرأة الصالحة، الولية الفالحة، المجذوبة السالكة – والجذب أغلب عليها – السيدة صفية لبادة. لقبت بذلك لكونها كانت تصنع اللبود[1] قبل جذبها، ولما نزل بها ما نزل من الحال؛ صارت تخرج للأسواق بادية، وتتكلم بكلام أكثره سفه.

ثم خرجت من فاس، ونزلت بالقباب من خارج باب الفتوح بأعلى مطرح الجنة، وبقيت هنالك نحو العامين صيفا وشتاء، ثم رجعت إلى المدينة، فكانت تهيم بالأسواق، وتتكلم بمعاني منها ما يفهم ومنها ما لا، ثم يضيق حالها وتتكلم بالسفه، وتكشف عورتها ولا تبالي بأحد ولا بما فعلت.

ثم بعد مدة هاجرت عند الشيخ سيدي أحمد البرنسي بلمطة، وبقيت في جواره نحو السنة، ثم رجعت إلى المدينة، واتخذت معها كلابا يدورون بها ويمشون حولها، وصارت لا تتكلم إلا بالمعاني والإشارات، وسكتت عن كلام السفه، وكل ما أشارت به وقع في القرب أو في البعد. وكانت تقف بباب المساجد عند صلاة الجمعة، وتقول: «يا العلما يا الظلما!». وتقف بباب القرويين؛ وتقول: «كان يحسبني مجي من سوس، ساعَ هو بين السواري مَدْسُوس»، والسلطان مولانا سليمان إذ ذاك يطلب العلم بالقرويين. تشير بالقول المذكور إلى ما يؤول إليه أمره من الملك.

وكانت ربما تشتغل في بعض الليالي عند نوم الناس وانقطاعهم عنها بالركوع والسجود والدعاء والتضرع، وأمرها عند الناس شهير، وعندهم من كراماتها الكثير، وهي من جملة من لقيهم الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري وتبرك بهم. [10].

([1]) اللبود، ج لبدة: وهي سجادة خاصة للصلاة، تصنع من الصوف، اعتاد العلماء تأبطها.

توفيت – رحمة الله عليها – أول عام تسعة وتسعين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ودفنت بروضة الجعايدي قرب الشيخ سيدي أبي غالب الصاريوي، وكانت لها جنازة عظيمة جدا ». هـ. وضريحها الآن غير معروف.

[418– سيدي عمر الشريف الحسيني]

(ت: القرن العاشر)

ومنهم: الشريف الجليل، الولي الصالح الحفيل؛ أبو حفص سيدي عمر الشريف الحسيني (بالتصغير)، من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني؛ تلميذ الشيخ زروق.

ذكره من أصحابه في "الطرفة" قائلا أثناء عده لبعضهم: « والشيخ أبو حفص عمر الشريف الحسيني – بالتصغير – دفين داخل باب الفتوح ». هـ. والملياني توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة. فيكون صاحب الترجمة من أهل القرن العاشر.

وفي "نشر المثاني" في ترجمة سيدي أحمد بن عمر الشريف – دفين داخل باب الجيسة – ما نصه: « ولا يعلم أحد ينتسب لوالديه ولا لقرابته في النسب، ولا للأخذ عنه في الط يه. نعم؛ من صالحي فاس: سيدي عمر الشريف، وروضته بصاريوة عدوة فاس الأندلس، متصلة بروضة سيدي أبي غالب، يفصل بينهما المحجة؛ وسيدي عمر هـذا شريف حسيني (بالياء)، وهنا أقوام ينتسبون إلى بعض أعمامه ». هـ.

وفي "التنبيه" ما نصه: « ومنهم: سيدي عمر الشريف. ضريحه يقابل سيدي أبا غالب ». هـ. وروضته هي المقابلة لسقاية الشيخ أبي غالب المذكور، وضريحه بها معروف عند بعض الناس، وهو مزار متبرك به إلى الآن.

[419– العارف سيدي أحمد بن يوسف الملياني]

(ت: 927)

تنبيه: سيدي أحمد بن يوسف المذكور شيخا لصاحب الترجمة؛ هو: الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف، العالم المحصل السالك الناسك، المقرئ بالقراءة السبعية[1]، المحقق الحجة؛ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا ودارا، الملياني.

---

[1] أي: بالقراءات السبع المتواترة، وهي: نافع، وابن العلاء، وابن عمرو، والكسائي، وحمزة، وابن كثير، وعاصم ابن أبي النجود.

كان – رحمه الله – من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، أحد أوتاد المغرب، وأركان هذا الشأن، جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة، وانتهت إليه رياسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره، واجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين من تلامذته، واشتهر ذكره في الآفاق شرقا وغربا، وأوقع الله له القبول العظيم، والعطف الجسيم، في قلوب الخلق، وقصده الزوار من كل حدب، وتتابعت كراماته عليهم، وظهرت أنواره لديهم، وكان متواضعا ورعا زاهدا، يحبب الخلق في الطاعة، ويحرضهم على الذكر، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم؛ حتى تاب على يديه خلق كثير، وهداهم الله تعالى بسببه.

وهو من تلاميذ الشيخ زروق، ولما حج شيخ شيخه المذكور [11]؛ وهو: الشيخ الأوحد العلامة الصالح أبو عبد الله الزيتوني؛ نزل بموضع قريب من قلعته؛ فأتى إليه؛ فقبل الزيتوني رجليه؛ وقال لـه: «قد أعطـاك الله من قاف إلى قاف!»، فقال له الملياني: «هـذا قليل؛ بل أعطاني أكثر!!».

وحكي أن بعض أصحابه قال له: «إن سيدي عبد الرحمن الثعالبي قال: من رأى من رآني لا تأكله النار إلى سبعة». فقال الملياني: «كذلك من رأى من رآني لا تأكله النار إلى عشرة!».

وحلق له مرة حلاق رأسه؛ فقال له: «لولا خفت عليك من الناس؛ لقلت: جميع من يجلس في حجرك لا تعدو عليه النار!».

وقال – رضي الله عنه: دعوت الله في ثلاث؛ فأعطانيها في ليلة واحدة: طلبته أن يرزقني العلم بلا مشقة؛ فأعطاني علم الظاهر والباطن. وطلبته أن يبلغني مبلغ الرجال؛ فبلغني فوقهم. وطلبته أن يريني المصطفى في النوم، فرأيته في اليقظة، وفتح الله علي في علوم – ببركته – لم يطلع عليها غيري ... يعني: من أهل عصره.

وعنه – أيضا – قال: «علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري». أي: في عصره.

وقال – أيضا: «جميع من أكل معي أو شرب، أو جالسني أو نظر في لا أسلم فيه غدا يوم القيامة...».

وسئل – رضي الله عنه – عن السبحة: هل يجوز أخذها باليمين؟. فقال: نعم؛ يجوز ذلك، وهي كالمهامز[1] للفرس.

---

[1] المهامز: ج. مهمز: وهو العود الذي تنغز به الدابة لقيادتها.

ومن كلامه - رضي الله عنه: « والله ثم والله؛ من عرفني حتى يندم. ومن لم يعرفني حتى يندم »[1]. وقال أيضا: « إنما ألمح بعض أصحابي لحة؛ فيبلغ بها مقام الأولياء ».

وكلامه - رضي الله عنه - وأخباره ومناقبه كثيرة جدا، وقد استوفى بعضها الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ، القلعي النسب، في تأليف له جمعه فيه بالخصوص، سماه: "بستان الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار، ومعدن الأنوار، سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار". وقد أكرمني الله تعالى بالوقوف عليه، وهو في مجلد ضخم غاية.

[420- القاضي سيدي عبد القادر بن العربي بوخريص]
(ت: 1118)

ومنهم: الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المدرس الفهامة، المشارك المتفنن، الدراكة المتقن، القاضي بفاس؛ أبو محمد سيدي عبد القادر بن العربي بن قاسم بن عبد العزيز بن عبد الخالق بوخريص الكاملي الجعفري الفلالي، ثم الفاسي.

أورده الشيخ أبو الربيع سليمان الحوات في تأليفه الذي سماه بـ: "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي"، قائلا أثناء عده لبعض شيوخه ما نصه: « والفقيه العلامة، الطلق البشرى، الكثير الدعابة، المشارك في العلوم، المدرس لجملة من الكتب، في أوضاع مختلفة، في الوقت الواحد، بمجلس متحد، القاضي العدل في أحكامه، بل آخر [12] القضاة من أهل العلم، المسن البركة؛ أبو محمد سيدي عبد القادر بن العربي بوخريص الفلالي الكاملي، أخذت عنه علوما جمة، وصحبته للاستفادة مدة، فكان يقتصر في التدريس على حل المتن، وجلب ما لابد منه من الأنقال، مع البحث التام على طريقة التحقيق، يختم الكتاب لذلك في أسرع زمان. بقي متوليا خطة القضاء بالحضرتين؛ الإدريسية والمرينية، نحو أربع وثلاثين سنة، وعزله في آخر عمره لكبره، أمير المؤمنين السلطان أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله وبقي معزولا نحو عشرة أشهر. وتوفي عام ثمانية وثمانين ومائة وألف - رحمه الله بمنه ». وذكر غيره أنه: لما ولي الخطة المذكورة؛ سار فيها بسير أمثاله، وكان منها ذا عفة في نفسه وماله.

وأخذ عن سيبويه زمانه أبي عبد الله سيدي محمد العراقي الحسيني، وأبي عبد الله المسناوي، وأبي عبد الله بن عبد السلام بناني، وأبي العباس الوجاري، وأبي العباس ابن مبارك؛ وهو معتمده الذي أفنى عمره في خدمته.

---

[1] حتى هنا باللهجة المغربية بمعنى: سوف. وهي للتوكيد.

وأخذ عنه هو جماعة من الأعيان؛ من جملتهم: الشيخ سيدي عبد القادر ابن شقرون الفاسي، والعلامة القاضي أبو محمد سيدي عبد السلام بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي البكري الدلائي.

وكانت ولادته – رحمه الله – عام الظليمة؛ وهو: عام ثمانية عشر ومائة وألف. ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بروضة سيدي عمر الشريف المذكور. ومما قيل في تاريخ وفاته:

طاب نشرا طي لحد ... ضم يوما روض مجد
بل عفا من بعد قاضي ... مصر فاس رسْمُ رشد
من كعبد القادر الحبر بنهج الحق يهدي
كان في ظل الأماني ... رافلا في بُرد سعد
فإذا التاريخ يشدو ... **هو في جنة خلد**

ورآه بعض الناس بعد موته وهو على حالة حسنة، في حلة رفيعة مستحسنة، وهو يدرس العلم بالمدرسة العنانية من طالعة فاس، وحوله مجلس كبير من الناس، فوقف وجعل ينظر إليه ويتعجب. فقال له: «يا فلان؛ لا أكرم من الله سبحانه!».

ومحل ضريحه اليوم مندثر؛ لكونه صار من جملة الطريق التي بين الروضة التي هو بها وروضة سيدي أبي غالب؛ لكون الروضة التي هو بها سقط حائطها الموالي للطريق؛ فأبدل منه آخر دونه، وصار هو ومقابر أخر كانت داخل الروضة خارجها. وممن [13] ترجمه: صاحب "سلوك الطريق الوارية".

[421– الإمام الشهيد سيدي عبد السلام بن حمدون جَسُّوس]
(ت: 1121)

ومنهم: الشيخ الشهيد، الموفق الرشيد، الإمام العلامة، المشارك الفهامة، شيخ المعارف والفضائل، وإمام الأكابر والأفاضل، وصدر المجالس والمحافل، الصوفي الأنور، الصالح البركة الأشهر؛ أبو محمد سيدي الحاج عبد السلام بن أحمد – المدعو: حمدون – بن علي بن أحمد جَسُّوس، الفاسي المنشأ والولادة والدار.

قال بعضهم: «له المناقب الثواقب، والمواهب السواكب، والفوائد الفرائد، والمناهج المباهج، وله بالعلم عناية، تكشف العماية، ونباهة، تكسب النزاهة، ودراية، تعضد الرواية، دراكا لدقائق العلوم، غواصا على لطائف المعاني والفهوم، ماهرا في الكتاب والسنة، كثير التدريس لهما، يستحضر

معارضات الآيات، ومعارضات الأحاديث، وأجوبتها، وما هو من ذلك صحيح وسقيم، ويستحضر مأخذ المتصوفة من الكتاب والسنة، يقرر كل ذلك بعبارة سهلة واضحة موفية بالمراد. وكان من عادته أن يخلل كلامه بقوله: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله. يقطع الكلام بذلك ثم يعود إليه! ». انتهى كلامه.

وكانت له معرفة بالنحو واللغة، والفقه والحديث، والتفسير والأصول، والبيان وعلم الكلام... وغير ذلك. وغالب تدريسه: صحيح البخاري، و"الشمائل"، وسيرة اليعمري، و"الشفا"، وتفسير الجلالين، ورسالة ابن أبي زيد، وابن عاشر، ومختصر خليل. ومن كتب التصوف: "التنوير"، و"الحكم"، و"لطائف المنن"، و"العهود الكبرى"، و"قوت القلوب". وكان له مجلس حفيل، وجدد له والده بناء المسجد الأعلى من عقبة الزرقاء عدوة فاس القرويين، فتصدى فيه للتدريس، وجمع عليه الناس فيه؛ فكانوا يقرؤون معه الأحزاب والأوراد والهيللة، على المألوف في الزوايا، وكان الناس يعتقدون خصوصيته، سيما من لازمه وعرف حاله، ويقصدونه في المشاورة في الأمور الدينية والدنيوية، ويحمدون إشارته، وكان إليه الرجوع في مسائل المعاملات والنوازل والأيمان، يحل مشكلها ويبين معضلها.

أخذ العلم عن سيدي عبد القادر الفاسي وولديه، وعن الشيخ ميارة الأكبر، وأبي علي اليوسي وأبي العباس ابن الحاج، وأبي عبد الله بُردلة، وأبي سالم العياشي... وغيرهم. وأخذ القراءة على أبي زيد ابن القاضي، وسافر للحج؛ فحج وزار، وأخذ عن الشيخ سلطان المصري.

وألف تأليفا حسنا في أدعية نبوية؛ سماه باسمين أحدهما: "مرقى الأنام، إلى غرف دار السلام"، والآخر [14]: "مرقى الأبرار والأخيار، إلى رضى العزيز الغفار". في نحو كراسة ونصف. وله آخر حسن ظريف أجاد فيه ماشا، ضمنه أخبارا ملكوتية وحكما وأشعارا غريبة الإنشا، وقصائد وأنظاما جيدة.

وكان قبل قتله بعام أو أزيد نزل به مرض شديد غيبه عن حسه، فكان الناس يعودونه أفواجا أفواجا، فيجدونه يتكلم غالبا في العلويات، ويخبر عن نوازنيه بكثير من المغيبات؛ كشهادته[1] للنبي صلى الله عليه وسلم ولصحابته والكلام معهم، وكإخباره بواقعته المشهورة مع السلطان قبل وقوعها، وأشار إلى كونه يموت قتيلا؛ فكان بعد ذلك كذلك.

---

[1] أي: كمشاهدته.

توفي - رحمه الله - مخنوقا بباب سجن القلعة من فاس، ليلة الخميس خامس وعشري ربيع الثاني - وقيل: ربيع النبوي، وقيل: منتصف ربيع النبوي - عام واحد وعشرين ومائة وألف في قضية طويلة، بعد أن عذب بأنواع من العذاب، وأغرم مالا جسيما، حتى جعل يجلس في الأسواق ويطلب الفدية من المسلمين، ودفن ليلا بروضته المتصلة بروضة سيدي عمر الشريف، وبني عليه بها شاهد كبير. ولبعض الأدباء في رثائه:

أي حبر مات صبرا | شب في العلم وشابا
أودعوه الترب قبلي | ليتني كنت ترابا

ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدر"... وغيرهما. وتعرض في "رياض الورد" لقضية قتله نقلا عن شارح "الاكتفاء" في بعض مقيداته. فراجعها فيه.

[422- الأديب سيدي عبد الله بن عبد السلام جسوس]
(ت: 1136)

وخلف - رحمه الله - ولده العلامة الأديب، الفصيح البليغ البارع، المتفنن المشارك، الحاج الأبر؛ أبا محمد سيدي عبد الله جسوس. كانت له سجية في الشعر جيدة، وأدب وفصاحة، وبلاغة ومشاركة في عدة فنون. ومن شعره - كما في "سلوك الطريق الوارية":

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم | واخدمهمُ صادقا واصدقهمُ خبرا
كم صحبة ألحقت من شؤمها ضررا | وصحبة طوقت من يمنها دررا
وشاهدي: كلب أهل الكهف مع ضعة | من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا

أخذ عن والده، والعلامة المسناوي... وغيرهما، وحج حياة والده سنة خمس عشرة ومائة وألف ورثاه بعد وفاته، وتوفي سنة ست وثلاثين ومائة وألف. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"... وغيرهما. ولم أقف على تعيين محل دفنه، وربما يكون مع والده بهذه الروضة.

[423- الشريف سيدي محمد بن يعقوب الفجيجي]
(ت: 1264)

ومنهم: الشريف الفاضل، العارف الكامل؛ أبو عبد الله سيدي محمد [15] بن الحاج محمد بن يعقوب بالقاف المعقودة بن القاسم الفجيجي السليماني الجراري، الدرقاوي طريقة.

كان – رحمه الله – من خاصة أصحاب الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم، وله تلامذة وأتباع، وأخذ عن غير واحد من الشيوخ وانتفاع، وكان يخبر بالاجتماع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما، ويشير كثيرا إلى ما أنعم الله به عليه من ذلك، ويتحدث به.

ورأيت له تأليفا سماه: "مرتع القلوب، من حضرة علام الغيوب". أخبر فيه بأشياء مما من الله به عليه؛ منها: قوله: «شاهدته – عليه السلام – وهو يبكي ويمرغ وجهه في التراب، ويقول: يا حسرتي على أمتي. ثلاث مرات. جهلوا مولاهم، وتركوا سنتي، واتبعوا أهواءهم، وإذا جاءهم أحد يذكر الله ويوحده ويعظمه؛ يستهزئون به!!!. وهو يقول: أمتي. ثلاثا. يا من كان بعباده رؤوفا رحيما ». هـ. وأشار فيه إلى أن له تأليفا آخر سماه "المواهب اللدنية، في العلوم الغيبية، من حضرة الألوهية".

وأصيب – رحمه الله – في بصره؛ فصبر. حتى توفي بهذه الحضرة بين العشاءين من يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة عام أربعة وستين ومائتين وألف، ودفن بروضة صاحب الترجمة قبله، وبني عليه بها قوس.

[424- الفقيه الصالح سيدي أحمد بن علي الجرندي]

(ت: 1124، أو 1125)

ومنهم: الشيخ الفقيه الشهير، العلامة الدراكة الأثير، الورع الزاهد الصالح، المشارك القدوة الناصح؛ أبو العباس سيدي الحاج أحمد بن علي بن عبد الرحمن الجرندي الأندلسي، الفاسي دارا ومنشا.

كان – رحمه الله – أحد الأعلام، المعلومين بالخير والصلاح عند الخاص والعام، ومن الأولياء العارفين، والفقهاء الكاملين، وكان إماما بمسجد الشرفاء بفاس القرويين قبل إنشاء الخطبة التي به الآن، ودرس فيه علوما.

أخذ عن جماعة من الشيوخ؛ منهم: سيدي عبد القادر الفاسي، وصحب في الطريق: العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله مَعَن الأندلسي، وانتفع به، وعين – رحمه الله – للقضاء بفاس من قبل السلطان؛ فاحتال على نفسه في الفرار منه بأن تحامق وصار يظهر من نفسه البله والأفعال الخسيسة حتى أقيل منه ونجا، وهو أحد الذين لقيهم الغوث العارف بالله مولانا عبد العزيز الدباغ – رضي الله عنه – في بداية أمره، وانتفع بهم. كما أشار لذلك في أول "الإبريز".

توفي – رحمه الله – بعد العشاء من يوم الجمعة خامس عشر محرم الحرام سنة خمس – على ما في "النشر"، أو أربع على ما في "التقاط الدرر" – وعشرين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن

قرب سيدي أبي غالب، بحومة صاريوة، داخل باب [16] الفتوح. وبنيت عليه قبة)). هـ. وقال في "التقاط الدرر": ((دفن قرب سيدي أبي غالب بفاس، وعليه قبة صغيرة)). هـ. وقبته هي التي بإزاء روضة سيدي عمر الشرف، قريبا منها من ناحية القبلة.

تنبيه: هذه الوفاة المذكورة هنا مشكلة مع ما في "الإبريز" من أنه فتح على الشيخ مولاي عبد العزيز يوم الخميس ثامن رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف، ولما أصبح من الليلة التي بعد يوم الفتح ذهب لزيارة مولانا إدريس، فلقي صاحب الترجمة في الطريق، فذهب به لداره وأعطاه دراهم كثيرة، فخرج من عنده ولم يره من ذلك اليوم؛ لكونه جاءه مرض موته فمات. والموافق لهذا: أن تكون وفاته في رجب لا في المحرم، من سنة خمس وعشرين لا من سنة أربع وعشرين. . . والله أعلم.

[425- العارف الشريف سيدي علي أبي غالب الصاريوي]

ومنهم: الولي الصدر الكبير، الشيخ الصالح الشهير، ذو الأسرار الظاهرة، والبراهين الباهرة، حجام أهل الله تعالى، المقصود لكل طالب وراغب؛ أبو الحسن سيدي علي – الشهير بأبي غالب – الصاريوي دفين صاريوة: المحل المعروف الآن بالقليعة، من داخل باب الفتوح، بالقرب منها.

شوهد لضريحه – رضي الله عنه – كرامات كثيرة، وتصرفات شهيرة، وبركات ظاهرة، وخوارق باهرة، ولازال الناس يستشفون به من جميع الأمراض والعاهات، وسائر العلل والآفات، فيشفون ببركته، ويجدون البرء بعنايته وسر نفحته، والأخبار بذلك منتشرة، وفي سائر الأذهان مقررة مشتهرة.

وقد تعرض لذكره صاحب "الروض"، وقال: ((لم نلق له ذكرا إلا في قول صاحب "المعيار": سيدي أبو غالب الصاريوي. وأظنه قال: إن كراماته ميتا أكثر منها حيا. فراجعه)). هـ. فصرح بأنه لم يقف له على ترجمة. ونحوه في قوله في "التنبيه": ((معلوم من شأن هذه البلاد عدم الاعتناء بالتعريف، والتصدي لذلك بتأليف أو تصنيف، فكم من إمام مضى وسيد جحجاح، موصوفا بالعلم أو مشهورا بالخير والصلاح، لم يقع لهم به اعتناء واحتفال، بل ألقي في زوايا الإغفال والإهمال، واعتبر بسيدي أبي غالب الصاريوي بفاس، ومولانا عبد السلام، وسيدي أبي سلهام، وسيدي عمر الراعي، وسيدي أبي بكر ذي الجائزة. . . وغيرهم ممن يكثر، مع اشتهارهم،وشد الرحال إليهم، ومشاهدة البركة الكثيرة الظاهرة لهم. هل لهم تراجم، أو وقع بهم اعتناء أو إلمام في تأليف؟ . فلا يلزم من عدم التعريف بهم نفي الخير عنهم[1])). هـ.

---

[1] سبق نقل هذا النص في مقدمة الكتاب الجزء الأول، ص14.

وفي "نشر المثاني" في ترجمة الشريف الصالح أبي عبد الله [17] سيدي مَحمد بن مولاي العربي بوطالب الجوطي الحسني، بعد ما ذكر فيها أن بعض أهل الأخبار زعم أن ضريح أبي غالب نفذ للشرفاء الطالبيين لما أخرجهم بنو مرين من دار القيطون التي كانت محل سكناهم – إما أبو الحسن المريني أو ولده أبو عنان – فأنزلوهم في الدار التي بدرب السعود، الموقوفة على سكنى الضعفاء والمساكين، ونفذوا لهم الصدقة التي تجبى لضريح أبي غالب، عوض صدقة مولانا إدريس جدهم، ما نصه: « فإن ثبت هذا؛ فيكون سيدي أبو غالب توفي قبل الثامنة، لكن لم يذكره ابن عبد الحليم – يعني في "الأنيس" – ولا التادلي في "التشوف"، إلا أن يكون توفي بعد التادلي وبعد ابن عبد الحيم. ولم أقف له على خبر ». هـ.

وقال في "التقاط الدرر" لما تكلم على عام تسعين وألف ما نصه: « وفي هذا العام بنيت قبة سيدي أبي غالب الصاريوي ». ثم قال: « قلت: وسيدي أبو غالب هذا مشهور بالزيارة للاستشفاء من الأمراض والعاهات، سيما القروح والجراحات، والإجابة عند ضريحه ضرورية، وضريحه بحومة من عدوة فاس الأندلس يقال لها: صاريوة. كانت معمورة بالسكنى؛ فخربت. وهي الآن مقبرة، ولم أقف له على ترجمة ».

« وفي "لقط الفرائد" لابن القاضي: توفي أبو غالب الحكيم سنة إحدى وثمانمائة. ولم يزد على هذا، ولم أدر أهو هذا أم غيره؟. وعادته: أن يقتصر على مثل هذا في ذكره الأعلام حرصا على الاختصار. فالله أعلم ». هـ.

قلت: وكلام الناس اليوم فيه مضطرب؛ فمن قائل: إنه قبر شوهدت بركته ولا يدرى صاحبه، ومن قائل: إنه من الحواريين أصحاب سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، ومن قائل: إنه نبيء من الأنبياء. وهذان الأخيران لا يخفى بطلانهما؛ لأنه لم يوجد نقل يشهد لهما، ولا كشف ممن يعتبر يعضدهما.

وفي كثير من التقاييد الغير المعزوة ذكر شيء من التعريف به، وأنه: « أبو الحسن علي بن أبي غالب بن جمال بن عدو بن عبد الرحمن بن داود بن عمر بن داود بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن – الذي كان نزل بالوداغير زمن إخراج موسى بن أبي العافية للشرفاء من فاس – ابن يعلى بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إدريس باني فاس – رضي الله عنه. وأنه كان مستقر أسلافه بمدشر صاريوة من قبيلة بني يازغة، ثم انتقل جده جمال منهم إلى فاس، واستقر بحومة صاريوة منها لكونه مستقر أهل مدشر الصاريويين اليازغيين، النازلين بفاس، ومن أجل استقرارهم بها صارت تعرف بصاريوة أيضا ».

« ولما استقر بها؛ ملك الدار [18] التي أقبر بها بعده حفيده صاحب الترجمة، وسكن بها، وبها ولد له سيدي أبو غالب – والد صاحب الترجمة – وبها توفي ودفن ».

« وخلف ولده سيدي عليا وهو صبي صغير فقير، تحت حضانة أمه من نسب والده، فعلمه صناعة الحجامة، وعلاج الجراح والقروح؛ ففتح الله عليه وتعلم تلك الصنعة، وصار جل من يعالجه فيها يشفيه الله تعالى؛ فاشتهر ذكره، وظهرت بركته، وقصده الناس في علاج ذلك، وانتفع به جم غفير ».

« وأخذ ذلك هو عن بعض المماليك من الأعلاج، الذين كانوا يحترفون بتلك الصناعة بفاس، وأخذه عنه جماعة؛ منهم: حَمّ الوريَتني – قيل: مولاهم، وهو جد أولاد ابن حم المعلمين الحجامين الجرائحيين بفاس – ومنهم: المعلمون الرحويون أيضا، ومن هؤلاء الرحويين: ابن حم الخراط. الذي تولى الدعاء بالليل والآذان بالقرويين ».

« وكان صاحب الترجمة يخالط فقراء الوقت، ويتطفل عليهم، ويحضر معهم السماع بأوانيه ويتواجد، ويرقص. ثم صار يستعمل مع من تبعه عليه في داره كل ليلة جمعة ويومها، ويقصده من يستعمل ذلك ويحضره معه؛ فاشتهر أمره وفاض وجده، وتلمذ له بشر من الناس، فبنى داره زاوية على الهيئة التي كانت عليها قبل اليوم ».

« **ومن جملة من أخذ عنه**: السيد علي الهيري الوريتني؛ المدفون بزاويته بالفخارين داخل باب الفتوح، المتوفى سنة سبع وعشرين وألف، وعلى صحة صحبة الهيري له؛ يكون من أهل المائة العاشرة آخرها. ولما توفي؛ دفن مع والده بالموضع الذي هو به الآن، الذي كان قبل دارا لوالده وجده، واختطه هو زاوية، ودفن بعض تلامذته معه. . . ». هـ.

قلت: وصحبة الهيري له لا تصح، وكذا لا يصح ما في تقاييد أخرى من أنه: أخذ عن الشيخ سيدي محمد الكومي – دفين القليعة من داخل باب الفتوح – لأن الكومي المذكور توفي في السنة التي قبل سنة وفاة الهيري؛ وهي: سنة ست وعشرين وألف. وصاحب الترجمة قبل هذا بكثير – كما يؤخذ من ذكر صاحب "المعيار" له فيه – ففي نوازل الجنائز منه ما نصه: « وسئل أحمد بن تبوك عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرك؛ هل يجوز أو يمنع؟. فأجاب: هو جائز؛ مازال الناس يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب سيدي حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان، فإذا ثبت أن تراب قبر سيدنا حمزة يحمل من قديم الزمان؛ فكيف يتمالأ أهل العلم بالمدينة على السكوت عن هذه البدعة المحرمة؟!!. هذا من الأمر البعيد!. قلت – أي: قال

الونشريسي- ومن هذا القبيل: ما جرى [19] عليه عمل العوام في نقل تراب ضريح الشيخ أبي يعزى، وضريح الشيخ أبي غالب الصاريوي للاستشفاء من الأمراض والقروح المعضلة ». هـ.

ونقله بالمعنى شارح "الحصن" عن العارف الفاسي؛ ونصه: « وفي النوازل - يعني: نوازل "المعيار" - من فتاوي المتأخرين: جواز أخذ التراب من قبور الأولياء للاستشفاء كما يفعله أهل هذه البلدة - يعني: فاسا - بتراب سيدي أبي غالب وغيره، ودليلهم: فعل السلف ذلك في قبر حمزة رضي الله عنه ». انتهى.

ووفاة صاحب "المعيار" - كما يأتي في ترجمته - عام أربعة عشر وتسعمائة. فتكون وفاة صاحب الترجمة قبل هذا الوقت قطعا.

ورأيت في تقاييد أخرى: أنه توفي قديما - وكان خاملا في حياته، ثم بعد وفاته؛ قطفت أنواره في قبره، وظهرت بركته وأسراره، واشتهر أمره، واتسع صيته، وصار الناس يستشفون بقبره، ويدعون عنده فيستجاب لهم، وحينئذ بنى الناس عليه روضة، وتطوعوا بها على الهيئة التي كانت عليها. ثم لما زار قبره السيد محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي؛ أمر بإصلاح ما سقط منها؛ فامتثل أمره ونفذ، وصرف الصدقة التي تجبى لضريحه على الشريف سيدي محمد بن محمد بن أبي طالب الطالبي الجوطي الإدريسي الحسني، واستمرت في يد ولديه: الفقيه الأستاذ المقرئ سيدي محمد وأخيه للأب مولاي علال وأولادهما إلى أن تنازعوا في ذلك؛ فاختص بصرفها على بعض دون بعض إلى الآن. هـ.

وفي تأليف لسيدي عبد السلام بن الخياط القادري الحسني في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوزاني، لما ذكر فيه أن سيدنا عيسى - عليه الصلاة والسلام - كان يحيي الموتى، ويشفي المرضى، وأن الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني ظهر على يديه إحياء الموتى؛ ما نصه: « وغيره - أي: غير مولانا عبد القادر - كان يشفي المرضى؛ وهو: علي بن أبي غالب الشريف الحسني الإدريسي؛ من بني محمد بن إدريس باني فاس، وهو المدفون بصاريوة داخل باب الفتوح، كان يشفي المرضى ببركاته، وعلاجه في حياته ثم بعد وفاته بزيارته، والدعاء عند قبره مستجاب بذلك. وحكى لي والدي كرامات شهدها منه مناما ويقظة، ورأيته يقظة، وزرته لذلك ولغيره، واستجيب لي الدعاء عند قبره لمرض لي ولغيري مرارا عديدة ». هـ.

وقال في محل آخر ما نصه: « وبفاس: سيدي علي بن أبي غالب الشريف الإدريسي الحسني، من شرفاء مدشر صاريوة من بني يازغة، ونزل حومة صاريوة - أيضا - عدوة فاس الأندلس، وكانت

حرفَه في حياته: جرائحـيا؛ يعالج الجراح؛ فيشفي الله تعالى المعلولين بعلاجه لهم وببركاته جراحـهم [20] وظهرت له كرامات؛ فقصده الناس واجتمعوا عليه، وصاروا يبيّتون عنده في كل ليلة جمعة ويومها، فيتخذون الذكر عادة لهم، ويستعملون السماع والرقص، ويطعمهم الطعام مما يهدي إليه ويُهاب[1] عليه، هكذا كان دأبه.. قالوا ذلك وقيدوه وقلدناهم فيه، ونقلناه عنهم مما قيدوه فيه »

« ومن تمامه: أنه كان اجتماعهم عليه في داره بصاريوة إلى أن توفي ودفن بها، وبناها الناس من أصحابه عليه روضة تطوعا منهم بذلك، وصرف سلطان الوقت الصدقة التي تهدى إلى ضريحه على جميع الشرفاء الطالبيين الجوطيين؛ سكان عدوة فاس الأندلس، وظهرت له كرامات بعد وفاته أكثر مما كان يظهر عليه في أيام حياته، وقبره يستشفي به المرضى؛ فيشفي الله تعالى من قصده لذلك ببركاته. والدعاء عند ضريحه مستجاب، وهو أمان لمن لاذ به من أهل الجنايات...».

«***ومن أخذ عنه الطريقة وتخرج به:*** علي الوريتي المدفون بالفخارين عدوة فاس الأندلس، ***ومن*** تخرج به في صناعة علاج الإجراح: حَمّ الحجام الجرائحي الوريتي مولاهم...». هـ. وما ذكره من تخرج علي المذكور به وأخذه عنه؛ تقدم لنا أنه لا يصح، بل كان تخرجه بسيدي الحسن الجزولي - دفين خارج باب الفتوح - كما سبق.

ثم بعد كتب هذا كله؛ وقفت على تأليف لبعض علماء القرن التاسع - من تلاميذ الشيخ سيدي عبد العزيز الورياغلي وأبي عبد الله القوري وغيرهما - تكلم فيه على بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم؛ قال فيه لما ذكر أن ابن عرفة الجزولي توفي بفاس، ودفن داخل باب الفتوح بحومة الجزارين، عن يمين المار إلى الباب الحمراء، حيث يجوز الناس لوادي الزيتون؛ ما نصه[2]: « وليس بسوق الجزارين الكائن بحومة بني صاريوة اليازغيين قرب الولي الصالح الرباني أبي الحسن علي بن أبي غالب الشريف الإدريسي الحسني الصاريوي اليازغي - خرج سلفه من فاس فارين من موسى بن أبي العافية المكناسي، في أيام ولايته على فاس، واستقروا في بني صاريوة من بني يازغة؛ ثم رجع من رجع منهم إلى فاس؛ فنزلوا في حومة صاريوة أيضا داخل باب الفتوح، فظهر منهم أبو الحسن المذكور، وتوفي في أواسط المائة الثامنة، ودفن بالحومة المذكورة بدار بإزاء السوق المذكور، ويقصده الزائرون ويستشفون بزيارته، ويتبركون بقبره ». انتهى لفظه. وهو مصحح لما تقدم من أن صاحب الترجمة شريف إدريسي، وأنه من بني يازغة، ومزيف لقول من قال: إنه من تلاميذ الكومي، وشيخ علي الهيري. لتأخرهما عن وفاته المذكورة بأزيد من مائتي عام... والله أعلم.

---

[1] كذا، ولعل الصحيح: يوهب عليه.

[2] يقصد بهذا الكتاب: كتاب "بيوتات فاس الكبرى" المنسوب لابن الأحمر. وقد طبع بدار المنصور.

وفي "نشر المثاني" [21] في ترجمة العالم المقرئ، إمام القراء، وشيخ المغرب: الحافظ أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي المتوفى سنة اثنين وثمانين وألف – ما نصه: «ومن نظمه يستغيث بالشيخ أبي غالب – صاحب الضريح بصاريوة داخل باب الفتوح من فاس:

جَزَعْنا من الضر الأليم الذي ألم ... بأبداننا حتى تحكّم واحتكم
وجئنا إليكم قاصدين ضريحكم ... فقبركمُ الترياق يشفي من السَقَم
وتربتكم تشفي وذكركمُ يكفي ... وعادتكم بُرْء العليل من الألم
أغثنا أغثنا قد أتينا لبابكم ... وبابكمُ المعروف بالجود والكرم» . هـ .

وللأديب البارع العلامة المشارك أبي محمد سيدي الحاج عبد الله ابن الفقيه العلامة الشهيد سيدي الحاج عبد السلام جسوس – رحمهما الله – يستشفي به من دماميل خرجت بجسمه:

إذا ما الخوارج قد خرجت ... بجسمي وضاقت بها حيَلي
أتيت ضريح أبي غالب ... وهل للخوارج إلا علَيّ؟!

ولبعضهم من قصيدة فيه:

إمام همام للشفاء مجرَّب ... وترُبه ترياق صحيح التجارب

وللشيخ العلامة الكبير أبي محمد سيدي عبد القادر بن أحمد ابن شقرون في التوسل به:

سمعنا سماعا فاشيا متواترا ... يحصّل علما لا يساوَمُ بالنقض
بأن الذي أعيى الأطبا دواؤه ... وضاقت عليه الأرض طولا وفي العرْض
يؤم ضريح الغوث حقا بلا مرا ... أبي غالب جم المواهب والفيض
فيرجع مسرورا بنيل شفائه ... وقد رفض الأدواء رفضا على رفض
لذاك حططت الرحل بالباب ضارعا ... أبث له الشكوى بدائي الأغمَض
وناديته والنار تلهب في الحشا ... ودمعي هطال يسيح على الأرض
شفيعي كتاب الله أفضل منزل ... على خير من قد جاء بالنفل والفرْض
عليه صلاة الله ثم سلامه ... بدوام ما غنت حمائمُ في روض

وللفقيه الوزير سيدي محمد بن إدريس العمراوي الفاسي:

أبا غالب ناديت باسمك طالبا ... شفاء فأنت للسقام طبيب
أغثني أغثني من علاك بنفحة ... فأنت لداعي الفوز منك مجيب [22]
و لاتحرمني فضل جاهك إنني ... لضَيْفٌ بكم حط الرحال غريب

والأشعار في التوسل به والاستشفاء بجنابه كثيرة، وقد جرت العادة بجعل مَحْبَس كبير عنده يكون معمورا بالماء، يدهن به المرضى وذوو العاهات، ويشربون منه تبركا واستشفاء.

ورأيت فيما يتعلق بذلك كلاما لبعضهم في كناش له نصه: «الحمد لله؛ ذكر بعضهم أنه: ذهب ذات يوم لزيارة الولي الصالح سيدي أبي غالب الصاريوي - نفعنا الله به - وإذا بالشيخ العالم العلامة سيدي محمد التاودي ابن سودة المري - رحمه الله - هناك، ومعه الفقيه المؤدب برحبة ابن رزوق من عدوة فاس الأندلس سيدي محمد بن حسَيْن، والمرابط سيدي عبد الله الدرعاوي، والمحب سيدي الحاج عبد السلام ابن الحاج. . .فلما أراد الشيخ التاودي الانصراف؛ أتى إلى المحبس الذي هناك، وشرب منه جرعة ماء. فقال له الفقيه سيدي محمد بن حسين: يا سيدي؛ أنت بك يقتدى وبك يهتدى وتشرب من هذا المحبس الذي هو محل الأقذار والكادورات؟!. فقال الشيخ سيدي التاودي للسيد عبد الله الدرعاوي: أجبه. فقال له السيد عبد الله: قال تعالى: ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾. [النحل: 8]. وهذا مما لا تعلم!. فقال الشيخ التاودي: زده واحدة أخرى؛ وهي: أني وقفت في باب الكشف للشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي - رحمه الله - أنه كل يوم يأتي سبعون ألف ولي إلى هذا المحبس، ويضعون فيه أيديهم بقصد التبرك، ونحن نحب أن نصادف شيئا من بركة تلك الأيدي المباركة، حشرنا الله تعالى في زمرتهم، وجعلنا من المحبين في هذا الجانب. . آمين ». هـ.

ومما أحدث بهذه الروضة خارجها: سقاية ماء بناها أحد قواد فاس؛ وهو: القائد بوجيدة الجدولي. ولم تكن قبل، وأجرى لها الماء الذي كان يجري إلى السقاية التي كانت بخارج روضة سيدي محمد بن عباد، وذلك سنة خمس وأربعين ومائة وألف. وفي ذلك يقول الشريف العلامة الصوفي أبو محمد سيدي عبد المجيد المنالي:

سقايــة الشيــخ أبــي غـالــب	شـافيـة للضـرر الغـالـب
أعــدَّها الشيـــخ نــوالا لمـــن	قـد أمـه مـن قـاصـد طـالـب
فهـي شـراب البُـرء مـن كـل دا	وكـم تُـرَوّي ظمـأ الشـارب
أخفـى بهـا السـر لمـن سالـهُ	من كـل مستحـق ومن شـارب
نـالـت مـن الحكـام تجديـدهـا	بشقهـم فالحمـد للواهـب

[23] وأشار بالشين والقاف والهاء والميم من قوله: بشقهم. لتاريخ بنائها؛ وهو العام المذكور. ثم لما جدد بناء هذا الضريح السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي وجعل فيه مسجدا للصلاة فيه، وبيوتا للمرضى وذوي العاهات الذين يأتون إليه؛ عمل فيه سقاية أخرى بظهره، وهي التي بالطريق تقابل روضة سيدي عمر الشريف، وذلك على يد قائد فاس الحاج محمد الصفار رحمه الله.

وهاهنا تنبيهـــــــــــات

الأول: قال في "الإبريز": «تكلمت مع الشيخ - رضي الله عنه - في شأن بعض السادات الموتى، ممن كثر زيارة الناس له، وظهر النفع عليه وشفاء المرضى عند ضريحه. فقال لي - رضي الله عنه: إن قلوب أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها شأن عظيم عند الله تعالى، ولو أنها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه أحد وظنت فيه وليا وجعلت ترغب إلى الله تعالى في ذلك الموضع؛ فإن الله تعالى يسرع لها الإجابة، وسيدي يحيى - أي: القطب صاحب الجريد اليوم؛ يعني: يوم الحكاية - هو الذي يتولى التصرف في ذلك!». هـ. أي: هو الذي ينظر في ذلك الوقت في حوائج الزائرين، ويقضي ما قضاه الله منها.

الثاني: ذكر الشريف العلامة الصوفي أبو محمد سيدي عبد المجيد المنالي؛ الشهير بالزبادي. في تأليف له في التعريف بشيخه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن ابن زكري - صاحب التصانيف المشهورة - أنه: لما مرض شيخه المذكور مرض موته؛ دخل عليه يوما يعوده مع بعض الإخوان. قال: «فذكرت بعض شفقتنا عليه وشوقنا إليه. فقال: انظروا إلى قلوبكم؛ فكذلك هي قلوبنا معكم أو أكثر، ووالله لو وجدت ما غبتم عنا لحظة، ولكن لا خيار مع الزمان!. قال: ثم طلب منا أن ننوب عنه في زيارة الشيخ أبي غالب عشرة أيام؛ فانصرفنا عنه. وهذا آخر ما سمعته منه من الكلام، فلما كان عاشر الأيام؛ نزل به جيش الحمام، فقبضه الله إليه وقد ناح لفقده حتى مطوق الحمام...». هـ.

والظاهر أن لتخصيص هذا العدد من الأيام سرا، وأنه بلغه أن من واظب على زيارة ضريح صاحب الترجمة مدة من عشرة أيام؛ قضيت حاجته أو شفاه الله. فأمرهم بفعل ذلك نيابة عنه، وظهر مصداقه بموته في اليوم العاشر منها... والله أعلم.

[426- الإمام سيدي علي ابن غالب (دفين القصر)]

(ت: 568، أو 573)

الثالث: كثير من الناس يظنون أن صاحب الترجمة المذكور هو دفين القصر، وأن له قبرين. وهذا الظن باطل ولا أصل له، بل دفين القصر رجل آخر؛ وهو: الشيخ الإمام، العلامة المحدث الهمام، العارف بالله تعالى، أحد الأوتاد؛ أبو الحسن سيدي علي بن خلف بن غالب [24] الأنصاري، وقيل: القرشي، الأندلسي.

وقد ترجمه التادلي في "التشوف"؛ فقال: «ومنهم: أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي. نشأ بشلب، وقرأ بقرطبة، واستقر أخيرا بقصر كتامة، وبه مات عام ثمانية وستين وخمسمائة، ويقال: عام ثلاثة وسبعين. شيخه في طريقة التصوف: أبو العباس ابن العريف. وتلميذه: عبد الجليل بن موسى القصري، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري. وكان أبو الحسن متمكنا في علوم القوم، وكان الأولياء يحضرون مجلسه »... ثم ذكر أنه كان يحضره – أيضا – جماعة من المشاة في الهواء، وأن بعضهم كان يظهر في وجهه كأثر حرق النار من إحراق الهواء، وأنه ورث من أبيه اثني عشر ألف دينار؛ فخرج عنها كلها تورعا، وأنه كان يقول: « إذا أشكل علي معنى في شيء أنظر أي جهة كانت من جهات البيت؛ فأجده مسطورا ». وأن بعضهم رأى ليلة وفاته في السماء مكتوبا: « فقد وتد! ». انظر ذلك كله فيه.

وفي "الجذوة": « علي بن غالب. أحد فقهاء مدينة فاس، أخذ عنه الشيخ أبو مدين، وكان من العلماء العاملين، توفي بقصر كتامة، ودفن خارج باب سبتة سنة ثمان وستين وخمسمائة ». هـ.

وفي "أنس الفقير" لابن قنفذ ما نصه: « ومن أشياخ الشيخ أبي مدين – رضي الله عنه – الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن غالب؛ من فقهاء فاس، وهو الذي قرأ عليه الشيخ أبو مدين السنن لأبي عيسى الترمذي في حديث النبي عليه السلام، ولازمه وتفقه عليه، وتوفي ابن غالب هذا في حدود التسعين وخمسمائة، وكان الأولياء يحضرون مجلسه، وحدث بعضهم أنه: ورث من أبيه اثني عشر ألف دينار فتصدق بها كلها، وقال: كان والدي لا يحسن الفقه!، فسمع بذلك شيخه أبو العباس ابن العريف؛ فقال: يا أبا الحسن؛ هلا طهره الثلث؟!. وحدثوا عنه أنه: كان إذا أشكلت عليه مسألة علمية؛ نظر إلى جهة من جهات البيت فيجدها مكتوبة في الجدار... ». هـ.

وفي "تحفة أهل الصديقية" أثناء عده لبعض أشياخ الشيخ أبي مدين ما نصه: « ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري، وقيل: القرشي الأندلسي، المتوفى بالقصر الكبير، سنة ثمان وستين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين – بتقديم السين – وخمسمائة، وكان من الأوتاد ». هـ.

وفي "المنح الصافية" أنه: كان شيخ الصوفية في وقته، والملقب بالعارف في عصره، صاحب التصانيف المفيدة في بابها، الغريبة في معناها؛ ككتاب: "الاعتبار"، وكتاب: "الأيام والحجب".. وغيرهما. أصله من شلب، وبها نشأ وقرأ وتأدب، ثم رحل إلى قرطبة [25]، واستوطنها، وقرأ بها القرآن والحديث وغيرهما، وصحب العلماء الأخيار والأولياء الكبار؛ كالشيخ العارف المحقق أبي الحلم ابن برجان وغيره، لكن اعتماده في الطريق وشيخه على التحقيق إنما هو: الشيخ الإمام العارف المحقق الكبير أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي ثم الطنجي؛ نزيل المرية، دفين وسط مراكش، المعروف: بابن العريف؛ لكون والده كان صاحب حرس الليل بطنجة، ثم ارتحل

من قرطبة، ولم يزل ينتقل من موضع إلى موضع، ودخل في خلال ذلك فاسا، واستوطنها مدة، وبها لقيه تلميذه الشيخ أبو مدين؛ فلازمه وانتفع به، وقرأ عليه كتاب "السنن" لأبي عيسى الترمذي، ثم انتقل إلى قصر كتامة وبه توفي سنة ثمان وستين وخمسمائة، ويقال: سنة ثلاث وسبعين. ودفن خارج باب سبتة منه، عن يمين الداخل، وقبره هناك معظم مشهور)).

((وكان – رحمه الله – من سادة الصوفية المتبعين المقتفين آثار السلف الصالح، المهتدين بهديهم، شديد التمسك بالكتاب والسنة، وكان متمسكا في علوم القوم، وكان العلماء والأولياء المشاة في الهوى[1] يحضرون مجلسه، وكان إذا أشكل عليه معنى؛ نظر إلى جهة من جهات البيت، فيجده مسطورا، وأخبر تلميذه الشيخ أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأوسي – من أحواز قرطبة، المعروف بالقصري؛ لنزوله قصر كتامة، المتوفى بسبتة – أنه: رأى ليلة وفاته في السماء مكتوبا: فقد وتد!)). هـ.

وممن تعرض لذكره: صاحب "المرآة"، وذكر أيضا أنه: ((توفي بقصر كتامة، ودفن خارج باب سبتة – أحد أبواب القصر)). . . والله أعلم.

[427– الكاتب سيدي أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي النجاري]
(ت: 992)

ومنهم: الفقيه الأذكر، الكاتب الأشهر؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن رضوان الأنصاري الخزرجي النجاري: ممن صحب الشيخ أبا المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وتردد إليه، وانتفع به وشهد له شيخه المذكور بالمحبة في جانبه.

توفي – رحمه الله – كما ذكره في "ابتهاج القلوب" في جمادى الأولى سنة اثنين وتسعين وتسعمائة. قال: ((ودفن بجوار سيدي أبي غالب)). هـ.

[428– سيدي علي بن عبد الواحد خمليش الصنهاجي]
(ت: 1272)

ومنهم: الولي الصالح، الشهير البركة الواضح؛ الفقيه أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد بن أحمد بن يحيى؛ المدعو: خمليش الصنهاجي. كانت له بركات واضحة، وأسرار لائحة، وكشف وكرامات، وخوارق عادات.

---

[1] كذا في الأصل، والأصح – والله أعلم – في الهواء.

توفي سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة سيدي أبي غالب المذكور. وقبره هو الرابع عن يسار داخل الفناء المتّصل بقبّته.

[429- الإمام المفتي الخطيب سيدي محمد بن عبد الرحمن ابن جلال المغراوي] (ت: 980، 981)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العالم العلامة النبيه، مفتي فاس، وخطيب [26] جامعها الأعظم، وعميد علمائها، وشيخ الجماعة بها؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ابن جلال المغراوي التلمساني.

ولد بتلمسان سنة ثمان وتسعمائة، ثم رحل منها إلى فاس سنة ثمان وخمسين في صدر أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف، ولما استقر بفاس؛ قلده السلطان المذكور الفتيا بها والتدريس، وخطب بجامع الأندلس ثمان سنين في حياة أبي زيد عبد الرحمن ابن إبراهيم، وولده الشيخ أبي شامة، ثم بجامع القرويين ثلاث عشرة سنة.

وكان إمام الأئمة، و حبرا من أحبار الأمة، قد تضلع من أفانين العلوم، وشرب من صفو رحيقها المختوم، وتنافس الناس في علومه، والاقتباس من فهومه، عارفا بالمنطق والعقائد، والبيان والفقه والحديث، والتفسير. . . وغير ذلك. مرجوعا إليه في تحرير عقائد التوحيد هنالك، ذا سمت حسن، وهدي كريم مستحسن، وتؤدة وسكينة ووقار، وهمة عظيمة المقدار، وجود وسخاء، وفضل وذكاء.

أدرك المشايخ بتلمسان، وأخذ عنهم، وانتفع بهم؛ كالفقيه المحصل، الصالح المفتي؛ أبي عبد الله محمد ابن موسى؛ فقيه تلمسان. والفقيه المتفنن الصالح أبي عثمان سعيد المقري، والأستاذ المحقق أبي العباس أحمد ابن أطاع الله؛ من تلاميذ الشيخ ابن غازي. وحضر عند الفقيه المفسر المتفنن التوازلي أبي مروان عبد المالك البرجي في التفسير وغيره، وكذا أخذ عن جماعة من أصحاب أبي عبد الله السنوسي، وعن أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني؛ وكان والده سيدي عبد الرحمن من قرائه وأصحابه الملازمين له، وكان ولده – صاحب الترجمة – يزوره معه ويتبرك، فكان ممن سمع أحوال الأولياء، وسبقت محبتهم في قلبه.

وفي "المرآة" أنه: أخذ عنه الشيخ أبو المحاسن ولازمه كثيرا، وقرأ عليه التفسير والأصول، والفقه و"الكبرى" و"الصغرى" السنوسي. . .قال: «كان قد أخذ عن الشيخ الإمام المتفنن، الصالح الزاهد؛ أبي عثمان الكفيف، وهو أخذ عن الشيخ السنوسي، وأخذ أيضا عن الشيخ أبي العباس ابن زكري. . . رحمهم الله ». هـ.

وقال في "ابتهاج القلوب": « قال النيجي: أخذ الشيخ أبو المحاسن عنه عقائد التوحيد، وكان ماهرا في ذلك بشهادة العامة والخاصة له، كاليستيتني وغيره ». هـ.

وفي "تحفة الإخوان" للمرابي عده – أيضا – من أشياخ سيدي رضوان الجنوي، وقال: « إنه كان من العلماء الراسخين، من بيت علم ودين، وخطيبا بالقرويين ومفتيا بها ». هـ.

وقال في "الدوحة": « لقي المشايخ وأخذ عنهم بتلمسان، وطالت أيام رياسته بفاس حتى أسن [27] وأثقله الهرم، وانتفع الناس به، توفي سنة إحدى وثمانين ». هـ. يعني: من القرن العاشر.

وعده المنجور في فهرسته ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان وأخذ هو عنهم، وحلاه بالفقيه الموحد، المشارك المفتي الخطيب. وقال: « استفدت منه في العقائد والفقه، والحديث والأدب. . .وغير ذلك ». ثم قال: « وكان ذا تؤدة وسكون، وهمة وسخاء. استوطن فاسا، وبها توفي في ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين. . . قال: وقال لي: إنه ولد سنة ثمان وتسعمائة ». هـ. وهكذا ذكر وفاته – أيضا – غير واحد.

وفي "الجذوة" و"درة الحجال" أنه: توفي سنة ثمانين – بإسقاط لفظ: إحدى. وفي "المطمح": « توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وتسعمائة ». هـ. وضريحه – رحمه الله – على ما يؤخذ من "التنبيه": بقرب سيدي أبي غالب. ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"نيل الابتهاج"، و"الدوحة"، و"المرآة"، و"ابتهاج القلوب"، و"المطمح". . . وغيرها.

[430- الخطيب سيدي محمد المرابط بن محمد ابن جلال]
(ت: 1008)

ومنهم: ولده الفقيه الخطيب، العلامة الأريب؛ أبو عبد الله سيدي محمد؛ الملقب بالمرابط، المغراوي التلمساني.

كان – رحمه الله – فقيها مشاركا. أخذ عن أبيه، وعن أبي القاسم بن محمد ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي. . . وغيرهما، وولي بعد أبيه الخطابة والإمامة بالقرويين، وبقي بها نحوا من ستة أشهر، ثم نقل إلى جامع الأندلس، وهو الذي صلى بها على الشيخ سيدي رضوان الجنوي بعد وفاته.

توفي – رحمه الله – ليلة الأحد عاشر المحرم سنة ثمان وألف. قال في "المطمح": « ودفن بروضة أبيه ». هـ. ترجمه فيه، وكذا في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر".

[431- العلامة النحوي الشريف سيدي محمد بن إدريس العراقي]
(ت: 1142)

ومنهم: الشيخ الجليل، المشهور بالنباهة والتحصيل، النحوي الأشهر، العلامة الدراكة الأنور، سيبويه الزمان، ووحيد العصر والأوان، عالم الشرفاء، وشريف العلماء؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن إدريس بن أحمد - المدعو: حمدون. الشريف العراقي الحسيني.

كان - رحمه الله - أحد أئمة النحو والعروض بفاس، لغويا بيانيا محققا، مشاركا نفاعا مدققا، كثر تدريسه؛ فأفاد كما استفاد، وانتفع به الحاضر والباد.

أخذ عن جماعة؛ منهم: سيدي عبد السلام القادري، وسيدي عبد القادر الفاسي، وولده سيدي محمد؛ وهو عمدته. وأخذ عنه هو من لا يحصى؛ كالفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي، والشريف العلمي صاحب "الأنيس المطرب"، والشيخ أبي حفص الفاسي، والعلامة مولاي عبد الهادي العراقي... وغيرهم.

وكانت له قريحة في نظم الشعر، وخلة كبيرة مع الشيخ أبي عبد الله المسناوي، وكثرت بينهما الأسئلة والأجوبة، وله تقاييد كثيرة في النحو، وولي تدريسه بالكرسي [28] الذي عن يمين الداخل للقرويين من باب الكتبيين أزمانا.

إلى أن توفي في العشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف. قال في "المورد الهني": « ودفن بروضة ابن عبد الرزاق قرب ولي الله سيدي أبي غالب الصاريوي، نفعنا الله به، ورثاه صاحبنا الفقيه سيدي عبد المجيد بن علي الشهير بالزبادي بقصيدة من أربعة وثلاثين بيتا - رحمه الله ». هـ.

وقد ذكر هذه القصيدة صاحب "نشر المثاني" فيه - على ما في بعض نسخه - وذكر أن صاحب الترجمة هو والد العلامة المحدث أبي العلاء مولاي إدريس العراقي، ووالد مولاي عبد القادر العراقي المتوفى في أواسط جمادى الأولى عام وفاة والده. ترجمه في "المورد الهني"، وكذا في "الإكليل والتاج". وفي "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الدر النفيس" لمولاي الوليد العراقي، و"الإشراف"... وغيرها.

[432- العالم سيدي أبو يعزى بن علي الحريشي]
(ت: 1183)

ومنهم: الفقيه النبيه، المحدث النزيه؛ سيدي أبو يعزى - المدعو: بوعزة - ابن الفقيه العلامة المحدث الشهير أبي الحسن سيدي علي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي.

سمع من والده. وكان فقيها مدرسا، يدرس "الرسالة" وغيرها لمن يحضر مجلسه من بعض الطلبة والعوام، وله معرفة بعلم الحديث والسير.

توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، ودفن بروضتهم التي يدفنون بها قرب سيدي علي أبي غالب. ترجمه في "النشر".

[433- سيدي عنتر الخلطي]

(ت: 1093)

ومنهم: الولي الصالح البهلول، وسيف الله القائم المسلول، الشيخ سيدي عنتر الخلطي.

من البهاليل الموطهين أهل الأحوال: أخذ عن سيدي علي بن أيوب الخلطي. وكان يمشي في الأسواق عاريا، تارة بدون ساتر؛ وهو غالبه، وتارة بمئزر، ويصيح في الأسواق وينادي. وظهرت له كرامات، وإخبار بمغيبات، ولهج به عامة أهل فاس كثيرا.

ومن **المحكي** عنه أنه: ريء يطأ أتانا؛ فقال له بعض الحاضرين: «ما هذا يا سيدي؟!». فقال له: «إني أصلح السفينة!!»، فلبث قليلا؛ فجاء قوم كانوا ركبوا سفينة في البحر، فعرض لهم فيه فساد أيقنوا معه بالغرق؛ فجعلوا يستغيثون به؛ لأنهم كانوا يعرفونه، فسهل الله لهم إصلاحها. وربما ذكر البعض منهم أنه شاهده يصلحها معهم؛ فنجاهم الله تعالى ببركته، ***فكأن ظاهر فعله خراب***، وباطنه صواب، فسبحان العليم بالأسرار.

وكان يتردد لزيارة أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، فيتوضأ ويصلي ركعتين، ويلقاه متأدبا. وجاء يوما لزيارته على العادة؛ فوجد عنده رجلا من أصحابه وهو يضحك. فقال له: «أتضحك بمحضر السلطان؟!».

وممن أخذ عنه: الشيخ سيدي عبد السلام التواتي؛ دفين طالعة فاس، ذكر ذلك في "التقاط الدرر" في ترجمة سيدي [29] عبد السلام المذكور.

توفي - رحمه الله - سادس عشر شعبان سنة ثلاث وتسعين وألف. قال في "النشر": «ودفن قرب سيدي أبي غالب بصاريوة؛ عدوة فاس الأندلس، وبنيت عليه قبة مربعة بالقرمود الأخضر، بينها وبين سيدي أبي غالب: المحجة المرور عليها لسيدي ابن عباد - رضي الله عن جميعهم».هـ. وقال في "التقاط الدرر": «دفن قرب سيدي أبي غالب بعدوة فاس الأندلس، وبنى عليه بعض خاصة المخزن قبة بالقرمود الأخضر».هـ.

وأورده الشيخ أبو العلاء سيدي إدريس المنجري في فهرسته فيمن لقي من الصلحاء، وذكر أن كل ما كان يذكره كان يخرج كفلق الصبح، وأن مآثره لا تحد، وقال: «توفي في حدود العشرة التاسعة وألف بفاس، ودفن بقرب الغوث أبي الحسن ابن غالب» .هـ. وممن ترجمه أيضا: صاحب "الصفوة"؛ فراجعه. لكن قبته المذكورة علاها السقوط في هذه الأزمنة، ولم يبق لها أثر. . .

[434- الشريف الصالح سيدي علي بن مَشيش]

ومنهم: الولي الصالح أبو الحسن سيدي علي بن مشيش الشريف الحسني الإدريسي. قال في "التنبيه": «قرب سيدي أبي غالب»، وإليه وإلى الذي قبله يشير المدرع في منظومته بقوله:

وهكذا سيدنا علي	ابن مشيش حالهُ مَرْضي
قد دفنوا بالقرب منه عنترا	في قبة معلومة بدت ثُرى

[435- الإمام الشريف سيدي محمد بن أحمد القسنطيني الكَمَّاد]

(ت: 1116)

ومنهم: الشيخ الإمام العالم العَلَم، والركن الملتزم المسلم، العلامة القدوة المشارك النحرير، ذو البركات الظاهرة والقدر الخطير، أعجوبة الزمان، وفريد العصر والأوان، الدراكة الحافظ المتقن المحقق، الضابط الفهامة المدرس المدقق، فارس المعقول والمنقول، والآتي في درسه بما يبهر العقول، ملحق الأواخر بالأوائل، وعلم السراة القادة الأفاضل، الصالح البركة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني، المعروف عند أهل بلده بالكَمَّاد.

قدم – رحمه الله – على فاس، وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد، وكان آية من آيات الله في الحفظ والإتقان، والتحرير العجيب وعزة الشان، إماما نظارا مطلعا، وبنفائس العلوم ودقائقها متضلعا، له الملكة في المنطق وعلم الكلام، والحفظ التام في علم حديث خير الأنام، مرجوعا إليه في الفقه وأدواته، مقصودا في حل مشكلاته، كبير الباع، تام الإطلاع، أذعن له الكافة من علماء عصره، وعظم صيته لدى الرؤساء وغيرهم من أعيان دهره، وأخبر عن نفسه أنه يحسن اثني عشر علما.

أخذ بجبل زواوة عن أبي عبد الله سيدي محمد [30] المقري، وبالجزائر عن سيدي محمد بن سيدي سعيد قدورة. . . وعن غيرهما.

ثم ارتحل إلى فاس برسم القراءة على مشايخها، ويقال: إنه وقف على الدالية لأبي علي اليوسي، فاستحسنها وسأل عن ناظمها؛ فأخبر بأنه حي بالمغرب، فأقبل للأخذ عنه. فلما بلغه؛ وجده مشتغلا بزحام الفقراء المتلقين منه، فتصدر بفاس لإقراء "جمع الجوامع" للسبكي؛ فأبدع في إقرائه، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون؛ فأكثروا الازدحام عليه، وتوجهت عيون أهل الدولة إليه؛ فارتفعت مرتبته، وأجريت له المرتفقات العالية، وشمله درور إحسان السلطان فمن دونه.

وكان مقبلا على ما يعنيه، دؤوبا على المطالعة، لا يرى إلا في درسه أو مطالعة كتبه، قليل الكلام، كثير الصمت، ذا همة علية، ومآثر سنية، لا يدع التهجد بالليل حضرا و سفرا.

وكان يقرأ في زمن الشتاء، ويتفرغ في زمن المصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء، واجتمعت الكلمة على أنه أحفظ علماء عصره، بل ظهر من حفظه ما بهر العقول.

وممن أخذ عنه: الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام البناني، والأستاذ العلامة سيدي إدريس بن محمد المنجري الحسني، وكان يقول فيه: «إنه لم تر عيناي مثله!».

قال في "النشر": «وله أجوبة حسنة في نوازل كثيرة، دالة على مهارته واتساع ملكته.. قال: ولملازمته للتدريس؛ لم يتفق له التصنيف. وإلا؛ فهو أحق به». هـ.

توفي – رحمه الله – عند غروب شمس يوم الجمعة الرابع من شهر محرم الحرام، فاتح سنة ست عشرة ومائة وألف، وصلى عليه إماما: الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي بإيصائه بذلك. قال في "الصفوة": «ودفن قريبا من ضريح سيدي أبي غالب، وبنيت عليه قبة». هـ. وهي ساقطة في هذه الأزمان، ليس لها أثر. ترجمه جماعة؛ منهم: تلميذه أبو العلاء المنجري في فهرسته، وصاحبا "الصفوة"، و"النشر".

[436– السيدة زهراء الشريفة]

ومنهم: السيدة زهراء الشريفة. أوردها في "التنبيه"؛ وقال: «ذكرها سيدي عبد الرحمن ابن القاضي، وضريحها فوق القبة التي فوق سيدي أبي غالب». هـ.

[437– الشيخ المربي سيدي محمد بن علي الزمراني الطالب]
(ت: 964، أو 965)

ومنهم: الشيخ الكامل، العارف الواصل، الصوفي الأكبر، والولي الأشهر، أحد مشايخ التربية، وسلوك الطريقة المهدية، العالم العلم، والركن المسلم، القطب الجامع، والنور اللامع، الكبير الشان،

الواضح البرهان، ذو المشاهدة الروحانية، والعلوم اللدنية الوهبية؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن علي بن مهدي بن عيسى بن أحمد الهراوي الزمراني؛ المعروف بالطالب.

كان – رحمه الله – أحد الفقهاء العلماء، والصلحاء الكبراء، وجيها وسيما، [31] فاضلا كريما، ذا سمة حسنة، وأخلاق كريمة مستحسنة، وهمة علية، ونفس زكية، يتكلم بالمواهب اللدنية، ويشير إلى المعارف الإلهية، عارفا بطريق النفوس، مغترقا في حضرة الملك القدوس، لله ذاكرا، وبقلبه وسره وسر سره معه حاضرا، كثير الحياء، طويل الصمت، كثير الأدب، تابعا للسنة، مجانبا للبدعة. إن رأيته اغتنيت، وإن شاهدت شمسه فنيت، ظاهره مصون بالكتاب والسنة، وباطنه مغترق في حضرة من لا يأخذه نوم ولا سنة.

وكان ذا نفحة وصيانة، وكرامة وخرق عادة، بل كراماته أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تستقصى، وكان – أيضا – ذا ورع وزهد، وشفقة وحنانة، وأمانة وكياسة، وفراسة ومكاشفة، وسطوة وصولة، حسن الخلقة والخلق، إذا نظر إليك أغناك، وإذا سقاك من شرابه كملك، وإذا ندهت به أغاثك.

وكان طويل القامة، واسع الوجه، عريض ما بين المنكبين، واسع الصدر، أخمص البطن، رقيق الساقين، أكحل العينين، أصفر الوجه. . .ومناقبه عجيبة، وأحواله غريبة.

أخذ عن الشيخ الكبير، العارف الشهير، المشار إليه بالقطبانية؛ سيدي أبي محمد عبد الله الغزواني. وكان من كبار أصحابه وتلامذته، وهو وارثه وخليفته بزاويته من بعده. وكان يذكر أنه: يرى الله تعالى ببصيرته كما يراه ببصره. فيجعل رؤية البصيرة كرؤية البصر. ويقول: «إن الله تعالى يتجلى لسر خصوص أوليائه بذاته وصفاته وأسمائه؛ فيشاهدونه منزها مقدسا»، ويُنقل عن أبي الحسن الشاذلي أن القطب: يكشف له عن حقيقة الذات. قال: «وهذا هو الذي نعتقده في الأكابر، وأن رؤيتهم للحق – سبحانه – حقيقة، وقد شاهدناه به وعايناه والحمد لله مرارا. وذكرنا ذلك لسيدنا وإمامنا القطب الكبير، والغوث الشهير؛ سيدي أبي محمد عبد الله الغزواني؛ فثبته لنا، وبارك لنا فيه».

وكان يخالفه في هذا: الفقيه المحقق العارف أبو محمد سيدي عبد الله بن علي الهبطي، ويقول: «إن البصيرة ليس لها إلا العلم فقط، وتجليه سبحانه على قسمين: ظاهرا للأبصار؛ ويسمى: حقيقة، وهو الذي وعد الله به عباده المؤمنين في الآخرة. وللأسرار باطنا؛ ويسمى: مجازا؛ لأنه بمعنى: العلم». وأطال في ذلك. وفي حكايات العارفين وإشارات الكاملين ما يشهد لكل منهما، وانظر "شرح عقود الفاتحة" لسيدي حمدون ابن الحاج رحمه الله.

وفي بعض المقيدات التي في التعريف بصاحب الترجمة؛ وصفه بالقطبانية والغوثانية، وفي "تحفة الإخوان" للفقيه العلامة [32] المشارك سيدي حمدون بن محمد الطاهري، وكذا في "سلوك الطريق الوارية" لسيدي محمد الزبادي وصفه بالقطب، الجامع بين الشريعة والحقيقة. وزاد في "تحفة الإخوان": «إنه ورث القطبانية عن شيخه القطب الرباني أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني؛ دفين القصور بمدينة مراكش عن شيخه البحر الفياض أبي فارس سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار؛ المعروف بالتباع عن القطب الأشهر، الغوث الأكبر؛ مولانا أبي عبد الله سيدي محمد الجزولي الحسني ».

قال في "الدوحة": « ولما ارتحل الشيخ سيدي أبو محمد عبد الله الغزواني إلى حضرة مراكش؛ تركه بزاويته الكائنة بباب الفتوح من مدينة فاس، وبها استقر إلى أن توفي سنة أربع وستين - يعني: من القرن العاشر - ودفن بها، وله أتباع يهتدون بهديه، على سنن أشياخه، ويشهدون له بأنواع من الكرامات. لقيته مرارا عديدة في سنين متعددة، وانتفعت به وبعلومه، وكان - رحمه الله - على سبيل الاستقامة؛ وفدت على فاس سنة وفاته، وعدته في مرضه الذي مات منه مع جماعة من الفقهاء، فلما نهضنا للقيام عنه؛ قال لي: اجلسوا حتى أوادعكم؛ فلعل هذا آخر العهد بكم!. فجلسنا وقلنا له: لا بأس عليك، إن شاء الله طهورا. فقال: اجعلوني في حل؛ فإني أرى أني راحل عنكم. فطلبنا منه الدعاء بخير؛ فدعا لنا وانصرفنا عنه، فما أتى علينا ثالث ذلك اليوم حتى نعي إلينا - رحمة الله عليه ».

وما ذكره في وفاته؛ نحوه في "المنح البادية" وغيرها. وفي "مرآة المحاسن" أنه: توفي سنة خمس وستين وتسعمائة. وعده فيها من أشياخ الشيخ أبي المحاسن الفاسي. وكذا عده من مشايخه في "ابتهاج القلوب"؛ قال: « والزاوية المذكورة - يعني: في كلام صاحب "الدوحة" - هي التي بناها الشيخ الغزواني بباب القليعة، ثم صارت لتلميذه المذكور، ودفن بإزائها، وبنيت عليه القبة المشهورة المعروفة هنالك ».

وقال بعضهم: «استمر بزاوية شيخه التي كان هو بها جميع من كان ينتسب إليه، إلى أن سقطت في العشرة الثانية من المائة الثانية عشر؛ فأشار عليهم بعض الناس بأن يبنوا على قبره قبة، وأعانهم عليها من ماله؛ ففعلوا، وتم العمل فيها في نحو السنة، وباقي الزاوية بقي براحا، واستمر هؤلاء الأتباع ملازمين للعمارة بها إلى عام خمسين ومائة وألف؛ فضرب عليهم اللص أبو زيان العباد بين العشاءين وسلبهم من جميع ثيابهم، وجرح بعضهم؛ فحينئذ تركوا الاجتماع بها، ثم مات بعضهم [33] في مجاعة العام المؤرخ، وتفرق الباقون من أجل الجوع، إلى أن ماتوا بعد ذلك، وانقطع أتباعهم، ولم يبق الآن إلا زيارة القبر. وأخبر بعض الصالحين أنه: زاره مرة؛ فخرجت له روحه من قبره، وسقته قدحا من لبن الجنة ». هـ.

وله – رحمه الله – تآليف؛ منها: شرحه على تائية الشيخ عبد القادر الجيلاني التي مطلعها: نظرت بعين الفكر في حال حضرتي. وقد وقفت عليه، وهو في نحو الكراستين.

ولازالت القبة التي بنيت عليه قائمة إلى الآن، مشهورة معروفة. ووجدت بخط بعضهم أن الدعاء عند قبره مستجاب، وأنه: كانت تأتيه الأركاب للزيارة من كل فج عميق. ترجمه غير واحد؛ منهم: صاحب "الدوحة"، و"المرآة"، و"الممتع"، و"ابتهاج القلوب"، و"الروض"...

[438– سيدي أحمد بن أحمد]

وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس مع رجل آخر عند رأسه يقال له: سيدي أحمد بن أحمد. فقال:

وارجع إلى الشيخ أبي محمد	الطالب الفياض بحر المدد
الواصل الموصل المحبوب	الناصح المقرب المجذوب
وأحمد بن أحمد بقوسه	في قبة مواليا لرأسه

[439– الطبيب سيدي عبد الوهاب بن أحمد أدرّاق]
(ت: 1159)

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، الأديب المشارك الفهامة، الحكيم الماهر، الطبيب المسن الباهر، فريد عصره في الإتقان والتحرير، ونادرة الزمان في جودة الفهم وبلاغة التعبير، عالم الحكماء، وحكيم الجهابذة الحذاق، المشتهر اشتهار الشمس في الآفاق؛ أبو محمد سيدي عبد الوهاب بن الحكيم الماهر سيدي أحمد أدراق الفاسي.

كان – رحمه الله – أحد أكابر الأعيان، وحكماء الزمان، له معرفة بالنحو واللغة والشعر... وغير ذلك من العلوم، وأما الطب الذي هو فنه؛ فانتهت إليه رياسته، وقصرت عليه نفاسته، وله فيه صيت كبير، وذكر شهير.

وله قصائد وأمداح وأنظام في فن الطب وغيره، وله تعليق على "النزهة" للشيخ داود[1]، وأرجوزة في الطب ذيل بها أرجوزة ابن سينا. وأرجوزة أخرى في حب الأفرنج، و"هز السمهري[2]

---

[1] أي: الأنطاكي

[2] السمهري: الرمح. منسوب إلى سمهر: رجل كان يقوم الرماح. هـ. مؤلف.

فيمن نفى عيب الجُدَري". رد به على من يقول: إنه ليس من عيوب الرقيق. ومنظومة في مدح صالحي مكناسة الزيتون... ومقيداته كثيرة.

أخذ عن أبي علي اليوسي وأبي محمد عبد السلام القادري...وغيرهما. وأخذ الطب عن أهله؛ إذ هو حرفتهم، وتبرك بالعارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله مَعْن الأندلسي، وكان يحكي عنه أمورا عظيمة [34] في تفريج مضايق عرضت له في علاج أولاد السلطان وأضرابهم.

توفي – رحمه الله – عن سن عالية نحو الثمانين، ليلة صبيحة يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر الخير عام تسعة وخمسين ومائة وألف. قال في "المورد الهني": «ودفن ظهر اليوم المذكور بروضة العارف الكبير سيدي محمد الطالب، قرب سيدي أبي غالب الصاريوي – نفعنا الله بهما ».هـ. وقال في "النشر": «توفي أواخر صفر عام الترجمة – أي: وهو العام المذكور – ودفن بالقليعة بفاس، بداخل قبة سيدي محمد الطالب – نفعنا الله به ».هـ. ترجمه فيه، وكذا في "التقاط الدرر"، وفي "المورد الهني"... وغير ذلك.

[440– العارف سيدي محمد المهدي بن محمد الصخراوي الأموي]

ومنهم: الولي الصالح الفقيه، العالم الصوفي النزيه، الورع الزاهد، القانت العابد، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد المهدي بن محمد بن أحمد الصخراوي الأندلسي الفاسي دار ووطنا، الأموي أصلا؛ ينتسب أهله إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية الصحابي المشهور، ويذكرون أنهم دخلوا الأندلس فارين من السفاح حيث كان يطلب بني أمية.

قرأ بفاس على الشيخ أبي علي اليوسي، والقاضي أبي العباس ابن الحاج، وسرد كتب التصوف على سيدي الحاج الخياط الرقعي، وبوازان على سيدي محمد بن عبد الله الحسني الوازاني، وأخذ عنه الأوراد والأحزاب والجلالة، وتربى به وسلك. ثم بعد وفاته عن مولاي التهامي، ثم بعد وفاته عن مولاي الطيب.

وكان يسكن بحومة الزربطانة من عدوة فاس القرويين، ويقرأ أحزاب أشياخه المذكورين صباحا ومساء بالجامع الذي بحومة الدوح، ويؤم به ويدرس مع أهل حومة الدوح "الرسالة" و"ابن عاشر" بين العشاءين، ومع الفقراء حكم ابن عطاء الله، ويسرد "القوت" و"الإحياء" صباحا، ويلقن من اجتمع عليه الأوراد؛ فكثر جمعه، وانتشر نفعه، واشتهر ذكره.

واستمر على ذلك إلى أن توفي في العشرة الرابعة بعد مائة وألف، ودفن بروضة أولاد الصخراوي بالقليعة من عدوة فاس الأندلس، وبنيت عليه قبة، وهي قريبة من قبة سيدي محمد الطالب، قائمة إلى الآن. ووقفت له على تأليف صغير الجرم في وريقات سماه: "خلاصة الأدب في الرد على من زعم أن شرف العلم أفضل من شرف النسب"، ترجمه في "النشر"... وغيره.

[441– سيدي الغَرابلي]

ومنهم: الولي الصالح، والعلم الواضح، المدعو: سيدي الغرابلي. قال في "التنبيه": «عليه قبة لا تشابه القبب، بقرب روضة سيدي محمد الطالب». وهي الآن متهدمة ولا أثر لها.

[442– الأستاذ المؤرخ سيدي محمد المدَرَّع]
(ت: 1147)
[443– ونجله سيدي محمد بن محمد المدَرَّع]
(ت: 1156)

ومنهم: الولي الصالح، البركة الناصح، الذاكر العابد، الورع الزاهد، الفقيه الأنفع [35]، الأستاذ الأرفع، المقرئ المسن؛ أبو عبد الله سيدي محمد – المدعو: المدَرَّع. (بصيغة اسم المفعول المضعف، الذي مصدره: التفعل. كمفضل). الأندلسي النجار، الفاسي القرار.

كان – رحمه الله – زاهدا عابدا، ناسكا سُنيا، متجردا للعبادة والذكر، لا يفتر عنه أصلا، كثير التلاوة والصيام والقيام، مضبوطة في العبادة أوقاته، محفوظة بالله حركاته وسكناته، مرتبة أوراده الليلية والنهارية، لا يغفل عنها، ولا يترك شيئا منها، ملازما لمجالس العلم وكراسي الوعظ بمسجد القرويين – عمره الله – وإذا فرغ من ذلك؛ يكون جلوسه بالعنزة، ولا يخرج منه إلا ليلا، وفي زمن المصيف يبيت به ولا يخرج.

وكان متبحرا في علم التصوف، محققا في الطريقة، وجهته كلها لمولاه، لا يدع مراقبته في علانيته ونجواه.

أخذ الطريقة عن العارف المحقق سيدي محمد الدريج التطاوني؛ دفين خارج باب الفتوح، وهو عن العارفين بالله سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد ابن عبد الله معن، وعن غيرهما من شيوخ المغرب. وأدرك صاحب الترجمة الأحمدين المذكورين، وأخذ عنهما أيضا.

وتوجه للحج؛ فحج وجاور بالمدينة، ولقي مشايخ، ورأى منهم أمورا عظيمة، وأخذ العلم عن سيدي عبد السلام جسّوس، وسيدي عبد السلام بن الطيب القادري، وأبي عبد الله القسنطيني، وأبي العباس الجرندي، وأبي عبد الله المسناوي.

وكان يجود القرآن بحرفي نافع والمكي، وله ولوع بزيارة الصالحين الأموات، ومعرفة بهم وبضرائحهم، ونظم جيد في أكثر صالحي فاس وتعيين مواضعهم منها، اشتمل على أزيد من خمسمائة بيت، اختصر فيه ابن عيشون وزاد عليه.

وكان له لسان بليغ في الوعظ، ولفظ فصيح في التذكير، وله أصحاب أخيار، وأتباع وجلساء يرافقونه حضرا و سفرا؛ إذ كان شديد الاعتناء بزيارة الشيخ مولانا عبد السلام، وسيدي أبي يعزى.. وغيرهما من المشايخ أمواتا وأحياء.

وقد استطرد ذكره في "الزهر الباسم"؛ وقال: «أدركناه؛ كان – رحمه الله – ذا حالة منورة، وسيرة في الصلاح مقررة، تلوح عليه أنوار العرفان، ويأتي في الطريقة بما لا يصفه لسان، له مكاشفات وكرامات، وأتباع وأصحاب، وحب في الجانب النبوي واقتراب، ملازما للذكر والقيام، والعكوف بالمسجد الأعظم والصيام، وله سهم في الطريقة مصيب، واعتناء بشأن القوم وذوق عجيب». انتهى المراد منه.

وأورده الشيخ التاودي في فهرسته فيمن لقي من صلحاء المغرب قائلا: «ومنهم: الشيخ الذاكر، ذو الفضل والنور الباهر [36]، سيدي الحاج محمد المدرع، كان الشيخ المسناوي يجله ويعظمه، ويستخلفه في إقامة الصلاة ويقدمه، وكان يحبني ويدعو لي، ورآه ولده بعد موته؛ فقال له: اقرأ على فلان. ففعل وترك الغير. حضرت وفاته وأنا جالس عند رأسه بداره بالعقبة الزرقاء وهو يقول: لا إله إلا الله. لا إله إلا الله. لا إله إلا الله.. يكررها ما قطعها حتى خرجت روحه وسقطت السبحة من يده. توفي – رحمه الله – قبل عام الخمسين بقريب، وذلك سنة سبع وأربعين – يعني: من القرن الثاني بعد الألف – ودفن برأس القليعة، بروضة هنالك تلي قبة سيدي محمد الطالب، وكان – رحمه الله – كثيرا ما ينشد:

نسير إلى الآجال في كل لحظة	وأيامنا تطوى وهن رواحل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا	فكيف به والشيب في الرأس شاعل؟!
تزود من الدنيا بزاد مبلغ	فعمرك أيام وهن قلائل»

وقال في "الروضة المقصودة" ما نصه: «توفي – رحمه الله – سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وحضر جنازته جم غفير، وكان يوم دفنه يوما مطيرا، ودفن في روضة برأس القليعة تلي قبة سيدي محمد الطالب، بجوار السيد الغرابلي، وبني عليه قوس، وهو من أهل الكرامات، والمناقب الباهرات حيا وميتا ». هـ.

وقال في "الزهر الباسم": «دفن في روضة سيدي الغرابلي قرب سيدي محمد الطالب بالقليعة، وبني عليه قوس متصل بقبة سيدي الغرابلي بجنوبها. وترك بعده ولده صاحبنا الطالب الأرضى سيدي محمد، ثم توفي عقبه بالطاعون حدود ستة وخمسين ومائة وألف، ودفن هنالك ». هـ. ولم يترك ولده هذا عقبا، فانقطع عقب صاحب الترجمة بموته – رحمهما الله.

ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"، و"الروضة المقصودة" ... وغيرها. وكلهم قالوا: «إنه توفي في العام المذكور، ودفن في المحل المذكور »، وبه يرد ما ذكره في "سلوك الطريق الوارية" في ترجمته من أنه: توفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف، ودفن عند شيخيه بالقباب خارج باب الفتوح. . . والله أعلم.

[444- الشريف سيدي عمران بن يزيد]

ومنهم: السيد الشريف، البركة الصالح المنيف؛ سيدي عمران بن يزيد بن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبد الله بن إدريس باني فاس. رضي الله عنهم. كذا نسبه عند صاحب "الدر السني" وغير واحد من الأئمة، وقيل: إنه ابن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد... إلخ، والله أعلم.

وعمران هذا: هو الذي ينسب إليه العمرانيون الذين بالقبائل الهبطية من جبل العلم وما والاه، وهم كثيرون منتشرون جدا، وبفاس شرفاء آخرون يدعون العمرانيين ليسوا من هؤلاء [37]، وإنما هم جوطيون من بني القاسم بن إدريس، وهم في غاية الشهرة والوضوح، وصراحة النسب. نفعنا الله بالجميع. . . آمين.

قال في "الروضة المقصودة": «ومدفن عمران هذا – كما رأيته في بعض الشجرات – برأس القليعة من فاس ». هـ.

لكن في "كنوز الأسرار" للإمام المقري لما ذكر فيه خروج الأدارسة من فاس زمن ابن أبي العافية، وعين بعض من خرج منهم وأين مستقره؛ ما نصه: «خرج مولاي عمران بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن إدريس، ونزل بعين تلنبوط من بني شداد، وقيل: هو الذي نزل بمدشر جامع البيضاء؛ أحد مداشر بني حسان، واستقر به إلى أن توفي هناك ودفن به، وقيل: نزل بتلمسان، وتوفي

بها، ودفن بالسوق منها . والله أعلم بحقيقته »."هـ. فذكره هنا على فرض صحة هذا الذي ذكره في "الروضة" المذكورة. . والله أعلم.

[445- الإمام المشاور سيدي يوسف بن عمران المَزدَغي]
(ت: 655)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، المجتهد المشاور الحجة، الصالح البركة القدوة، الخطيب الأورع، المدرس الأنفع؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الفقيه الولي الصالح أبي الحجاج يوسف بن عمران المزدَغي. ومزدغة: قبيلة من البربر. وبيتهم بيت علم وصلاح.

كان - رحمه الله - فقيها مفتيا، أصوليا متكلما، عارفا باللسان، متصرفا في علوم النقل والعقل، حافظا للحديث، مفسرا للقرآن. رحل إلى الأندلس وأخذ عن أهلها.

وقد ترجمه في "جذوة الاقتباس"؛ فقال: «محمد بن يوسف بن عمران المزدغي، الفقيه الخطيب. ولي الخطابة بجامع القرويين، وأفتى، وكان عالما بأصول الفقه والدين، وله بصر بمعرفة اللسان، وتصرف في جميع العلوم العقلية والنقلية، محدثا حافظا، وله كتاب في تفسير القرآن انتهى فيه إلى سورة الفتح؛ واخترم دونه. ومن مصنفاته: "أنوار الأفهام، في شرح الأحكام"، انتهى فيه إلى الأقضية. ومقالة في حديث: إذا نزل الوباء بأرض قوم. الحديث. وأخرى فيما يجوز للفقراء المضطرين في أموال الأغنياء المغترين، وعقيدة مُرَجَّزة. . . أخذ الحديث عن أبي ذر ابن أبي ركب، وأبي محمد عبد العزيز بن علي ابن زيدان، ورحل إلى الأندلس؛ فروى بإشبيلية وقرطبة، وروى عنه ابناه: أبو جعفر وأبو القاسم، ومحمد بن عبد الرحمن بن راشد العمراني، والحافظ محمد ابن عبد الملك صاحب "التكملة"، وتوفي بفاس ليلة الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة، وهو ابن اثنين وثلاثين سنة؛ ودفن بروضة سلفه من باب الفتوح [38]، وصحبه من باب داره إلى حافة قبره طير كثير شبه الخطاطيف، ترفرف عليه حتى ووري - رحمة الله عليه »."هـ.

وترجمه - أيضا - بعض من ألف في بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم، وقال في ترجمته ما نصه: « توفي بفاس، ودفن بروضة أسلافه بقرب باب الفتوح، وخرج الناس في جنازته، ولم يبق كبير ولا صغير، وأسف الناس لفقده، وصحبته من داره إلى مدفنه، وكانت بجنازته طيور تشبه الخطاطيف لا عهد بها؛ غطت الآفاق كثرة، وكانت ترفرف على نعشه حتى ووري؛ فتفرقت عنه، ولم ير شيء منها، وطال تعجب الناس منها، وتحدثوا بها دهرا. ذكر ذلك الحافظ ابن عبد الملك في "التكملة" »."هـ.

وعبارة أبي زيد الفاسي في تأليفه في بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم: « توفي بفاس، ودفن بروضة أسلافه بحومة القليعة، بقرب باب الفتوح، وحضر جنازته جميع الناس ». انتهى المراد منه. وممن ترجمه أيضا: أبو العباس سيدي أحمد بابا السوداني في "كفاية المحتاج"، وفي "نيل الابتهاج". فراجعهما.

[446- الصالح سيدي أحمد بن عياد السائح]
(ت: 1076)

ومنهم: الولي الصالح، والنور اللائح؛ أبو العباس سيدي أحمد بن عياد السائح. ينتسب لصحبة الولي الصالح، المتقشف المكاشف؛ سيدي عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي؛ المعروف بابن حسون، المتوفى سنة ثلاث عشرة وألف، عن سيدي عبد الله الهبطي عن الغزواني عن التباع عن الجزولي.

ووفاته – رحمه الله – كما ذكره في "التنبيه"، عام خمسة أواق. قال في "النشر": « وعام خمسة أواق؛ هو: عام اشتداد الغلاء بحصار مولاي رشيد على فاس، حتى بلغ القمح خمس أواقي سكية للصاع، وهو: عام ستة وسبعين وألف ». هـ.

وأورده في "التقاط الدرر" فيمن توفي في هذا العام قائلا: « والولي أحمد السائح؛ دفين القليعة من فاس الأندلس ». هـ.

ورأيت في "المقصد" في ترجمة سيدي مبارك بن عبابو؛ دفين خارج باب الجيسة، أن من كرامات سيدي مبارك المذكور أنه: صرح بمجيء غلاء وقع في زمانه، أخبر به قبل ورود إبانه. قال: « أظنه غلاء اثنين وعشرين وألف، الذي بلغ فيه مد القمح خمس أواق ». هـ. فإن كان لصاحب "النشر" مستند فيما ذكره يدل على تأخر وفاة صاحب الترجمة إلى زمن مولانا الرشيد؛ فمسلم. وإلا؛ فيحتمل احتمالا قويا أن وفاته في هذه السنة التي أشار إليها صاحب "المقصد".. والله أعلم.

قال في "التنبيه": « وكان يوم توفي اشتدت حاجة الناس للمطر؛ فرحمهم الله في ذلك اليوم بالمطر من بركة هذا السيد ». هـ.

وضريحه – رحمه الله – كما ذكره غير واحد؛ بحومة [39] القليعة، إلا أنه غير معروف الآن. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، وكذا في "التنبيه".

[447- الصالح سيدي محمد بن عياد السائح]

ومنهم: أخوه الولي الصالح أبو عبد الله سيدي محمد السائح. قال في "النشر": « مدفنه مع أخيه المذكور، وفي كناش عم والدنا أنه: من أصحاب سيدي عبد الله ابن حسون » .هـ.

ورأيت مقيدا بخط بعضهم ما نصه: « ومن أصحاب سيدي عبد الله ابن حسون: الحاج الأبر سيدي محمد السائح؛ دفين رأس القليعة، داخل باب الفتوح، من مدينة فاس الغراء، كلأها الله وحرسها » .هـ. ومن نظمه في مدح سيدي رضوان الجنوي - نفعنا الله به - كما ذكره في "النشر":

رضوان هذا ولي الله من شهـدت ... لـه الأكابـر بالتقـوى وبالديـن
فالجـأ إليه إذا ما خفـت من حـرج ... تـرى الخلاص بإذن الله في الحـين

[448- الصالحة السيدة آمنة بنت عياد السائح]

ومنهم: أختهما العابدة الصالحة السيدة آمنة. كانت - رحمة الله عليها - من أهل الخير والبركة والصلاح، عابدة زاهدة، لم تخالط الدنيا بشيء سوى العبادة وقراءة القرآن، وكانت تسكن بحومة البليدة من عدوة فاس القرويين. قال في "النشر": « وقبرها عند رجلي أخيها سيدي أحمد » .هـ. ووالدهم سيدي عياد: هو دفين باب الجيسة. وتأتي - إن شاء الله - ترجمته هناك. ولم يترك إلا هم.

[449- المؤدب سيدي عبد الرحمن ابن منصور]

ومنهم: الفقيه المؤدب، الصالح البركة؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن منصور.

كان - رحمه الله - مؤدبا للصبيان بمكتب درب الشيخ، ويقال: إنه كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة. توفي برأس القليعة بقرب سيدي أحمد السائح، أسفل منه. ذكره بعضهم. وأشار إليه أيضا في "التنبيه".

[450- المؤدب سيدي عبد الرحمن الدراوي]

ومنهم: الشيخ الفقيه، الصالح الزاهد، الورع الناصح؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن الدراوي.

كان – رحمه الله – يؤدب الصبيان بمكتب درب الغرابلي من عدوة فاس الأندلس، ويؤم بمسجده، فإذا قبض أجرة ذلك؛ أصلح منها المسجد والمكتب، وما بقي تصدق به. وكان يتقوت من تمر وشعير يأتيه من بلده، صواما قواما، زاهدا ورعا، له سبحة من الدُوم، ولا يخرج من المسجد والمكتب إلا لصلاة الجمعة والأعياد.

بقي على هذه الحالة إلى أن توفي بفاس سنة تسع وخمسين وألف، ولم يترك إلا سبحته وعكازه، وطاكية من كتان، وجبة خلقة، وكساء لا يساوي ربع دينار؛ لزهده وتقشفه. ترجمه في "الصفوة"، وكذا في "النشر". وذكر في كتاب "التفكر والاعتبار" أنه: دفين القليعة بقرب سيدي أحمد السائح نفعنا الله بالجميع [40].

[451– سيدي عبد الله اللبان]
(ت: 1194)

ومنهم: المرابط الأجل، الخير الناسك الأفضل، المتقشف الخامل؛ أبو محمد سيدي عبد الله المعروف باللبان؛ لكونه كان يبيع اللبن بحانوت بسيدي موسى من حومة جرنيز.

كان – رحمه الله – أسمر اللون، ربعة، رطب العينين، يسد أذنيه دائما بالقطن، ولا يتكلم إلا فيما يعني، سالكا سُنيا، ساقط الدعوى إلا من غلبة، ويحب العلماء وأهل الخير، كثير الذكر، ملازما لكراسي الوعظ والتذكير، والناس يقصدونه كثيرا، ويلتمسون منه الخير، وله كرامات عديدة، وإخبار بمغيبات.

توفي – رحمه الله – سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن بروضة سيدي ابن فرحون القرطبي التي بحومة القليعة من داخل باب الفتوح. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[452 – سيدي ابن فرحون القرطبي]

قلت: وسيدي ابن فرحون هذا أورده في "التنبيه" ولم أقف له على ترجمة.

[453– المجذوب سيدي عبد الرحمن حليمة]
(ت: 1195)

ومنهم: الفقير المجذوب المتقشف، المتجرد عن الدنيا وأسبابها؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن – المدعو: حليمة. لكونه كان يمشي في الأزقة والأسواق وهو يبكي وينادي: يا حَليمة.

وكانت حليمة المذكورة امرأة جميلة جدا من دار الشيوخ التي برياض جُحا، تزوجها صاحب الترجمة. ثم إنه حسده فيها رجل؛ فصار يذمها له حتى طلقها، ثم تزوجها بعد طلاقه لها الذام؛ فلما علم بذلك صاحب الترجمة وتحقق خديعة الرجل المذكور له؛ ندم على ما صدر منه من طلاقها، وصار في كل يوم وفي كل ساعة يخاصم الرجل المذكور عليها، ويترافعان إلى الحكام، ولم يجد طريقا إليها، حتى خرج عن حسه وعقله، وصار يمشي في الأزقة والأسواق وهو يبكي وينادي باسمها، وتارة يذهب لدار الشيوخ وينادي: «يا حليمة طلي علي!». ويبكي. فسموه من أجل ذلك: حليمة.

وأصله جبلي من الجبل، وكان الصبيان إذا رأوه؛ ينادون عليه: يا حليمة. وبقي كذلك سنين ينادي باسمها ويبكي في كل زنقة، حتى توفيت وزوجُها، فبقي على حاله ذلك حتى انقلبت أحواله، وسكن الخلوة، وظهر عليه ما ظهر من الكرامات.

وكان نقي الثياب والأطراف، لا يسأل أحدا من الناس، ولا يمد يده لأحد إلا إذا أعطاه عن طيب نفس، ويأوي لخلوة الشيخ سيدي علي المصالي الكائنة بالمسجد الذي ينسب إليه ويعرف به، وبقي بها إلى أن توفي عام خمسة وتسعين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": «ودفن بالقليعة بروضة القرطبي هناك مع الشيخ سيدي عبد الله اللبان. قال: وكنت غاسله ومقبره. والحمد لله رب العالمين» .هـ. ترجمه في الكتاب المذكور، وذكر فيه كرامة وقعت له معه.

[454- سيدي محمد الرومي]

ومنهم [41]: الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله سيدي محمد الرومي.

من المشهورين بالبركة قديما، والموصوفين بالفقه والصلاح، وضريحه - رأيت في بعض التقاييد أنه: حول زاوية أبي قطوط التي كانت برأس القليعة، أسفل زاوية الغزواني التي بها ضريح تلميذه سيدي محمد الطالب، و هي التي كان بها الشيخ أبو عبد الله الزيتوني، وكان معه فيها تلميذه الشيخ زروق، إلى أن ارتحل للمشرق بسبب الحكاية المشهورة التي وقعت له معه.

ولم أقف له على ترجمة؛ إلا أنه في "الجذوة" في ترجمة سيدي محمد الجزولي نقل عن الكتاني في "المستفاد" ما نصه: «أخبرني الفقيه أبو الحسن علي عن أبي محمد عبد الله بن معلى أنه قال: نمت ليلة من الليالي - وكانت من الليالي المعروف فضلها؛ فقيل لي في المنام: في هذه الليلة تاب الله عز وجل على رجل من الروم، نقله من النصرانية إلى الإسلام، وألحقه بالأبدال، وستجتمع به عند قبر الجزولي بمدينة فاس. قال أبو محمد بن المعلى: فأقمت أعواما كثيرة، ثم سرت يوما إلى قبر الجزولي؛

فإذا برجل جالس حذاء القبر؛ فسلمت عليه، ووقع في نفسي أنه ذلك الرجل الذي قيل لي في المنام. فقلت له: سلام الله عليك يا عبد الله الرومي. فقال: وعليك السلام يا عبد الله بن معلى. فقلت له: من عرفك أني عبد الله بن معلى؟!. فقال لي: الذي عرفك أني عبد الله الرومي. فقلت له: أخبرني كيف إسلامك؟. فقال لي: أنا من أهل صقلية، وكان أبي من شناقرة[1] الروم، نمت ليلة ورأيت دابة عظمية شبه البغل؛ فركبتها، فطارت في الهواء حتى وصلت السماء، ورأيت كأنها تريد أن تطرحني فخفت خوفا شديدا، فسمعت قائلا يقول: أسلم تسلم. قال: فتلفظت بالشهادة؛ فاستيقظت وأنا أقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم خرجت إلى مكة وقرأت القرآن حتى حفظته، والتقيت بالبدلاء ». انتهى. والظن أن هذا هو صاحب الترجمة. والله أعلم.

[455- سيدي عبد الكريم الفشتالي]

ومنهم: الولي الصالح، البهلول السائح؛ سيدي عبد الكريم الفشتالي، من أصحاب الشيخ سيدي أبي الشتاء الخمار، دفين أمركوا من بلاد فشتالة، وكان خديما له.

توفي - رحمه الله - بفاس، ودفن بروضة سيدي مغيث التي عن يسار المار لملعب الكورة، عند رأس القليعة، وبني على ضريحه بها قوس بقرب سيدي أبي محمد صالح، قرب زاوية بني مرين المسماة بتاحضريت.

[456 - سيدي مُغيث]

قلت: وسيدي مُغيث هذا أورده في "التنبيه" ولم أقف له على ترجمة.

[457- الإمام أبو محمد صالح الَمسكُوري]
(ت: 653، أو 655، أو 663)

ومنهم: الشيخ الفقيه الكبير، الإمام الصالح الشهير؛ سيدي أبو محمد صالح المسكوري، الفاسي. الذي ينسب [42] إليه شرح "الرسالة".

كان - رحمه الله - من فقهاء فاس وعلمائها وصلحائها، وأحد أهل الدين والفضل والزهد والاقتصاد بها. من أشياخه - كما ذكره في "كفاية المحتاج"، و"أنس الفقير" وغيرهما: الشيخ الفقيه

---

[1] الشناقرة: ج شنقر. والشنغر بالغين: الفاحش البذيء، والشنفر بالفاء: سيء الخلق. وبالعامية يقال: الشماكرية، والشماقرية بنفس المعنى. فتكون الشناقرة بذلك المعنى. والله أعلم.

الصالح أبو محمد يسكر بن محمد بن موسى الجوراني؛ دفين خارج باب الجيسة، ومنهم - كما في فهرستي ابن غازي والمنجور - الفقيه أبو القاسم ابن زانيف، والفقيه أبو موسى المومناني، والفقيه أبو القاسم ابن البقال.

وممن أخذ عنه هو - كما ذكره في "أنس الفقير"، وكذا في فهرستي ابن غازي والمنجور، و"المنح البادية" . . . وغيرها - الفقيه الحافظ الحجة أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي؛ مؤلف كتاب "الحلال والحرام". وأخذ عنه أيضا - كما في "المقصد الوريف"، وفهرسة المنجور - الشيخ أبو إبراهيم الأعرج الورياغلي؛ صاحب الطرر على "المدونة". وفي "المقصد الوريف" في ترجمة الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي بكر الجموني أنه: « قرأ عليه أيضا، واقتفى أثره في الدين والفضل، وورث فضائله في الاقتصاد ».

توفي - رحمه الله - على ما ذكره في "المنح البادية" سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وقال ابن غازي في فهرسته: « توفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة. وقيل: سنة خمس وخمسين وستمائة، وقيل: سنة ثلاث وستين وستمائة ». هـ. وضريحه بالقليعة بملعب الكورة منها، قريبا من زاوية أبي قطوط، وبإزاء قبر الشيخ أبي محمد عبد الله الفشتالي، يفصل بينهما الطريق المرور عليها اليوم لباب الفتوح. كذا قال بعضهم . . .

وقال في "التقاط الدرر" عقب ذكره ما نصه: « قلت: وقبره الآن قريب من الدثور، عن يسار الطريق المرور عليها لباب الفتوح من أبواب فاس المحروسة، من الحجارة النابتة بالقليعة قريبا من زاوية تاحضريت، والسقاية المجلوب لها الماء من عين سيدي علي حماموش، وعن يمين المحجة في مقابلته: قبر سيدي أبي محمد عبد الله الفشتالي ». هـ.

[458- الإمام الشيخ أبو محمد صالح الدكالي]
[دفين رباط آسفي]
(ت: 631)

إلا أن صاحب "التقاط الدرر" المذكور ظن أن صاحب الترجمة هذا هو المعرف به في "الديباج"، وساق نصه في التعريف به؛ وهو: « صالح أبو محمد صالح. شيخ المغرب علما وعملا، وبيته بيت صلاح وجلالة وعلم إلى الآن، وقيد عنه في شرح "الرسالة" المجهول ما كان يلقيه على الطلبة حال الدرس. توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وهو من أهل فاس - رحمه الله تعالى ». هـ.

وليس كذلك؛ بل هذا المعرف به في "الديباج" - والله أعلم - هو: الشيخ الصالح الشهير، الفقيه الصوفي الولي الكبير؛ أبو محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدكالي ثم الماجري؛ دفين رباط مدينة آسفي. أحد تلاميذ الشيخ أبي مدين الغوث الآخذين عنه من غير [43] واسطة، الملازمين له إلى الوفاة، وأخذ - أيضا - عن الولي الكبير الشيخ أبي محمد عبد الرزاق الجزولي؛ دفين قرب إسكندرية، عن الشيخ أبي مدين. وقد ذكر في "تحفة أهل الصديقية" أن أبا محمد هذا من ذرية سيدنا عمر بن عبد العزيز، وأن ولادته: سنة خمسين وخمسمائة، وأن وفاته: ضحوة يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

ولما ساق الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة نص "الديباج" السابق في التعريف به في طبقاته؛ قال عقبه ما نصه: « قلت: ورأيت كتابا كبيرا في سفر، في مناقبه - رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ».هـ. وأشار به إلى التأليف المشهور؛ والمسمى "بالمنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح"، وهو للسيد الفاضل أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد ابن الشيخ أبي محمد صالح المذكور، وقد وقفت عليه. . . والله أعلم.

وضريح صاحب الترجمة اليوم مندثر؛ بل غير معروف على التحقيق، وكذلك أضرحة كثير ممن قبله وبعده. والأمر لله كيف شاء فعل.

[459- سيدي عبد النور]

ومنهم: سيدي عبد النور. قال في "التنبيه": «قرب سيدي أبي محمد صالح في الحج ».

قلت: وهو الذي عن يسار الطريق المارة لباب الفوح، الطالعة من ناحية سيدي إسحاق الذي بحومة مصمودة، فوق مسجد سيدي إسحاق، قريبا منه، وكان عليه بناء فاندثر، ولم يبق اليوم إلا أثره، وبعض الناس يعبر عنه بسيدي أبي النور، وسماه الشيخ المدرع في منظومته بأبي الأنوار، ولم أقف له على ترجمة.

[460- الإمام المشاور الشريف سيدي عبد النور بن محمد العمراني]

(ت: القرن الثامن)

إلا أنهم ترجموا للشيخ الشريف الإمام، العلامة الصدر الهمام؛ القاضي أبي محمد سيدي عبد النور بن السيد الشريف الحاج أبي عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد الشريف الحسني الإدريسي

العمراني الفاسي؛ جد بيت الشرفاء العمرانيين الحسنيين بفاس، وذكروا أنه: كان إماما عالما، فقيها مدرسا خطيبا وجيها، ذا معرفة تامة بالفقه، مشاركا في الأصلين، من مقدمي أهل الشورى؛ قلمه أفصح من لسانه، له اعتناء بطريقة القوم، ومحبة في المنتسب إليها، قريب الدمعة، مكرما لأهل الدين، محبا لهم. ولد سنة خمس وثمانين وستمائة.

وأخذ عن الأستاذ أبي الحسن ابن سليمان القرطبي، وأبي عبد الله محمد بن يحيى الحسني. وكان معاصرا لأبي عمران العبدوسي، وله تقييد على "المدونة"، وفتاوي منقولة في "المعيار".

وأخذ عنه سيدي ابن عباد – شارح "الحكم" – "الموطأ" وعلم العربية، وكذلك أخذ عنه تلميذه سيدي يحيى السراج، وعده في فهرسته من شيوخه، وأثنى عليه، وذكر ولادته كما ذكرنا، ولم يذكر له [44] وفاة ولا مدفنا، وكذلك لم يذكرهما غيره ممن ترجمه؛ كصاحب "نيل الابتهاج"، وكفاية المحتاج"، و"جذوة الاقتباس".

بل قال في "جذوة الاقتباس" آخر ترجمته: «ولم أقف على وفاته». هـ. قال في "الدر النفيس": «وهو من المفاخر الإدريسية؛ لأنه جمع بين العلم والأدب كشأن أسلافه». هـ. والله أعلم هل هو صاحب الترجمة أو غيره؟..

[461– الفقيه سيدي عبد الله بن موسى الفشتالي]
(ت: أواسط القرن السابع)

ومنهم: الشيخ الفقيه الشهير، الولي الصالح الكبير؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن موسى الفشتالي. لم أقف الآن له على ترجمة مخصوصة، إلا أنه كان من أهل الفقه والصلاح، والكشف والولاية، والنسك والدين والعناية، كما يدل لذلك قضايا حكوها عنه هنالك.

ففي "نيل الابتهاج" ما نصه: «فائدة: قال الشيخ الإمام الشريف أبو عبد الله التلمساني: أخبرني شيخنا الإمام أبو عبد الله الآبلي، قال: أخبرني الفقيه أبو عبد الله ابن الحداد قال: لما ورد علينا بمدينة فاس الشيخ العارف أبو زيد الهزميري – رضي الله عنه – كنت أنتابه بالزيارة، وأتردد إلى الشيخ أبي محمد الفشتالي – رضي الله عنهما – فكان يسألني عن الشيخ أبي زيد، إلى أن قال لي في يوم جمعة: ترى الشيخ أبا زيد؛ أين يصلي الجمعة اليوم؟!. فقلت: لا أدري. فخرجت من عنده إلى الشيخ أبي زيد؛ فلما سلمت عليه قال لي: سألك الشيخ أبو محمد أين أصلي الجمعة؟، لقد حجبته تلك الركيعات أن يعلم أين أصلي الجمعة!. فعجبت من مكاشفته، ثم انصرفت راجعا إلى الشيخ أبي محمد؛ فلما سلمت عليه قال لي: قال لك الشيخ أبو زيد: حجبته تلك الركيعات؟. قل له: لا قطع

لله عني تلك الركيعات! . . قال الشرف التلمساني: أشار الشيخ أبو زيد إلى اللذة العاجلة بالصلاة، وأن الالتفات إليها حجاب، وأشار الشيخ أبو محمد إلى ثوابها الأخروي الباقي.هـ)).هـ. ونحوه له في "كفاية المحتاج".

وفي "المدخل" في الفصل الذي تكلم فيه على موسم ليلة النصف من شعبان ما نصه: ((وقد وقع بمدينة فاس أنهم أوقدوا جامعها الأعظم؛ فزادوا في الوقود الزيادة الكثيرة؛ فجاء الشيخ الجليل أبو محمد الفشتالي -- رحمه الله -- إلى صلاة العشاء -- على عادته -- فرأى ذلك، فوقف ولم يدخل. فقيل له: ألا تدخل؟!. فقال: والله لا أدخل حتى لا يبقى في المسجد إلا ثلاثة قناديل أو خمسة. أو كما قال. فامتثلوا إذ ذاك قوله، وحينئذ دخل)).هـ.

وفي تأليف لبعض علماء القرن التاسع في بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم، لما تكلم فيه على بيت أبي مَنديل الأنصاريين، وأن من جملتهم: الفقيه الصالح، إمام جامع القرويين وخطيبها، ولي الله تعالى أبا الحسن علي بن أبي منديل الأنصاري. ما نصه: ((ولما مات [45] إمام جامع القرويين؛ أتى الناس الفقيه الصالح ولي الله أبا محمد الفشتالي، فشاوروه فيمن يؤم بهم؟، فقال: انصرفوا عني إلى غير هذا الوقت، وأخبركم. فنام؛ فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول له: مر علي بن أبي منديل يصلي بالناس بجامع القرويين. فلما أفاق بعث إليه؛ فلما بصر به قال: ما هذا الذي أوقعتني فيه يا أبا محمد؟. فقال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمك، وأمرني بذلك!)).هـ.

وقال في "الجذوة" بعد ما ذكر فيها أنه توفي الخطيب بجامع القرويين أبو عبد الله محمد المدعو: بالخطيب المزدغي، وذلك سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأنه خطب بعده فيها: الفقيه الصالح أبو محمد عبد الغفار ستة أشهر، وتأخر لنفسه، وخطب بعده الشيخ الورع أبو الحسن علي؛ المعروف بابن الحاج. . .ما نصه: ((حكي عنه أنه لما تأخر أبو محمد عبد الغفار؛ رغب الناس الشيخ الصالح أبا محمد عبد الله الفشتالي أن ينظر لهم خطيبا؛ فوعدهم أن يستخير الله تعالى فيمن يصلح لذلك؛ فرأى في منامه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير عليه بأبي الحسن المذكور، فلما كان في صباح اليوم؛ جاء الناس الذين وعدهم؛ فقال لهم الشيخ أبو محمد: عليكم بابن الحاج. فامتنع، ثم رغب المرة بعد المرة؛ فأجاب، وامتنع أن يسكن في الدار المحبسة على أئمة الجامع؛ وقال: لا ينبغي أن تكون السكنى عوض الإمامة!. وتورع عن ذلك؛ فقيل له: إن لم تسكنها تعطل حُبُسٌ عينه المحبس لذلك. فقال: أمهلوني أنظر لنفسي مخرجا. ثم أجاب لسكناها على أن يكون يخيط حصر الجامع، ورأى أن ذلك عوض من السكنى. فالله ينفعنا به. توفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة)).هـ.

وقال في "أنس الفقير" بعدما أشار فيه إلى تأخر الشيخ عبد الغفار المذكور عن إمامة جامع القرويين، ناقلا لذلك عن كتاب "الطالع السعيد في تاريخ السلطان أبي سعيد" ما نصه: «قال - أي: صاحب الكتاب المذكور - والسبب في ذلك: أن رجلا ممن صلى خلفه قال له: نونت الميم من: السلام عليكم! . فقال له: إنما قلت: السلام عليكم بضمة واحدة على الميم؛ وأشهدكم أني تائب من هذه الإمامة. فقال له الشيخ الولي الشهير أبو محمد الفشتالي - نفع الله به: شرفنا شرفك الله ». هـ.

وقال في "النيل" في ترجمة سيدي راشد بن أبي راشد الوليدي ما نصه: «ذكر في كتاب "الحلال والحرام" له أنه: سمع من أبي محمد عبد الله بن موسى الفشتالي أن: التائب إذا اقتصر على ما عند علماء الظاهر؛ أولى وأسلم له، بل لا يجوز اليوم اتخاذ شيخ لسلوك طريق المتصوفة أصلا؛ لأنهم يخوضون في فروعها ويهملون شرط [46] صحتها؛ وهو: باب التوبة. إذ لا يصح بناء فرع قبل تأسيس أصله. قال: وسمعته يقول: لو وجدت تواليف القشيري؛ لجمعتها وألقيتها في البحر. قال: وكذلك كتب الغزالي.قال: وسمعته يقول: إني لا أتمنى على الله تعالى أن أكون يوم الحشر مع أبي محمد بن أبي زيد، ولا مع الغزالي، بل مع أبي محمد يسكر؛ فذلك أكثر أمنا لي على نفسي! . . . انتهى ملخصا منه ». هـ. ونحوه نقله عنه في "الجذوة" في ترجمته أيضا.

ووفاته - رحمه الله - أواسط القرن السابع، في آخر العشرة الخامسة، أو أول السادسة منه. يدل لذلك: ما ذكره صالح بن عبد الحليم في كتابه "الأنيس" لما تعرض لذكر الأمير أبي يحيى بن عبد الحق المريني؛ ونصه: « وفي آخر شهر ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمائة ملك الأمير أبو يحيى مدينة فاس، ودخلها صلحا عن رضى من أهلها، بعث إليه أشياخها فأتاهم؛ فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة، وكان أول من بايعه: الشيخ الفقيه الصالح أبو محمد الفشتالي، ثم الفقهاء والأشياخ. . .». هـ. ثم قال بعده بنحو من الورقة ما نصه: «وفي سنة ست وخمسين - يعني: من القرن السابع - في رجب منها؛ مرض الأمير أبو يحيى بمدينة فاس، فمات بها بعد أيام حتف أنفه، ودفن بباب الجيزيين من أبواب عدوة الأندلس، بإزاء قبر الشيخ الفقيه الصالح أبي محمد عبد الله الفشتالي تبركا به؛ فإنه - رحمه الله - كان أوصى بذلك في حياته ». هـ. ونحوه في "الجذوة" في ترجمة أبي يحيى المذكور.

وفي "المعرب المبين" ما نصه: «توفي أبو يحيى بن عبد الحق المريني بفاس في رجب سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن داخل باب الجيزيين - يعني: المعروفة اليوم بباب الحمراء - من أبواب عدوة الأندلس، بإزاء الفقيه الصالح أبي محمد الفشتالي تبركا به ». هـ.

وضريحه رحمه الله – على مارأيته في بعض المقيدات – حول ملعب الكُورة، ويؤخذ مما تقدم أنه: عن يمين المحجة المرور عليها لباب الفتوح، من الحجارة النابتة بالقليمة، يقابل قبر أبي محمد صالح، يفرق بينهما المحجة المذكورة، وهو اليوم غير معروف. وإليه مع الذين قبله يشير الشيخ المدرَّعُ في منظومته في صلحاء فاس بقوله:

أبو محمد صالح الإمام ... على الرسالة له كلام
ثم أبو الأنوار والفشتالي ... كلاهما لخله موالي
وهذه الثلاثة المذكورة ... قبورهم بملعب للكورَة

[462– الفقيه سيدي أبو عبد الله الفَشْتالي (آخر)]

(ت: القرن الثامن)

وعندهم رجل آخر يقال له أيضا: أبو محمد عبد الله الفَشْتالي. من أشياخ سيدي ابن عباد – نفعنا الله به – وقد أشار إليه تلميذه السراج في فهرسته قائلا ما نصه [47]: « وأخذ – يعني: الشيخ ابن عباد – بمدينة فاس – أمنها الله– عن فلان وفلان. . . إلى أن قال: وعن الشيخ الفقيه الصالح، المدرس بمدرسة الحلفاويين؛ أبي محمد عبد الله الفشتالي حظا وافرا من مختصر "المدونة" للبراذعي ». هـ.

وهذا – والله أعلم – هو الذي أشار إليه في "الجذوة" في ترجمة أبي زيد عبد الرحمن الجزولي، وذكر أنه كان يحضر مجلس أبي زيد المذكور، ويحفظ "التفريع" لابن الجلاب، وهو غير صاحب الترجمة قطعا، بدلالة التاريخ؛ لأن سيدي ابن عباد – الذي ذكر أنه أخذ عنه – ولد سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وأبو زيد الجزولي – المذكور شيخا له – توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة على ما هو الأصح في وفاته عن نحو سبعين سنة؛ على ما قال في "كفاية المحتاج" أنه الأشبه؛ فتكون ولادته مع ولادة سيدي ابن عباد متأخرين عن وفاة صاحب الترجمة، فلا يصح أن يكون أحدهما شيخا له ولا تلميذا؛ فتأمل ذلك. والله أعلم.

[463– الشيخ سيدي مَحمد بن سعيد الكُومي]

(ت: 1026)

ومنهم: الشيخ الجليل، البركة الحفيل، الولي الصالح، المكاشف الواضح؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن سعيد الكُومي. بالكاف المعقودة من بني كومي.

قال في "المقصد": «أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الفلالي - دفين بُوزرًا من بلاد غمارة - عن الشيخ أبي القاسم الغازي بن أحمد - دفين سجلماسة - عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله - دفين سجلماسة أيضا - عن الشيخ؛ شيخ الشيوخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني دفينها عن الشيخ القطب شيخ الطريقة أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد زروق؛ دفين مسراته من بلاد الجريد ».هـ. ونحوه في "الإلماع" لسيدي المهدي الفاسي، وعند غير واحد.

وكان - رحمه الله - كوشا أسود اللون، وعمي في آخر عمره، وكان له أصحاب وأتباع يستعملون السماع كل جمعة، ويتحركون، وتظهر عليهم أحوال، وكان ذا سمت ووقار، وقبول واشتهار، متمسكا بالسنة ظاهرا وباطنا، عالما بالشريعة، محفوظة عليه أوقاته، وظهرت له كرامات، وخوارق عادات، ومكاشفات، وإخبار بمغيبات، ويؤثر عنه كلام وحكم، وهو أحد الذين لقيهم سيدي قاسم الخصاصي غير ما مرة، وتبرك بهم...

توفي في حدود ست وعشرين وألف، ودفن - كما ذكره في "الصفوة" وغيرها - داخل باب الفتوح بالقليعة. قلت: وهو قريب من الطريق الذاهبة إلى باب الفتوح من ناحية الملعب، عن يمين الذاهب. وقد اندثر الآن ما كان عليه من البناء، وصار لا يعرفه إلا القليل، وتحته بقريب روضة الشيخ أبي خزر صاحب الترجمة بعده. ترجمه في "المقصد"، و"الروض"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"... وغيرها. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته بقوله [48]:

وسيدي محمد الكومي الشهير	بحـــر الحقائق المعظم الخطير
مـــداوم الغيبة في مـــــولاه	ليـــس يرى بقلبـــه ســـــواه

[464- الإمام أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي]
(ت: 572)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، الحافظ الحجة النبيه، الولي الصالح الخاشع، الورع الزاهد المتواضع، الرفيع المكانة والحظوة، المجاب الدعوة، مدرس فاس ومفتيها؛ أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي الفاسي. من بيت الأورَبيين بفاس. وهم من البربر، وكان بيتهم بها بيت علم وصلاح.

ترجمه التادلي؛ فقال: « ومنهم: أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي، من أهل فاس. كان عبدا صالحا، حافظا للمسائل، ورعا متواضعا، مجاب الدعوة. حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر عن

أبي العباس أحمد بن معمّر أن رجلا: جاء إلى أبي الحسن بن حرزهم؛ فقال: رأيت في النوم شمعتَين: إحداهما بعدوة الأندلس، والأخرى بعدوة القرويين!. فقال له أبو الحسن: وكانت التي بعدوة الأندلسيين أكثر ضوءا ؟. فقال له: نعم. فقال له أبو الحسن: هذه الرؤيا مفسرة: أبو خزر هو الشمعة التي كانت بعدوة الأندلسيين، وأنا التي رأيتَ بعدوة القرويين؛ وقل ضوءها لما أنا عليه من المزاح مع الناس!)).

((حدثني محمد بن الحسن قال: حدثني أحمد بن محمد البكري قال: كنت بفاس أروي الحديث على أبي عبد الله ابن الرمامة، وأتفقه على أبي خزر؛ فرأيت أني قد أخذت عن كل واحد منهما ما يكفيني؛ فقلت: أنظر على أبي عَمْرو الأصولي علم الكلام؛ فاشتريت كتاب "الإرشاد" لأبي المعالي، وصليت الصبح بالجامع، ومررت إلى أبي عَمْرو، فلقيني شخص طويل في الظلام، وعليه ثياب بيض، وأخذ بيدي، وقال: رد هذا الكتاب إلى صاحبه، وعد إلى ما كنت بسبيله. فرددت كتاب "الإرشاد" إلى صاحبه، وعدت إلى رواية الحديث على ابن الرمامة، ودرس الفقه على أبي خزر – رحمه الله ونفعنا به وبأمثاله... آمين)). هـ.

وقال في "أُنس الفقير" ما نصه: ((وشيخ أبي محمد يَسكر: أبو خزر يخلف الأَوْرَبي الفقيه. ثم قال: وأبو خَزَر هذا: هو الذي كان بعدوة الأندلس من فاس المحروسة، وكان أبو الحسن علي ابن حرْزهم في عدوة القرويين منها، وجاء رجل إلى أبي الحسن ابن حرزهم؛ فقال: رأيت البارحة شمعتَين مَشعولَتين؛ إحداهما بعدوة الأندلس من فاس، والأخرى بعدوة القرويين، والتي بعدوة الأندلس أكثر ضياء من الأخرى. فقال له أبو الحسن: أما التي بعدوة الأندلس؛ فهي: الفقيه أبو خزر، وأما التي بعدوة القرويين؛ فأنا. وإنما كنت أقل ضياء؛ لكثرة مزاحي مع الناس!)). هـ.

وممن ترجمه أيضا: الكتاني [49] في "المستفاد"؛ وذكر أنه: ((كان خيرا فاضلا، تقيا صواما، قواما متواضعا، منقطع القرين في عصره، منفردا عن النظير، الغالب عليه: الفقه في المسائل. صاحب كرامات، مشتغلا بوقته، لا يعرف ما الناس فيه...)). هـ. انظر بقية كلامه.

ومما يروى من بركاته – كما نبه عليه غير واحد – أنه: قعد بموضع عين أبي خزر من مدينة فاس وليس هنالك ماء، فاستسقى ماء لوضوئه؛ فلم يجده، فركز عكازه في الأرض التي ليس بها ماء، وجذبه؛ فانفجرت هنالك عين ماء عذبة، ثرة؛ كثيرة المياه، فسُميت بكنيته، وقيل لها: عين أبي خزر إلى الآن، ولم يزل ماؤها كثيرا مريحا، يعام فيه ويضرب للعائم إلى الثدي. إلى أن أنشأ الفقيه القاضي، الخطيب الكاتب، صاحب العلامة؛ أبو القاسم عبد الله ابن الفقيه القائد يوسف ابن رضوان النجاري الخزرجي المالقي عرصته التي اغترس بإزائها؛ فانهد الحائط المجاور لها، فوقع فيها؛ فغار أكثر الماء، ولم يبق فيه إلا ما قل دون الثلث.

وفي تأليف لبعض علماء القرن التاسع ذكر فيه بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم ما نصه: « ومنهم: بيت الأوربيين؛ وهم من أوربة النازلين بجبل بني زرهون من البربر، وهم بيت فقه وصلاح؛ منهم: الفقيه العلامة، المدرس المفتي، الولي الصالح، ولي الله تعالى أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي. كان حافظا لمسائل المذهب، صالحا ورعا . . ثم ذكر قضية العين السابقة، ثم قال: وتوفي أبو خزر يخلف بفاس في سنة اثنين وسبعين وخمسمائة، ودفن بداخل باب الفتوح، على قرب من قبر الفقيه الصالح سيدي أبي عبد الله محمد ابن الرومي، وعلى قرب من قبر سيدي أبي محمد صالح الهسكوري، وعلى قرب من قبر الفقيه الصالح أبي محمد الفشتالي، وقبره في حفرة غير مساوية مع الأرض ».هـ. ونحوه للشيخ أبي زيد الفاسي في تأليف له في بيوتات فاس أيضا.

وقال في "جذوة الاقتباس" في ترجمته: « توفي بفاس يوم الخميس الثامن أو السادس عشر من جمادى الأخيرة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة، ودفن داخل باب الفتوح على قرب من قبر الفقيه الصالح أبي عبد الله الرومي، وعلى قرب من قبر الفقيه الصالح أبي زيد الهزميري، وعلى قرب من قبر الفقيه الصالح أبي محمد صالح الهسكوري، وعلى قرب من قبر الفقيه الصالح أبي محمد الفشتالي، وبإزاء الزاوية المعروفة بزاوية أبي قطوط. وقبره في حفرة غير مستوية ».هـ.

وذكر صالح ابن عبد الحليم في "الأنيس المطرب"، وصاحب "الملح البادية" أنه: توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، زاد في "الأنيس": « وكان أحد الفضلاء والعلماء والحفاظ الموصوفين بالورع والتواضع، وإجابة الدعاء ». وقد سوي الآن محل ضريحه [50] بالتراب، وأحدثت فيه وفيما هو قريب منه بناآت، فاندثر لأجل ذلك، وجهل ولم يبق من يعرف عينه. . .وقد ترجمه – أيضا – صاحب "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج" فيهما.

[465– سيدي محمد المالقي]

وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته مع رجل آخر يقال له: سيدي محمد المالقي؛ ضريحه بروضة بأول الكغاطين، وكان قبل هذا مشهورا معظما مزارا، فاندثر لهذا العهد . فقال:

وارجع إلى الشيخ الولي أبي خزر ... كأنه في علمه بحر زخر
ذو البركات الساطعات الظاهرة ... الواضحات البينات الباهرة
ومنهم: محمد أعني به ... المالقي بروضة من قربه

[466- الشريف سيدي محمد بن محمد القادري]
(ت: 1043)

ومنهم: الشيخ الفقيه الأعدل، الناسك التقي الأفضل، الصالح البركة؛ أبو عبد الله سيدي بن محمد بن محمد بن محمد الشريف القادري الحسني. جده المذكور - وهو: محمد الثالث - هو جد الشرفاء القادريين القادم على فاس.

وكان حفيده - صاحب الترجمة - فقيها ناسكا، عدلا ثقة مرضيا، ذا أخلاق حسنة، وسيرة مستحسنة، و ديانة وأمانة، ومروءة وصيانة، وشفقة وحنانة، وتقى وإنابة، ودعوة مستجابة، كارها للتكلفات، والزوائد المألوفات، متبركا به، ملحوظا في منصبه، مولعا بزيارة القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش، زاره اثنين وثلاثين مرة. مرة في كل سنة.

أخذ عن الشيخ سيدي رضوان الجنوي، وعن العارف الفاسي، وكان - كما في "نتيجة التحقيق" - يحترف بالشهادة، يأتيه الناس لها في باب داره، قال: « وأخته السيدة فاطمة بنت محمد بن محمد (القادم) تزوجها الشيخ أبو عبد الله القصار ».

توفي - رحمه الله - في حدود ثلاث وأربعين وألف وقد ناهز التسعين سنة، ودفن داخل باب الفتوح، بإزاء روضة الشيخ أبي خزر - رحمه الله. ترجمه في "العرف العاطر"، و"التقاط الدرر"، و"السر الظاهر".

[467- الشريف سيدي طاهر بن مسعود القادري]
(ت: 1062)

ومنهم: الشريف الفقيه، العالم النبيه، الذكي الحسيب، الألمعي الأريب؛ أبو الجمال طاهر بن أبي سرحان مسعود بن عبد العزيز القادري الحسني.

كان - رحمه الله - فقيها، عالما نبيها، ذكيا ألمعيا، عدلا مرضيا، تصدى للشهادة بسماط القرويين، وكان لفرط ذكائه وكمال ألمعيته يحسن صناعات؛ إذا رأى شيئا بعينه عمله بيده، دون تعلم، توفي - رحمه الله - في جمادى الأخيرة سنة اثنين وستين وألف.

قال في "السر الظاهر": « ودفن داخل باب الفتوح، بالروضة الكائنة بقرب سيدي أبي زيد الهزميري - نفعنا الله به - المعروفة الآن بروضتهم، وكانت قبلهم للشيخ أبي عبد الله القصار - رحمه الله [51] ».

ترجمه فيه، وأشار له أيضا في "نتيجة التحقيق"، وذكر أنه: كان فقيها متصديا للشهادة بسماط العدول. وأنه: خلف ولدين؛ أمهما بنت الشيخ القصار، تزوجها والدهما - صاحب الترجمة - في رمضان [عام] خمس وعشرين وألف، بعد موت أبيها بنحو اثنتي عشرة سنة. أنكحه إياها أخوها لأبيها الفقيه أبو عبد الله محمد - المدعو: الصغير - شيخ أبي الحسن علي البطوئي، وكان الشيخ القصار قد تزوج أيضا عمة صاحب الترجمة: السيدة آمنة بنت عبد العزيز. وهي أم ولده أبي عبد الله المذكور، فحصلت المصاهرة بينهما من الجانبين. . والله أعلم.

[468- الشيخ العارف سيدي عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري]
(ت: 706، أو 707)

ومنهم: الشيخ العارف الكبير، الولي الصالح الشهير، العالم العامل، الموصل الواصل، ذو الكرامات الفاخرة، والآيات الظاهرة، والكشف الصريح، والجد الصحيح، والأحوال العجيبة، والمناقب الغريبة، الجبل الراسخ، وطود العلوم الشامخ، أعجوبة الزمان، وفريد العصر والأوان؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ الفاضل، الصالح الناسك؛ أبي محمد عبد الكريم ابن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الله الهزميري، شيخ الطائفة الهزميرية في المغرب، منسوب إلى هَزمير؛ وهي إحدى القبائل الست الكائنة بدكالة ونواحيها .

قال في "أنس الفقير" لما تكلم على جملة الطوائف بالمغرب الأقصى، في الأرض التي تنبت الصالحين، كما تنبت الكلأ. ما نصه: «وأما الطائفة السادسة؛ فهم: الغمَاتيون؛ وهم طائفة الشيخ الولي الشهير أبي زيد عبد الرحمن الهزميري، ولهم أُخوة محدثة بطائفة أبي زكرياء - يعني: الحاجي. الشيخ الشهير - وسائر الطوائف لهم أُخوة بطائفة أبي محمد صالح. قال: وقبر أبي زيد هذا داخل باب الفتوح من أبواب مدينة فاس، في روضة الأنوار، بإزاء جامع الصابرين. . . ».

« وقد أدركت كثيرا ممن أدركه. أخبرني بعض شيوخ عدول مراكش أنه: رآه على ظهر بهيمة وهو على جنبه وقد شد عليها بشريط؛ لضعفه وكبر سنه، والناس يتزاحمون عليه ويمسحون وجوههم بطرف ثوبه، ويجبذه كل واحد منهم إليه، والخديم يقود به ».

« وكان أعجوبة في زمانه؛ يتحدث دائما على ما في ضمائر الناس، ولا يعين أحدا بالفضيحة، وإنما يقول: مثل رجل فعل كذا في مكان كذا! . وأخبرني شيخ أشياخنا في المعالم السماوية والمسائل الحسابية؛ الشيخ الإمام الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان ابن البنا العددي المراكشي - وكانت وفاته في عام أحد وعشرين وسبعمائة - أنه مازال يقصده في حل المسائل العلمية التي تشكل عليه؛ من هندسة وغيرها . . قال: ومازلت أمضي إليه [52]؛ فأجد الزحام، فنسمع جوابي من طرف الحلقة، وننصرف من غير سؤال ».

« وحدثني غير واحد ممن لقيت من الأعلام، أن انتفاع ابن البنا في علومه، ومنزلته الدينية والدنيوية؛ إنما كان من بركة الهزميري؛ لأنه بلغ في دينه النهاية، وفي دنياه الغاية. حدثني قاضي الجماعة بمراكش: الشيخ الفاضل المتخلق، الحافظ لسيَر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أبو زيد عبد الرحمن القيسي، ويعرف بطالب عافية، أنه: أراد أن يقرأ عليه علم العروض. قال لي: ولا دريت هل له معرفة به أم لا؟ وفكرت في نفسي: كيف يكون سؤالي عن ذلك؟!.. فدخلت عليه – وهو في حلقة العلم – وأنا في قلق من ذلك، فجلست؛ فسمعته وقد رفع صوته وهو يقول في مثل ما يقول العروضيون: كذا. وتكلم في علم العروض؛ فقلت: إنه معي. ومازال – رحمه الله – يحدثني بهذه الحكاية وتدمع عيناه في أثنائها ».

« وقد ألف بعض فقهاء مراكش؛ وهو الفقيه المقرئ أبو عبد الله ابن تيجلات – رحمه الله – كتابا حسنا في فضله وفضل أبي عبد الله أخيه، وتوفي – نفع الله به – في حدود سنة ست وسبعمائة، والدعاء عند قبره مستجاب، وإلى الوسيلة بقبره يلجأ من حدث به كرب هنالك. وسُميت: روضة الأنوار؛ لأنها جمعت من أولياء الله كثيرا، وهو في وسطهم ».

« ورأيت بعض من يعيش بالحرام أخذ في تجديد قبره – رحمه الله ونفع به – فنهيته وقلت: سألتك بالله لا تكدر عليه!. فأبى وجدده بالجير، فبعد مدة ضربه السلطان، ونزع ما بيده من المال، وندم على ما كلمته به، ودثر ما صنع على قبره ولم يبق له أثر ».

« وسبب حركته من اغمات: قضاء حاجة – يطول شرحها – من السلطان أبي يعقوب المريني وهو في حصاره العظيم لتلمسان، بعد مدة سبع سنين، هذا ظاهر أمره، وفي الباطن: يريد أن يصرفه عن ذلك الحصار، ويكف عما انتهى إليه المحصورون من الشدة؛ لأنه بلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير من الذهب للقوت لا للدواء، وكان للفارين معبر لا أذكره الآن؛ فلم يقبل منه، فرجع إلى فاس، ونزل بجامع الصابرين؛ وهو موضع مبارك يأوي إليه أهل الفضل والصلاح، فبعد أيام قتل السلطان أبو يعقوب، وغرب جيشه – أي دخل المغرب – بسلطان آخر. فقال له خديمه – ظنا منه أنه ما أقام إلا ليرغب الله في الفرج: مات السلطان أبو يعقوب؛ ففرج الله على تلمسان، فباسم الله تأخذ في الحركة!. فقال له: وعبد الرحمن يُموت – بتشديد الميم، يعني بعبد الرحمن، نفسه – فمات بعد أيام يسيرة، ودفن هنالك – رحمه الله ونفع به... ».

« وقد أخذتُ طريقه عن ولي الله تعالى الحاج أبي العباس الدكالي عن ولي [53] الله تعالى أبي زكرياء يحيى الغماتي عن الهزميري – نفع الله به. وكان يقول: نشفع في كل شيء إلا الموت!. وتنازع الفقهاء بمراكش في الحوض والصراط أيهما يسبق؟. فلجأ أحدهم إليه، قال: فلما سألته؛ نظر إلى

السماء واتسعت عيناه اتساعا عظيما، ثم قال: الجنة، الميزاب، الحوض، الصراط. ويشير بأصبعه إلى السماء؛ فأعلمت بعض الفقهاء بذلك؛ فبكى وقال لي: ليس الخبر كالعيان!. وكانت له أحوال عجيبة، قال لي بعض الصالحين: ما أظن أن يكون أحد بعده كحاله في طريقته وعجائبه ». انتهى كلامه فيه في "أنس الفقير" بإسقاط ما لم تدعُ الحاجة إلى نقله.

وفي "المُعْزَى" ما نصه: « ويُحكى عن سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري – دفين داخل باب الفتوح بروضة الأنوار بإزاء جامع الصابرين عام ستة أو سبعة وسبعمائة – في حركة حرّكها غريبة، أضربنا عن ذكرها اختصارا، أن الفقهاء لما تنازعوا بحضرة مراكش في الحوض والصراط أيهما سبق؟. وطال الخصام على ذلك ثلاثة أيام بين يدي الشيخ الإمام، مكمل "إكمال المعْلم" أبي عبد الله البقوري. فلما طال الحال؛ ذهب طالب ممن كان يعتقد الشيخ الهزميري لزيارته، ويسأله عن المسألة حتى يشفيه. قال: لما سألته؛ فتح عينيه ونظر إلى السماء، ورأيت لعينيه اتساعا عظيما، وهو ينظر ولا يطرف، وهو يقول: الجنة، الميزاب، الحوض، الصراط!. كأنه ينظر في ذلك، ويكرر قوله، ويشير بإصبعه. قال: فخرجت من عنده، وأتيت المجلس؛ فإذا هو على حاله. فأخبرتهم؛ فبكى أبو عبد الله البقوري، وقال: ليس الخبر كالعيان! ».

« قال الإمام ابن الخطيب: كانت للهزميري ولأخيه – يعني: أبا عبد الله دفين أَغْمات – أحوال عجيبة، قال بعض العلماء لما وقف على حقائق رياضتهما: قل أن يكون مثل حالهما!. لما شاهده من تحقيقهما في المكاشفة والمقام، وهما من عجائب الزمان، ولولا الاختصار؛ لأوردنا من أخبارهما ما يزيد المريد في سلوكه صدقا وتحقيقا، لكن كفى بالتعرف بهما صاحب "إثمد العينين في مناقب الأخوين..." ».

وفيها أيضا – أعني: "المُعْزَى": « أنه يقال: سبعة قليل من بلغ مجاهدتهم في بدايتهم: سيدي أبو يعزى في المغرب، وسيدي عبد القادر الجيلاني في المشرق، وفي القرن السادس، وسيدي سهل بن عبد الله في القرن الثالث، وسيدي أبو يزيد البسطامي وسيدي أبو الخير المصباحي، وسيدي أبو عبد الله الهزميري، وصنوه أبو زيد – رضي الله عنهم ».

وفي كتاب "إثمد العينين، ونزهة الناظرين، في مناقب الأخوين أبي زيد وأبي عبد الله الهزميريين" للشيخ أبي عبد الله محمد بن تيجلات الهزميري المراكشي: « كان الشيخ أبو زيد – رحمه الله – أحد أركان هذه الطريق، وقد نال من المجاهدة في حال البداية طورا صعب المرتقى، بعيد [54] المرمى، تعذر على كثير من السالكين سلوكه ».

« وكان الشيخ رحمه الله – يعني: شيخ صاحب الترجمة وأخاه أبا عبد الله – ينوه بذكره ويثني عليه كثيرا، وإذا قرئت عليه رسالة القشيري يقول: جاز أخي عبد الرحمن هذه المقامات كلها، إلا أنه لم يومر بالتصدر للمشيخة، ولو أمر؛ لامتثل كما فعل أخوه. وكان الشيخ أبو العباس ابن البنا يقول: كنت إذا أشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغمات وريكة، فأجتمع بسيدي أبي زيد، فيشرح لي ما انبهم علي من المسائل، ثم أعود إلى منزلي. ولقد كنت أسير إليه في بعض الأحيان؛ فأجد الناس قد أحدقوا به، فلا أجد كيف أجتمع به، فأقعد خلف السارية التي كان يستند إليها، فيتكلم على المسائل التي جئت أستفتيه فيها مسألة بعد مسألة حتى يأتي على آخر المسائل، فأخرج وأركب دابتي، وأرجع إلى مراكش من يومي » .هـ. وقد ذكر له في الكتاب المذكور كرامات عديدة، ومآثر حميدة، فانظرها فيه إن شئت.

وفي "شرف الطالب" ما نصه: « وفي سنة سبع وسبعمائة توفي بقية الشيوخ والأولياء أبو زيد الهزميري بمدينة فاس » .هـ. وقال في "دُرة الحجَال": « توفي بمدينة فاس بعد انصرافه من تلمسان بسنة ودفن عند مسجد الصابرين سنة ستٌ وسُبعمائة، وقيل في التي تليها، بعدها، في أولها » .هـ.

وقال في "جَذوة الاقتباس": « عبد الرحمن الهزميري: الولي الصالح، ذو الكرامات الظاهرة. كان عالما عاملا، عارفا بالحساب والتعاليم والهيئة. . . وغير ذلك. يكنى: أبا زيد. من أهل أغمات. أخذ عنه أبو العباس أحمد ابن البنا، وكان صاحب مكاشفات. توفي بمدينة فاس بعد انصرافه من تلمسان سنة ست؛ وقيل: في التي بعدها، وسبعمائة. دفن بقرب مسجد الصابرين» .هـ.

ومسجد الصابرين: هو المعروف الآن بروضة أبي مدين. قريبا من ضريح صاحب الترجمة وضريح الإمام ابن غازي، وكان في القديم مدرسة، وقد رأيت مقيدا ما نصه: « مدرسة أبي مدين: هي المعروفة في القديم بمدرسة الصابرين والمرابطين اللمتونية؛ لأن يوسف بن تاشفين – منهم – هو الذي بناها » .هـ.

وفي كتاب "التفكر والاعتبار" لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن عطية السَلَوي الفاسي ما نصه: « ومنهم: الشيخ القطب الشهير أبو زيد سيدي عبد الرحمن الهزميري، دفين الكغاطين داخل باب الفتوح، بروضة الأنوار، وبها شهر؛ توفي سنة سبع وسبعمائة. وله كرامات في حياته، وبعد مماته – نفعنا الله ببركاته » .هـ. وقد حلاه بالقطبانية – أيضا – الشيخ القصار في مكاتبة كتبها لبعض أصحابه، نقلها صاحب كتاب "سلسلة الذهب المنقود"؛ فراجعه.

ومن كلامه – رضي الله عنه: « حرام على [55] من أطاع الله وعصى والديه أن يدخل الجنة، وحرام على من عصا والديه وأطاع الله أن يدخل النار » . ذكره في "إثمد العينين". وضريحه معروف مشهور إلى اليوم، يدور به بيت صغير لا سقف له.

ومن بركاته: ما يروى عن الشيخ الورع الزاهد أبي عثمان الورياغلي أنه: رأى في المنام شيخا بعد موته كان يلقاه في الطريق إذا خرج لصلاة الفريضة سكران طافحا، والصبيان يجرونه ويصفعونه، ورآه وهو على صورة حسنة، وعليه ثياب لا توصف من حسنها، ووجهه يتلألأ نورا. فقال له: «ألست فلانا ؟!»، فقال له: «نعم؛ أنا فلان». فقال له: «إني عهدتك على حالة ورأيتك الآن على خلافها!»، فقال له: «أحدثك أن اليوم الذي قدر الله بوفاتي فيه؛ مات سيدي أبو زيد الهزميري في ذلك اليوم؛ فغفر الله لكل من مات فيه معه من جميع المسلمين في المشرق والمغرب». هـ.

ويروى عن رجل من أهل تونس؛ ويعرف بجمال الدين ابن عطا، قال: «كنت جالسا على سطح داري ليلة بعد العتمة؛ فسمعت في الهواء دويا كدوي النحل، فما زلت أتفكر فيه، حتى سمعت هاتفا ولا أرى شخصا. يقول: يا هذا؛ تعرف هذا؟!. قلت: لا!. فقال: هذا روح أبي زيد الهزميري، توفي في هذه الليلة، فعرضت عليه حظيرة القدس؛ فأبى أن يدخلها حتى يدخلها من مات معه في هذه الليلة...». وإليه يشير الشيخ المدرع في منظومته بقوله:

وارجع إلى الشيخ الإمام العارف	بحر الحقيقة لكل عارف
الشامخ المحقق المبين	عمدة أهل الفتح والتمكين
أعني: أبا زيد الرضي الهزميري	كنز المعارف وبحر النور

[469- الشيخ العارف سيدي محمد بن عبد الكريم الهزميري]
[دفين أغمات]
(ت: 678)

وكانت وفاة أخيه وشيخه: الشيخ الصالح، العالم الزاهد، الولي العارف بالله؛ أبي عبد الله سيدي محمد الهزميري - دفين أغمات - عند عصر يوم السبت آخر يوم من شوال، سنة ثمان وسبعين وستمائة، وهو ابن نيف وستين سنة. ودفن بعد العصر من يوم الأحد - رحمه الله ورضي عنه.

[470- الفقيه الحافظ سيدي مصباح بن عبد الله اليالصوتي]
(ت: 750)

ومنهم: حافظ وقته ودهره، وفريد أوانه وعصره، الشيخ الفقيه، العلامة المدرس النبيه، النوازلي المفتي، البركة الصالح؛ أبو الضياء سيدي مصباح. الذي تضاف إليه المدرسة المصباحية بفاس؛ لكونه أول من درس بها حين بناها السلطان أبو الحسن المريني.

ترجمه في "جذوة الاقتباس" فقال: «مصباح بن عبد الله الياصوتي: الفقيه المالكي، بمدينة فاس. وإليه تنسب المدرسة المصباحية. توفي بمدينة فاس سنة خمسين وسبعمائة» .هـ. ونحوه له [56] في "درة الحجال"، وفي "نيل الابتهاج": «مصباح بن عبد الله الياصوتي: أبو الضياء الفاسي، من أكابر تلاميذ أبي الحسن الصغير، كان فقيها حافظا نوازليا، وهو أول من تصدر للتدريس بالمدرسة التي بناها أبو الحسن المريني بفاس، فنسبت إليه، وكانت أمه من الصالحات، ولا ترضعه إلا على وضوء، وتفقه على أبي الحسن الصغير وغيره، وكان صالحا. توفي بفاس سنة خمسين وسبعمائة، وله فتاوي نقل بعضها في "المعيار". . . ».هـ. ونحوه في "كفاية المحتاج". وفي "التوشيح": «مصباح بن عبد الله الياصوتي: الفقيه، أبو الضياء، حافظ وقته».هـ.

وفي "فهرسة" سيدي يحيى السراج – أحد تلاميذ سيدي ابن عَباد – لما ذكر فيها الفقيه القاضي الأستاذ أبا محمد عبد الله بن أحمد القصري السبتي؛ الشهير بابن مسلم. ما نصه: «أخذ عن الشيخ الفقيه الحافظ، المدرس المفتي أبي الضياء مصباح الياصوتي، ولازمه نحو اثنتي عشرة سنة، وختم عليه مختصر البراذعي مرتين تفقها».هـ. وفي "نفح الطيب" في ترجمة جده الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد المقري أنه: لما رحل من تلمسان إلى المغرب؛ لقي بفاس عدة من الشيوخ، ثم ذكر من جملتهم صاحب الترجمة، وقال: «كان حافظ وقته!».هـ.

وضريحه – رحمه الله – بروضة الشيخ أبي زيد الهزميري المذكور، داخل حوشه.

[471– المفتي الخطيب سيدي يحيى بن محمد السَّرَّاج (الأصغر)]

(ت: 1007)

ومنهم: الشيخ الإمام، علم الأعلام، مفتي فاس وخطيب مسجديها الأعظمين؛ أبو زكرياء سيدي يحيى بن محمد بن محمد السراج، النفزي الحِمْيَري، الأندلسي الرُّندي، وهو كما في "الصفوة". . . وغيرها: حفيد الشيخ سيدي يحيى السراج – صاحب عروس الأولياء سيدي محمد ابن عباد.

كان – رحمه الله – أحد الأئمة المعتبرين، والفقهاء المبرزين، مشاركا في كثير من الفنون؛ من أصول وتفسير. . . وغير ذلك، ماهرا في علم الفقه، حافظا مدرسا، يعرف "المدونة"، ويدرس فيها، ويحفظ مختصر خليل، وله عناية به، حتى ألف عليه حاشية. وكانت له – أيضا – اليد الطولى في علم النحو، وجل اعتنائه بالمغني لابن هشام، حتى كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا، وإذا نام؛ وضعه على وسادته.

ولي الخطابة - أولا - بجامع باب الجيسة، ثم بجامع الأندلس، ثم بالقرويين لما تولى الفتوى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ولما ولي الفتوى؛ اجتهد فيها، وحرر النقول، وتحرى الصواب، فكان لا يجيب عن نازلة حتى يستحضر نصها ويطالعه، وكان دينا، عفيفا، لم تعرف له هفوة قط في صغره ولا في كبره، ولا يتصنع في ماكول ولا ملبوس، ولا يتخذ ماكولا مخصوصا كأبناء جنسه [57]، وكان معه نية؛ متغافلا في الأمور، ممن يُخدَع كثيرا. ينتخب الخطب حتى كبر سنه، وغلب عليه النسيان.

أخذ عن أبي مالك عبد الواحد الونشريسي، وأبي محمد عبد الوهاب بن محمد الزقاق.. وغيرهما.

وأخذ عنه هو: عدة مشايخ؛ كالعارف الفاسي، وولد أخيه أبي العباس أحمد. وكان لا يتخلف عن مجلسه أحد.

وقد ترجمه في "جذوة الاقتباس"؛ فقال: « يحيى بن محمد السراج النفزي الحميري: الفقيه، الخطيب بجامع القرويين، المفتي. آخر الناس بفاس، وأحد العلماء الأعلام بها. كان قائما بالفروع المالكية. يقوم على مختصر خليل بن إسحاق المالكي، عارفا به أحسن معرفة، وكان عارفا بالفروع المالكية، ولد سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، ونيف في عمره على الثمانين سنة وطعن في السن، ومع ذلك كان في فتواه لا يخرج عن المشهور أصلا؛ لصحة معرفته له، وكان عارفا بالنحو، ويقوم على "مغني اللبيب" لابن هشام. توفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى من سنة سبع وألف، ودفن يوم السبت الموالي له عند قبر أبي زيد الهزميري، مجاورا لمصباح اليالصوتي. وبالجملة؛ فهو آخر الناس بفاس ». هـ.

وترجمه - أيضا - في "دُرة الحجال"، وفي "بستان الأذهان"، وفي "المطمح"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدُرَر"... وغيرها.

[472- الشيخ سيدي محمد ابن حكيم الأندلسي]
(ت: 1027)

ومنهم: الشيخ الأجل، التالي لكتاب الله عز وجل، الولي الشهير، الجليل الخطير، ذو الأحوال الربانية، والإشارات الغيبية العرفانية؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن حكيم؛ به عرف. الأندلسي.

كان – رحمه الله – صاحب حال وفيض، تعتريه أحوال الجذب دائما، ويتحرك ويتواجد ويصيح ويهيم، وتظهر عليه الغيبة، وكان مع ذلك مقيما لرسومه، محافظا على السنة، مراعيا للأوقات، واقفا على الحدود، لا يخل بشيء من التكاليف الشرعية، وكان كثير تلاوة القرآن، ويقرؤه في اللوح، كثير المكاشفات والإخبار بالمغيبات، ينطق بها عند غيبة الحال عليه، وتارة دون ذلك.

وله مآثر لا تحصى، وكرامات عديدة لا تستقصى. وكان سكناه بحومة العيون، بدار هناك بالدرب المعروف الآن بدرب سيدي حكيم، وأخذ – فيما ذكره بعض المشايخ ممن أدركه – وأخذ عنه عن الشيخ أبي النعيم رضوان الجنوي عن الغزواني.

وكان العارف الفاسي يقول: « إن مدده من تلاوة القرآن ». ومقتضاه أنه: لم يكن له شيخ. قال في "المقصد": « ويجمع بينهما: بأن يكون مطلق الأخذ حصل بالمخالطة والصحبة عن سيدي رضوان، ثم كان استمداد حالته الخاصة من القرآن – أي: من تلاوته ». هـ. وقال [58] في "الممتع": « صحب سيدي رضوان – فيما يقال – فنزعه عرق فيض سيدي عبد الله الغزواني واتصاله به، وقيل: إنه ليس له شيخ، وإنما كان مدده من تلاوة القرآن »، ثم قال بعد كلام: « ثم صحب سيدي عبد الرحمن الفاسي، ثم سيدي محمد ابن عبد الله إلى أن مات في حياته، وحضر الشيخ سيدي محمد جنازته ». هـ.

وكتب – رضي الله عنه – لبعضهم حرزا طلبه منه، ثم قال له: « أأقرأه عليك؟! ». فقال: « نعم يا سيدي ». فقرأ عليه: ﴿ *إذا السماء انفطرت* ﴾ إلى قوله: ﴿ *يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله* ﴾. [سورة الانفطار]، ثم قال له: « اسمع ما يقول: ما بيدي شيء! ».

وهو أحد الذين لقيهم الشيخ سيدي قاسم الخصاصي، وتبرك بهم مرارا، كما ذكره في "المقصد" وغيره. وقد ترجمه في "الصفوة"؛ فقال: « ومنهم: الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد ابن حكيم الأندلسي، من أهل الأحوال العجيبة، والمحافظة على السنة، وكان الحال يزعجه، فيخبر بالمغيبات، فكان إذا أقبل الغلاء؛ يأتي على أوعية الخبز، ويأكل ما فيها أكلا عنيفا، ويقول للفران: أغلق فرانك! . ويصيح عليه. فيظهر عند ذلك الغلاء وتنسد الأفران. ودخل يوما على سيدي عبد الرحمن الفاسي وهو في وجد عظيم، يعض على يديه ويصيح: الله الله. فقال له سيدي عبد الرحمن: أين لوحك يا سيدي حكيم؟. فلما قال له ذلك؛ سُرِيَ عنه ورجع إلى حسه، وقال له: يا سيدي؛ نذهب نأتي باللوح. فذهب فجاء به سريعا، وأخذ يعرض عليه، ولما ذهب ليأتي به؛ قال سيدي عبد الرحمن لأصحابه: قد أطرتها له. يعني: السكرة – أطارها له بكلامه معه على اللوح. ومن كراماته: أن ولده كان يشكو له فاقتهم؛ فيقول له: ها فلانة ابنتك! . ويشير إليها؛ فلا يفقه. فإذا بها

تزوجت أزواجا ذوي أموال عريضة، وورثتهم واحدا بعد واحد، وأتت والدها بأموالهم... صحب صاحب الترجمة - أولا - سيدي رضوان، ولم يزل يتردد في آخر أمره لأبي زيد الفاسي ويستفيد منه إلى أن توفي عام سبعة وعشرين وألف)).هـ.

وقال في "الممتع": ((توفي - رضي الله عنه - في إحدى الجمادين سنة سبع وعشرين وألف، ودفن بداخل روضة سيدي أبي زيد الهزميري - نفعنا الله به)).هـ. ترجمه فيه، وكذا في "المقصد"، و"الممتع"، و"الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم".

[473- سيدي علي الركراكي]

وإليه وإلى الذي قبله، مع رجل آخر ثالث يقال له: سيدي علي الركراكي أشار الشيخ المدرع في منظومته - بعد ما تقدم عنه في أبي زيد الهزميري - بقوله:

ومعه في الحوش ثلاثة وهم	عليٌّ الركراكي فاسمع عدَّهم
كذا الحكيم واسمه: محمد	والثالث السراج نعم الأمجد

[474- قاضي الجماعة سيدي عبد الواحد بن أحمد الحُمَيْدي]
(ت: 1003)

[59] ومنهم: الشيخ الإمام العلامة، المشارك القدوة الفهامة، الحافظ الكبير، والعَلَم الشهير، قاضي الجماعة بفاس، وخطيب جامع السلطان بالمدينة البيضاء؛ أبو محمد وأبو مالك سيدي عبد الواحد بن أحمد[1] الحُمَيْدي (بصيغة التصغير)، والحُميديون: بيت فقه بفاس.

قال في "المطمح": ((إمام كبير، وعلم شهير، حامل لواء المذهب، وإليه كان المرجع في المسائل الفقهية بالمغرب، مع المشاركة في كثير من الفنون، أكب على تدريس مختصر خليل مدة طويلة، فتخرج به جماعة من الفضلاء)).

((يُذكر أنه كان يتطلب العلم في ابتداء أمره، ثم تركه واتخذ حانوتا للتجارة يبيع فيها الثياب الخلقة بالسوق المعروف لذلك بفاس، ثم وقع له واقع لم يحضرني الآن تفصيله؛ أزعجه إلى حيثُ الطلب، وتداركه قبل الفوت. وكانت ولادته سنة ثلاث وتسعمائة...)).هـ.

---

[1] كذا عند غير واحد: أحمد. مؤلف.

ثم قال في "المـَطمَح": «تولى صاحب الترجمة القضاء بفاس، في ولاية السلطان المتوكل عبد الله بن الشيخ، سنة سبعين وتسعمائة، واستمر إلى أن توفي تاسع ربيع الثاني سنة ثلاث وألف، ودفن داخل باب الفتوح من فاس بروضة الشيخ أبي زيد الهزميري، وأجازه نجم الدين الغيطي، وذكره الشيخ المنجور فيمن أخذ عنهم وأخذ عنه، ولازم الشيخين الجليلين الشهيدين القاضيين أبا محمد عبد الواحد ابن الإمام المتبحر أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، وأبا محمد عبد الوهاب بن محمد ابن الإمام الأوحد الرحال المحقق أبي الحسن علي بن قاسم التجيبي؛ المعروف بالزقاق. . .» . هـ.

ثم ذكر في "المطمح" أنه: أخذ عنه خلائق؛ كالعارف الفاسي، وأخيه الشيخ أبي المحاسن، وأولاده: أبي الحسن وأبي العباس وأبي عبد الله العربي. والقاضي عبد العزيز المركني، والقاضي إبراهيم الكلالي. والقاضي ابن أبي النعيم، والشيخ الحسن الزناتي وأخيه أبي العباس. . . فراجعه.

وفي "الصفوة" نقلا عن "تكميل الديباج" لسيدي أحمد بابا: «كان عالما بالفقه، مستحضرا لمسائل توضيح خليل، مُلوكي الخزانة، حسن الأخلاق، دؤوبا على الإقراء مع كثرة شغله، تولى القضاء أزيد من ثلاثين سنة، وأقرأ الفقه والتفسير وغيرهما، وكان بينه وبين الشيخ المنجور منافسة » . هـ.

ثم قال في "الصفوة": « وقال صاحب "الفوائد": كان صاحب الترجمة واسع الخلق، كثير الانبساط، حتى كان يقول لفقهاء فاس: كلكم نوبوا عني فافصلوا! » . هـ.

وذكر ابن القاضي في "الجذوة" أنه: كان حافظا لمذهب مالك. إلا أنه لمزه بما يعلم بالوقوف عليه، والظن أنه بريء مما لمزه به. قال بعضهم: «لا يقبل ما ذكره ابن القاضي فيه. . قال: [60] والذي أدركنا عليه الأيمة المعتبر بقولهم من أشياخنا وأشياخهم. . . وهلم جرا: أن الحميدي المذكور إمام ثقة مأمون، من قضاة العدل، بل أعدل قضاة المغرب في زمانه، وأورعهم، ولعدله طالت مدة ولايته بحيث لم تطل مدة غيره بفاس قبله مثل ما طالت ولايته؛ إلا القاضي المكناسي اليفرني، وقد أكثر علماء فاس – فيما جرى به العمل عندهم من رأيهم – من النقل عن القاضي الحميدي المذكور. . . » . هـ. وقال في "التقاط الدرر" بعد ذكره: « رأس في العلم، عدل في أحكامه، بارع في الأدب والسياسة، جيد التدريس » . هـ. والله أعلم.

توفي – رحمه الله – عشية يوم السبت ثامن أو تاسع أو ثامن عشر ربيع الثاني عام ثلاثة وألف. قال بعض: « ودفن من غده بعد صلاة الظهر بروضة سيدي أبي زيد خارج باب مصمودة، وحضر جنازته الخليفة محمد الشيخ[1] بن السلطان أحمد المنصور، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه، وكان

---

[1]. يقال له: محمد المأمون؛ ويعرف بالشيخ. مؤلف.

يوما عظيما، خلت الديار من النساء والأولاد، فضلا عن الرجال، لحضور جنازته، حتى كاد الناس يقتتلون من شدة الازدحام، وصلى عليه سيدي يحيى السراج »، هـ.

وممن ترجمه زيادة على من تقدم التصريح بالنقل عنه: صاحب "نشر المثاني"؛ وأطال في ترجمته، وصاحب "درة الحجال"؛ إلا أنه لم يذكر وفاته؛ لكونه كان حيا زمن تأليفه. وذكره - أيضا - غير واحد ممن ألف في الشيخ أبي المحاسن وأخيه العارف وعدوه من أشياخهما.

[475- القاضي سيدي أبو القاسم بن قاسم ابن سودة المري] (ت: 1004)

ومنهم: الشيخ الإمام، الأوحد الهمام، الصدر الشهير، الأستاذ الكبير، ذو الشيم المرضية، والسير المحمودة الزكية، العلامة المتفنن، النوازلي المتقن، القاضي العدل؛ أبو القاسم بن أبي محمد قاسم بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة المري الغرناطي.

كان - رحمه الله - عارفا بالفقه والمنطق والأصول، ولي القضاء بمراكش في ثالث رمضان عام ثلاثة بعد الألف، فمرض في تلك الأيام، ثم من العام القابل في تاسع شوال منه بعثه السلطان أبو العباس المنصور؛ المعروف بالذهبي. إلى فاس بلده، فبلغها يوم الأحد موفي عشرين من شوال عام أربعة وألف؛ فاستمر مرضه إلى أن توفي لخمس وعشرين مضت من ذلك الشهر - رحمة الله عليه.

وكان قبل ذلك ولي قضاء تازة حاضرة بلاد مكناسة من بلاد وادي ملوية، وقضاء بلاد زمور، وقبائل بني حسن من عمل مكناسة الزيتون، وحمدت سيرته في القضاء، مع التعفف والنسك وحسن الأحوال. وكان سكناه بالدرب المسمى الآن بدرب القاضي من عدوة فاس القرويين، وإليه إضافته، وبقي به أولاده من بعده إلى الآن.

أخذ عن سيدي رضوان الجنوي، والقاضي الحميدي. . . وغيرهما.

وأخذ عنه [61] خلق لا يحصون بفاس؛ من أجلهم: أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي، وكذلك أخذ عنه جماعة بمكناسة الزيتون، ومراكش، وتازة. . . وغيرها من بلاد المغرب.

وتوفي - رحمه الله - بفاس في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شوال عام أربعة وألف، ودفن بجوار سيدي أبي زيد الهزميري.

ترجمه في "المطمح"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الروضة المقصودة". . . وغيرها.

[476- الفقيه سيدي موسى بن محمد التسولي]
(ت: 716)

ومنهم: الشيخ الولي الصالح، الزاهد الورع الناصح، أبو عمران سيدي موسى التسولي.

ترجمه ابن القاضي في "جذوة الاقتباس"، و"درة الحجال"، فقال فيهما: « موسى بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي بكر التسولي؛ الشيخ الصالح، المدرس الورع الأستاذ؛ شيخ ابن الأزرق مؤلف كتاب "الحلال والحرام". توفي بمدينة فاس سنة ست عشرة وسبعمائة، ودفن بمقربة من مسجد الصابرين داخل باب الجيزيين قرب أبي زيد الهزميري ».هـ.

وفي "نفح الطيب" للإمام المقري لما عرف بجده أبي عبد الله محمد بن أحمد القرشي التلمساني؛ عرف بالمقري، وتعرض لذكر بعض فوائده؛ ما نصه: « وقال - رحمه الله - حدثت أن أبا زيد الهزميري بعث إلى أبي عمران التسولي؛ وكان كثير الصلاة: أنه لم يبق بينك وبين الله حجاب إلا الركيعات!. فرجع إليه ما معناه: ان الاتصال كان منها؛ فلا كان يوم الانفصال عنها!. يعني: من رزق من باب؛ فليلزمه! ».هـ. وفي خط بعضهم ما نصه: «وفي سنة ست عشرة وسبعمائة، ليلة الخميس السادس لشهر رمضان المعظم، توفي الشيخ الصالح الزاهد، الورع المبارك، أبو عمران موسى بن أبي بكر التسولي - رحمه الله ».

وفي "التنبيه" لابن عيشون ما نصه: « ومنهم: سيدي أبو عمران التسولي، خارج باب روضة سيدي أبي زيد الهزميري، يجعله الزائر الواقف على باب روضة سيدي أبي زيد على كتفه الأيمن ».هـ. وقبره الآن غير معروف.

[477، 478- سيدي أبو ضراعة وسيدي القصار]

وإليه مع رجلين آخرين؛ يقال لأحدهما: سيدي أبو ضراعة، وللآخر سيدي القصار يشير الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس، بعد ذكره لسيدي أبي زيد الهزميري وبعض من دفن معه داخل حوشه؛ بقوله:

واذكر ثلاثة إزاء الباب	أبو ضراعة من الأحباب
إمامنا القصار عز الدين	بحر العلوم علم التبيين
وزد أبا عمران التسولي	وكلهم من جلة الفحول

[479- شيخ الإسلام سيدي محمد بن قاسم القَصَّار]

(ت: 1012)

ولم أدر من هذا القصار الذي أشار إليه ووصفه بما ذكر؟!. فإن أراد به كما قد يتوهم: الشيخ الشهير، العالم الكبير، قدوة الأنام، وحجة الإسلام، النسابة الواعية [62]، الحافظ الراوية، إمام الأعصار والأمصار، مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها، ومحدث المغرب في وقته؛ أبا عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن علي؛ الملقب بالقصار، القيسي الأندلسي، الغرناطي الأصل، الفاسي المنشأ والدار، المتوفى في رمضان سنة اثنتي عشرة وألف؛ فقد ذكروا أنه: توفي في ذهابه إلى مراكش بزاوية ابن ساسي وحمل إلى مراكش، فدفن بها بإزاء باب روضة سيدي أبي العباس السبتي، وهو -- رضي الله عنه -- من أخص أصحاب إمام أهل الزهد والورع في زمانه الشيخ رضوان الجنوي، وأورع الناس وأزهدهم، وأحب الناس في آل البيت الكرام، ولم يتزوج إلا منهم، وكان يقرئ في اثنين وعشرين علما -- رضي الله عنه، ونفعنا به -- وترجمته واسعة جدا، ينظر بعضها من أراده في "الصفوة"، و"النشر".

[480- الفقيه المكاشف سيدي أبو موسى العَجيسي]

(ت: القرن التاسع)

ومنهم: الشيخ الفقيه، المقرئ النبيه، الولي الكبير، المكاشف الشهير؛ سيدي أبو موسى العجيسي.

كان -- رحمه الله -- من أهل الكشف والصلاح، والولاية والفلاح، وهو شيخ أبي العباس السراج -- والد سيدي يحيى السراج، أحد أصحاب سيدي محمد بن عباد.

وقد أورده سيدي يحيى المذكور في فهرسته في ترجمة والده، وأثنى عليه، وقال: ((سمعت والدي يقول: دخلت يوما قبل التزوج على الشيخ أبي موسى العجيسي، وفي نيتي أن لا أتزوج، فمسح على ظهري، وقال: يا أبا العباس؛ تزوج بها؛ فهاهم في صلبك وفيهم من يحفظ القرآن!. فتزوج. وكان له جماعة من الأولاد، وحفظ ثلاثة منهم القرآن، وقال أيضا: سمعت والدي يقول: إنه اجتمع يوما مع شيخه أبي موسى العجيسي، هو وجماعة من أصحابه في روضة ابتاعها -- أي: اشتراها -- قال: فقلت له: يا سيدي؛ أرجو الله أن يجتمعوا ها هنا. فقال لي: كذلك يكون إن شاء الله -- قال سيدي يحيى: فكان والدي يقول: كل من حضر ذلك الموطن؛ دفن في تلك الروضة، وأرجو أن أكون معهم، فكان كذلك. قال سيدي يحيى: وهذه الروضة بقرب مسجد الصابرين من داخل مدينة فاس، وهي

الآن تسمى بروضة الأنوار؛ لاشتمالها على الشيخ أبي زيد الهزميري وغيره من الأولياء الأبرار، وجماعة من العلماء الأخيار ». هـ.

توفي أبو موسى المذكور عام خمسة وسبعمائة؛ ودفن بالروضة المذكورة.

[481- الأستاذ الفقيه المقرئ سيدي أحمد بن عبد الرحمن المَكْناسي]
(ت: 753)

ومنهم: الولي الصالح، الشهير الواضح؛ أبو العباس سيدي أحمد المَكْناسي.

أورده ابن الخطيب القسمطيني في "أنس الفقير" استطرادا لما ذكر الشيخ أبا زيد الهزميري ودفنه بروضة الأنوار داخل باب الفتوح، قائلا ما نصه: « وسميت: روضة الأنوار؛ لأنها جمعت من أولياء الله كثيرا، وهو – يعني: أبا زيد المذكور – في وسطهم [63]. وآخر من دفن فيها – في غالب ظني – الشيخ الصالح الشهير؛ أبو العباس أحمد المكناسي؛ شيخ الغماري الذي أخذ عنه والدي – رحمه الله – رواية نافع في القراءة، وحدثه برجز ابن بري عنه عن مؤلفه، هكذا وقفت عليه بخط والدي – رحمه الله تعالى – في حدود سنة سبع وأربعين وسبعمائة. وقبره يتبرك به ». هـ.

وأظن أن أبا العباس هذا هو: الشيخ الفقيه، الأستاذ المقرئ النحوي، الراوية الصالح المتبرك به، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اليفرني الجاصي؛ الشهير بالمكناسي.

وقد ترجمه في "جذوة الاقتباس"؛ فقال: « أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني؛ الشهير بالمكناسي: أخو أبي الحسن الطنجي؛ شيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان السَطي. كان أستاذا فقيها، أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الأنصاري المالقي الضرير؛ الشهير بابن قاسم، نزيل مكناسة الزيتون، رحل إليه من مدينة فاس إلى مكناسة للأخذ عنه، ولما قفل إلى بلده مدينة فاس؛ صار يدعى بالمكناسي لذلك ».

« ومن شيوخه أيضا: ابن الزبير، وابن سليمان، والواد آشي، وابن هاني؛ تلميذ ابن الشاط، وابن رشيد، وأبو يعقوب البادسي. . . وغيرهم. توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ». هـ.

وترجمه – أيضا – في "درة الحجال"، وفي "نيل الابتهاج"، و"كفاية المحتاج"، وفيها كلها التنصيص على أنه توفي بفاس في السنة المذكورة، وهو أحد أشياخ سيدي ابن عباد شارح "الحكم"؛ قرأ عليه القرآن بحرف نافع، وتفقه عليه في كثير من الجمل لأبي القاسم الزجاجي، وفي كتاب "التسهيل" لابن مالك. . . وغير ذلك.

ومن جملة من أخذ عنه: ولده أبو عبد الله محمد، وعرض عليه جميع رجز الأستاذ أبي الحسن ابن بري، مع الذيل المتصل به. وممن أخذ عنه أيضا: الشيخ الأستاذ أبو محمد عبد الله البادسي، والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد السراج؛ أخو سيدي يحيى السراج؛ تلميذ سيدي ابن عباد، وتلا عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع، وعرض عليه من حفظه: "حرز الأماني" لأبي القاسم الشاطبي، وجميع رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد، وأجاز له إجازة عامة - رضي الله عنه ونفعنا به.

[482- المقرئ سيدي أحمد بن محمد ابن القُس السَّراج]

(ت: 759)

ومنهم: الشيخ المسن البركة الصالح الأستاذ المقرىء الناصح؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد ابن حسن بن يحيى بن عاصم ابن القس (بضم القاف، وكسر السين المهملة). النفزي الحِمْيَري، الرُندي الأصل الفاسي المولد والوفاة، السرّاج معرفة، وبنو السراج: بيت علم ودين بالأندلس، ونسبهم إلى حِمْيَر.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - حسن الخلق، محبا في أهل الخير [64] والصلاح، مجالسا لهم، حسن الظن بالناس كلهم، مواظبا على تلاوة القرآن. وكان له ورد من التنفل في النصف الأخير من الليل، فربما غلبته عيناه عن القيام في بعض الليالي؛ فيأتيه آت يوقظه، يقول له: «أبا العباس؛ قم!». فلما كبر سنه وعجز عن القيام؛ جعل ذلك الورد قراءة في المصحف، وأقرأ القرآن العظيم نحوا من خمس وستين سنة. وكتب بخطه نحوا من ثلاثمائة مصحف.

قرأ على أبي موسى العجيسي، ولازمه كثيرا إلى حين وفاته، وعلى أبي عبد الله الصنهاجي؛ ولازمه وانتفع به، وتردد مرات إلى الشيخ أبي زيد الهزميري وسمع منه، وهو والد سيدي يحيى السراج؛ صاحب سيدي محمد بن عباد، وقد ترجمه ولده المذكور في فهرسته أول من ترجم له فيها، وذكر أنه: «قرأ عليه القرآن دراسة في اللوح، وعرضا عن ظهر قلب، في أوقات مختلفة، وأقام عليه رسم المصحف؛ وكانت له فيه قدم راسخة، وأخذ عنه غير ذلك، وأنه: سمعه يقول: لما دفنت والدتي؛ أتيت إلى أبي زيد الهزميري أسأله الدعاء لي أن يرزقني الله رضاها؛ فلما رآني؛ قال لي قبل أن أسأله: رزقك الله رضاه ورضاها. مرتين أو ثلاثة، قال سيدي يحيى: الشك مني...».

ثم قال: «توفي والدي - رحمه الله - عام تسعة وخمسين وسبعمائة؛ أو في العام بعده، ودفن بالروضة المذكورة - يعني: روضة الأنوار التي بها ضريح سيدي أبي زيد الهزميري - قال: وهو آخر من دفن بها».هـ. يعني: باعتبار أصحاب أبي موسى العجيسي.

وفي "جذوة الاقتباس" ما نصه: «أحمد بن محمد النفزي الحميري الرندي أبو العباس، الشهير بالسراج. الأستاذ المقرئ الصالح، والد الراوية أبي زكرياء يحيى السراج؛ المحدث الرحلة صاحب "الفهرسة" وغيرها، توفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة ». هـ. ونحوه له في "درة الحجال".

[483- الإمام المقرئ النحوي أبو عبد الله محمد بن الحسن الصغير]
(ت: 887)

ومنهم: الشيخ الإمام الشهير، العالم العلامة الكبير، الأستاذ المقرئ الماهر، النحوي المحقق الباهر، الصدر الحجة الأوحد، الفاضل البركة الأعمد، ملحق الأبناء بالآباء، وواسطة عقد الأذكياء النبلاء، السيد الصالح، ذو الأخلاق الحميدة المرضية والنهج الواضح، وحيد دهره، وفريد عصره؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي؛ الشهير بالصغير.

ذكر المنجور في فهرسته أنه: «يذكر أنه ختم عليه القرآن بالقراءات السبع ثلاثمائة طالب ». هـ.
وقال ابن غازي في فهرسته فيه: « ما رأت عيناي [65] قط مثله خلقا وخلقا، وإنصافا، وحرصا على العلم، ورغبة في نشره، واجتهادا في طلبه، وإدمانا على تلاوة التنزيل العزيز، وحسن نغمة بقراءته، وتواضعا، وخشية، ومروءة، وصبرا واحتمالا، وحياء، وصدق لهجة، وسخاء، وإيثارا ومواظبة على قيام الليل، وتبحرا في القراءات وأحكامها. وبلغ في علم النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أترابه ولا من أشياخه، مع المشاركة في سائر العلوم الشرعية، وحسن الإدراك، وقوة الفهم، وحب الخير لجميع المسلمين:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

وربما حسده بعض بُدات تلامذته الأغمار؛ فدفع سيئتهم بحسناته، وصفح عنهم.

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل ». هـ.

ثم ذكر ابن غازي أنه: « لازمه كثيرا وقرأ عليه القرآن ثلاث ختمات، آخرها: للقراءات السبعة، على طريقة الحافظ أبي عمرو الداني، وأنه أخذ عن أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي موسى؛ الشهير بالفلالي، وأبي الحسن علي بن أحمد الورتناجي؛ الشهير بالوهري ».

« **وأدرك من الشيوخ المهرة بفاس:** أبا مهدي عيسى بن علال المصمودي، وأبا القاسم التازغدرتي، وأبا عبد الله العكرمي، وأبا محمد العبدوسي، وابن آملال، وأبا الحسن بن مرشيش، وأبا راشد الحلفاوي، وأبا العباس الفلالي (كذا)، وأبا الحسن الوهري، وأبا القاسم البشري، والشيخ

اللجائي، وأبا القاسم بن فوحَة، وأبا الحسن الأنفاسي، وأبا سالم إبراهيم المعروف بالحاج. . .قال: وحدثني أنه ولد بالحمر من بلاد نبجَة؛ بطن من اثني عشر بطنا من أوربة، عام ثلاثة وثمانمائة. وتوفي بمدينة فاس ليلة يوم الجمعة السادس من شعبان عام سبعة وثمانين وثمانمائة، ودفن على مقربة من قبر ولي الله تعالى الشيخ أبي زيد الهزميري – برد الله تعالى ضريحه)). هـ.

وقال في "جذوة الاقتباس": ((محمد بن الحسين النيجي؛ المدعو بالصغير: الأستاذ. يكنى: أبا عبد الله؛ خطيب جامع الأندلس من مدينة فاس، أخذ عن أبي عبد الله المكرمي وغيره، وأخذ عنه: ابن غازي، وأبو زكرياء يحيى بن بكار، وأبو مهدي عيسى الجمل. . . وغيرهم. توفي سنة سبع وثمانين وثمانمائة، ودفن بقرب مسجد الصابرين)). هـ.

ومسجد الصابرين: تقدم أنه مسجد مبارك كان يأوي إليه أهل الفضل والصلاح، وهو بقرب محل ضريح أبي زيد الهزميري، ويعرف اليوم بروضة أبي مدين. وترجمه – أيضا – في "درة الحجال" بنحو مما له في [66] "الجذوة" وفي "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج" بما ذكره ابن غازي ملخصا، وعده ابن هلال في فهرسته من شيوخه، وأثنى عليه – رضي الله عنه ونفعنا به. . . آمين.

[484– الإمام المقرئ سيدي محمد بن أبي جمعة الهَبطي]
[صاحب "وقف القرآن العزيز"]
(ت: 930)

ومنهم: الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الفقيه الأستاذ المقرئ الكبير، النحوي الفرضي الشهير، الولي الصالح، والعلم الواضح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي جمعة الهبطي؛ منسوب لبلاد الهبط. الصماتي الفاسي، صاحب تقييد "وقف القرآن".

ترجمه في "الجذوة"؛ فقال: ((محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي: الأستاذ صاحب "وقف القرآن" العزيز، توفي بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة)). هـ. وقال في "كفاية المحتاج": ((محمد بن أبي جمعة الهبطي: عالم فاس. توفي عام ثلاثين وتسعمائة)). هـ.

وقد كان – رضي الله عنه – عالم فاس في وقته، فقيها نحويا، فرضيا أستاذا مقرئا، عارفا بالقراءات، مرجوعا إليه فيها، وكان موصوفا بالخير والفلاح، والبركة والصلاح، ذا أحوال عجيبة، وأسرار غريبة.

أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد ابن غازي وغيره.

وأخذ عنه: الأستاذ أبو عبد الله محمد بن علي ابن عدة الأندلسي، وجماعة.

واستقر عمل قراء فاس ومراكش وما والاهما من جميع هذا المغرب الأقصى من زمانه إلى زماننا هذا، على اعتماد ما قيد عنه من وقف القرآن العزيز، وقد قيد عنه ما قيد من ذلك، باعتبار قول من أخذ من شيوخ المقرئين في الوقف والابتداء بمراعاة الإعراب والمعنى، وإن كان قد وقع له في مواضع من ذلك ما وقع مما لا يخلو عنه البشر، من مواقف ضعيفة، وأخرى بعدم الصحة موصوفة، لكن تلقاه قراء المغرب بالقبول، وعملوا عليه في التعلم والتعليم.

وقد وضع العلامة الصوفي البركة أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي؛ شارح "دلائل الخيرات"، موضوعا بين فيه أحكام تلك المواضع سماه "الدرة الغراء في وقف القراء"، وكذلك الشيخ الأستاذ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي ألف في ذلك تأليفا مستقلا، قال فيه ما نصه: « وقد سمعت من شيخنا العلامة أبي زيد مولاي عبد الرحمن بن إدريس المنجرة الشريف – رحمهما الله تعالى – ما حاصله: إن العلامة أبا عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، ورد على محروسة فاس؛ فاجتمع مع الهبطي، فراجعه في بعض الأوقاف المقيدة عنه على جهة إفسادها، وكان الهبطي من أصحاب الأحوال؛ فأخذته الحال، فقال للسنوسي: انظر إلى اللوح المحفوظ [67]؛ فإنها موجودة فيه!. فنظر السنوسي إلى اللوح، وكشف له عنها؛ فرآها فيه كما هي مقيدة عن الهبطي، فلم يسعه إلى التسليم. ثم عمل على قراءة ختمة بمقتضاها على الشيخ الهبطي، وكان ذلك سبب إقبال الناس على ما قيد عنه. هذا حاصل الحكاية، وإن كنت لم أضبطها عنه كل الضبط لطول الزمن وتناسيها من البال ».

« وبعد؛ ففي النفس منها شي. وذلك: أن السنوسي توفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة، وقيل: على رأس تسعمائة، والهبطي الذي قيد عنه ما قيد رأيت لبعضهم أنه: دفين الزربطانة بداخل فاس، وهو توفي سنة ثلاثين وتسعمائة، فيبعد أن يكون السنوسي تلميذه، وإن كان كثير من الشيوخ تأخر وفاتهم عن وفاة تلامذتهم بأزمان، إلا أن الشيخ رحمه الله تعالى – يعني: شيخه السابق – كان يقول لي: إن صاحب الوقف مدفون بقرب قبر الشيخ أبي زيد الهزميري، فإن صح؛ فلعله أب لدفين الزَرَبْطانة أو جده. والله تعالى أعلم ». هـ.

ومراده بالبعض الذي رآه أنه دفين الزربطانة: صاحب "نشر المثاني"، فإنه ذكر ذلك في ترجمة الفقيه أبي عبد الله محمد الهبطي بن الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي قائلا ما نصه: « وليس أحد منهما صاحب تقييد "وقف القرآن العظيم"؛ فإنه: محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي (بالصاد والميم والتاء) كما بخط من يعتمد، وصحح عليه، وتوفي هذا بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة، قاله في "الجذوة"، وقبره معروف بطالعة فاس قرب الزربطانة، وهو ممن أخذ عن الإمام ابن غازي، وعنه قيد الوقف – رحم الله الجميع ». هـ.

ونحوه رأيته مقيدا بخط بعض علماء هذا العصر، وأظنه قلده فيه، والحكاية التي نقلها – أعني: الشيخ ابن عبد السلام – عن شيخه أبي زيد المنجرة، ذكرها – أيضا – والد شيخه المذكور؛ وهو: الشيخ الأستاذ أبو العلاء سيدي إدريس بن محمد المنجرة في شرحه الكبير "للدالية" بعد كلام في الوقف، لكن بسياق آخر، ونقلها عن بعض أئمة تلمسان، وجزم – أيضا – بأن صاحب الوقف هو دفين هذه الروضة بقرب قبر الشيخ الهزميري؛ ونصه: « وجل أهل المغرب إنما يعتنون بما قيد عن الشيخ الإمام محمد بن أبي جمعة الهبطي – دفين باب روضة ولي الله أبي زيد عبد الرحمن الهزميري برأس القليعة من فاس الأندلس، عصري الإمام العالم العامل سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني، وصاحب حكايته؛ وهي: أن الإمام السنوسي المذكور كان دَيْدَنَهُ ودأبه – رحمه الله – ما التقى [68] بأحد اختص بفن له فيه باع أوفر منه إلا وقرأ عليه وأخذ عنه ذلك الفن ».

« ولما التقى بالشيخ الهبطي المذكور؛ سأل منه أن يقرأ عليه القرآن بوقف ما اصطلح عليه من الوقف؛ فأجابه إلى ذلك، وقرأ عليه حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ ﴾. [يونس: 59]، بسورة يونس، فوقف الإمام السنوسي على « لكم »، فأبى الشيخ الهبطي الوقف عليها، ثم عاد الشيخ السنوسي ولم يأب إلا الوقف؛ فمنعه الهبطي، فإذا بالسنوسي رفع رأسه شاخصا بصره إلى السماء؛ فغاب عن حسه قليلا، ثم رجع لحاله، ثم قال: والله لهكذا هي في اللوح المحفوظ – يعني: الوقف بها – أي: بالآية المذكورة – وفق ما ذهب إليه الهبطي، وادعاه رضي الله عنهما – وناهيك بها منقبة لهما. حكى ذلك بعض أئمة تلمسان؛ وهو: الفقيه المشارك، الحاج الأبر الناسك، المجاهد الصوفي؛ أبو عبد الله محمد الموقف، المدعو بابن تاوَزَّنيت (بمثناه فوقية، وألف، وواو مفتوحة، وزاي مشددة مكسورة، ونون ومثناتين تحتية ثم فوقية) ».

« ولا يظن أن الهبطي هذا هو صاحب الشيخ سيدي عبد الله الغزواني، إذ هذا متأخر عن السنوسي بزمان، وقد توهمه بعض أصحابنا؛ حيث أخبر بالقضية، وسمعها عن بعض الأصحاب أيضا، فأنكر ذلك من قبل تأخر الهبطي صاحب الغزواني عن السنوسي ظنا منه أنه ذلك، وكلاهما لا معرفة لهما بتعدد الهبطي، وأنهم ثلاثة: صاحب الحكاية؛ وتقدم محل ترتبه، وصاحب الغزواني؛ وهو: أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن محمد بن أحمد الطنجي؛ المعروف بالهبطي، المتوفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة (بتقديم المثناة) دفين [حوز شفشاون][1] والله أعلم، وثالث: وهو سيدي محمد؛ دفين زرْبطَانَة فرْقاجَة؛ أعلى السياج من فاس القرويين. . . والله أعلم بالصواب ». هـ.

---

[1] كذا بياض، ولعل المكتوب فيه: حوز شفشاون. هـ. مؤلف.

وقال صاحب كتاب "التفكر والاعتبار"؛ وهو: الفقيه الصوفي أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن محمد ابن عطية السلوي الأندلسي ما نصه: « ومنهم: الشيخ الهبطي، توفي سنة تسع وستين وتسعمائة، ودفن بباب صمعة سيدي أبي زيد الهزميري، ذكره الشيخ سيدي عبد الرحمن ابن القاضي، وزرناه معه مرارا ». ومراده به: صاحب الوقف قطعا، لكنه وقع له غلط في وفاته؛ إذ هي: سنة ثلاثين وتسعمائة كما تقدم، وهو الذي في "الجذوة"، و"الدرة"، و"لقط الفرائد"، و"الكفاية"، و"النيل"... وغيرها.

وحينئذ؛ فهؤلاء ثلاثة من شيوخ القراء: الشيخ عبد الرحمن، وابن القاضي، وتلميذ بعض تلامذته [69] سيدي إدريس المنجرة، وولد سيدي إدريس وتلميذه؛ وهو: سيدي عبد الرحمن قد جزموا بأن صاحب الوقف هو دفين روضة الشيخ أبي زيد المذكور، وإليهم المرجع فيه؛ لكونه محل بحثهم، وإماما من أيمة فنهم، وإن اختلفوا هل هو بباب روضته أو صومعته؛ فيمكن الجمع. وممن أشار إلى أنه بباب صومعته: الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس، عند تعرضه لجماعة ممن أقبر بباب الصومعة المذكورة، إلا أنه سماه بسيدي الهابطي، بألف بعد الهاء، ولعلها للإشباع لضرورة الوزن. ونصه:

كذلك الغفريُ ولـي البـاري	أحمدُ المكناسي ذو الفخـار
وسيـدي الصُغيّرُ الأستـاذ	والهابطي إمامنا الملاذ
هنـاك ألحدوا بباب الصومعة	وكلهم حاز العلاء أجمعه

[485- قاضي الجماعة سيدي أحمد بن محمد الزموري]
(ت: 1057)

ومنهم: الشيخ النحوي الفقيه، العالم العلامة النزيه، الحافظ المدرس الخطيب، المشارك المحصل الأديب، قاضي الجماعة بفاس ومفتيها؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد ابن الفقيه الأستاذ العلامة أبي العباس أحمد بن علي الزموري. تقدمت ترجمة جده المذكور عند التعرض لأولياء حومة الدوح.

وكان هو - رحمه الله - عارفا بالنحو، والفقه، تام المشاركة في غيرهما من الفنون، وأعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم، كثير التنقل في التدريس.

ولي القضاء بفاس بعد وفاة القاضي أبي الحسن علي بن الشيخ أبي عبد الله محمد المري، وذلك أواخر رجب سنة ثلاث وخمسين وألف.

وأخذ عن المشايخ المعاصرين له؛ كالعارف الفاسي وغيره.

وأخذ عنه: الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي: سمع عليه "الألفية" ثلاث مرات بما يتعلق بها؛ وخصوصا: " محاذي ابن هشام".

ولد بفاس سنة اثنتي عشرة وألف، وكان يسكن منها بحومة المعادي من عدوة فاس القرويين، وتوفي بها في جمادى الأخيرة سنة سبع وخمسين وألف، ودفن - كما ذكره صاحب كتاب "التفكر والاعتبار" - بقرب سيدي أبي زيد الهزميري - نفعنا الله به - ترجمه في "النشر" وغيره.

[486- سيدي محمد الحصار]
(ت: 1005)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب السائح؛ أبو عبد الله سيدي محمد الحصار.

كان - رحمه الله - بهلولا ينطق بالمغيبات، وكانت تعتريه أحوال الجذب؛ فيسكن تارة ويغيب أخرى. أخذ عن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي.

وتوفي يوم الأحد تاسع جمادى الأولى عام خمسة وألف، وقيل: إنه توفي سنة عشر [70] وألف. قال في "الروض": « ودفن قريبا من روضة سيدي أبي زيد الهزميري، وبني عليه بيت ».هـ. والموجود عليه اليوم إنما هو قوس كبير، وهو القوس الذي في شرقي حوش أبي زيد المذكور، قريبا منه، وهو قريب من السقوط. ثم بعد كتبي هذا سقط ولم يبق له أثر، والأمر لله وحده ما شاء فعل. ترجمه في "الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

وسيدي محمد الحصار — تواترت بفضله الأخبار

[487- العلامة المعقولي محمد بن التاودي ابن سودة المري]
(ت: 1194)

ومنهم: الفقيه العالم المشارك المحصل، الساعي إلى الرشد في طريقه الموصل؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد التاودي بن محمد الطالب ابن سودة المري الأندلسي الفاسي.

كان - رحمه الله - كما رأيته بخط ولد أخيه سيدي العربي: « فقيها مغنيا مشاركا، عارفا بعلم التنجيم والحساب، والهندسة، والحديث، معتنيا بمطالعة الكتب، سريع المراجعة فيها، حافظا لأنقال الأيمة، ومن حفظه: أن جل كلام صاحب "البيان" و"المقدمات" على باله، وكذلك "المنتخب" لابن أبي زمنين، و"التبصرة" للخمي، وكان نحيف الجسم، ربع القامة، مليح اللحية ».هـ.

وترجمه صاحب "الروضة المقصودة"؛ فقال – بعد ما ذكر أنه أخذ عن والده، وسرد كتبا كثيرة مما أخذ عنه – مانصه: «وأجازه والده باللفظ والخط، وكان يحبه ويصطفيه، ويقربه ويجتبيه، وكانت له اليد الطولى في الحساب، والتوقيت، والتعديل، ومعرفة الحدثان، والأجفار، مع جلالة القدر، وحسن الخلق، ولطافة المنزع، وعذوبة الحديث، ورقة الطبع، في همة لا ترضى بما يشين، ومروءة أصفى من الماء المعين، وسهم في المناظرة صائب، وذهن في المباحثة ثاقب، لكنه لم يتفرغ للتدريس في أكثر الأوقات؛ لما كان بصدده من خدمة أبيه في كل ساعة من الساعات، لا يفارقه في الحضر والسفر، ولا يقوم أحد مقامه عنده من البشر؛ لكثرة تأدبه وحزمه، وضبطه ومعرفته بأحواله ».

« سافر معه لحج بيت الله الحرام؛ أداء لما يجب هنالك من كثرة القيام، هو وأخوه البدر الأعز سيدي أبو بكر؛ فحج وزار، وشاهد ما لا يحصى من الأسرار، ولقي من كان بالحرمين والديار المصرية من العلماء العاملين، وأولياء الله الصالحين؛ فتبرك بهم، واقتبس من أنوارهم، وأخذ عنهم، وأجازه أكثرهم [71] فيما يصح عنهم من العلوم والأذكار؛ فظهر عليه مما أودعوه جميل الآثار، ورجع على أحسن هدي، وأحمد سعي، في ظل وارف من رضى الله ووالده، محفوفا بطارف اليمن وتالده، مغفور الزلات، قائما بما يقربه إلى الله زلفى في جميع الأوقات. . . ».

« إلى أن توفي – رحمه الله تعالى – عام أربعة وتسعين (بتقديم المثناة) ومائة وألف، في حياة أبيه – رضي الله عنه – فأسف لفقده أسفا عظيما، ولم يزل يثني عليه في المحافل ثناء جميلا عميما »، انتهى، وانظره؛ فقد ذكر أنه كان حين وفاته بشفشاون، فكتب إليه ابن عمه سيدي علي بن محمد ابن سودة رسالة يعلمه فيها بخبر موته، وفيها أنه توفي في الواحد والعشرين من رجب.

قلت: وفي خط ولد أخيه العلامة سيدي العربي ابن سودة ما نصه: « توفي وهو ابن خمس وثلاثين سنة، ليلة الأربعاء ثالث وعشري رجب عام أربعة وتسعين ومائة وألف، ودفن مع أمه وأخيه عمر بروضة أبي مدين، حيث ضريح ولي الله تعالى أبي زيد الهزميري – نفعنا الله به ».هـ. والله أعلم.

[488– الإمام الشريف سيدي حمدون بن مسعود الطاهري]

(ت: 1191)

ومنهم: الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، المشارك الأبهر، الصدوق المنور، سلالة الأطهار، ونخبة الأخيار، الشريف الأجل الأفضل، المحدث الصوفي الأكمل؛ أبو العباس سيدي أحمد – المدعو: حمدون بن محمد بن حمدون بن مسعود الطاهري الحسني الجوطي.

كان فقيها عالما، مشاركا محدثا، صوفيا خيرا دينا. أخذ عن أبي العباس ابن مبارك، وأبي عبد الله جسوس... وغيرهما، وصحب بوازان القطب مولاي الطيب الوازاني، وسلب له الإرادة بواسطة مقدمه بفاس سيدي قاسم ابن رَحْمُون وبسببه، وانتفع منهما انتفاعا كبيرا، وألف " تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وازان". قال في "الإشراف": « وهو مما يدل على باعه، وكمال اطلاعه». هـ.

وبخط بعضهم ما نصه: «الحمد لله: توفي الشريف المعظم، المحترم المسن، الخطيب بجامع القرويين بحسب النيابة عن الخطباء بها: مولاي حمدون الطاهري الجوطي الحسني، بعد العشاء من يوم الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الثانية، سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بروضة الكتادين، قرب أبي زيد الهزميري، داخل باب الفتوح ».هـ. وأخبرني بعض الشرفاء الطاهريين من أبناء عمه أنه: بروضتهم المجاورة لروضة أبي زيد المذكور، بينهما وبين روضة أبي مدين، وهي التي جعل عليها [72] في هذا الوقت سور جديد يدور بها.

ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" وغيرها، إلا أنه في "سلوك الطريق الوارية" ذكر أنه: « توفي عام خمسة وتسعين ومائة وألف »، وما تقدم هو الذي في "الإشراف" وغيره... والله أعلم.

[489- شيخ الإسلام سيدي محمد بن أحمد ابن غازي العثماني]
(ت: 919)

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة الهمام، شيخ الإسلام والدين، وبقية العلماء المجتهدين، حصن الملهوفين والطالبين، وملجأ سائر القراء والراغبين، السيد الصالح، والقدوة الناصح، ذو المورد الروي، والمجلس الفسيح البهي، الحافظ الراوية المكثار، المحرر لما انبهم على كثير من النظار، خاتمة العلماء، وآخر الأعيان النبلاء؛ شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن غازي العثماني النسب – نسبة إلى بني عثمان؛ قبيل من كتامة الهبط، المكناسي المولد والمنشأ، الفاسي الاستيطان والوفاة.

قال فيه الشريف أبو عبد الله سيدي محمد ابن التلمساني في "حاشية الشفا": «شيخنا، وبركة قطرنا، وعالم عصرنا، الإمام المتفنن، الذي لم يسمح الزمان بمثله ».هـ. وقال في "نيل الابتهاج": «محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي؛ نزيل فاس، شيخ الجماعة بها، الإمام العلامة المتبحر، الحافظ الحجة، النظار المحقق الخطيب، جامع أشتات الفضائل، محط رحال العلماء الأماثل، خاتمة العلماء بالمغرب وآخر المحققين به، صاحب التصانيف العجيبة المفيدة...».

«قال تلميذه الشيخ عبد الواحد الونشريسي: هو شيخنا الإمام العالم الأثير؛ السيد أبو عبد الله ابن غازي رحمه الله. كان إماما مقرئا، مجودا صدرا في القراءات، متقنا فيها، عارفا بوجوهها. وعللها والراجح منها، طيب النغمة، قائما بعلم التفسير والفقه والعربية، متقدما فيها، عارفا بوجوهها ومتقدما في الحديث، حافظا له، واقفا على أحوال رجاله، وطبقاتهم، ضابطا لذلك كله، معتنيا به، ذاكرا للسير والمغازي، والتواريخ والآداب، فاق في ذلك كله أهل زمانه».

«ولد بمكناسة الزيتون، وأخذ العلم بها، وبفاس عن مشايخ جلة؛ منهم: الأستاذ أبو عبد الله محمد الصغير النيجي، والفقيه العلامة أبو عبد الله القوري... وغيرهما ممن تضمنه برنامج شيوخه، أنفق أيام حياته في طلب العلم وإقرائه، والعكوف على تقييده ونشره».

«ألف في القراءات، والحديث والفقه، والعربية والفرائض، والحساب [73] والعروض... وغير ذلك تآليف نبيلة، وولي الخطابة بمكناسة، ثم بالمدينة البيضاء من فاس، ثم ولي آخرا الخطابة والإمامة بجامع القرويين من فاس، ولم يكن في عصره أخطب منه، وكان يُسْمِعُ في كل شهر رمضان صحيح البخاري، وله عليه تقييد نبيل، وتخرج بين يديه عامة طلبة فاس وغيرها، وارتحل الناس إلى الأخذ عنه، وتنافسوا في ذلك. وكان عذب المنطق، حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان، عارفا بصناعة التدريس، ممتع المجالسة، جميل الصحبة، سري الهمة، نقي الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة، عذب المفاكهة، معظما عند الخاصة والجمهور، حضرت مجالس إقرائه في الفقه، والعربية والتفسير، والحديث... وغيرها، وكلها في غاية الاحتفال».

«*وبالجملة:* فهو آخر المقرئين، وخاتمة المحققين، ولم يزل باذل النصيحة للمسلمين، محرضا لهم في خطبه، ومجالس إقرائه، على الجهاد والاعتناء بأموره، وحضر فيه بنفسه في مواقف عديدة، ورابط مرات كثيرة، وخرج في آخر عمره لقصر كتامة بقصد الحراسة؛ فألم به مرض؛ فآب لفاس، واستمر به مرضه إلى أن توفي بها إثر صلاة الظهر من يوم الأربعاء تاسع شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة، ودفن بالموضع المعروف بالكغادين من عدوة فاس الأندلس، صبيحة يوم الخميس التالي له، واحتفل الناس بحضور جنازته احتفالا عظيما؛ حضرها السلطان، ووجوه دولته فمن دونه، وأتبعوه ذكرا حسنا، وثناء جميلا، وتأسفوا لفقده تأسفا عظيما - رحمه الله ونفع به. انتهى من خط صاحبنا المؤرخ محمد بن يعقوب الأديب قائلا: نقلته من خط سيدي عبد الواحد - يعني: الونشريسي - رحمه الله...». انتهى المراد من كلام "النيل".

وقال في "الروض": «كان إماما عالما، مشاركا متفننا، محققا متقنا، مرجوعا إليه في سائر العلوم؛ خصوصا القراءات، والفقه والعربية والحساب، وإليه اليوم ينتهي سندها بفاس، وهو شيخ الجماعة

بها، وتخرج به كثير، وانتفع به جم غفير، واستوطن فاسا سنة إحدى وتسعين وثمانمائة، فجعل خطيبا وإماما بجامع القرويين إلى أن مات، وكان دينا خيرا، فاضلا ورعا زاهدا، توفي - رضي الله عنه - عشية يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة، ودفن قرب وادي الزيتون ومقابر الشرفاء الطاهرين، وكانت ولادته في حدود أربعين وثمانمائة ». انتهى.

وقد أطنب الناس هاهنا في الثناء عليه وذكر أوصافه [74] الجميلة، ونعوته الكاملة الجليلة، وهو أعرف من أن يُعرف به وأشهر، وأرفع مكانة وأعز وأبهر، ومرتبته في العلوم والمعارف شهيرة، ومشاركته وتبحره فيهما أجلى من شمس الظهيرة، حتى قيل:

تكلم في الحقيقة والمجاز فما في الأرض مثلك يا ابنَ غازي

رضي الله عنه ونفعنا [به].

وقد أخذ عنه وانتفع به من لا يحصى كثرة من فقهاء فاس وغيرها؛ كأبي عبد الله ابن العباس، وأبي العباس الدقون، والمفتي علي ابن هارون، وعبد الواحد الوَنْشَرِيسِي، وشَقْرُون بن أبي جُمْعة الوَهراني؛ وله في رثائه قصيدة مليحة في جَلَبها طول.

وألف - رحمه الله - تصانيف عجيبة جليلة؛ منها: حاشيته على خليل؛ المسماة "شفاء الغليل في حل مُقفَل خليل"؛ بين فيها مواضع مشكلة منه، ونبه على ما سها فيه بهرام، وهي من أحسن الحواشي، عم نفعها شرقا وغربا. ومنها: "تكميل التقييد، وتحليل التعقيد" على "المدونة"؛ كمل به تقييد أبي الحسن الزَرْوِيلي، مع حل عُقَد ابن عرفة في ثلاثة أسفار، ويذكر أن بعض معاصريه من أهل فاس كان يقول: أما التكميل فكمل، وأمَا التحليل فما حلل! ». و"الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"؛ ألفه في التعريف بأخبار بلده المذكورة ومشايخه وقومه، و"إرشاد اللبيب إلى مقاصد الحبيب"، و"المسائل الحسان المرفوعة إلى بر فاس والجزائر وتلمسان"، وفهرسته المسماة "بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد"؛ ذكر فيها مروياته، وكل من لقي من المشايخ. . . إلى غير ذلك من تآليفه الشهيرة.

وذكر البدر القرافي في "التوشيح" أنه لم يقف على تاريخ مولده، وسبق قريبا عن "الروض" أنه ولد في حدود أربعين وثمانمائة، وفي "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج" نقلا عن المنجور في فهرسته أنه: ولد عام أحد وأربعين وثمانمائة. وذكر في "درة الحجال"، و"جذوة الاقتباس" أنه ولد بمكناسة الزيتون سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. قال فيهما: « هكذا وجدت له في "الروض الهتون"؛ وهو خلاف ما ذكره شيخنا أبو العباس المنجور في فهرسته، ناقلا له عن بعض الأصحاب، كأنه - رحمه الله - لم يقف على ما له في "الروض الهتون" ». هـ.

قلت: الصواب ما ذكره المنجور، وهذا الذي نقله ابن القاضي عن "الروض الهتون"، ولعله وقع له في نسخته منه تحرف، ونص ما رأيته فيه آخره: «نشأت بهذه المدينة – يعني: مكناسة الزيتون – كما نشأ بها أسلافي، وقرأت بها، ثم ارتحلت إلى مدينة فاس [75] في طلب العلم، أظنه سنة ثمان وخمسين وثمانمائة، فأقمت بها ما شاء الله، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها "بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد"، ثم عدت إلى مدينة مكناسة؛ فأقمت بها بين أهلي وعشيرتي زمانا، ثم انتقلت إلى مدينة فاس – كلأها الله تعالى؛ فاستوطنتها:

وكان ما كان مما لست أذكره	فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
وإنما الدنيا قنطرة للعباد	يعبرون عليها ليوم المعاد»

انتهى. فراجعه. وكان سكناه بفاس بعد انتقاله إليها بحومة البليدة.

وفي آخر عمره حَرَّكَ[1] مع السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي للإغارة على الكفرة بأصيلا؛ فاعتراه مرض في إيابه؛ فحمل مريضا إلى منزله بفاس، فلما وصل إلى الموضع المعروف بعقبة المساجن من حوز فاس؛ اشتد به الحال؛ فأناخ به أصحابه هناك لإراحته، فبينما هو كذلك إذ مر به الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله الغزواني في سلسلة، إذ كان السلطان المذكور قد اعتقله وأمر بإشخاصه إلى فاس، فلقيه هناك الإمام ابن غازي، وطلب منه الدعاء له، وانصرف، فلما غاب عنه؛ قال ابن غازي لأصحابه: «احفظوا وصيتي فإني راحل عنكم إلى الله عز وجل بلا شك؛ لأن الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني وليا من أوليائه، وقد رأيته الساعة، فدلني ذلك على انقضاء أجلي!». فحملوه من ساعتهم إلى منزله من فاس، ومات بها.

وكانت وفاته – كما تقدم، وكما نقله البدر القرافي في "التوشيح" عن الفقيه شقرون ابن أبي جمعة الوهراني – عشية يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة، ودفن من الغد يوم الخميس. قال في "الجذوة": «بالكفادين داخل مدينة فاس، بإزاء أبي عبد الله القوري، وأبي الفرج الطنجي». هـ. ونحوه له في "درة الحجال". وفيه تجوز؛ فإن ضريح صاحب الترجمة بأول الكفادين مما يلي الروضة المعروفة بروضة أبي مدين، أسفل منها، عن يمين المارفي الطريق المتصلة بها – كما يفيده كلام غير واحد – عند الباب الحمراء نفسها. وكان قبر صاحب الترجمة مهملا لا بناء عليه، ثم إنه في صفر من عام خمسة وأربعين وألف وضع نقش على رأسه ليعلم بأنه قبره؛ وفيه:

فهذا ضريح الإمام الهمام	عَنَيْتُ: ابن غازي سراج النظام [76]

---

[1] أي: خرج معه في حركته: جيشه.

ثم بعد ذلك انتدب بعض الفضلاء لقبره؛ فبنى عليه بناء جيدا دائرا بالقبر، وكتب عليه:

مرغ الجيد والحزمْ	تربة ابن غازي الأنوهْ
وبه الرحمنَ فسألْ	تلفَ بالقبول حُظوهْ
وبنقط كل شطر	بعد ذا وفاة قدْرهْ
روضةِ سقاه ربي	من قوام السر صفوهْ
جنة الرضوان وافي	إذ حبا بالجود عفوهْ

ثم انهدم هذا البناء، وجدد عليه بناء آخر في هذا العصر، وقد أسرع إليه الخراب، وعلاه السقوط والذهاب، وإلى الله سبحانه المرجع والمآب.

ترجمه من لا يحصى؛ كابن عسكر في دوحته، وابن القاضي في "الدرة"، و"الجذوة"، وأبي العباس السوداني في "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج"، والبدر القرافي في "التوشيح"، وصاحب "الروض" . . . وغيرهم. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

كذا ابن غازيّ المحقق الشهير	العالم العلامة البحر الخطير
نعْمَ الإمام الجامعُ الدرايهْ	مُعْتَمَدُ السلف في الروايهْ
لَه تآليف بدت مشهورةَ	تنبئ عن علاه بالضرورة

[490- العلامة سيدي محمد(غازي) بن أحمد ابن غازي العثماني]
(ت: 943)

وخلف – رحمه الله – ولده محمد؛ المدعو: غازي. ولي إمامة القرويين والخطابة بها بعد والده المذكور.

وكان فقيها نحويا بارعا في النحو، أستاذا، أم بجامع القرويين أزيد من عشرين سنة، ولم يحفظ عنه فيها سهو قط في الصلاة. أخذ عن أبيه وغيره، وأخذ عنه هو خلائق.

توفي يوم الأحد، أول يوم من ربيع الثاني، ودفن من الغد؛ وهو يوم الاثنين سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة. وولي الخطابة بعده أبو الحسن ابن هارون. ترجمه جماعة؛ منهم صاحب "الجذوة"، وصاحب "النيل" . ولم أقف الآن على تعيين مدفنه، وربما يكون مع والده في هذا المحل. والله أعلم.

[491- القاضي سيدي أحمد بن علي ابن القاضي المكناسي]
(ت: 955)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة النزيه، القاضي الأعدل؛ أبو العباس سيدي أحمد بن علي بن عبد الرحمن ابن الشيخ الفقيه القاضي الأعدل، الخير الدين؛ أبي العز ابن أبي العافية المكناسي؛ الشهير بابن القاضي. والد السيدة آمنة بنت القاضي؛ تلميذة سيدي علي الصنهاجي دفين خارج باب الفتوح وضجيعته، وسيأتي ترجمتها إن شاء الله هنالك.

أخذ والدها المذكور - صاحب الترجمة - عن ابن غازي وغيره، وتولى القضاء [77] بمكناسة الزيتون، وكانت له معرفة بالفقه المالكي.

قال في "الجذوة": « توفي بمدينة فاس المحروسة سنة خمس وخمسين وتسعمائة، ودفن بإزاء قبر الولي الصالح أبي عبد الله محمد ابن غازي - رحمة الله على جميعهم ». هـ. ترجمه فيها وفي "درة الحجال". قال في "ابتهاج القلوب": « وبسبب قضاء أبي المعز المذكور؛ جرى عليهم لقب ابن القاضي فيما نظن ». هـ.

تنبيه: صاحب الترجمة هذا: والد جد أبي العباس ابن القاضي مؤلف "الجذوة"، وأبو العباس هذا تأتي ترجمته - إن شاء الله تعالى - بعد هذا عند التعرض لرجال باب الجيسة.

[492- العلامة سيدي (محمد ابن غازي) بن محمد الخياط الدكالي المشنزائي]
(ت: 1184)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة المدرس الوجيه، الناظم الناثر، الأصيل المآثر؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) - الشهير بابن غازي؛ لكونه من ذرية ابنة الإمام ابن غازي - ابن محمد الخياط ابن أبي الفضل قاسم بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن محمد (مكررا ثلاث مرات) ابن إبراهيم بن أبي عمران موسى الدكالي المشنزائي. (بنون بين الشين المعجمة والزاي). الفاسي. من أولاد: ابن إبراهيم الدكاليين، منسوبون إلى دكالة؛ بطن من هلال بن عامر بن صعصعة، يتصل نسبهم بمضر بن نزار بن معد بن عدنان. ثم هم منسوبون إلى مشنزاءة؛ وهي قبيلة من قبائل عرب دكالة، كان لهم الصيت العالي بين القبائل، وفيهم جماعة من المشاهير.

وبيت صاحب الترجمة فيهم بيت علم وصلاح، ودين وأدب وحَسَب، ويحكى - كما ذكره في "سلسلة الذهب المنقود" - عن الشيخ زروق أنه كان يقول: « بيت أولاد ابن إبراهيم الدكاليين بفاس

كبيت المرازقة بتلمسان ». هـ. وجدهم: الشيخ العلامة أبو إسحاق إبراهيم المذكور في عمود نسب صاحب الترجمة؛ هو أول قادم منهم لفاس من دكالة، وذلك أوائل المائة التاسعة. وكان سبب قدومه: إرادة الحج؛ فأقام بها. وكان له أولاد أربعة كلهم فقهاء، وكان لهم ولعقبهم بفاس الصيت الكبير، والشهرة التامة.

وكان صاحب الترجمة منهم فقيها حافظا، ضابطا متقنا، ماهرا في العربية، وكان يدرس رسالة ابن أبي زيد بالقرويين بين العشاءين، ويقرأ - أيضا - ألفية ابن مالك، وابن عاشر، ومختصر خليل... وغير ذلك.

وقد أورده تلميذه أبو الربيع الحوات في "ثمرة أُنسي في التعريف بنفسي"؛ فقال بعد ما ذكر أنه قدم فاسا من بلده في طلب العلم ما نصه: « وكان بفاس - على ذلك العهد - جماعة من الأشياخ المعتبرين، والأئمة المحققين. أخذتُ [78] منهم عن الفقيه العلامة الحافظ، خاتمة أئمة الضبط والإتقان وتقييد الشوارد، والقائم على العلوم العربية قياما لا يدرك شأوه... ». ثم ذكره، ثم قال: « وهو من بيت قديم في العلم والعمل، لازمته في العربية وغيرها، مرافقا لولده الفقيه العالم الزكي النزيه سيدي محمد، وابن أخيه الفقيه الأديب الميقاتي بالحضرة السلطانية والمنار القروي أبي العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم بن محمد الخياط ابن إبراهيم، وفقني الله وإياهما. إلى أن توفي سنة أربع وثمانين ومائة وألف. رحمه الله ». هـ.

ورأيت بخطه في بعض مقيداته تحليته بـ: شيخنا المبرز في حلايب الأدب، والمحرز قصب السبق في مضمار الحسب، الناسخ بآي شمسه ليل المشكلات، والسابح بحفظه بحار العقليات والنقليات، المنفرد بتحقيق العلوم العربية انفراده آخر عمره بالمعارف اللدنية، فرع الدوحة التي سقيت بماء المكارم والمعالي؛ أبي عبد الله محمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم ابن إبراهيم الدكالي... ثم قال: « أدركته بالحضرة الإدريسية زمن رحلتي إليها؛ فكان ممن لازمته وانتفعت به، ولا سيما في علوم العربية، وكان يوشح مجالسه بالأبيات الشعرية، والنوادر الأدبية، إلى أحلام أجنبية، وشمائل شمألية. توفي - رحمه الله - في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين ومائة وألف، وكنت رمزت لذلك بقولي:

أسكنه الله قصرا في عليين مكينا

حسبما نقش بجدار مدفنه بالكغادين، جوار أبي عبد الله ابن غازي - رحمهما الله - غير أن به كسرا من حيث الوزن لا يخفى على العارف بالعروض ». انتهى.

وقال في "نشر المثاني": « توفي بفاس في الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة وثمانين ومائة وألف، ودفن إلى جنب قبر الإمام ابن غازي، في الروضة التي بالكمادين، داخل باب الفتوح من فاس الأندلس. . قال: وفيها بعض سلف صاحب الترجمة ». انتهى.

[493- القاضي سيدي أبو القاسم بن محمد الخياط ابن إبراهيم المَشنْزائي]
(ت: 1198)

ومنهم: أخوه الفقيه، العالم النبيه، نائب القضاة بفاس؛ سيدي أبو القاسم بن أبي عبد الله مَحمد الخياط ابن إبراهيم الدكالي.

توفي في سابع ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين ومائة وألف، ودفن قرب مدفن الإمام ابن غازي، بإزائه. ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر".

[494- العالم سيدي أحمد بن محمد الخياط ابن إبراهيم المشنزائي]

ولهما أخ أكبر منهما؛ وهو: الفقيه الأديب، العلامة المؤرخ الأريب، الثبت الثقة، الحاج الأبر؛ أبو العباس سيدي أحمد [79] بن مَحمد الخياط.

كان فقيها علامة، أديبا فاضلا، نزيها لبيبا. أخذ عن الشيخ المسْناوي، وأبي عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد بُرْدُلة. . وغيرهما. وله من التآليف: كتاب "سلسلة الذهب المنقود، في ذكر الأعلام من الأسلاف والجدود". مات قبل إكماله؛ وشرع أخوه السابق أبو عبد الله محمد في إتمامه؛ فلم يتفق له ذلك أيضا، ولم أقف له الآن على وفاة ولا على مدفن.

[495- الإمام المفتي الخطيب سيدي عبد العزيز بن موسى الوَرْياغْلي]
(ت: 880)

ومنهم: الشيخ الفقيه الخطيب، العلامة المدرس الأريب، الصالح البركة الأشهر، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ أبو فارس سيدي عبد العزيز بن موسى الوَرْياغلي.

كان - رحمه الله - فقيها عالما، صالحا زاهدا، ورعا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم. وكان إماما وخطيبا بجامع القرويين، ومفتيا بفاس.

وقد عرف به الشيخ زروق؛ فقال فيه ما نصه: «الفقيه الخطيب البليغ، المصوت الرئيس، كان جلدا في ذات الله، صلبا في دين الله، يلقي نفسه في العظائم ولا يبالي، وله أخبار كثيرة. توفي سنة إحدى وثمانين – يعني: وثمانمائة – ومولده سنة اثنين». هـ. نقله في "نيل الابتهاج".

وفي "المعيار": «عبد العزيز بن موسى الورياغلي: تولى الخطابة والصلاة بالقرويين سنة تسع وسبعين وثمانمائة، واستمر عليها إلى أن توفي يوم السبت غرة شهر رمضان، سنة ثمانين بعده». هـ.

وذكر – أيضا – وفاته صاحب "المعيار" في فهرسته؛ قائلا فيها ما نصه: «وفيها – يعني: السنة المذكورة، التي هي: سنة ثمانين – توفي صاعقة الأرض؛ خطيب جامع القرويين من فاس؛ أبو فارس عبد العزيز بن موسى الورياغلي». هـ.

وسيدي عبد العزيز هذا؛ هو الذي ثارت العامة بفاس على يده على السلطان أبي محمد عبد الحق بن السلطان أبي سعيد المريني؛ فخلعوه وبايعوا لمزوار[1] الشرفاء بفاس: السيد محمد بن علي بن عمران الجوطي، بسبب توليته لليهود عليهم، حتى كانوا يتحكمون في الشرفاء والفقهاء وأكابر الناس بما يريدون من الضرب والسجن وأخذ الأموال.

وكان الشيخ زروق قد ترك الصلاة خلفه؛ لفعلته هذه، وقال: «عبد العزيز الغندور – أي: الشجاع – لا آمنه على صلاتي».

وفي "النقاط الدرر" أثناء كلام جره إليه الحال في التحذير من الخروج على السلاطين ما نصه: «وكان الشيخ زروق لا يصلي خلف إمام القرويين؛ أورع أهل زمانه وأزهدهم: سيدي عبد العزيز الورياغلي؛ لإشارته على أهل فاس بقتل اليهودي [80] الذي ولاه عبد الحق المريني عليهم، بعد أن تجرأ عليهم بالفضائح الكثيرة؛ وكان يقول: أنا لا أصلي خلف سيدي عبد العزيز؛ فإنه غندور[2]. كالمداعب لمن يذكر له شأنه؛ فيجمع بين تعظيمه والتبري منه...». هـ.

قال في "الجذوة": «وحدثني شيخنا أبو راشد أنه: حبس زيتونا على القائل بالقرويين بعد إقامة الصفوف: عدلوا الصفوف رحمكم الله». هـ.

توفي – رحمه الله – بفاس في رمضان يوم السبت، الفاتح له سنة ثمانين وثمانمائة – على ما تقدم عن الونشريسي، وتبعه عليه ابن القاضي في "الجذوة" و"الدرة" – أو سنة إحدى وثمانين – على ما قيده الشيخ زروق – ونقله عنه في "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج" مقتصرا عليه.

([1]) المزوار: النقيب. وهي لفظة ربفية بمعنى كبير الأخوة، أو كبير القوم، أو الرئيس.
([2]) الغندُر: الشجاع والجرئ باللغة العربية.

وفي تأليف لبعض تلامذة صاحب الترجمة في بعض مشاهير أعيان فاس في القديم، بعدما ذكر فيه وفاته كما ذكرها الونشرسي؛ ما نصه: « ودفن في روضة الشيخ الفقيه، الولي الصالح؛ أبي زيد عبد الرحمن الهزميري؛ المتوفى بفاس في سنة سبع وستمائة، ودفن بداخل باب الفتوح من حومة الكغادين. . . ». هـ.

وقال في "لقط الفرائد": « توفي الخطيب أبو فارس عبد الرحمن بن موسى الورياغلي، ودفن بإزاء أبي زيد الهزميري سنة ثمانين وثمانمائة ». هـ.

ورأيت مقيداً بخط بعض الفقهاء من المتأخرين، بعد ذكره، ما نصه: « وقبره هو الذي عن يمين الداخل وعن يسار الخارج من الزاوية، مقابل بابها لروضة الشيخ أبي زيد الهزميري، وبه تعرف الزاوية المذكورة، والقبر الذي بإزائه: هو قبر القاضي المكناسي ». هـ.

ومن خط الفقيه القاضي أبي عبد الله سيدي محمد الطالب ابن الحاج على هامش نسخة من تأليفه "الإشراف"، عند ذكره لوفاة صاحب الترجمة فيه ما نصه: « ودفن بالروضة المقابلة لروضة سيدي أبي زيد الهزميري، عن يمين الداخل، وبه تعرف الروضة المذكورة، وبإزائه قبر القاضي المكناسي ». هـ.

وأظن أن هذه الروضة هي التي بظهر معصرة الزيتون؛ الكائنة عند رأس زاوية سيدي أحمد ابن عبد الله؛ التي بآخر حومة المخفية. . . والله أعلم.

[496- قاضي الجماعة سيدي محمد بن عبد الله ابن القاضي المكناسي] (ت: 917، أو 918)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العلامة النوازلي الهمام، قاضي الجماعة بفاس في وقته، ومفتيها وأعدل القضاة بها؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن محمد – على ما هو الصواب، وهو الذي لابن القاضي في "الجذوة"، و"الدرة"، و"لقط الفرائد"، ولصاحبي "المطمح" و"الدر السني" وغيرهم. خلاف ما عند أبي العباس السوداني في "الكفاية" و"النيل" من أنه: محمد بن أحمد بن عبد الله؛ فإنه وهم – اليفرني [81] المكناسي الفاسي؛ الشهير بالقاضي المكناسي.

أخذ عن الشيخ أبي عبد الله القوري، والفقيه القاضي بفاس محمد بن عيسى بن علال المصمودي. . . وغيرهما.

وكان فقيها فَرَضيا حسابيا. ولِي القضاء بفاس بضعا وثلاثين سنة، ولم يتفق لأحد القضاء بها هذه المدة إلا له، وللقَاضيِ الحميدي، والقاضي أبي محمد عبد القادر بُوخْرِيص؛ إلا أن الأخير مات بعد مكثه به هذه المدة معزولا. وكان مبدأ ولاية صاحب الترجمة له: سنة خمس وثمانين. وكان ذا سياسة وعدل في أحكامه، فاضلا نزيها نبيلا، ومن بيت علم، ومن ذرية أبي الحسن الطنجي؛ المعروف بالمكناسي.

وممن أخذ عنه: أبو العباس الوَنْشَرِيسي؛ صاحب "المعيار"، وكان يحضر مجلسه، وذلك بعد قدومه لفاس. وأخذ عنه أيضا: ولد أبي العباس المذكور: سيدي عبد الواحد الونشريسي، وعلي بن هارون المطغري. . . وغيرهما.

ومن تآليفه: "مجالس القضاة والحكام في الأحكام" في سفر وسط، و"التنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتيون وحَكَمَ به القضاة من الأوهام".

ولد سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، وتوفي بفاس - قاضيا بها، بعد أن قدم مريضا من حَرَكَة طنجة - سنة سبع عشرة وتسعمائة، وقيل: في التي تليها بعدها، ودفن بالكدادين، بإزاء قبر سيدي عبد العزيز الورياغلي، في روضته. ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل". . . وغير ذلك.

تنبيه: قال الشيخ أبو العباس المَنجور في فهرسته في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الواحد الونشريسي ما نصه: « زوجه أبوه سنة عشر أو إحدى عشرة وتسعمائة، فلما أعرس؛ أطلق الفقيه القاضي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليَفرَني المكناسي يده على الشهادة، وقال لأبيه أبي العباس: هذه هديتي لهذا العرس - يعني: الشهادة - وكانت الشهادة عند هذا القاضي عزيزة ومزية كبيرة. كان يقول: من طلبها لي؛ فكأنما خطب مني ابنتي ».

« وأصاب في ذلك؛ لما كان بعض القضاة يقول للشهود: أنتم القضاة ونحن المنفذون. وكذا كان الشأن بتونس قديما وحديثا، وقد عزها وضن بها شيخنا أبو محمد هذا في قضائه، ثم انكسرت الباب لما تولى الفقيه أبو العباس أحمد ابن الفقيه أبي زيد عبد الرحمن الطرون إلى الآن، عدا أول استيلاء أمير المؤمنين مولانا محمد الشيخ المهدي على فاس؛ فإنه صانها فيه مدة مديدة. رحمة الله عليه ». هـ.

[497– شيخ الجماعة سيدي علي بن موسى ابن هارون المطغري]
(ت: 951)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة النزيه، الخطيب المتقن، الأستاذ المتفنن، مفتي فاسٍ وعالمها؛ أبو الحسن سيدي علي بن موسى بن علي [82] بن موسى بن هارون – به عرف – المطغري (بالطاء؛ من مطغرة تلمسان. انتقل منها جده عام ثمانية عشر وثمانمائة) – الفاسي.

كان – رحمه الله – فقيها أستاذا، فرضيا عدديا، مؤقتا مؤرخا، عروضيا مشاركا في غير ذلك من الفنون، منصفا متواضعا، كثير التلاوة وعيادة المرضى، وحضور الجنائز.

تفقه على ابن غازي، ولازمه نيفا وعشرين سنة، وكان قارئه في أكثر دروسه منذ قدم من مكناسة الزيتون سنة إحدى وتسعين وثمانمائة، وجمع عليه السبع، وحصّل عنه علما جما؛ حتى قيل له: خزانة العلم؛ لكثرة فنونه. وأجازه إجازة عامة. وقرأ – أيضا – على أبي العباس الونشريسي، والقاضي المكناسي، وأدرك أبا مهدي الماواسي، وأبا الفرج الطنجي... وغيرهما من طبقتهما.

وتولى الفتيا والتدريس بفاس، والخطابة بجامع القرويين منها. وكان شيخ الجماعة في وقته، تشد إليه الرحال، وأقرأ "المدونة" في حياة ابن غازي بمدرسة الوادي. قال اليسيتني: « وهو أفقه من عبد الواحد الونشريسي؛ لأنه لازم ابن غازي تسعة وعشرين سنة تحقيقا وبحثا، والونشريسي ما خدم الفقه ما يقرب من ذلك؛ وإن كان دراكا سالم الذهن ».هـ.

وكان يحضر مجلسه في مختصر خليل وغيره: عبد الواحد الونشريسي المذكور، واليسيتني، وأبو محمد الزقاق، وأبو عبد الله العبسي، وأبو عبد الله العدي، وأبو راشد اليدري، وأبو العباس المنجور، والشيخ سعيد بن أحمد المقري... وغيرهم. لا يستنكف منهم أحد. والزقاق هو قارئ صحيح البخاري بين يديه في رمضان سنين عديدة. وممن أخذ عنه أيضا: الشيخ سيدي رضوان الجنوي، وقد عده المرابي في "التحفة" من شيوخه؛ قال: « وكان من العلماء الأعلام، الحافظين لشرائع الإسلام ».هـ.

وفي "الدوحة" لابن عسكر: تحليته بالشيخ الفقيه الراوية. ثم قال: « كان من فحول العلماء، وأكابر الفقهاء؛ تفقه على الشيخ ابن غازي، وأخذ عن مشايخ عدة، وتولى الفتيا والتدريس بفاس، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وسمعته يفتي بجواز المغارسة في الأرض المعشرة ».هـ.

وكان – رحمه الله – يقرض الشعر. وله فوائد؛ منها: ما ذكره المنجور في فهرسته قال: « سمعته يقول: من مر على جيفة وأراد أن لا يشم رائحتها؛ فليحسر عن مقدم رأسه، ويزل عليه ما عليه من عمامة أو قلنسوة أو نحوهما عند مروره عليها؛ فإنه لا يشم حينئذ رائحتها. قال المنجور عقبه:

قلت: وقد جربته واستعملته مرارا؛ فوجدته صحيحا كما قال - رحمة الله عليه ». هـ. وفوائده لا ساحل لها.

توفي - رحمه الله - بفاس في ذي [83] القعدة سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، وقد نيف على الثمانين سنة. قال المنجور: « ولا أعلم وقت ولادته ». هـ. وحضر لدفنه السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الوَطاسي، واحتفل الناس لجنازته، ونهبوا أعواد نعشه تبركا، ولم يخلف بعده مثله.

ترجمه غير واحد؛ كتلميذه المنجور في فهرسته؛ وهو ثاني من ترجم فيها، وصاحب "الدوحة"، و"الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"، و"المطمح"، و"الابتهاج"؛ إلا أنهم لم يعينوا محل دفنه.

وفي بعض التقاييد أن ضريحه بالكغادين قريبا من ضريح الإمام ابن غازي، وكثير من الناس اليوم يذكر أنه صاحب القبر الذي عن يسار الطالع من ناحية رأس زاوية المخفية بالطريق، يدور به حَوْش صغير. . .والله أعلم.

[498 - الإمام المجتهد سيدي محمد بن هارون الكناني التونسي]
(ت: 750)

تنبيه: كثير من الناس - بل ومن طلبة العلم - يظن أن هذا هو مختصر "نهاية" الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الأنصاري؛ المعروف بالمتيطي!. وليس كذلك؛ بل مختصر "المتيطية" المذكورة - كما في "كفاية المحتاج" وغيرها - هو: الشيخ الحافظ المجتهد، قاضي الجماعة بتونس؛ أبو عبد الله محمد ابن هارون الكناني التونسي؛ شارح مختصر ابن الحاجب، المتوفى في الوباء عام خمسين وسبعمائة، وولادته سنة ثمانين وستمائة. ونص "كفاية المحتاج" في ترجمته له: « مختصر المتيطية في قدر ثلثها؛ أسقط وثائقها وتكرارها ». هـ. وذكر في صدر ترجمته أن ابن عرفة وصفه ببلوغ درجة الاجتهاد. . . والله أعلم.

[499- الإمام سيدي علي بن قاسم الزَّقاق التَّجيبي]
(ت: 912)

ومنهم: الشيخ الإمام، الأوحد الهمام، الرحال المحقق، العلامة المدقق؛ أبو الحسن سيدي علي بن قاسم بن محمد التُجيبي (بضم التاء وفتحها؛ نسبة إلى تجيب؛ قبيلة باليمن). الفاسي؛ الشهير بالزقاق.

كان - رحمه الله - من فحول العلماء الأعلام، وجهابذة أيمة الإسلام، عارفا بالفقه، متقنا لمختصر خليل، كثير الاعتناء به، والتقييد عليه، والبحث عن مشكلاته، مشاركا في فنون النحو والأصول والحديث، والتفسير والتصوف. . . وغيرها . خيرا دينا، فاضلا، ذا سمت حسن، وهدي مستحسن، مقبلا على ما يعنيه، زوارا للصالحين، كثير التقييد للعلم.

أخذ عن أبي عبد الله القوري، وغيره من شيوخ فاس، وارتحل إلى الأندلس؛ فأخذ بغرناطة عن أبي عبد الله المواق وغيره. وتولى آخر عمره الخطابة بجامع الأندلس، وهو صاحب النظم المشهور "بالزقاقية" في الفقه والأحكام، والنظم الموسوم "بالمنهج المنتخب إلى أصول المذهب" . . وغير ذلك .

ووُجد بخطه في سبب الشهرة بالزقاق ما نصه: «حدثنا بعض شيوخ قرابتي - وهو موثوق به - أن الزقاق ليس يُنسب لصناعة؛ نعم كان جد [84] والد والدي ذا مال ولا يعيش له ذكر؛ فدُل على أن يَسْكُبَ زقا من زيت على ما يتزايد من ذكر له، يسخمه به، ثم يتصدق به؛ فعاش ذو الزق؛ فاشتهر بذلك؛ فبقي في وُلده شهرة ». هـ. وذكر في "الدوحة" وغيرها أن أبا الحسن هذا: هو جد سيدي عبد الوهاب الزقاق.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية في شوال سنة اثنتي عشرة وتسعمائة، وضريحه بالكغادين قريبا من ضريح سيدي أحمد وُ[1] علي السوسي، بالطريق الطالعة من رأس زاوية المخفية، وقد اندثر في هذه الأزمان، ولم يبق له أثر.

ترجمه في "الدوحة"، و"الكفاية"، و"النيل"، و"الجذوة"، و"الدرة" . . . وكذا الشيخ المنجور في شرحه "للمنهج المنتخب"، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته بعد ذكر سيدي احمد وُ علي المذكور؛ فقال:

بقربه الزقاق سيدي علي   العالم المتقن ذو الفقه الجلي

[500- الإمام العارف سيدي أحمد بن موسى السوسي]
(ت: 1046)

ومنهم: السيد العلامة، الدراكة الفهامة، عالم عصره، وسيد أهل دهره، الورع الزاهد، العارف العابد، الشيخ الكبير، المحقق الشهير، المتفق على ديانته وفضله، وكماله ونبله؛ ابو العباس سيدي أحمد وُ علي وُ محمد السوسي (بإقامة الواو مقام (ابن)؛ لغة سوسية)، البوسعيدي، الهشتوكي، الصنهاجي.

---

[1]. وُ: كلمة بالبربرية بمعنى: ابن.

كان – رحمه الله – أحد الأعلام المجتهدين، والأئمة المهتدين، والفضلاء الصالحين، والعلماء العاملين، متفقًا على صلاحه وولايته، ورعا زاهدا، متقشفا مقتصرا على الضرورة من المأكل والمشرب، ولا يتقوت إلا من زرع يحرثه بيده في بُليدَة وهبها له بعض أهل الخير والدين، فيعمل قرصة من العجين، ويجعلها في النار، ويتبلغ بها . . هذا دأبه، مع أن الناس يقصدونه من الآفاق البعيدة بالعطايا الجزيلة، والصدقات الوافرة؛ فلا يمد لذلك عينا، ولا يلقي له بالا .

ويُذكر أن بعض أعيان فاس: أصابه مرض أعيي الأطباء وأتعب الراقين؛ فأشار بعض على المريض بزيارة صاحب الترجمة، فقصده ببيته بالمدرسة المصباحية، وشكا له مرضه المزمن؛ فتناول الشيخ شيئا من دقيقه، ولاتهُ له، وأمره بشربه؛ فعوفي من حينه. فقال له الشيخ: «إن الحلال ترياق الأمراض الصعبة، وما أكل مريض من حلال إلا كان كأنما نشط من عقال!» .هـ .

ومن ورعه – رحمه الله – أنه: كان لا يمر بصحن جامع القرويين؛ لأن بعض ولاة الأمر هو الذي فرشه بالآجُر؛ فكان يتحامى المشي عليه، وإذا أراد الدخول للمسجد المذكور؛ يطلع من مدارج المسَودع الكائن هناك، فينزل منها للمسجد .

ومن ورعه – أيضا – أن الشيخ [85] مَيارة لما شرح "المرشد المعين" الشرح الكبير؛ أتى بالشرح إليه ليكتب له عليه؛ فلما تصفحه استحسنه، لكنه عاب عليه كونه لم يتعرض فيه لشيء من أحوال الدار الآخرة، وكونه إذا عرف فيه بأحد من أشياخه يقول في حقه: القطب، أو العارف بالله. .أو نحو ذلك. وكتب في ذلك رسالة ذكرها بحروفها الشيخ مَيارة آخر شرحه المذكور، وحلاه عند إيرادها: «بالسيد الأجل، العالم العلامة، الدراكة الفهامة، عالم عصره، وسيد أهل وقته، الورع الزاهد، العارف العابد . . . ثم قال: أبقى الله بركته، وعظم حُرمته، ونفعنا به وبأمثاله» .هـ .

وكان – رحمه الله – يُبعد نفسه من أن يتبرك به أو تنسب إليه خصوصية، ولا يألف مخلوقا، ولا يقبل من أحد شيئا، ولا يتلبس من الدنيا إلا بالقليل الذي لا غنى للضرورة البشرية عنه، حتى إنه لم يكن له عدا ثوب واحد، فإذا أراد غسله؛ خرج لوادي الزيتون، فيشق الثوب نصفين؛ فيلتحف بالنصف، ويشتغل بغسل النصف الآخر فإذا جف؛ التحف به وغسل النصف الآخر، فإذا جف خاط الثوب كما كان .

قرأ القرآن ببلده على سيدي محمد بن أحمد البوعقيلي، وقرأ الفقه والعربية على سيدي محمد بن عبد الرحمن الكرسيفي، ولازم الشيخ الصالح سيدي أبا محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحيحي إلى أن مات. قال في تأليفه "بذل المناصحة": «وقد انتفعت به في داره في هذا الأمر انتفاعا يوجب شكره» .هـ . ثم دخل إلى فاس؛ فكان يأوي بالمدرسة المصباحية منها إلى أن توفي .

وقرأ بمراكش - أيضا - على سيدي أحمد بابا السوداني، وصافحه وأجازه، وعلى الشيخ عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، وعلى الفقيه القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم. وأخذ بفاس عن ابن عاشر، وعن الحافظ أبي العباس المقري، ولازم أبا محمد سيدي عبد الرحمن الفاسي؛ فكان يحضر مجالسه كثيرا، فإذا قال له أبو محمد: «أنت في غنى عن قراءتنا!»، قال له: «دعني أحلل مسكني بالمدرسة؛ لِئلا أكون تاركا للقراءة المحَبس عليها سُكنى المدرسة!». هـ.

وألف - رحمه الله - تآليف شهيرة؛ منها: "وُصلة الزلفى في التقرب بآل المصطفى"، و"بذل المناصحة في فعل المصافحة"، وتأليف في التعريف بالعَشَرة الكرام وبالأزواج الطاهرات، وآخر في أهل بدر؛ سماه "إشراق البدر في التعريف بأهل بدر"، وأنظام في مدحه عليه الصلاة والسلام، وغالب كلامه في الورع والوعظ، والإيقاظ والتذكير بأحوال الآخرة، والإنذار بأهوال يوم القيامة. ويتكلم في [86] الحقائق، ويتنازل للغوامض، وله مشاركة واطلاع في العلوم.

ولد في حدود التسعين وتسعمائة، وتوفي ليلة الجمعة ثالث عشر، أو رابع عشر، أو سادس عشر ذي القعدة سِنة ست وأربعين وألف، وأوصى أن يصلى عليه عند القبر؛ إحياء للسنة. وكان هو حَفَرَ قبره وقبّله على حسب ما اقتضاه اجتهاده في القبلة، فجاء منحرفا على القبور التي هو بينها، ودفن بالكغادين بروضة الشرفاء الطاهريين؛ القريبة من وادي الزيتون، عن يمين الطالع من رأس زاوية المخفية. وقبره - رحمه الله - في أولها، قريب من الطريق، وهو معروف إلى الآن، يدور به حوش صغير، فيه محراب صغير، منحرف إلى جهة اليسار.

وكشف عن قبره بعد نحو مائة سنة من دفنه؛ لأمر اقتضاه؛ فوجد صحيحا لم تعد عليه الأرض في شيء من جسده. ترجمه في "الروض"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"...

[501- المقرئ سيدي مَحمد بن يوسف الفاسي الفهري]
(ت: 998)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة النبيه؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وأكبر أولاده.

ولد بالقصر سنة تسع وخمسين وتسعمائة، ونشأ به في حجر أبيه المذكور، وقرأ القرآن وطلب العلم هنالك، وحضر مجالس أبيه. ثم رحل إلى مكناسة وفاس، وقرأ على مشيختهما؛ فاستفاد، وحصل وأفاد، وعلم وانتفع به جماعة من الطلبة. وكان الغالب عليه: علم القرآن والفقه. وكان خيرا دينا، فاضلا رقيق القلب، كثير الخشوع، سريع العبرة، سَمْحا جوادا، كريم النفس، مستطاب الحديث، حسن التلاوة، شجي الصوت، لا يكاد يسمع أحد تلاوته إلا بكى ورق قلبه.

قال في "المرآة": « سكن بفاس إلى أن توفي بها في حياة أبيه سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ورغب بعض السادات الأشراف في دفنه في مقبرتهم في الكتادين داخل باب الفتوح؛ فدفن هنالك. وذلك في حياة والده - رضي الله عنهم ».هـ. وقال في "عناية أولي الجد": « دفن بالكتادين في مقبرة الشرفاء الطاهريين. رحمة الله عليه ».هـ. ترجمه فيها وفي "المرآة".

[502- الشريف سيدي عبد الواحد بن إدريس الطاهري الجوطي]
(ت: 1080)

ومنهم: الفقيه النبيه، الفاضل النزيه، العلامة المتقن، المشارك المتفنن؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد بن إدريس بن محمد الطاهري الجوطي الحسني.

توفي - رحمه الله - في حياة والده المذكور، من غير عقب، بمراكش، يوم الاثنين خامس عشر ربيع الثاني عام ثمانين وألف، وقدم به لفاس في تابوت يوم الجمعة سادس جمادى الثانية من العام المذكور، ودفن بتابوته في روضتهم المعروفة لهم بالكتادين [87]، الملتصقة بقبر سيدي أحمد بن علي السوسي. قريبا من قبره.

قال العلامة الورع سيدي العربي بن أحمد الفشتالي: « وكان مصاب هذا الفاضل ثلما عظيما؛ لكونه جُمِعَ فيه ما افترق ».هـ. نقله في "النشر"، وفي "التقاط الدرر".

[503- الشريف مولاي هاشم الطاهري الجوطي]

ومنهم: السيد الفقيه، الناسك النبيه، الولي الصالح، الخير الدين الناصح؛ مولاي هاشم طاهر (كذا) الجوطي الحسني.

أخذ عن سيدي الحاج الخياط الرقعي - دفين الشرشور - وشاركه في الأخذ عن شيخه سيدي محمد بن عبد الله اليملاحي الحسني، وتربى به وتأدب، وتكمل وتهذب، ولزمه وانتفع من علومه اللدنية، وسمع منه كلام القوم وكتبهم، ولقنه أوراده وأحزابه، والجلالة[1]، وزوجه ابنته أخت مولاي التهامي ومولاي الطيب؛ وكفاه بذلك قربا منه!.

[1] أي: لفظة: الله. جل جلاله. وقد تطلق - كذلك - على الهيللة.

ثم بعد وفاة سيدي محمد؛ أخذ عن مولاي التُهامي، ثم عن مولاي الطيب، ودخل في تقليد سيدي قاسم ابن رحمون، ثم - بعد وفاته - في تقليد الولي الصالح سيدي التهامي بن أبي عنان؛ المولى على الفقراء في زاوية الشَرشُور من قِبَلِ مولاي الطيب، بعد وفاة سيدي قاسم ابن رحمون.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - في العشرة السادسة بعد مائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بروضتهم التي بالكغادين من فاس الأندلس ». هـ. ترجمه فيه، في خاتمة الجزء الثاني.

[504- الإمام المقرئ سيدي محمد بن مبارك المَغراوي السجِلماسي]
(ت: 1092)

ومنهم: النحوي الفقيه، الأستاذ المحقق النبيه، شيخ الجماعة في القراءات؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن مبارك المغراوي السجلماسي، الفاسي دارا ومنشأ.

ترجمه في "الصفوة"؛ فقال: « ومنهم: الفقيه المشارك الأستاذ؛ أبو عبد الله محمد بن مبارك المغراوي. كان - رحمه الله - فقيها أستاذا نحويا، حسن الصوت بالقراءة. أم بضريح مولانا إدريس ودرس به، وولي كرسي الوعظ به وبالقرويين، وأخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وكان قارئ دروسه، وبلغ الغاية في الفطنة والذكاء، وهو مؤلف "الدالية" في القراءة، وله أجوبة، ولد سنة تسع عشرة وألف، وتوفي سنة اثنين وتسعين وألف ». هـ.

وممن أخذ عنه: القطب الجامع مولاي عبد الله بن إبراهيم الوازاني؛ قرأ عليه القرآن العظيم بالروايات السبعة، وكفاه بذلك شرفا. وهو قرأه على أبي زيد ابن القاضي.

وأورده العَلَمي في "الأنيس المطرب" فيمن كتب للشيخ أبي العباس الحَلَبي على ديوانه. وفي "النشر" في ترجمةَ سيدي علي بن عبد الرحمن الدراوي ما نصه: « وفي خامس ربيع الأول من عام الترجمة - أي: وهو عام اثنين وتسعين وألف [88] - توفي الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن مبارك المغراوي، ودفن بروضة الشرفاء الطاهريين بالكغادين، عدوة فاس الأندلس ». انتهى. ونحوه له في "التقاط الدرر".

[505- العلامة الأديب سيدي محمد بن الشاذلي الدلائي]
(ت: 1107)

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، المحقق القدوة الفهامة، الإمام الشهير الجليل، المشارك المحقق النبيل، الدراكة المحصل النحرير، ذو النباهة والإتقان والتحرير، أحق الناس بالتقديم، وأولاهم بالتبجيل

والتعظيم، خطيب المدرسة العنانية بفاس بعد أبيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي.

كان من العلماء العاملين، والفضلاء الكاملين، مدرسا حليما، جوادا مفضالا كريما، جميل الوجه والأقوال، حسن السيرة والأفعال، ذا سَمْت حسن، وحال مُستحسَن، ومعاشرة فائقة، ومُوَانسة رائقة، عاليَ الهمة، موصوفا بالحلم والرحمة.

وكان آية من آيات الله في علم البلاغة والأدب، يقضي من براعته العجب، رشيقَ العبارة، باهر الإشارة، وله القلم البارع في الإنشاء والترسيل، والقدم الراسخ في التحصيل والتفصيل والتوصيل.

ولد بالزاوية الدلائية البكرية ونشأ بها، وأخذ عن والده وعن أعمامه: سيدي محمد المرابط، وسيدي أبي عمر، وسيدي الغزواني... وعن غيرهم من أعلامها. وبعد ذلك عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، وولده سيدي محمد.

ودرس بالزاوية ونفع وانتفع، ثم خرج منها مع والده وأهله عند الحادثة العظمى[1]؛ فرمى الدهر به إلى الصحاري، وبقي منقطعا في البراري، مشتاقا إلى من له بفاس من أب وأم، وأخ وعم، وأهل وذراري؛ فصار يراسلهم برسائل رائقة، وأنظام وأنثار فائقة.

قال في "البدور الضاوية": « توفي – رحمه الله، ورضي الله عنه – سادس عشر محرم الحرام، فاتح سنة سبع – بموحدة – ومائة وألف ». انتهى. ولم يتعرض فيها لمدفنه.

وذكر في شرح "درة التيجان" أنه: « دفن بروضة الشرفاء الطاهريين؛ الموالية لروضتهم التي على ضفة وادي الزيتون ». هـ. ورثاه الأديب السيد البهلول البوعُصَامي مخاطبا لأخيه العلامة سيدي أحمد ابن الشاذلي بقوله:

أبـا العبـاس كـان أخـوك نجـما	ومن شـأن الكواكـب أن تغيبا
وكـل أخ مـفـارقــه أخـــوه	فصبرا لست وحدك من أصيبا

ترجمه في "النشر"، وفي "البدور الضاوية"، وكذا في شرح "درة التيجان"، وأشار إليه [89] صاحب "حدائق الأزهار الندية، في التعرف بأهل الزاوية الدلائية البكرية"؛ وهو: الفقيه الأديب البليغ أبو عبد الله سيدي محمد بن الفقيه السيد أبي بكر اليازغي، عند معرضه لأولاد سيدي الشاذلي؛ فقال:

[1] أي: حادثة خراب الزاوية الدلائية عام 1079.

ومـنـهـمُ عـلامـة الأعـلام ومـركـز الإجـلال والإعـظـام
محمـد بـن الشـاذلـي المقـدم مـن حـاز في العلوم أسنى قدم
في عام سوق[1] صار للمرضاة مُجَرَّعَ الكـاس مـن الممـات

[506- الإمام النحوي سيدي محمد المرابط بن محمد الدلائي]
(ت: 1089)

ومنهم: عمه الشيخ الإمام، الحبر الهمام، العالم العلم، الركن الملتزم المستلم، خاتمة النحاة وتاج المفرق، وفخر المغرب على المشرق، الفقيه العلامة القدوة، الصالح البركة الإسوة، أعجوبة الزمان، وفريد العصر والأوان، الحاج الأبر، الخطيب البليغ الفصيح الأغر؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) الشهير بالمرابط ابن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي.

ولد بزاويتهم بالدلاء في السنة التي توفي فيها جده المذكور؛ وهي: سنة إحدى وعشرين وألف، ونشأ في بلاده، وأخذ العلم بها عن والده وجماعة من الأيمة من أعمامه وإخوته... وغيرهم من الواردين عليهم؛ كسيدي العربي الفاسي، وأبي العباس ابن علي ابن عمران السلاسي... وغيرهما.

وله رواية عن سيدي عبد القادر الفاسي، وأخيه أبي العباس أحمد بن علي، واشتهر بالمرابط؛ لأنه كان – أول أمره – متقشفا في الملبس، زاهدا في الدنيا، منقبضا عنها، كارها للرياسة. وكان يدعى – أيضا – بالصغير، وبالغريب. والذي كان يدعوه بهذا اللقب الأخير هو: الشيخ العارف بالله القطب سيدي محمد بن عبد الله السوسي.

وقد ذكر في "مباحث الأنوار" أن سيدي محمد بن عبد الله هذا: « لما أظل دخوله للزاوية البكرية بعد خروجه من مراكش قاصدا للحج، وقد سبق خبره إليها؛ خرج لملاقاته صاحب الترجمة قبل كل أحد بأولاده. قال: فلما لقيه وسلم عليه؛ قال الشيخ لأصحابه: المرابط غريب في هذا البلد. فكان الشيخ المرابط يفتخر بهذه الكلمة، ويتأولها على معنى أنه: ليس هو على ما عليه أهله من الانهماك في الدنيا، والفرح بالملك. قال: وكذلك كان؛ فإنه – رحمه الله – كان تعرف له أحوال المحبة في النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ملازما للإمامة في مسجدهم الأعظم على رفعة قدره علما وجاها.. محتسبا ».

« ولما حج – يعني: عام تسعة وسبعين وألف – دخل على الشيخ – رضي لله عنه [90] – في مرضه الذي توفي فيه، فوجده قد أعد أكلات، كأنه يعلم أنه يدخل عليه للعيادة؛ فقال له أيضا هنالك: مرحبا بالغريب في أرض الله تعالى. فكان يضيفها إلى الكلمة الأولى، ويفتخر بها، ويقصها علينا ». هـ.

---

[1] إشارة بحساب الجُمل إلى تاريخ وفاته رحمه الله تعالى.

وقد لقي في حجته هذه جماعة من الأعيان، والصلحاء ذوي العرفان، وأخذ عنهم، وانتفع بهم؛ كالشيخ أبي الحسن علي الشَّبْرَامَلسي، والشيخ إبراهيم الكردي. . .وغيرهما . وله منهم إجازات كما ذكر ذلك في ديوانه في الأدب.

وكان – رحمه الله – أحد الأعلام الأكابر، والفصحاء البلغاء المشاهر، قد أخذ من كل العلوم بأوفر نصيب، ورمى في كل محمدة بسهم مصيب، له التعظيم التام لأهل البيت، ويسعى في مرضاة الحي منهم والميت، وله في مدحهم أنظام، وبليغ كلام. وكان مشهورا بالجود والسخاء، عالي الهمة، كريم الطبع رقيق القلب، سليم الصدر، متواضعا حليما؛ لا يمسك معروفه عن أحد، عرفه أو لم يعرفه، دائم البشر، شديد الصبر، عظيم الاحتمال، حسن الخلق في الشدة والرخاء.

وقد قال العلامة اليوسي في فهرسته فيه: « خاتمة النحاة، الإمام الهمام، الباحث النافث، كان إماما في علم النحو، مشاركا في غيره من الفنون، له شرح على "التسهيل"حافل؛ سماه " بنتائج التحصيل للتسهيل". وشرح على "البسط والتعرف في علم التصريف"؛ سماه: "فتح اللطيف"، وشرح على "الورقات" لإمام الحرمين في الأصول، وله في علم العربية غير ذلك من أجوبة ومباحث وتقاييد . وله خطب وعظية بنى فيها على منزع ابن نباتة، وله القلم البارع في الإنشاء نظما ونثرا، مع سمت ونزاهة، وهمة ومروءة. حضرت عنده "تلخيص المفتاح" بمختصر السعد، ومواضع من الخلاصة، وصدرا من تفسير القرآن بالجلالين، وأجازني في فنون العلوم كلها ». هـ.

قال في "الصفوة": « وشرحه على "التسهيل" متداول، وقد التزم فيه أن يجيب عن أبحاث الدماميني، ويرد ما له من الاعتراضات ». هـ. ومن تآليفه أيضا: شرح "الألفية" في سفرين.

وقد أخذ عنه بالدلاء وغيرها جم غفير، وجمع كثير، من ذويه وغيرهم. وممن أخذ عنه: العلامة اليوسي؛ كما ذكر، وسيدي عبد السلام بن الطيب القادري، وأبو العباس أحمد بن عبد القادر النسب[1].

وكان – رحمه الله – موصوفا بالخير والصلاح، وله بركة مشهورة. وكان هو الخطيب بالمسجد الأعظم من الزاوية البكرية، حيث كان هو وأسلافه بها، وكان يأتي في خطبه من الوعظ البليغ بالعجب العجاب، وفي أوائل ذي القعدة الحرام من عام ثمانية وثمانين وألف تولى – أيضا – الخطابة بالمدرسة [91] العنانية من فاس، عن إذن السلطان مولاي إسماعيل، وبقي خطيبا بها نحو سبعة أشهر.

(1) أي: القادري كذلك.

وتوفي بالوباء صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسع - بتقديم المثناة - وثمانين وألف، عن تسع وستين سنة، ودفن بروضة أهله التي بالكتادين ضفة وادي الزيتون، يمين الطالع من رأس زاوية المخفية. وكان قبره قبل هذا معظما مزارا؛ فاندثر لهذا العهد كثيره من مقابر أقاربه التي بها... والأمر لله وحده كيف شاء فعل.

ترجمه أبو علي اليوسي في فهرسته؛ فراجعها. وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي؛ فقال:

والرابع: الحَبـرُ الإمـام الضابـط	محمـد نجـل الهدى المرابـط
كـان إمامـا فـي علوم جمـة	ومنبـع التحقيـق في ذي الأمـة
إذا جـرى في فهمـه لا يُسبـقُ	وليـس دونـه حجـاب يُغلـقُ
تفجـرت من علمـه عيـونُ	وخرجـت منها الغواني العيـنُ
يشهـد باطـلاعـه الجليـل	"نتائج التحصيل" لـ: "لتسهيل"
قـرب فيـه كـل معنـى يبعـدُ	وفيه قـد طال علي من يجحدُ
قد غرقـت فيـه بحـار البـدرِ	وللجـمـال فيـه أي سحـر
إلى تـقـشـف وعُـظـم زهـدَ	وحبـه في الآل أهـل الرُشْـدَ
قـد غربـت شموسـه في تسعةَ	بـعـد ثمانين وعشر مائـةَ

[507- العلامة المشارك سيدي محمد بن محمد المرابط الدلائي]
(ت: 1099)

ومنهم: ولده الشيخ الإمام، العالم الهمام، الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، البركة القدوة الأمثل، الحاج الأبر، الجهبذ الأديب الأغر، الناظم الناثر، الحافظ المتقن الماهر؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن أبي عبد الله محمد المرابط ابن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي.

ولد بالزاوية البكرية، وبها نشأ. وأخذ العلم عن والده وجماعة من أقاربه. وكان فقيها عالما، مدرسا عاملا، خيرا تقيا فاضلا، أحد الفضلاء في عصره تفسيرا وحديثا وفقها وأسماء رجال، وما يتعلق بعلم الحديث، ونقل اللغة.

وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسددة، وكان من العباد الصالحين، والعلماء العارفين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، موصوفا بالخير والصلاح، حسن [92] الأخلاق، واسع الحلم والمعروف، وبالحظوة والجلالة والسخاء موصوف. وله أنظام كثيرة، وأمداح نبوية، وتعظيمات مصطفوية.

توفي سنة تسع وتسعين وألف بفاس الإدريسية، ودفن مع والده المذكور، بروضتهم المذكورة. ترجمه في "البدور الضاوية"، وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" بعد ذكر والده سيدي المرابط؛ فقال:

وتـركَ النـجـلَ الفـقـيـه البـارعَ | محمـدَ الطـودَ الشهيـر الجامعَ
كـان أديـبا لوذعيا حـافـظـا | عـلامـة دراكـة ولافـظـا

[508- شيخ الإسلام سيدي أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي]
(ت: 1051)

ومنهم: عم والده الشيخ الإمام، العارف الهمام، قدوة الأنام، وشيخ الإسلام، وعمدة الأئمة الأعلام، العالم العلامة الجليل، الحافظ الدراكة الماجد الأصيل، فخر الفقهاء والعلماء، وصدر الصدور الكرماء؛ أبو العباس سيدي أحمد - المدعو: الحارثي ابن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي.

كان - رحمه الله - إماما كبيرا، وعالما عاملا وعارفا شهيرا، وأديبا ماهرا، وبحرا زاخرا، ذا همة سَمَتْ فوق الكواكب، وبلاغة وذهن ثاقب. قرأ العلوم ودرسها، وشيد الفضائل وأسسها، وحصل من العلوم على طائل، وحاز من الفصاحة ما أسكت به الأواخر والأوائل.

وُلد بزاويتهم بالدلاء، وأخذ بها عن والده وعن أخيه الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر... وغيرهما من الأئمة الذين كانوا يقصدون زاويتهم المباركة؛ كأبي العباس ابن القاضي، وأبي العباس ابن عمران، والعلامة ابن عاشر. وأجازه الشيخ أبو حامد سيدي العربي الفاسي، وكانت له اليد الطولى في التاريخ والحساب، واللغة والبيان، والأدب والأصول، والفقه والحديث... وغير ذلك.

وله شرح على "مختصر ابن الحاجب"، وتقاييد كثيرة في فنون شتى، وأجوبة عجيبة، وأنظام كثيرة، وأشعار أدبية. وكان مع ذلك زاهدا في الدنيا، غير ناظر إلى زهرتها، ولا ملتفت إلى زينتها. مقتصدا في أموره، بريئا من التكلف، مؤثرا للخمول والبعد من الناس، حسن الأخلاق، ذا سمت حسن، محبا لآل البيت، ولطلبة العلم، والمنتسبين، مكرما لهم وللضعفاء المساكين. دائم المطالعة، كثير المذاكرة والصمت والصيام، مجتهدا بالليل، لهاجا بذكر الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال في "شرح درة التيجان": « ولم نقف له على تاريخ وفاة؛ إلا أنه توفي بعد ورود أهله لفاس، ودفن بروضتهم بالكغادين [93]، قرب وادي الزيتون، داخل محروسة فاس ».هـ.

وقال في "البدور الضاوية": « كانت وفاته - رحمه الله - في أوائل محرم الحرام سنة إحدى وخمسين وألف، وقد طعَنَ في السن على ما يظهر ».هـ. قال في "الأزهار الندية": « قد تأخرت وفاته إلى أواخر المائة؛ لأن الذي عند أهله - حسبما تلقّيته منهم - أنه: توفي بفاس بعد قدومه من الزاوية الدلائية وغيرها بكثير، ودفن بروضتهم بالكغادين، بضفة وادي الزيتون مع جماعة من أهلهم، وذلك بعد الثمانين والألف. . . والله أعلم بذلك ».هـ. ترجمه في "البدور" المذكورة، وكذا شارح "درة التيجان"، وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي أبي بكر؛ فقال:

ثانيهمُ: المحقّق النحريرُ	شيخ الشيوخ العارف الكبيرُ
الحارثي أحمد المحمودُ	ومن أقر فضله الحسودُ
هو الإمام الفرد ذو الإتقانِ	ومركز التحقيق والعرفانِ
وعنصر الأسرار والفضائلِ	ومنبع العلوم والفواضلِ
قد كان في الفقه وفي الآدابِ	يسبي ذوي العقول والألبابِ
أخذ عن جماعة كرامِ	وعن أخيه الجهبذ الإمامِ
ولم يزل في رفعة معناهُ	حتى ذوا وارتفعت رجلاهُ

[509- الإمام سيدي الشرقي بن أبي بكر الدلائي]
(ت: 1079)

وقد كان لصاحب الترجمة هذا إخوة؛ من جملتهم: الشيخ الإمام، الجهبذ الهمام، الحافظ الحجة الأريب، الأستاذ الضابط المقرئ المجود الأديب، العالم العلامة الجليل، المحصل البليغ الأثيل، أعجوبة الزمان حفظا وفهما، ونادرة العصر تحقيقا وعلما، علم أعلام النحاة، وصاحب الخلال المرتضاة، ورجل الحديث وأسد رجاله، وعلامة العلم وفارس مجاله؛ سيدي الشرقي بن الشيخ سَيدي أبي بكر الدلائي.

ولد ببلادهم بالدلاء سنة تسع عشرة وألف، وقرأ بها على الأستاذ سيدي شعيب، وعلى أخويه: سيدي محمد وسيدي الحارثي، وعلى أبي العباس ابن عمران السَلاسي، وعلى أبي حامد سيدي العربي الفاسي. . . وغيرهم. وأجازوه إجازة عامة، وتخرج به هو جماعة من ذويه وغيرهم.

وكان إماما في المعقول والمنقول، محصلا من العلوم ما تقصُر عنه المدارك والعقول، قد تحلى بعلوم بارعة، ومجالس لأشتات العلوم جامعة. أستاذا مجودا، يقرئ الطلبة قراءة السبع بزاويتهم [94]

البكرية، وتخرج به فيها جماعة. وكان له القدم الراسخ في الإنشاء، يجيده ويتصرف فيه كيف شاء، سديد الرأي شديد الفهم بارع الإنشاء، رقيق النظم، ملتفعا ثوب الفصاحة، رافعا رايات البهاء والصباحة.

وكانت له يد في الطريق؛ فلقي كثيرا من المشايخ، وعمدته في ذلك: والده، وأخوه سيدي محمد. وكان له باع مديد في النحو واللغة، والعربية والأدب، والتواريخ، ومعرفة شديدة بالفروع والأصول، ونبل فائق في العروض والمنطق والبيان، وعلم الكلام وتفسير القرآن. . . إلى غير ذلك.

وله شرح على "الشفا" حافل، وحاشية على "المطول"، وتقاييد كثيرة في جميع الفنون، ورسائل وقصائد، وأشعار كثيرة. وكان ذا مروءة تامة، وأبهة عظيمة، حسن السمت، كريم النفس، عالي الهمة، غزير العلم، حسن العبارة، سهل التعليم، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، كثير الصدقة، واسع المعروف. ***ودعا له والده بالعلم والدنيا؛ فأعطاه الله عز وجل الحظ الأوفر منهما.***

قال في "البدور الضاوية": « توفي – رضي الله عنه – بالزاوية البكرية الدلائية سنة تسع وسبعين وألف، ودفن بها بعد أن أوصى بصدقات فرقت على الطلبة والشرفاء والمساكين والضعفاء – رحمة الله عليه، ونفعنا به ». هـ.

وقال في "شرح درة التيجان" بعد ذكره ما نصه: « ولم نقف لتاريخ وفاته على شيء؛ إلا أنه توفي بفاس بعد وروده مع أهله من تلمسان، ودفن بروضة الكغادين المذكورة من غير عقب ». هـ. وربك أعلم بالصواب، وإليه – سبحانه – في كل شيء المرجع والمآب.

وإليه يشير صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي أبي بكر بقوله:

ثالثهم: مهذب الأخلاق	وصاحب الإدراك والأذواق
السيد الشرقي نجم الساري	ومسعد الرائي ويمن الجاري
قد كان في العلم من الأطواد	ومغنم الوفود والقصاد
وكان في الإنشاء ذا تبريز	وشعره في الشعر كالإبريز
إلى تآليف كما الحدائق	فيها عن التحقيق بحر دافق
قد شرح "الشفا" بشرح أحفل	أوضح فيه كل معنى مقفل
وزاحم السعد في "المطول"	ولم يزل بتاج عز وجل
إلى دخوله لحيز كانا	كأنه ما دخل الإمكانا
وخلف الكل عليه آسفا	وبدر أحكام العلوم كاسفا
[95] في عام تسعة مع السبعينا	من بعد عشرة من المئينا

[510- العلامة الصوفي سيدي الغَزواني بن محمد بن أبي بكر الدلائي]
(ت: 1091)

ومنهم: ولد أخيهما الشيخ الإمام، العلامة القدوة الهمام، حسنة الليالي والأيام، الولي الصالح، الزاهد الناصح، كهف المساكين في وقته، العالم بأوامر الله ونهيه، قبلة الصلاح وكعبته، وصفا النجاح ومروته، نجم العرفان، ومجمع المآثر الحسان؛ سيدي الغزوانيّ بن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي.

ولد بالزواية البكرية، وبها نشأ، وقرأ على والده ولازمه، وأخذ عنه علوما شتّى؛ من علم التصوف والتفسير والحديث وتربية المريدين... وغير ذلك. وكان من العلماء العاملين، والأئمة المهتدين؛ إماما صوفيا، ملازما للفقراء والمريدين، مقدما عليهم بالزاوية البكرية الدلائية، وقائما بمداولة أورادهم صباحا ومساء، وواقفا على إطعام الطعام لهم ولغيرهم من الفقراء والزوار الواردين عليهم بإذن من والده في ذلك في حياته، وبقي ذلك بيده بعد مماته، لم يتقدم عليه فيه غيره، وله مكاشفات وكرامات تذكر عنه.

ولما رحل من الزاوية البكرية عند الحادثة العظيمة؛ ازداد زهدا في الدنيا وفرارا من أهلها، واشتغل بصلاح نفسه أكثر مما كان، واستقر بمكاسة الزيتون. إلى أن توفي مطعونا بها يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الأخيرة من عام إحدى وتسعين وألف، ونقل إلى فاس؛ فدفن بها بروضتهم المذكورة ظهر يوم الثلاثاء بعد يوم موته رحمه الله. ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر"، وفي "البدور الضاوية".

وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي؛ فقال:

والسابع: المُوَفـقَ الربانـي	شيخ الطريق العارفُ الغزواني
كان إماما عالما وعاملا	يُعد في أهل الطريق كاملا
قد واظب النفسَ على المجاهدة	فآل حالُه إلى المشاهدة
في الألف والواحد والتسعينا	صار لجنة العُلى يقينا

[511- الإمام اللغوي الأديب سيدي محمد الشاذلي بن مَحمد بن أبي بكر الدلائي]
(ت: 1103)

ومنهم: أخوه الشيخ الفقيه، السيد الكامل النزيه، العالم العلامة الأوحد، الإمام الفاضل الأمجد، قدوة الأنام، وحسنة الليالي والأيام، فريد الدهر، ووحيد العصر، صاحب الأخلاق السَّنية، والأحوال

المرضية، والأفعال السُنية، الأديب البارع الحافظ، المحقق الحَبْر اللافظ، الجامع بين العلم [96] والدين، والمتأسي بسيرة أسلافه المهتدين؛ أبو عبد الله سيدي محمد الشاذلي – به دعي – ابن الشيخ الشهير، القطب العارف الكبير؛ سيدي مَحمد (فتحا) ابن الولي الكامل، العارف الواصل؛ سيدي أبي بكر الدلائي.

ولد بزاويتهم بالدلاء، وبها نشأ، وقرأ على والده وأعمامه، وعلى غيرهم من الواردين عليهم بها؛ كأبي العباس أحمد بن علي ابن عمران السَلاسي الفاسي، وأبي حامد سيدي العربي الفاسي. . . وغيرهما. ثم خرج مع من خرج من الزاوية عند الحادثة العظمى، وسكن بفاس ولقي بها مشايخها؛ كشيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، وأخيه أبي العباس أحمد، وخرج منها ودخل مدينة مراكش، ولقي أيمتها، ونفع وانتفع، ثم رجع لفاس واستوطنها.

وكان يقوم على مختصر خليل، ويذكر أنه أقرأ ألفية ابن مالك مائة مرة، وأقرأ مقامات الحريري نحوا من ثلاثين مرة. وقرأ عليه بفاس عدة مشايخ؛ منهم: أبو محمد سيدي عبد السلام بن الطيب القادري، وأخوه سيدي العربي، وأبو العلاء سيدي إدريس المنجري.

وكان – رحمه الله – أعجوبة من أعاجيب الزمان في الحفظ والفهم والإتقان، والغوص على المعاني الدقيقة البديعة، والنُكت اللامعة الرفيعة، جيد الإنشاء والإنشاد للشعر، وله البراعة في النظم والنثر، وانفرد في عصره بعلم اللغة وحفظ أيام العرب، وأقوالها وحكمها وأمثالها، وحفظ دواوين المتقدمين والمتأخرين.

وتولى الخطابة بالمدرسة العنانية، وبها كان غالب تدريسه، والفتوى بفاس، وتخلى عنهما اختيارا منه وفرارا من خطة الولاية كلها حتى توفي – رحمه الله – بفاس الإدريسية صبيحة يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى عام ثلاثة ومائة وألف، ودفن بالكغادين بروضتهم المذكورة. قال في "البدور الضاوية": « وقبره مزارة كبيرة – رحمه الله ». هـ.

ترجمه في "البدور" المذكورة، وفي "النشر"، وكذا صاحب "المَوْرد الهَني"، وأبو العلاء المنجري في فهرسته، وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي؛ فقال:

والثامن: الشيخ الإمام الحافظ	الحجة الصدر المكين اللافظ
الشاذلي كاسمه في الحال	وفي العلوم منتهى الآمال
أخذ عن جماعة أطواد	سموهم على السماك باد
والده وعاطر الأنفاس	أحمد؛ أعني: ابن علي الفاسي
وعنصر الكمال والمفاخر	شيخ شيوخ الدين عبد القادر

[97]وكان في الشعر يصيغ الجوهرا ... وينشر السحر حلالا كوثرا
له رسائل كمثل الزهر ... معنى، وفي اللفظ كمثل الدُر
قد ختمت به علوم جمة ... لما نعوا وقالوا: كان أمة
وسَقْح الجفن عليه والجرحْ ... في عام تصحيف لقولكم: سفخْ

[512- الخطيب سيدي عبد السلام بن الشاذلي الدلائي]

(ت: 1090)

ومنهم: ولده الفقيه الجليل، العلامة النبيل، الماجد الأصيل؛ أبو محمد سيدي عبد السلام ابن العلامة سيدي الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي.

ولد بزاويتهم بالدلاء، وبها نشأ، وأخذ العلم عن والده وجماعة من أقاربه، ودرّس هنالك، ونفع وانتفع، ثم خرج مع والده واستقر بفاس، ثم ذهب لمكناسة الزيتون، وأقام بها مدة مديدة.

وتولى الإمامة والخطبة بجامعها الأعظم، وانتصب بها للتدريس والفتيا، وتخرج به جماعة. وله أنظام كثيرة، وأنثار أدبية أثيرة.

توفي مطعونا ثالث محرم الحرام من عام تسعين وألف بمكناسة الزيتون، وحمل لفاس، ودفن بها مع أهله بزاويتهم المذكورة، وكان والده حيا حين وفاته. ترجمه في "البدور الضاوية"، وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي الشاذلي؛ فقال:

ومنهمُ: عبد السلام الصدْرُ ... العالم الأعلى الهمام الحَبْرُ
الحافظ البحر الفقيه الحجة ... الطاهر المكين في المحجة
قد صار مستورا بثوب اللطف ... في عام تسعين بُعَيْدَ الألف
ولم يُخلف من وليد يذكرُ ... وللمهيمن البقا مقررْ

[513- الإمام سيدي أحمد بن الشاذلي الدلائي]

(ت: 1106)

ومنهم: أخوه الإمام الفاضل، العارف الكامل، العالم العَلَم، الركن المُسْتَلَم، شيخ الإسلام، وعلامة الأعلام، الفقيه الأوحد، الدراكة الأمجد، وحيد عصره، وفريد دهره، العلامة الجليل، المشارك في العلوم على الإجمال والتفصيل؛ أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي الشاذلي.

ولد ببلادهم: الزاوية البكرية، وبها نشأ، وأخذ العلم عن والده وجماعة من أقاربه، ودرس العلم هناك، وانتفع ونفع، ثم خرج منها عند الحادثة العظمى، واستوطن فاسا، وأقبل على تدريس العلوم، وإيضاح المنطوق منها والمفهوم. وكان فصيح اللسان في الإنشاء والنظم، ضاربا في فنون الأدب بسهم وأي سهم! . له تقاييد كثيرة، وأشعار أدبية شهيرة، ومكاتبات وأشجاع، تستحسنها الطباع. قد أقر له بالتقديم في القريض، كل من نشر لواءه العريض [98].

قال في "البدور الضاوية": « توفي - رحمه الله تعالى ورضي عنه - سنة ست ومائة وألف. ودفن بروضة أهله الكائنة بالكغادين » .هـ. وذكر في "شرح درة التيجان" أنه توفي في العشرة الثانية من القرن الثاني عشر بفاس؛ قال: « ودفن بأقصى روضة الخطيب من وادي الزيتون » .هـ. والله أعلم.

وإليه يشير صاحب "حدائق الأزهار الندية" عند تعرضه لأولاد سيدي الشاذلي بقوله:

ومعهمُ ذو الضبط والتحصيلِ	وصاحب الإكرام والتبجيلِ
أحمدُ محمودُ الورود والصَدَرْ	ونزهة النفس وروضة الفكَرْ
أخذ عن جماعة أعلامِ	وعن أبيه قدوة الإسلامِ

[514- العالم الأديب سيدي محمد بن محمد بن أحمد الدلائي]
(ت: 1156)

ومنهم: حفيده السيد الفقيه، العالم النزيه، الدراكة النبيه، الماجد الوجيه، ذو السمْت البهي، والعقل الذكي؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة سيدي محمد بن أحمد ابن الشاذلي.

ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، ونشأ في عفاف وصيانة، وثقة وديانة. أخذ من العلوم ما قدر له عن أقاربه: سيدي البكري، وأخيه سيدي الحارثي، وولد عمهم سيدي محمد بن عبد الرحمن. وكان فقيها عالما مشاركا، عارفا بفنون الأدب من نحو وبيان وتصريف وعروض، مقتفيا أثر ما كان عليه والده من مكارم الأخلاق والحياء، وكرم النفس وعلو الهمة.

توفي سنة ست وخمسين ومائة وألف، ودفن بروضتهم المذكورة مع أسلافه. ترجمه في "البدور الضاوية"، وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" بعد ذكر والده سيدي محمد؛ فقال:

وترك السبطَ النزيه الأسمى	محمدا من طاب خلقا واسْما
العالم الذي حوى من علمه	لُب اللطائف بسيف فهمه
وسنة فارق فيها مَنشَأهُ:	ست وخمسون وألف ومائة

[515- الإمام المحقق سيدي محمد بن أبي عَمَر الدلائي]
(ت: 1099)

ومنهم: الفقيه الأجل، الفاضل الأكمل، العلامة المحقق، الفهامة المدقق، خاتمة أهل زمانه، ونهاية آمال أقرانه، سراج المجد والإحسان، وبهجة الدهر والأوان، العالم المفيد، مجدد العصر بالتدريس والتقييد؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة سيدي أبي عَمَر (بفتح العين والميم) ابن سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي.

ولد ببلادهم: الزاوية البكرية، وبها نشأ، وأخذ العلم عن جماعة من شيوخها. وكان آية باهرة في تحقيق العلوم، وإيضاح المنطوق منها والمفهوم، يبهَرُ بفصاحته [99] الألباب، ويأتي في تقريراته وخطبه بالعجَب العُجاب.

استوطن فاسا؛ بعد الحادثة العظمى بزاويتهم، فأخذ عنه بها الأكابر، وافتخرت به ذوو الأقلام والمحابر، ونفع وانتفع، ومن ثَمَّ - لأجله - كل عالم اتضع.

توفي - رحمه الله - عام تسعة وتسعين وألف، ودفن بروضتهم المذكورة. ترجمه في "البدور الضاوية".

[516- الإمام المشارك سيدي محمد بن عبد الله الدلائي]
(ت: 1089)

ومنهم: الشيخ الإمام الحافظ، الصدر المكين اللافظ، العالم الأوحد، الفاضل الأمجد، القدوة الجليل، المشارك في العلوم على الجملة والتفصيل، صاحب الأخلاق السُنية، والأحوال المرْضية، الجهبذ النحرير، الحائز قصَبات السبق في ميادين التحرير، العالم العامل، العارف الواصل، خاتمة أعلام المغرب، وفائق الألباب بأدبه المطرب، الشاعر المفلق، المدرس المحرر المحقق؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الإمام العلامة سيدي عبد الله ابن السلطان العلامة سيدي محمد الحاج ابن العارف بالله سيدي محمد ابن القطب سيدي أبي بكر الدلائي.

كان إماما عالما عاملا، واصلا متفننا حافظا، زاهدا ورعا دَينا، خَيرا صالحا، وبارا ناصحا، وقمرا واضحا. له الباع الطويل في تحقيق العلوم، وتدقيق منطوقها والمفهوم.

أخذ عن والده، وجماعة من أقاربه، وعن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي. . . وغيرهم. وكانت ولادته بالزاوية البكرية، وبها نشأ ودرس بها وخطب، وأم ونفع وانتفع. ثم استوطن فاسا بعد الحادثة العظمى، وأكب بها على تدريس العلوم، وتخرج به جماعة من مشايخها. وكان بديع النظم، شاعرا مُجيدا، مشاركا في الفنون، له تآليف ومقيدات كثيرة، وأنظام أثيرة شهيرة.

توفي يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وألف مطعونا بفاس الجديد؛ فحُمل لفاس البالي، ودفن بروضتهم المذكورة، قرب وادي الزيتون. ترجمه في "البدور الضاوية". وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" مع أخيه سيدي أحمد، بعد ذكر والدهما سيدي عبد الله؛ فقال:

...........وله نجلان	محمد أحمد ذو الإتقان
كلاهما إن تبتغي الإنصافا	وترك الجدال والخلافا
أعجوبة الزمان روض الفكر	في صَنْعَة النثر وعلم الشعر
إلى علوم كالبحار تزخر	ودُرها ليس بعدُّ يُحصَر

[517- العلامة سيدي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائي]
(ت: 1197)

ومنهم: السيد الفقيه، العالم العلامة النزيه، الدراكة الفهامة [100] الوجيه، المشارك الأجل، العالم المبجل، الثقة الأمثل، الخير الدين الأبر، المكين الزكي الأطهر؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الإمام العلامة صاحب "درة التيجان" وغيرها سيدي محمد ابن العلامة الولي الصالح، دفين روضة أولاد ابن ريسون، بقرب سيدي أبي غالب الصاريوي؛ سيدي محمد ابن العلامة سيدي محمد (الأب الثالث) ابن سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي.

كان - رحمه الله - متبحرا في فنون العلوم، مشاركا محققا، وليا وجيها، ذكيا عالما فقيها زكيا، ممن وُضع له القبول عند الخاص والعام، نسيجَ وحده في التعبير، وله في العلوم اليد الطولى والباع الكبير.

قرأ على والده، وجماعة من شيوخ وقته، واستفاد منهم وأجازوه. وكان سالكا نهج أسلافه، دؤوبا على الذكر، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقراءة العلم، وإقرائه، يقوم الليل، ويصوم النهار، وتصدَّر للشهادة بسماط عدول فاس مدة. ويُحكى أنه كان يكتب نسخا من صحيح البخاري ويتقوت من ثمنها.

توفي - رحمه الله - سنة سبع وتسعين ومائة وألف، ودفن بروضتهم المذكورة. ترجمه في "البدور الضاوية"؛ وهو آخر من ترجم بها. وإليه يشير صاحب "حدائق الأزهار الندية" بعد ذكر والده سيدي محمد بقوله:

قد ترك النجلَ الشهيرَ البركة	ذا اليُمن في سكونه والحركة
العارف البَكّاء خوفا من زلل	محمدا مَجْمَعَ علم وعمل
عدل فقيه عالم نحرير	إليه يُعزى في الورى التحرير

[518- الموثق الشريف سيدي الحسن بن علي البوعناني]
(ت: 1163)

ومنهم: الفقيه العلامة المحقق، الدراكة المشارك الموثق؛ أبو علي سيدي الحسن ابن الشريف العدل سيدي علي البوعناني الحسني.

كان - رحمه الله - فقيها مدرسا مفتيا، متعاطيا الشهادة بسماط عدول القرويين، وكان مقصودا للمهمات منها، وله دراية بتدريس مختصر خليل، وألفية ابن مالك.. وغيرهما، ومشاركة حسنة في الأصول والبيان، والنحو والمنطق والتوقيت. وله أخلاق حسنة، وسيرة مستحسنة، مع كمال مروءة وصيانة، وتمام عقل وتواضع وديانة.

أخذ عن أبي العباس الوجاري، وأبي العباس ابن مبارك، وأبي العباس الشدادي... وغيرهم. وأخذ عنه جماعة من طلبة فاس وفقهائها.

توفي - رحمه الله - شهيدا بالطاعون، صبيحة يوم السبت منتصف رجب الفرد الحرام عام ثلاثة وستين ومائة وألف، وصلى عليه - بوصية [101] منه - رفيقه في تعاطي الشهادة: العلامة المشارك أبو حفص سيدي عمر بن عبد الله الفاسي، ودفن ضحوة ذلك اليوم بالكفادين، قريبا من سور المدينة. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، وأبو العباس ابن عجيبة في طبقاته.

[519- الفرضي سيدي عمر الجامعي]
(ت: 1189)

ومنهم: الفقيه الأستاذ الفرضي؛ أبو حفص سيدي عمر الجامعي. توفي يوم الاثنين حادي وعشري رمضان عام تسعة وثمانين ومائة وألف. ودفن قرب وادي الزيتون.

[520- القاضي سيدي عبد المؤمن الزجني]
(ت: 916)

ومنهم: الفقيه القاضي بفاس الجديد؛ أبو محمد سيدي عبد المومن الزجني، من أهل فاس، وبها توفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الثاني سنة ست عشرة وتسعمائة، ودفن بزيتون ابن عطية داخل باب الفتوح.

ترجمه ابن القاضي في "الجذوة" و"الدرة" وأشار أيضا إلى وفاته ومدفنه كما ذكرنا في "لقط الفرائد".

[521- الشيخ العارف سيدي حَمَّادي بن عبد الواحد الحمَّادي المكناسي]

ومنهم: الولي الأشهر، العارف الأكبر، الفقيه الناسك، الورع السالك؛ أبو المواهب سيدي حَمَّادي بن عبد الواحد الحمادي؛ الشهير بالمكناسي.

كان - رحمه الله - ممن يشار إليه بالخير والصلاح، والبركة والنجاح، موسوما بالولاية، ملحوظا بعين الرعاية والعناية. ويذكر أنه كان في بداية أمره ذا سياحة، فاشتد عليه الأمر وطال به الفتح؛ فأنشد مستغيثا بسيد الأكوان، ومن لأجله كان ما يكون أو كان:

بما بوجهك من حُسن ومن بَهَجِ ... وما بغرتك الغراء من بِلَجِ
وما بعينك من سر ومن دَعَجِ ... وما بثغرك من دُر ومن فلج
أغثنا يا خير خلقَ الله عن زعج ... فإننا يا رسول الله في حرج

فأتاه السرور في الحال، ونال ما يرجوه من الآمال، وأنشد بلسان المقال:

أبشر هنيئا لقد ظفَرت بالفرج ... ولن تر بعد هذا اليوم من حرج
علاك طالع صبح الوصل في وَهَج ... فقل لبارقة الأيام: إيت. تَجِ!
فالسعد في شرف والذكر في هزج ... وليس بعد قوام الأمر من عوَج

ومما يذكر من كراماته - حسبما تلقيته من بعض قراباته: أنه كان مرة في نزهة مع بعض الطلبة بالمقطع، من خارج باب الشريعة، ونهر سُبُو أمامهم ينظرون إليه، فقالوا له: « يا سيدي؛ ما تمنينا عليك إلا الوضوء منه »، فقال لهم: « هذا شيء قريب! »، وأشار إلى الوادي؛ فنظروا إليه يقرب منهم شيئا فشيئا حتى وصل إليهم؛ فتوضئوا منه بأجمعهم، ثم أمره بالرجوع وهم ينظرون!.

ومما يذكر منها أيضا [102] - حسبما تلقيته ممن ذُكر: أنه كان يجتمع يوم الجمعة بعد الصلاة بغرفة صومعة الضريح الإدريسي مع بعض الأحبة على طعام يصنع لهم هناك، فبينما هم مرة يأكلون؛ إذ وقفت اللقمة في حلق أحدهم حتى ظنوا أنه هالك، فمد يده من الغرفة إلى الخَصَّة[1] وهم ينظرون، وأخذ الماء منها وجعله في فم صاحب الغصة؛ فشربه، ونجا ببركته.

وأخبرني - أيضا - أنه: سمع شائعا عندهم أنه كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم، فيما بين الزوال وهبوط الظهر، وأن الولي الصالح أبا محمد سيدي عبد القادر العلمي المكناسي - دفينها - كان يأتي لزيارته، وكذلك الشيخ سيدي التاودي ابن سودة. قال: « وسمعنا أنه كان

---

(1) الخصة: حوض نافورة الماء.

عنده مرة بداره من حومة وادي رُشَاشَة من عَدْوَة فاس القرويين، فإذا بفأر قد خرج فأخذه هر كان هناك، فقال له الشيخ سيدي التاودي: « نسمع أن القط لا يأكل الفأر إلا بإذن قطب الوقت! »، فقال له صاحب الترجمة: « هو كذلك؛ ما أخذه حتى أذناه »، وهذه الحكاية - إن صحت - تؤذن بقطبانيته. . . والله أعلم.

ووِرده الذي كان يعطيه لبعض أصحابه هو: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾. [التوبة: 128] . . . إلى آخر السورة، مائة مرة في كل يوم، وعقب كل مرة: « اللهم إني توكلت عليك لا على غيرك، اللهم اكفني ما أهمني وما لم يهمني، مما علمته وما لم أعلمه من أمور الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير ». ويذكر أنه تلقاه من المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنه أمره أن لا يعطيه إلا لثوبه الذي يلي جسده، أي: لمن كان من أخص أصحابه.

وكان - رحمه الله - من أهل النسك والورع والديانة، وكانت له معرفة بعلوم الأسماء والجدول. محبا في آل البيت، معظما لهم. وله أحزاب وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم.

[522- استطراد بترجمة القاضي سيدي محمد التهامي الحمادي المكناسي] (ت: 1249)

وهو والد الشيخ الفقيه، العلامة المشارك، القاضي بحضرة مراكش: أبي الفتح سيدي محمد التهامي الحمادي المكناسي، المتوفى برباط الفتح، منعطفا إلى فاس من مراكش، يوم الأربعاء حادي عشر صفر الخير عام تسعة وأربعين ومائتين وألف.

ولم أقف له هو على وفاة، إلا أنها قبل وفاة ولده المذكور، ودفن قريبا من حي وادي الزيتون، وبُني عليه شاهدان؛ أحدهما: مقابل لوجهه. والثاني: عند رأسه. وهو معروف مزار متبرك به إلى الآن، ولازلنا نسمع من بركاته أنه: إذا سُرح مجرى ماء المطر الذي بقبره؛ نزل المطر، وفعل ذلك بعض الناس عند احتباس المطر في بعض السنين؛ فصح له. نفعنا الله به وبسائر أوليائه. . . آمين.

[523- المقرئ الصوفي سيدي عبد الواحد القندوشي]

ومنهم: الشيخ الأستاذ الفقيه، المقرئ المتصوف النزيه؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد القندوشي [103] الأندلسي.

قرأ – رحمه الله – بفاس على مشايخها، وكان أستاذا مقرئا صوفيا؛ أخذ الطريقة وعلم الحقيقة، عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الشريف اليَمْلاحِي الحسَني؛ دفين وازان.

وتوفي في العشرة الثالثة بعد مائة وألف. قال في "النشر" في خاتمة الجزء الثاني: « ودفن عن يمين المار لباب الحمراء، حيث تتعدى الطريق الممرور عليها لوادي الزيتون، داخل باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس، وخلف أولادا ». هـ.

[524– قاضي الجماعة سيدي أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني] (ت: 1032)

ومنهم: الشيخ الإمام الشهير، العالم العلامة الكبير، الفقيه المشارك المتفنن، الدراكة المحقق المتقن، قاضي الجماعة بفاس وخطيب حضرتها العلية؛ سيدي أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الغرناطي الأندلسي سلفا، الفاسي ولادة ومنشأ ووفاة؛ من رهط أبي علي الغساني.

كان – رحمه الله – من كبار الشيوخ بفاس، الذين لهم الشهرة والصيت في العلم بها. وكان متضلعا في الفنون، ماهرا في المعقول والبيان، والتفسير والكلام، وولي القضاء بفاس؛ فحمدت سيرته، وكان خطيبا بليغا. وفي "الصفوة" نقلا عن صاحب كتاب "بذل المناصحة" قال: « بلغني عن سيدي أحمد بابا السوداني أنه: كان يَعيبُ عليه وعلى غيره من الخطباء اعتناءهم بالأحاديث الموضوعة في الخطب؛ فإن الموضوع تحرُم روايته إلا مبينا – كما نص عليه علماء الحديث ». هـ.

أخذ – رحمه الله – عن المنجور؛ وهو عمدته، وأبي القاسم ابن إبراهيم، وابن مُجْبر المساري، وأبي العباس القَدُومي، وأبي زكرياء يحيى السرَّاج، وأبي مالك الحمَيْدي. . . وغيرهم.

وأخذ عنه جماعة من أعيان فاس: كالحافظ أحمد المقري، وابن عاشر، وسيدي العربي الفاسي، وسيدي أحمد وُ علي السوسي، وسيدي عبد القادر الفاسي، والشيخ مَيَّارة الأكبر. . .وأضرابهم.

قال الشيخ ميارة في "مُعين القاري": « ولا أذكر الآن له تأليفا؛ لاشتغاله بخطة القضاء – بل والفتوى – في غالب الأوقات ». هـ.

وفي "دُرة الحجَال": « أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني: أديب مشارك متفنن، وهو قاضي قبيلة آزمور. أخذ عن أبي العباس أحمد بن علي المنجور، وعن غيره؛ كأبي زكرياء السراج، وعبد الواحد الحميدي. .وله نظم. وهو أحد القواسم بفاس؛ إلا أنه أفضلهم في الدراية والعلم، وهو عينهم ولسانهم، وله معرفة بالبيان والمنطق والعروض والأصلين، وفهمه جيد. . . ثم قال: وُلد أبو

القاسم بن محمد - المذكور صاحب الترجمة - في شهر رمضان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة)).هـ. ولم يذكر وفاته؛ لكونه كان حيا زمن تأليفه، بل تأخرت وفاة صاحب الترجمة عنه.

وقد ذكروا أنه - رحمه الله [104] - كان فظا غليظا على أهل الفساد، يفضحهم ويسبهم؛ فتوسموا فيه أنه يريد كسر شوكتهم، وانقراض دولتهم، فتمالئوا على قتله ظلما - على سعة علمه وكبر سنه - فرموه ببندقتين بطالعة فاس؛ قيل: بالزربطانة، وقيل: بباب مدرسة أبي عنان، وقيل بين باب درب الحرة وباب سوق ابن صافي، وذلك إثر رجوعه من صلاته بالسلطان؛ صلاة الجمعة خامس القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين وألف، وثار قتال بفاس بين الأندلسيين واللمطيين بسبب موته، ودام أحد عشر شهرا؛ لإرادة الأخذ بثأره.

قال بعضهم في تأليف له: ((ولما رمي؛ سقط إلى الأرض، فحمل لداره التي بأسفل سوق الشراطين من فاس القرويين، ومات بها من حينه فورا، وجهز في غده، وصلي عليه، ودفن بالكغادين، بروضة بني عمه أولاد الوزير الغسانيين؛ رهط أبي القاسم المشهور الآن بالوزير، وقديما بالغساني، وهي المشتركة مع بني الأرجي الأندلسي، وبني على ضريحه منها قوس في الجدار الجاور للطريق المرور عليها لوادي الزيتون، وهو معروف إلى الآن يزار)).هـ.

وممن ترجمه: تلميذه الشيخ ميارة في كبيره على "المرشد"، وفي "معين القاري"، وصاحب "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، إلا أنهم لم يعينوا موضع دفنه، وعينه بعضهم كما ذكرناه. والله أعلم.

[525- الفقيه سيدي محمد بن عرفة الجزولي]
[526- وإمام المذهب سيدي محمد ابن عرفة الوَرْغمي التونسي]
(ت: 803)

ومنهم: الشيخ الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن عَرَفَة الجزولي [بضم الجيم وفتحها]، من بيت بني الجزولي، وبيتهم بيت علم وثروة وحسب، وهم من جزولة سوس.

كان صاحب الترجمة منهم فقيها، وكان بفاس، وهو غير الفقيه الإمام المتفنن المتقن، المحصل الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي؛ صاحب المختصر الفقهي الذي لم ينسج أحد على منواله، المتوفى بتونس في جمادى الأخيرة عام ثلاثة وثمانمائة، وولد سنة سبع عشرة وسبعمائة.

ووفاة صاحب الترجمة بعد وفاة ابن عرفة هذا بفاس. قال بعضهم في تأليف له في بعض مشاهير أعيان فاس في القديم: « ودفن داخل باب الفتوح؛ بحومة الجزارين، عن يمين المار إلى الباب الحمراء؛ حيث يجوز الناس لوادي الزيتون ». انتهى.

[527- الإمام المقرئ سيدي عبد الله بن عمر ابن آجطًا الصنهاجي]

(ت: القرن الثامن)

ومنهم: الشيخ الإمام، المجوّد الهمام، الأستاذ المقرئ؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن عمر الصنهاجي؛ المعروف بابن أجطاً.

كان - رحمه الله - أحد أساتيذ القراء المعتبرين، والنبهاء الحذاق المحررين، عارفا بالقراءات وضبطها ورسمها، وما يتعلق بها.

أخذ عن الشيخ الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد الشريشي؛ المعروف بالخراز، وقرأ عليه رجزه الموسوم "بمورد الظمآن في رسم أحرف القرآن"، وشرحه شرحا جيدا [105]، وهو أول من شرحه.

وقد قال في "المرآة" نقلا عن كتاب كتبه الشيخ القصار للشيخ أبي العباس أحمد بن علي الشريف العلمي الوهابي ما نصه: « وأعجبني إقراؤك "الرسالة" وفرحت به؛ لا سيما إذا اقتصرت على المحتاج إليه، وختمتها سريعا. وكذلك: إقراؤك الخراز أعجبني، واعتمد على ابن آجطا؛ فإن نقله صحيح جدا، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف ». هـ.

وفي "فهرسة" أبي زكرياء السراج الكبير، في ترجمة شيخه أبي الحسن علي بن يخلف المَدُّوني؛ الشهير بابن جزو. ما نصه: « وقرأ القرآن في اللوح، وأقام الرسم، على الشيخ المقرئ المكتّب المنجّب؛ أبي محمد عبد الله الشهير بابن آجطا، وقرأ عليه "مورد الظمآن"، وكان قرأه هو على ناظمه المذكور، وقرأ شيخنا أبو الحسن علي على شيخه أبي محمد المذكور بعض شرحه "لمورد الظمآن" المذكور، وصححه بين يديه، ونسخه من أصله، وعاقه عن إكماله عليه موته - رحمهم الله أجمعين ». هـ.

ولم أقف على تاريخ وفاته؛ إلا أنها - والله أعلم - أواسط القرن الثامن، وضريحه داخل الباب الحمراء، ورأيت في بعض المقيدات المقيدة في صلحاء داخل باب الفتوح ما نصه: « سيدي آجطا: عليه حوض صغير وشجرة من التين، وهو ابن آجطا ».هـ. وفي "التنبيه": « سيدي كطا بأول الكغادين مقابلا لزنقة آزنور ».هـ. وضريحه الآن غير معروف. . والله أعلم.

[528– سيدي الحاج محمد فنجيرو]
(ت: 1289)

ومنهم: السيد الصالح، البركة الواضح، المسن الأشيَب، الصوفي الأنجب، ذو الأحوال والبركات، والفراسة الصادقة والكرامات؛ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد فنجيرو.

كان – رحمه الله – عظيم النور، قوي الحال، جليل القدر، صادق الفراسة، ذا كشف وكرامات، صواما قواما، كثير الخشوع والبكاء والصدقة، كثير الذكر، وقد أخبرني عنه بعض الثقات ممن خالطه بأمور عجيبة، وكرامات غريبة، لا يصدر مثلها إلا من كبار الأولياء.

ومما يدل على نوارنية باطنه، وصحة فراسته وكشفه: ما أخبرني به العلامة سيدي الطيب ابن العلامة سيدي أبي بكر ابن كيران، قال: « أخبرني سيدي عبد الواحد بن الحاج البدَوي بناني – وكان ثقة – قال: كان سيدي الحاج محمد فنجيرو جالسا معي بحانوتي بسوق العطارين، وذلك يوم مات سيدي أحمد البدوي، قبل أن يعلم الناس بموته، فبينما هو جالس؛ إذ شم بأنفه شمة عظيمة، وقال: هذا سر سيدي أحمد البدوي، هاهو ذا جائز إلى الصحراء، هاهو ذا!. قال: فلم نبرح أن سمعنا بموت سيدي أحمد البدوي في تلك الساعة ».هـ.

قلت: وظهر بعد ذلك مصداق ما أخبر به من جواز سر الولي المذكور إلى الصحراء؛ فإنه ظهر هناك في تلميذه الولي الصالح، العارف [106] بالله تعالى؛ أبي عبد الله سيدي محمد العربي المدَغري الحسني الشهير، وقد انتفع به هناك الجم الغفير، وأخذ عنه من لا يحصى من الخلق، وتحكى عنه كرامات وبركات – نفعنا الله به.

أخذ صاحب الترجمة عن الشيخ القطب أبي حامد مولاي العربي بن أحمد الدرْقاوي؛ وكان من أجلاء أصحابه وفضلائهم، وكبار خيارهم.

وكانت له في ابتداء أمره حانوت بسوق الجوابين قرب الجوطية من فاس، يبيع فيها الكرازي، ثم ترك ذلك. وحدثني بعض الأشراف من الثقات، أنه سمعه وغيره ينقل عن العارف بالله مولاي العربي المذكور أنه كان يقول: « أعطي ثلاث لثلاث: المعرفة للعربي الدرقاوي، والصلاح لأهل وازان، والمحبوبية للشرفاء الكتانيين. . قال: ولو بقي شيء من عجب الذنب منهم؛ فإنك لا تجده إلا محبوبا، أو قال: فيه شيء من المحبوبية ».هـ.

أدركته حيا، وزرته مع والدي وأنا صغير بداره التي توفي فيها بالعقبة الزرقاء من هذه الحضرة، وعُمِرَ طويلا، ويقال: إنه أدرك الشيخ التاوْدي ابن سودة المري، وصلى وراءه.

توفي – رحمه الله – رابع وعشري صفر عام تسعة وثمانين ومائتين وألف، ودفن بروضته المقابلة لروضة سيدي أبي زيد الهزميري، بينها وبين سور المدينة، وبني عليه بها حوش متسع، وقبره الآن بها مشهور معروف، معظم مزار، وترجمته واسعة.

[529- الشريف مولاي أحمد ابن الشريف]
(ت: 1314)

ومنهم: الشريف المسن، الصالح البركة: أبو العباس مولاي أحمد ابن الشريف؛ من أصحاب الشيخ سيدي أحمد البَدَوي زويتن – نفعنا الله بهما.

كان خيرا دينا، فاضلا نزيها عفيفا، مُطرِقَ الرأس دائما وأبدا، مشتغلا بما يعنيه، ذاكرا صامتا، وله بركات، وحدث عنه بعض من خالطه بكرامات.

توفي عشية يوم الخميس عاشر شعبان الأبرك عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، عن سن عالية؛ تزيد على العشرة بعد المائة، ودفن من الغد؛ وهو يوم الجمعة، بعد الصلاة عليه بجامع الأندلس، بروضة مجاورة لروضة سيدي الحاج محمد فنجيرو.

[530- سيدي الحاج عبد القادر بن محمد السَلاسي (قدُّور الهَزّاز)]
(ت: 1266)

ومنهم: السيد النزيه، المحترم الوجيه؛ أبو المواهب – ولي الله تعالى – لسيدي الحاج عبد القادر المدعو: قدور بن محمد السلاسي؛ الشهير بالهزاز.

كان – رحمه الله – من كبار أصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم، وذوي الأحوال المَرْضِيَة منهم، وكان متبركا به، منسوبا إلى الخير والصلاح، وتحكى عنه مآثر.

توفي – رحمه الله – ودفن بروضة أولاد الهزاز؛ وهي: التي فوق ضريح سيدي الحاج محمد فنجيرو إلى ناحية السور، وبني عليه بها قوس صغير للتمييز، وكتب بوسطه في زليج ما نصه [107]: «الحمد لله وحده؛ هذا ضريح الولي الصالح سيدي الحاج قدور بن سيدي الحاج محمد السلاسي؛ الشهير بالهزاز. توفي – رحمه الله – رابع الفطر عام ستة وستين ومائتين وألف». هـ.

[531- سيدي مَحمد ابن بوعَزّى]
(ت: 1270)

ومنهم: الفقيه الأرضى، المعظم المحترم المرتضى، الأستاذ البركة المحقّق العارف، ولي الله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن بوعزى، من سلالة القطب الشهير مولاي بوعزى المغربي؛ دفين تاغْيا.

كان - رحمه الله - ذا خُلُق حسن، محبا لجانب الله تعالى، صاحب جد واجتهاد، ومعرفة بطريق القوم ذوقا ووُجْدانا، حسن السياسة والتعليم للجاهل، والتنبيه للغافل. وشمائله كثيرة.

أخذ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وبه تربى وتأدب، وتكمل وتهذب، وتوفي يوم الخميس عشري ربيع النبوي عام سبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة أولاد الهزاز المذكورة.

[532- العالم المشارك سيدي محمد الطالب بن محمد بن محمد ابن سودة المري]

ومنهم: الفقيه الأجل، العلامة المدرس الأفضل، الصوفي المشارك الأمثل، الوجيه النبيه، الخير النزيه، الحاج الأبر، السامي الأطهر؛ أبو عبد الله سيدي محمد الطالب ابن الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة المري الغرناطي.

قرأ على والده أبي عبد الله المذكور بفاس، ومنه انتفع وبه تخرج، وكان فقيها يسلك سبيل التصوف، وينتحل طريقة القوم، مع التعفف والنسك، والاشتغال بما يعنيه، وقلة الحرص على طلب الدنيا التي تفنيه، والصون وكمال المروءة، والحياء وعلو الهمة، والفضل والسخاء، والعفو عن الظالمين، والتنزه عن كل ما يشين.

وكان يقوم على رسالة ابن أبي زيد أحسن قيام، بالقراءة للخواص والعوام، وانتفع به ولده سيدي محمد الكبير المترجَم له بعده، وغيره، وكان له مملوك اسمه: مبارك؛ ممن يشار إليه بالولاية. وهو الذي بنى زاوية الولي الصالح سيدي الحاج الخياط الرقعي، التي بالشرشور.

قال في "الروضة المقصودة": « ولم أقف على وفاة صاحب الترجمة. قال: وهو مدفون بباب الجيزيين التي يقال لها: باب الحمراء، داخل باب الفتوح - رحمه الله ». هـ.

[533- العلامة الخطيب سيدي محمد الكبير بن محمد الطالب ابن سُودة المري]
(ت: 1136)

ومنهم: ولده الإمام، العالم الهمام، بيت العلم والجلالة، ومبوأ الفخر والأصالة، ذو المنصب الأسمى والقدر الخطير؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: الكبير بن محمد الطالب ابن سودة المري الأندلسي الغرناطي.

أدرك جده القاضي أبا عبد الله محمد، وسمع منه وانتفع به، وقرأ على والده أبي عبد الله محمد الطالب، وعلى القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن المجاصي، وأبي مدين السوسي، وأبي علي اليوسي [108]، وأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. . . وغيرهم. وأجازه الشيخ حسن العُجَيْمي المكي.

وكان - رحمه الله - فقيها نزيها، خيرا دينا، له سمت حسن، وهَدْي مستحسن، ومروءة وفضل، وحلم وخلق، وبذل ووجاهة، عند الخاص والعام، تعظم من شأنه الرؤساء أيَّ إعظام. وحج البيت واعتمر، وبلغ من الزيارة الوطر، وولي الخطبة والإمامة بجامع الأندلس؛ فطابت بولايته الحميدة الأنفس، مع ما أضيف إليه من صلاة العيدين بخارج باب الفتوح، وكان الناس يقصدونه ويؤثرونه على غيره من سائر خطباء فاس؛ لفصاحته وبلاغته، ودينه ونسكه، ونزاهته وحسن سيرته.

ولما عُزل عن قضاء فاس سيدي العربي بُرْدُلَّة أواخر محرم سنة خمس عشرة ومائة وألف؛ ولاه السلطان قضاءها مكانه، إلى أن أعيد سيدي العربي المذكور بعد أشهر. وكان - رحمه الله - يحسن قرض الشعر على نهج الفقهاء.

توفي سنة ست وثلاثين ومائة وألف. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الروضة المقصودة". . . وغيرها. وذكر بعضهم - ومثله وجدته في بعض المقيدات - أنه: دفن بباب الحمراء داخل باب الفتوح؛ حيث مقابرهم. . . والله أعلم.

[534- العالم المدرس سيدي عمر بن محمد الطالب ابن سودة المُري]
(ت: 1218)

ومنهم: شيخ شيوخنا الفقيه، العلامة النزيه، المدرس الأمثل، الصوفي الأحفل، الناسك البركة، الكثير الجولان والحركة؛ أبو حفص سيدي الحاج عمر ابن الفقيه أبي عبد الله محمد الطالب ابن سودة المري.

كان – رحمه الله – أحد العلماء الكبراء، والفقهاء النبلاء، ناسكا دينا، خيرا نزيها صينا، كثير الذكر والخشوع، والإياب إلى الله تعالى والرجوع. وكان غريب الأحوال، حُلو الأقوال، يمزج عبارته في التدريس وغيره بالصلاة على النبي المختار، ويحض كل من لقيه على ما يقرب إلى الله الواحد القهار، يحفظ من كلام العارفين الكثير؛ وخصوصا "الحكم العطائية" و"التنوير"، وكان كثير السفر في زيارة الأولياء، ولقاء أهل الله الأصفياء.

وخرج لحج بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام، في جمادى الأخيرة سنة سبع وستين ومائتين وألف؛ فحج وزار، ولقي الكثير من العلماء والفضلاء والأخيار، وكان لا يدع التدريس في أي مكان نزل، ولا يتركه حيثما حل وأقبل، وأخذ عنه من أهل البادية والحاضرة من لا يحصى، ونفع الله به أمما كثيرة لا تستقصى.

وكان أخذُهُ هو للعلم الظاهر؛ عن جماعة من الشيوخ الأكابر: كسيدي عبد السلام الأزمي، وسيدي بدر الدين الحمومي [109]، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي، والقاضي مولاي عبد الهادي العلوي. . . وغيرهم. ولطريقة الصوفية: عن العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي، ثم عن تلميذه الشيخ سيدي محمد الحراق. وأخبرني بعض أولاده عنه أنه أخبره أنه: قرأ ثلاث عشرة سلكة من مختصر خليل، فيما بين سفر وحضر.

ولد – رحمه الله – في حجة عام ثمانية عشر ومائتين وألف، وتوفي في متم ربيع الأول النبوي سنة خمس وثمانين ومائتين وألف، ودفن بروضتهم المذكورة، وهي قريبة من باب الحمراء، مجاورة لروضة أولاد الهزاز المذكورة، وبني على ضريحه بها شاهد كبير.

[535- العارف سيدي أحمد الميسوري الغوان]
(ت: 1270)

ومنهم: الولي الكامل، العارف الواصل، صاحب المكاشفات الصحيحة، والكرامات الصريحة، والأسرار الواضحة، والأنوار اللائحة؛ أبو العباس سيدي أحمد الميسوري؛ المدعو: الغوان.

كان – رحمه الله – من الأولياء المشهورين، والصلحاء المذكورين، كبير القدر، عظيم الخطر، شهير الذكر، منور السريرة والفكر، قد أذعن له الخاصة، ونسبوه إلى مقام خاصة الخاصة، وكان كثير الزيارة لصاحب المقام النفيس: أبي القاسم مولاي إدريس بن مولانا إدريس، ولولي الله الأكبر مقصد الناوي: سيدي أحمد الشاوي، وكان عزبا؛ لم يتزوج قط، ولم يكن له عقب، ويسكن بطرّانة من

طالعة فاس، وكانت معه امرأة اسمها: عباسة تدور به[1]، فإذا أراد شيئا قال لها: يا فلانة؛ كوني لنا كذا وكذا! . فتفعل له ذلك.

وظهرت له كرامات عجيبة، وأحوال غريبة؛ ومن كراماته: إخباره بغلاء الزرع ووصوله إلى سبعين أوقية للمد، فكان كما قال: وقعت المسغبة العظيمة الشهيرة عام أربعين ومائتين وألف، وبلغ الزرع هذا المبلغ.

ومنها: ما حدثني به الوالد عن عمه سيدي عمر الكتاني قال: « ذهبت إليه يوما بطالعة فاس، فبينما أنا جالس معه؛ إذ قال لي: انظر؛ انظر: ها الكلب قد أخذ الصيد! . قال: فنظرت؛ فإذا كلب قد أخذ صيدا وهو يجري به في فلاة من الأرض لا معرفة لي بها، ثم غاب ذلك عني ».

ومنها: أنه صعد مرة ليلا إلى سطح االدار التي كان ساكنا بها؛ فتبعته امرأة لترى ما يصنع! . فطار في الهواء حتى انتهى إلى مصلى باب الفتوح ونزل بها؛ فنظرت المرأة؛ فإذا هناك أقوام كثيرون وأنوار مضيئة معهم، فبقي معهم نحوا من ساعتين، ثم إنهم تفرقوا ورجع هو إلى داره طائرا حتى نزل بسطحها. فقالت له: « ما هذا يا سيدي؟! . . »، فقال لها: « اسكتي ولا تحدثي بهذا أحدا! ». فحدثت به بعض أقاربها، وهو الذي أخبرني بذلك عنها. وكراماته في ألسنة الناس كثيرة؛ يتداولونها وينقلها [110] بعضهم عن بعض.

وسمعت بعض من ينتسب إلى الخير في هذا الوقت يثني عليه كثيرا، ويذكر أنه كان قطبا، ويجزم بذلك؛ ويقول: « لا شك في قطبانيته! »، وكذا سمعت من بعض الأخيار حكاية في شأنه تدل على قطبانيته - رضي الله عنه.

وسمعت بعضهم يذكر أنه أدرك سيدي عليا الجمل؛ دفين حومة الرميلة من عدوة فاس الأندلس، وأخذ عنه وتربى به، ولا يُنكرُ ذلك؛ فإنه - رضي الله عنه - عُمّر طويلا إلى نحو المائة سنة، أو ما يزيد عليها.

وتوفي عشية يوم السبت سابع وعشري جمادى الأولى عام سبعين ومائتين وألف، وكانت له من الغد - وهو يوم الأحد - جنازة حفيلة حضرها ولد السلطان: الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن فمن دونه، ودفن بروضة السيد علال الشامي بباب الحمراء، عن يمينها قريبا منها، بإزاء السور، وبني على قبره قوس كبير يقابل السور، وكسرت العامة أعواد نعشه تبركا، وهو مشهور إلى الآن، مزار متبرك به.

([1]) أي: تقضي مصالحه المنزلية.

[536- الفقيه العارف سيدي ابن شبة]

ومنهم: الشيخ الشهير، العارف الكبير؛ سيدي ابن شبة. ترجمه في "الجذوة" في حرف الشين منها؛ فقال ما نصه: « ومن الفقهاء الأفراد بها - يعني: بفاس - ابن شبة، الرجل الصالح، كان ذا أوصاف جميلة، وبلغ من العبادة مبلغا عظيما، حتى صار كالشن البالي. وكان يحترف بصناعة الخرازة، ويتقوت منها ويتصدق ».

« وقال صاحب"المستفاد": أخبرني من أثق به من أهل فاس، وسمعت ذلك من غيره: أن الناس بها قحطوا في وقته قحطا شديدا، فأرادوا الاستسقاء؛ فأجمعوا على أن يستسقي لهم ابن شبة، فوصل القاضي وجماعة من أهل البلد لمنزله، وكان بحومة كرواوة من عدوة الأندلس، فوقفوا على باب منزله، فخرجت إليهم امرأة، فقالوا لها: نريد الشيخ!. فدخلت إليه وقالت له: إن الأشياخ أرادوا الاجتماع بك. وكان جالسا يخرز، فخرج إليهم على تلك الحالة، وقال لهم: ما جاء بكم؟. فقالوا: ما ترى ما نحن فيه من الشدة والقحط؟!، وجئنا لتخرج معنا نستسقي بك. فرجع إلى منزله وهو يقول: ابن شبة يُسْتَسْقَى به؟!. ثم طلع من سطح داره وفر من ذلك الموضع، ولم يجتمع بهم ولا رأوه بعد ذلك، ونفع الله بسببه أهل البلدة... ولم يذكر الكتاني وفاته، وهو من أقران سيدي دراس ابن إسماعيل، والغازي بن فتوح، وأبي جيدة بن أحمد ». هـ.

وفي "المستفاد": « إنه لما حاصر جوهر الأمير مدينة فاس، وكان قد أقام عليها مدة طويلة، ولم يفتح له؛ فرأى في منامه قائلا يقول له: لا تقدر على دخول هذه البلدة عُنوة أبدا، ولو أقمت عليها أعواما؛ لأن فيها أربعة من أوتاد الأرض؛ وهم: أبو جيدة، ودراس ابن إسماعيل، والغازي ابن فتوح، وابن شبة. فتاب إلى الله عز وجل، ورحل [111] عنها من حينه ». هـ.

وذكر العلامة المسناوي في بعض تقاييده التي قيدها بخطه أنه لم يقف على تاريخ وفاته، قال: « غير أن ضريحه عن يمين الخارج من الباب الأولى. ذكره سيدي عبد الرحمن ابن القاضي ». هـ.

ونحوه وجدته منقولا عن سيدي عبد الرحمن المذكور، وزاد هذا الناقل أنه - أي: أن سيدي عبد الرحمن - كان مواظبا على زيارته، والباب الأولى هي: باب الحمراء، وصاحب الترجمة مدفون عن يمينها، من داخل لا من خارج كما توهمه بعض الناس فأشاع في هذا الوقت أنه بخارج باب الفتوح. وقد رأيت في بعض التقاييد المقيدة في صلحاء فاس عده من صلحاء هذا الداخل... والله أعلم.

[537- إمام النحو سيدي محمد بن محمد بن داود ابن آجَرُّوم]
(ت: 723)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، الأستاذ المقرئ الأنوه، النحوي البركة الأنزه، الولي الصالح، الشهير الواضح، نزيل فاس؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن داود الصَّنْهاجي، من صَنْهَاجة؛ عمل مدينة صفرو، الفاسي؛ المعروف بابن آجَرُّوم.

ترجمه السُيوطي في "بُغية الرُواة"؛ فقال: « محمد بن محمد الصنهاجي: أبو عبد الله النحْوي؛ المشهور بابن آجَرُّوم (بفتح الهمزة الممدودة، وضم الجيم، والراء المشددة)، ومعناه بلغة البربر: الفقير الصوفي. صاحب المقدمة المشهورة بالجرومية، وصفه شراح مقدمته؛ كالمَكُّودي، والراعي. . . وغيرهما بالإمامة في النحو، والبركة والصلاح، ويشهد بصلاحه: عموم نفع المبتدئين بمقدمته. ولم أقف له على ترجمة، إلا أني رأيت في "تاريخ غرناطة" في ترجمة محمد بن علي بن عمر الغساني النحوي أنه قرأ بفاس على هذا الرجل، ووصفه - أعني: هذا الرجل - بالأستاذ. والغساني مولده سنة اثنين وثمانين وستمائة، فيؤخذ من هذا أن ابن آجروم كان في ذلك العصر ».

« وهنا شيء آخر؛ وهو: أنا استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو؛ لأنه عبر بالخفض؛ وهي عبارتهم، وقال: الأمر مجزوم. وهو ظاهر في أنه معرب، وهو رأيهم. وذكر في الجوازم: كيفما، والجزم بها رأيهم، وأنكره البصريون. . . فتفطن!. وذكر الراعي أنه ألف مقدمته تجاه الكعبة الشريفة ». انتهى كلامه في "بغية الرواة".

وأوجب له ما ذكر من عدم وقوفه على ترجمته: بُعْدُ الأقطار بينهما، وإلا؛ فقد ذكروا أنه رحل إلى المشرق، وحج وزار، ولقي الشيخ أبا حيان وروى عنه، واستجازه فأجازه، وصنف مقدمته المذكورة تجاه بيت الله الحرام. ويقال: « إنه لما ألفها ورجع ووصل إلى البحر؛ ألقاها فيه وقال: إن كانت خالصة لله فلا تبتل!. فلم يبتل منها شيء». [112] وأن من تآليفه - أيضا: "شرح الأماني في القراءات"، وأنه كان فقيها أستاذا مقرئا، محققا، مجودا، حسابيا، فرضيا، إماما شهيرا، وعارفا كبيرا، فريد دهره، ونخبة أهل عصره، منسوبا إلى البركة والخير والنجاح، والولاية والصلاح.

وأخذ عنه جماعة من الأئمة بفاس: كالشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن شعيب الجَزْنائي، والأستاذ الفقيه النحوي الصالح أبي محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير، والقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، والفقيه الأستاذ المقرئ الأعرف أبي العباس أحمد بن محمد ابن حزب الله الخزرجي.

ومن أخذ عنه أيضا: ولداه: الأستاذ الأثير، العالم الكبير؛ أبو محمد عبد الله؛ وبرسمه وضع والده المذكور المقدمة المذكورة، فنفعه الله بها، وانتفع بها أيضا كل من قرأها، وهي من أجَل ما أُلف في علم النحو، قريبة المرام، سهلة للحفظ والفهم، كثيرة النفع لمن هو مبتدئ. قال سيدي الشريف في شرحه لها: « ولما حضرتها على ولده أبي محمد المذكور بمدينة فاس؛ وجدت لها بركة عظيمة ».هـ.
وثاني ولديه الذين أخذا عنه: الأستاذ المحقق الناظم الناثر؛ أبو عبد الله محمد؛ المدعو: بـ: مَنديل.

وذكر السوداني وجماعة من شراح مقدمته المذكورة عن شارحها - أيضا - محمد بن محمد الحلاوي أنه: « ولد عام اثنين وسبعين وستمائة - وهي: السنة التي توفي فيها ابن مالك صاحب "الألفية" - وتوفي في شهر صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ودفن بباب الحديد - أي: بالحاء من مدينة فـاس ».هـ. كذا قالوا، ونظم ذلك عنهم من قال:

قد ولد ابن آجروم عام خَبَعْ وجكمد فيه إلى الله رجعْ
وقبره ذكروا في باب الحديدْ بفاس الغراء هاك ما تريدْ
ألف ذي مع شرحه "حرز الأماني" وشيخه بدر الدجى أبو حيان
ذكر هذا العالم الرباني أبو العباس أحمد السوداني

قلت: وفي قولهم: إنه دفن بباب الحديد. نظر؛ بل المعروف - وهو: الذي رأيته في كثير من المقيدات، ونص عليه ابن القاضي، والشيخ سيدي الحسن بن يوسف الزياتي، وغيرهما - أنه: دفن بباب الجيزيين. وباب الجزيين؛ ذكر غير واحد من المؤرخين أنها المعروفة اليوم بباب الحمراء، عن يمين باب الفتوح.

ونص ترجمته من "الجذوة" لابن القاضي: « محمد بن محمد بن داود بن آجروم الصنهاجي: الأستاذ النحوي، أبو عبد الله، صاحب [113] "المقدمة" في النحو، كان من مؤدبي أهل مدينة فاس، ولد عام اثنين وسبعين وستمائة في السنة التي توفي فيها ابن مالك صاحب "الألفية" في النحو، بمدينة فاس، بعدوة الأندلس منها، وتوفي بها يوم الأحد - بعد الزوال - لعشر بقيت من صفر عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر، داخل باب الجيزيين - رحمة الله عليه ».هـ.

وفي الحواشي المجموعة من تقارير الشيخ الإمام العالم سيدي الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي، على شرحي سيدي الشريف وسيدي أحمد القدومي على مقدمة صاحب الترجمة ما نصه: « كان مولد مؤلف هذه المقدمة - رضي الله عنه - سنة اثنين وسبعين وستمائة بمدينة فاس، بعدوة الأندلس منها، وبها كانت وفاته يوم الأحد، بعد الزوال لعشر بقيت من صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ودفن من الغد لصلاة الظهر بباب الجيزيين، وهو الباب المغلق عن يمين باب الفتوح ».هـ.

وها هنا شيء آخر؛ وهو: أنه يوجد في بعض نسخ شرح الشيخ أبي العباس السوداني على هذه المقدمة ما نصه: « ودفن داخل باب الحديد؛ يعرف الآن بباب الحمرة بمدينة فاس ».هـ. وفيه نظر أيضا؛ فإن باب الحديد عندنا غير باب الحمرة، ولم نر من ذكر أن باب الحمرة كان يسمى في القديم بباب الحديد، بل الواقع في كلامهم أن باب الحمرة هو المسمى في القديم بباب الجيزيين. . . والله أعلم.

[538- الإمام المقرئ سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز]
(ت: 718)

ومنهم: الشيخ الإمام العالم العلامة، الأستاذ المقرئ المحقق الفهامة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي؛ الشهير الخراز كنيته: أبو عبد الله، وأصله من شريش: مدينة بالعُدْوة الأندلسية، أعادها الله دار إسلام.

كان إماما في مقرئ نافع، مقدما فيه لا غير، إماما في الضبط، عارفا بعلله وأصوله. أدرك أشياخا جلة، أيمة في القراءة والضبط، وعلم القرآن، من العربية وغيرها، فقرأ عليهم، وعمدته: الشيخ المقريء، المحقق المتقن؛ أبو عبد الله ابن القصاب. وممن أخذ عنه هو وانتفع به: ابن آجطا.

وله تآليف: من أجلها الرجز الموسوم "بمورد الظمآن في رسم أحرف القرآن"، وله نظم آخر في الرسم سماه: "عمدة البيان"؛ نظمه قبل "مورد الظمآن". وتآليف في الرسم - أيضا - مثل "مورد الظمآن"؛ منثور لا منظوم، وشرح على "الحُصَرِيَّة"، وشرح على "البرية" مشهور معروف عند الناس، وبه يقرءونها، وشرح على "العقيلة"، وكان قد فتح له في التأليف، وسهل عليه نظمه ونثره.

وكان يعلم الصبيان بمدينة فاس [114]، وبها كان سكناه إلى أن توفي بها عام ثمانية عشر وسبعمائة على ما قيل، قال ابن عاشر في "فتح المنان" نقلا عن ابن آجطا: « ودفن بالجيزيين منها . قال: وهو الموضع المعروف الآن بباب الحمراء ».هـ. وفي بعض التقاييد المقيدة في صلحاء داخل باب الفتوح ما نصه: « أبو عبد الله الخراز: كانت به شجرة زيتون فزالت مع الطريق ».هـ.

[539- العلامة المفتي سيدي عبد الكريم بن علي اليازغي]
(ت: 1190)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العالم العلامة النبيه، الدراكة الأنبل، المدرس المفتي الأمثل، المشارك الحجة الحافظ، المحرر الضابط اللافظ، المُنعَم عليه من الله تعالى بزيادة البسطة في العلم والجسم، والقوة في العبارة والفهم؛ أبو محمد سيدي عبد الكريم بن علي الزهني اليازغي أصلا، الفاسي دارا وقرارا، ومولدا ومزارا.

كان – رحمه الله – فقيها عالما، مدرسا مفتيا، متفننا في علوم شتى؛ من فقه وحديث وتفسير، ولغة ونحو وبيان. . . وغير ذلك، حافظا دراكا، محصلا بارعا، نفاعا لطلبة العلم، محققا للمسائل، محررا لها، من أهل الحزم والصلابة في الدين، لا يزحزحه عن الحق شيء.

وكان يقتصر في تدريسه على تقرير الصورة؛ لا يزيد عليها إلا المهم. وبعثه السلطان مرة لتطوان لتدريس العلم بها؛ فأخذ عنه بها جماعة؛ منهم: أبو العباس سيدي أحمد ابن عجيبة. وكان له صوت جهير؛ يُسْمع القريب والبعيد، ضخم البدن، عرض البطن.

أخذ عن أبي حفص الفاسي؛ وهو عمدته، وعن العلامة سيدي محمد جسُّوس، وأبي عبد الله محمد بن طاهر الفاسي. . . وغيرهم من أهل عصرهم. واتصل بالقطب الشهير، العارف الكبير؛ مولانا أحمد الصقلي الحسيني؛ فأخذ عنه ولازمه، وكان يحضر معه مجالسه للذكر وغيره، وظهر عليه الخير الكثير من بركة صحبته له، وقد تعرض في فهرسته لذكر مولاي أحمد هذا، وبالغ في الثناء عليه.

وانتفع به هو غير واحد من العلماء؛ كالشيخ سيدي الطيب بن عبد المجيد ابن كيران، والقاضي أبي محمد سيدي عبد السلام بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي البكري الدلائي، والعلامة أبي الربيع مولانا سليمان الحوات؛ وقد عده من أشياخه في تأليفه الذي ألفه في التعريف بنفسه قائلا فيه ما نصه: « الفقيه العلامة المتضلع في الفنون، الذي أعطاه الله بسطة في العلم والجسم؛ أبو محمد سيدي عبد الكريم بن علي الزهني اليازغي؛ أخذت عنه – قبل اختصاصي بالشيخ أبي حفص – فنونا كثيرة؛ من كلام ونحو، وإعراب وبيان، وفقه وحديث. . . وغير ذلك. وتوفي ولم يصل إلى الستين، سنة تسع وسبعين – بتقديم المثناة فيهما – ومائة وألف ». هـ.

وقال في "سلوك الطريق الوراية": « توفي – رحمه الله – في السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام عام تسعة وسبعين ومائة وألف، وكانت له جنازة عظيمة، ودفن عند ضريح الإمام أبي عبد الله القوري بباب الحمرة من باب فتوح – رحمهم الله ». هـ.

ومن خط بعضهم ما نصه: « توفي الشيخ العلامة [115] المحقق، خاتمة الأعلام النحارير؛ سيدي عبد الكريم بن علي اليازغي، عام تسعة وتسعين ومائة وألف، ودفن داخل باب الحمراء من فاس قرب قبر الإمام ابن أجروم. ورمز بعضهم لموته بقوله: لقد مات العلم بموته ». هـ. في أبيات. وضريحه – رحمه الله – هو المقابل لباب الحمراء، قريبا منها، عليه حوش بناء كبير.

وممن ترجمه: صاحب "أزهار البستان"، إلا أنه ذكر أنه توفي في حدود التسعين ومائة وألف، والصواب: ما تقدم. . والله أعلم.

[540- شيخ الجماعة سيدي محمد بن قاسم القَوري]
(ت: 872)

ومنهم: الشيخ الإمام، علم الأعلام، وحامل راية الإسلام، شيخ الجماعة، والمحصل من العلوم أنفس بضاعة، الحافظ الكبير، الهمام الشهير، المهتدى بهديه القويم الواضح، مفتى فاس، وآخر حفاظ "المدونة" بها؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد اللخمي نسبا، المكناسي دارا ومسكنا ومولدا، الأندلسي سلفا، القوري شهرة ولقبا، الفاسي نقلة ومزارا.

قال ابن غازي في فهرسته فيه: « بلدينا: الشيخ الإمام، الفقيه العالم العلم، العلامة المفتي المشاور، الحجة الأنزه، الحافظ المكثر. .ثم قال: كان آية في التبحر في العلم والتصرف فيه، واستحضار نوازل الفقه وقضايا التواريخ، مجلسه كثير الفوائد، مليح الحكايات، وكانت له قوة عارضة، ومزيد ذكاء، مع نزاهة وديانة، وحفظ ومروءة:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله   إن الزمان بمثله لبخيل

لازمت مجلسه في "المدونة" أعواما، وكان ينقل عليها كلام المتقدمين والمتأخرين، من الفقهاء والموثقين، ويطرز ذلك بحكاياتهم، وذكر موالدهم ووفياتهم، والتنقير عن أنبائهم، وضبط أسمائهم، ويشبع الكلام في الأحاديث التي ينتزعون بها في انتصارهم لآرائهم. .فكان مجلسه نزهة للسامعين، تبارك الله أحسن الخالقين. . . ». هـ.

ثم ذكر أنه أدرك من الشيوخ المكناسيين: أبا موسى عمران بن موسى الجاناتي؛ واعتمد عليه في قراءة "المدونة"، وأبا الحسن بن يوسف التلاجدوتي؛ وعنه أخذ العربية والحساب والعروض والفرائض، والأستاذ ابن جابر الغساني؛ وعنه أخذ القراءات السبع، والشيخ أبا عبد الله بن عبد العزيز؛ المعروف بـ: الحاج ابن عزوز؛ وعنه أخذ الحديث والتاريخ والسير وبعض الطب.

قال فيما أظن: « وأدرك من الشيوخ الفاسيين: أبا القاسم التازغدري، وأبا محمد العبدوسي؛ وهو الذي أجلسه للتدريس بفاس، كما أجلسه أيضا للتدريس بمكناسة: ولي الله تعالى سيدي أبو محمد عبد الله ابن [116] حمد. . .ثم قال: وكان لسانه رطبا بلا إله إلا الله، تسمعها جارية على لسانه في أثناء حديثه. ولد في أوائل هذا القرن – يعني: التاسع – بمدينة مكناسة الزيتون، وتوفي عام اثنين وسبعين منه بمدينة فاس، ودفن بباب الحمراء، جدد الله عليه رحمته ورضوانه بفضله ». انتهى كلام ابن غازي.

وفي "نيل الابتهاج": « محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القَوْري اللخمي، المكناسي المولد، ثم الفاسي الأندلسي سلفا، الشهير بالقوري (بفتح القاف، وسكون الواو، ثم راء)؛ نسبة لبُلَيْدة قريبة من إشبيلية بالأندلس: الإمام العلامة المحقق، قال أبو العباس الونشريسي في تحليته: الفقيه البركة، المعظم المفيد، الصدر الأوحد، العالم العلامة، الجامع الشامل، المشار إليه في سماء تحقيق العلوم العقلية والنقلية بالأنامل، الرفيع القدر والشان، الذي لم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان، تاج الأئمة الحفاظ، ومن تكل عن ذكر أوصافه عن الإتيان بأوصافه العلمية النورية الفقر والألفاظ، سيف الله الأقطع، وبدر العلوم الأوضح الأسطع، الإمام القدوة المولى، العماد المشاور الأرجح الأولى، حامل راية النص والقياس، ورأس العلماء والناس، ومفتي حضرة فاس، العالم العامل، الذي برز في تحقيق العلوم وفاز، وعقد له في قلم الفنون اللواء الجماز؛ سيدي محمد ابن الشيخ البركة الفاضل، الحسيب الأصيل الكامل، الناصح، الصالح النافع الخاشع المبرور؛ أبي الفضل قاسم القوري ». انتهى كلام الونشريسي في أول مسائله التي أرسلها إليه، ثم نقل في "النيل" كلام ابن غازي فيه.

ثم قال: « وقال السخاوي في "الضوء اللامع": كان متقدما في حفظ المتون، وعلق شيئا على "المختصر"؛ لم ينتشر، وانتفع به الطلبة. وممن أخذ عنه: الفاضل أحمد زروق، وقال: إنه مات في أواخر ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وثمانمائة، وأنه سئل عن ابن عربي، فقال: الناس يختلفون ما بين مكفر ومقطب. والأولى: الوقف. هـ. قلت – أي: قال صاحب "النيل" – وأخذ عنه جماعة من أهل فاس وغيرهم؛ كالشيخ إبراهيم بن هلال الفيلالي، والشيخ عبد الله بن أحمد الزموري؛ شارح "الشفا"، والشيخ أبي الحسن الزقاق، والشيخ القاضي المكناسي، والإمام أبي مهدي الماواسي وابن غازي. . . وغيرهم ».

« وأما شرحه على المختصر؛ فذكر الشيخ أبو الحسن المَنُوفي – شارح "الرسالة" – في شرحه على خطبة "المختصر": إن القوري شرحه في ثمان مجلدات. هـ. ولم أره لغيره، ولا ذكر له البتة عند أهل فاس. . . والله أعلم ». انتهى كلام "النيل". [117]

وقال بعضهم: « ولد بمكناسة الزيتون سنة أربع وثمانمائة، وانتقل إلى فاس، وبها توفي أواسط أو أواخر ذي القعدة الحرام سنة اثنين وسبعين وثمانمائة، ودفن داخل باب الحمراء ». هـ. ترجمه ابن غازي، وأبو العباس الونشريسي في فهرستيهما، وصاحب "الجذوة"، و"الدرة"، و"كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج"، و"توشيح الديباج". . . وغيرهم.

[541- الفقيه الخطيب أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى الطنجي]
(ت: 893)

ومنهم: الشيخ الفقيه الأستاذ المتفنن، المقرئ المحقق الضابط المتقن، المحدث الخطيب الورع، البركة الصالح الأنفع؛ سيدي أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى بن أحمد الأموي الفاسي؛ الشهير بالطنجي.

قال ابن غازي في "فهرسته" فيه: « هو الشيخ الأستاذ المحقق، الصالح الورع، أخذ عن الشيخ المعمر أبي مهدي عيسى المغراوي، وعن الشيخ أبي محمد عبد الله العبدوسي، وعن الأستاذ أبي عمران موسى بن عبد المومن. وقد أدركته وهو تلميذ أبي الفضل ابن الجراد السلوي، وعن شيخينا معا: الأستاذ أبي عبد الله الصغير، والفقيه أبي عبد الله القوري، وعن الشيخ الفقيه الراوية العلامة أبي سعيد بن أبي محمد عبد الله بن أبي سعيد السلوي، وعن ولده الفقيه أبي عبد الله ».

« وقد جالسته كثيرا للمذاكرة، واجتمعنا بجامع القرويين - عمره الله تعالى - على قراءة صحيح البخاري، حتى ختمناه تحقيقا وتدقيقا، وبحثا ومطالعة لما نحتاج إليه من الغريب ونحوه. وقرأت عليه - أيضا - بعضه، وأجاز لي سائره. وقرأت عليه - أيضا - بعض صحيح مسلم؛ وأجاز لي سائره. وقرأت عليه - أيضا - فهرسة أبي شامل الشمني؛ وهي التي عددنا ما انطوت عليه في ترجمة شيخنا الأستاذ أبي عبد الله الصغير. وتفرغت من قراءة ذلك كله بفاس في العشر الأول من المحرم، فاتح عام ستة وسبعين وثمانمائة. وأجاز لي جميع ذلك بأسانيده المتقدمة كلها، وحدثني بذلك عن الشيخ أبي سعيد المذكور إجازة أجازه له عام ستة وأربعين وثمانمائة. وعن ابنه أبي عبد الله المذكور قراءة لبعض الصحيحين، وأجازه لباقيهما، ولسائر ما انطوت عليه الفهرسة بأسانيدها السالفة. وكانت إجازة أبي عبد الله إياه عام تسعة وخمسين وثمانمائة. وقد أدركت أبا عبد الله بن أبي سعيد، وجالسته، ولكن ما كتب لي أن أروي عنه إلا بوساطة هذا الشيخ، وبوساطة شيخنا الأستاذ أبي عبد الله الصغير، وما برز من الغيب؛ فهو المختار ». انتهى كلام ابن غازي فيه.

وقال المنجور في فهرسته ما نصه: « ومن شيوخ ابن غازي المغاربة: الأستاذ الكبير، الفقيه المحدث الصالح الورع؛ أبو الفرج [118] محمد بن محمد الطنجي، عن الشيخ المفتي الخطيب أبي محمد العبدوسي، وعن الأستاذ أبي عمران موسى بن عبد المومن؛ تلميذ أبي الفضل الجراد السلوي، وعن الإمام القوري، وعن الأستاذ الصغير، وغيرهم من شيوخه - حسبما تضمنته فهرسته - ووفاته: سنة ثلاث وتسعين من المائة التاسعة ». هـ.

وممن أخذ عنه: أبو محمد عبد الرحمن سُقَّين؛ وجَوَّد عليه القرآن. وكذلك أخذ عنه سيدي إبراهيم ابن هلال، وعده في فهرسته من شيوخه، وأثنى عليه بالفقه والصلاح. . . وغير ذلك.

وفي "الجذوة": « محمد بن محمد بن موسى الطنجي: أبو الفرج الفقيه، خطيب جامع الأندلس من مدينة فاس المحروسة، توفي سنة تسع وثمانين وثمانمائة، ودفن بإزاء صهره أبي عبد الله القوري ». هـ.

وقال في "درة الحجال" في ترجمة أبي عبد الله محمد بن الحسين النيجي – بعد ذكر وفاته – ما نصه: « وولي بعده الخطابة: أبو الفرج؛ خطيب جامع الأندلس من فاس المحروسة، توفي سنة تسع وثمانين وثمانمائة، ودفن بإزاء صهره أبي عبد الله القوري ». هـ. وهذا الذي ذكره فيهما في وفاته مثله له في "لقط الفرائد"، وأصله للونشريسي في وفياته كما نقله عنه في "النيل"، وهو مخالف لما تقدم عن المنجور. وقد نقله عنه في "النيل" أيضا. والله أعلم.

وفي "التنبيه" بعد ذكر صاحب الترجمة، والذي قبله، ورجلين آخرين؛ وهما: سيدي إبراهيم الحمياني الذي ضريحه ملتصق بعتبة درج سطح باب الحمراء، وسيدي محمد السبع الذي ضريحه ملتصق ببير الباب الحمراء ما نصه: « هؤلاء الأربعة داخل الباب الحمراء من باب الفتوح ». هـ.

[542- النحوي الشريف سيدي محمد بن أحمد بن يعلى الشريف]

(ت: القرن الثامن)

ومنهم: سيدي محمد الشريف. قال في "التنبيه": « قرب عتبة الباب الحمراء من الجهة اليمنى؛ ملتصق بالسور ». هـ.

وفهم بعض أن هذا هو سيدي الشريف شارح "الآجرومية"؛ فإن كان هو؛ فقد ترجمه في "الجذوة" وغيرها، ونص "الجذوة" فيه: « محمد بن أحمد بن يعلى الشريف الحسني، صاحب شرح "المقدمة الجرومية" في النحو، من أهل مدينة فاس ». هـ.

وقال في "دُرة الحجال": « محمد بن أحمد بن يعلى الشريف الحسني، أبو عبد الله، أخذ عن مَنديل ابن آجروم وغيره، وله شرح على "المقدمة الجرومية"؛ سماه "بالدرة النحوية في شرح معاني الجرومية" ». هـ. ولم يذكر له فيهما وفاة ولا مدفنا، بل بيض لوفاته في "الدرة"؛ لكن يؤخذ من أخذه عن منديل بن آجروم أنه: من أهل القرن الثامن؛ لأن شيخه منديلا هذا توفي –كما يأتي– سنة اثنين وسبعين وسبعمائة... والله أعلم.

[543- سيدي بوحاجة]

وإلى هؤلاء الخمسة مع رجل آخر سادس يقال له: سيدي بوحاجة. قال في [119] "التنبيه": « عند رجليه تنفاصة صغيرة وصخرتان، قرب السور من الباب الحمراء ». هـ. أشار الشيخ المدرع في منظومته فقال:

وستـــة وهـــم ببـــاب الحَـمْـرَا بهم تــرى الخيــر وتوقــى الضُــرا
أولهم: هــو الإمــام الـتَـسُّــوْلي وفــرج الطنجــي بيــت الســر
ومنهــم: إبــراهيــم الحميــانــي والسيــد السبــع جليل الشــانَ
والسيـــد الشــريف ذو الإجــلالِ كــذا أبو حـاجـة ذو الأحـــوالِ

[544- الفقيه الحافظ سيدي إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني]
(ت: 797)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الحافظ الحجة النبيه، المشارك المتفنن، الدراكة المتقن؛ أبو سالم سيدي إبراهيم ابن أبي زيد عبد الرحمن ابن الإمام التلمساني.

ترجمه في "كفاية المحتاج"؛ فقال: « إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام التلمساني، نزيل فاس، فقيه حافظ، مشارك متفنن، ابن شيخ الإسلام الإمام أبي زيد الآتي، له فتاوي منقولة في "المازونية"، و"المعيار". وتوفي بفاس سنة سبع وتسعين - يعني: من القرن الثامن - قاله في "الوفيـات" المذكـورة - يعني: وفيات الونشريسي ». هـ.

وقال في "نيل الابتهاج": « إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام التلمساني، نزيل فاس، الفقيه الحافظ، الحجة المشارك المتفنن، ابن شيخ الإسلام الإمام العلامة المجتهد أبي زيد ابن الإمام. له علوم جمة، وفتاوي، نقل عنه المازوني، ثم الونشريسي في نوازلهما، وتوفي بفاس، ودفن بباب الجيزيين سنة سبع وتسعين وسبعمائة.. قاله: الونشريسي في وفياته. هكذا كتب لي صاحبنا سيدي محمد ابن يعقوب الأديب حفظه الله. قلت: وهو والد العلامة أبي الفضل ابن الإمام الآتي في المحمديين؛ في حرف الميم ». هـ.

وترجمه - أيضا - في "الجذوة"، و"الدرة"، وقال فيهما: « توفي بمدينة فاس، ودفن بباب الجيزيين سنة سبع وتسعين وسبعمائة ». هـ.

[545- الفقيه المفتي سيدي محمد بن علي بن جعفر ابن الرمامة]
(ت: 567)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العلامة النزيه، المفتي بفاس والقاضي بها؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي. من أهل قلعة حماد بالعدوة، ونزل مدينة فاس، يكنى: أبا عبد الله، ويعرف بابن الرمامة؛ وأحمد جد والده: هو المعروف بذلك، قيل: هو اسم امرأة نسب إليها.

روى عن أبي الفضل ابن النحوي، وتفقه به، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد، وخاله أبي الحسن علي بن طاهر ابن محشوة بالجزائر، وأبي حفص التوزري، وأبي محمد المقري ببجاية. . .وغيرهم. ودخل الأندلس تاجرا، وطالبا للعلم؛ فلقي بقرطبة: أبا محمد ابن عتّاب، وأبا الوليد ابن رُشْد، وأبا بحر الأسدي، وأبا الوليد ابن طريف؛ فحمل عنهم وسمع منهم [120] ونزل مدينة فاس، وولي قضاءها سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وكان غير صالح للخطة؛ لضعفه؛ فلم تحمد سيرته، مع أنه لم تلحقه زلة، ولا تعلقت به ريبة، وحدث بها ودرس، وأخذ الناس عنه.

وكان فقيها نظارا، مائلا لمذهب الشافعي – رضي الله عنه – عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالي المسمى بـ"البسيط"، محصلا لنكته، وله تواليف؛ منها: "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" وكتاب "التقصي عن فوائد التقصي"، وكتاب "التبيين في شرح التلقين" . . . وغير ذلك.

وروى عنه من الجلة: أبو ذر الخُشَني، وأبو البقاء يَعيش ابن القديم الأنصاري، وأبو الحسن ابن موسى الأنصاري الساعي، وأحمد بن محمد البكري؛ روى عنه الحديث بفاس، وعلي بن محمد ابن خيار البلنسي؛ وأكثر عنه، ولازمه سنين، وتفقه عليه، وأبو الحسن ابن المفضل في كتابه إليه، وأبو القاسم ابن بقي. . . وغيرهم. قال ابن الرمامة: « هذا حسبما ذكره التادلي في "التشوف" وغيره. أنشدني أبو الفضل ابن النحوي:

أصبحت فيمن له دين بلا أدب	ومن له أدب عار من الدين
أصبحت فيهم فقيد الشكل منفردا	كبيت حسان في ديوان سُحنون

قال في "التشوف": « أشار – رحمه الله – إلى البيت الذي لحسان في كتاب الجهاد من "المدونة":

فهان على سراة بني لؤي	حريق بالبُوَيْرَة مُستطير »

توفي – رحمه الله – بفاس عند زوال يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة، ودفن ضحى يوم الثلاثاء بعده، وصلى عليه أبو حفص ابن عمر؛ قاضي فاس حينئذ؛ بوصيته بذلك.

ومولده في شعبان سنة تسع وسبعين وأربعمائة – على ما ذكره بعضهم – وبخط أبي عبد الله ابن أبي درقة؛ وهو أحد الرواة عنه: أن مولده في رجب من عام ثمانية وسبعين وأربعمائة، وقال: « هكذا أخبرني هو – رحمه الله – عن مولده ».هـ. ورأيت في بعض المقيدات أن ضريحه بباب الحمراء. . . والله أعلم.

[546- الفقيه المقرئ سيدي أبو راشد يعقوب الحَلْفَاوي]
(ت: القرن التاسع)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة الصالح النزيه، الأستاذ المقرئ: أبو راشد سيدي يعقوب الحلفاوي.

وقال في "الجذوة" و"النيل": « من متأخري الفاسيين، لم أقف على ترجمته! ».هـ. وقال في "الكفاية": « يعقوب الحلفاوي، أبو راشد، من متأخري الفاسيين في المائة التاسعة ».هـ.

قلت: ذكره ابن غازي في فهرسته فيمن أخذ عنهم الأستاذ الصغير النيجي، وذكره غيره فيمن أخذوا عن أبي عبد الله [121] ابن السكاك - صاحب "نصح ملوك الإسلام" - وقال بعضهم: « هو: الشيخ الفقيه، العلامة الزاهد الورع، الولي الصالح المتصوف، إمام جامع القرويين، وهو الذي صلى على الإمام أبي عبد الله ابن السكاك - تلميذ ابن عباد - يوم مات، وأدخله قبره ».هـ. وهو بباب الحمراء - على ما رأيته أيضا مقيدا... والله أعلم.

[547- الإمام سيدي إبراهيم الحاج]
(ت: القرن التاسع)

ومنهم: الشيخ الإمام، القدوة البركة الهمام: أبو سالم سيدي إبراهيم؛ المعروف بـ: الحاج. من أشياخ ابن غازي الذين حضر مجالسهم، وهو - أيضا - من أشياخ شيخ ابن غازي: الأستاذ الصغير النيجي، وضريحه بباب الحمراء، على ما رأيته - أيضا - في بعض التقايد... والله أعلم.

[548- الأستاذ المقرئ سيدي أبو مهدي عيسى المغراوي]

ومنهم: الشيخ الفقيه، الأستاذ النزيه: المعمر أبو مهدي سيدي عيسى المغراوي؛ ممن أخذ عنهم أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى الطنجي، وأبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبي القاسم القرموني القيسي؛ أخذ عنه القراءات السبع، وضريحه - أيضا - على ما رأيته مقيدا: بباب الحمراء.

[549- الإمام الفقيه سيدي محمد بن عمر العكرمي]
(ت: 842)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العالم العلامة النبيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر العكرمي القرشي.

كان - رحمه الله - علامة متفننا، أخذ عن ابن عرفة وغيره، وأخذ عنه: الأستاذ الصغير النيجي، والفقيه القاضي أبو محمد سيدي عبد الله الورياجلي، والشيخ أبو زيد عبد الرحمن الرقعي الفاسي؛ صاحب "نظم مقدمة ابن رشد"، والشيخ أبو زيد الكاواني؛ وعنه أخذ الأصلين.

وقد قال النيجي: « سمعت العكرمي يقول: سمعت ابن عرفة يقول: إن الإمام ابن القاسم ضعيف في الأصول ». هـ. وقال النيجي - أيضا: أنشدنا أبو عبد الله العكرمي قال: أنشدنا الإمام ابن عرفة:

يقولون: هذا ليس بالرأي عندنا ... ومن أنتم حتى يكون لكم عند ؟!

قال العكرمي: وأنشدنا - أيضا - يعني: ابن عرفة - متمثلا:

حسبت الهوى سهلا وما كنت داريا ... ومن يجهل الأشياء يستسهل الصعبا

قال: وأنشدنا أيضا:

صلاة وصوم ثم حج وعمرة ... عكوف طواف وائتمام تحتما

وفي غيرها كالوقف والطهر خيرن ... فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

ابن غازي: وأنشدنا شيخنا الصغير قال: أنشدنا أبو عبد الله العكرمي لبعضهم:

واظب على نظر اللخمي إن له ... فضلا على غيره للناس قد بانا

[122] مستحسن القول إن صحت أدلته ... ويوضح القول تبيانا وفرقانا

ولا يبالي إذا ما الحق ساعده ... بمن يخالفه في الناس من كانا

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - سنة اثنين وأربعين وثمانمائة. ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"، و"التوشيح"، وفي بعض التقاييد الغير المنسوبة أنه: بباب الحمراء . . والله أعلم.

[550- الفقيه الصالح سيدي علي بن عبد الرحمن الأنفاسي]
(ت: 860)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الصالح النزيه؛ أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن الأنفاسي. من أهل مدينة فاس، وكان خطيبا وإماما بجامع الأندلس منها .

وانتفع به في قراءة "المدونة" جماعة كثيرة؛ كالشيخ زروق. وكان يقرأها بابن يونس، وأخذ عنه أيضا: الأستاذ الصغير النيجي، وأدركه العلامة ابن غازي وحضر مجلسه، والغالب عليه المسكنة والديانة، وكان على جانب عظيم من الصلاح.

حكي أن: الناس احتاجوا في أيامه للمطر؛ فسألوه أن يستغيث لهم ويستسقى، وألحوا عليه في ذلك؛ فوعدهم ليوم ثالث من يومئذ. ولما كان الغد؛ أخرج ما عنده من الزرع وصيره صرة في صحن جامع الأندلس، ثم تصدق به وقال لهم: « الآن أبكي كبكاء المسلمين! »، فاستسقى بهم؛ فسُقوا.

توفي وقد طعن في السن سنة ستين وثمانمائة. ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"النيل" و"الكفاية"... وغيرها، وفي بعض التقاييد المذكورة أنه بباب الحمراء... والله أعلم.

[551- الفقيه المشاور سيدي محمد بن عبد العزيز التَّازَغْدَرِي]
(ت: 832، أو 833)

ومنهم: الشيخ الإمام، الفقيه العالم الهمام، العَلَمُ الأوحد، الصدر الأمجد، المفتي المشاور الشهير، الحافظ الحجة الكبير، المحقق المتقن، النظار المتفنن، الخطيب البليغ الأفصح، الصالح البركة الأنجح؛ أبو عبد الله وأبو القاسم سيدي محمد بن عبد العزيز التازغدري. نسبة لموضع من نواحي طنجة.

كان - رحمه الله - مفتي فاس، وحافظها، وخطيب جامعها الأعظم. أخذ عن شيخ الجماعة أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي؛ وكان أنجب تلامذته. وأخذ عنه: القوري، وأبو العباس المزجلدي، وأبو زيد الكاواني؛ وبه تفقها. وأكثر ابن غازي من النقل عنه في كتبه.

وله تعليق على تقييد أبي الحسن الصغير على "المدونة"، وفتاوي كثيرة؛ ذكر جملة منها في "المعيار".

توفي قتيلا غدرا، ولم يعلم قاتله، سنة اثنين أو ثلاثة وثلاثين وثمانمائة. ويذكر أنه كان كثيرا ما يفضل بين الأنبياء؛ فمات مقتولا؛ لجري العادة بذلك - فيما قيل. ترجمه السخاوي في "الضوء اللامع"، وكذا ترجمه في "الكفاية"، و"النيل"، و"التوشيح"، و"الجذوة"، و"الدرة"... وغير ذلك، ورأيت في التقاييد المنقول عنها [123] أنه بباب الحمراء، وأنه والخمسة قبله من تلامذة شيخ الجماعة أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي الكتامي؛ المتوفى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة.

[552- الإمام الفقيه سيدي عبد الرحمن بن عفان الجزولي]
(ت: 741)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، الحافظ الحجة الهمام، شيخ "الرسالة" و"المدونة"؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن عفان الجزولي.

قال في "النَّيل": « كان علامة في مذهب مالك، صالحا ورعا، أخذ عن أبي الفضل راشد، وأبي عمران الجوراتي، وأبي زيد الرجراجي، وأبي محمد عبد الصادق الصبار. وكان للناس احتفال في مجلسه وانكباب على الأخذ عنه ». هـ.

وقال في "الجذوة": « كان أعلم الناس بمذهب مالك بن أنس، وأصلح الناس وأورعهم، وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه؛ معظمهم يستظهر "المدونة" ». هـ.

وممن أخذ عنه: الشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي، والحافظ موسى العبدوسي، وأبو الحسن الصغير، وخالد بن عيسى بن أحمد بن أبي خالد البَلَوِي. . . وخلق كثيرون.

وكانت شهرته بالصلاح والانقطاع إلى الله تعالى كشهرته بالعلم أو أكثر، مؤيدا في "الرسالة"، وقيد الطلبة عنه بمجلس إقرائه عليها ثلاثة تقاييد: أحدها: الكبير؛ المشهور بالمسبّع. أي: في سبعة أسفار. والآخر: الصغير؛ وهو المشهور بالمثلث. أي: في ثلاثة. والآخر: أصغر منه؛ في اثنين. وكلها مفيدة؛ انتفع الناس بها بعده، إلا أنها تهدي ولا تعتمد.

وكان مُعَمَّرا، وضعف وما قطع التدريس، وسبب موته: أنه خرج للقاء السلطان أبي الحسن المريني مرجعه من وقعة طريف، وكانت يوم الاثنين سابع جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة، فنزل له عن فرسه لما لقيه، ونزل السلطان أيضا إجلالا له؛ فسقط هو عن دابته إذ ذاك، فتضعضعت أركانه، ومات من ذلك.

وفي "نفح الطيب" نقلا عن جده المقري الكبير قال: « دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي، وهو يَجُود بنفسه، وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى، فسألته عن السبب: فأخبرني أنه خرج إلى لقاء السلطان؛ فسقط عن دابته؛ فتداعت أركانه. فقلت: ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك؟. فقال: حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين! ». هـ.

وكانت وفاته – رحمه الله – بفاس في السنة المذكورة؛ وهي: سنة إحدى وأربعين وسبعمائة – على ما هو الأصح في ذلك – وهو الذي في "الدرة"، و"الجذوة"، و"لقط الفرائد"، و"النيل". . . وغيرها. خلافا لقول زروق أنه: توفي عام تسعة وأربعين. ولقول غيره: توفي في سنة أربع وأربعين. وكان سنه يوم توفي – على ما قال الشيخ زروق – مائة سنة وعشرين سنة. وذكر غيره أنه مات عن نحو تسعين سنة. قال [124] في "النيل" وغيره: « وكأنه أشبه ». هـ. وفي بعض التقاييد أن ضريحه داخل باب الحمراء، وأشار لذلك – أيضا – الشيخ المدرّع في منظومته قائلا عند عده لبعض من هو بالقرب منها:

ثم الجزولي عابد الرحمن ... الواضح الآيات والبرهان

[553- الفقيه سيدي عمر التمزي]

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة الوجيه؛ أبو حفص سيدي عمر التمزي. له شرح على "الرسالة"، وضريحه قريب من باب الحمراء. أورده الشيخ المدرع في منظومته قائلا فيه:

والتــمــزي عمــر الفقــيــه ... الشــارح "الرســالـة" الـوجيــه

ولم أقف له الآن على ترجمة.

[554- قاضي الجماعة سيدي محمد بن أحمد التَّمَّاق]

(ت: 1151)

ومنهم: الشيخ الإمام العلامة، الحبر الدراكة الفهامة، القوي الباع في الإتقان، والضبط والمشاركة والإيقان، الورع الزاهد الخاشع، الكريم الأخلاق الراشد المتواضع، الخطيب البليغ الأكمل، وقاضي الجماعة الأعدل، الصوفي المفتي التوازلي؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّمَّاق، الأندلسي الغرناطي أصلا، الفاسي منشأ، **يلقب أهله قديما بأولاد السراج.**

كان - رحمه الله - علامة فهامة، يتقد ذهنه ذكاء وفطنة، كثير المباحث في كل فن، ينفصل فيها عن تحقيق مؤيد بأدلة من النقل والعقل، مع ملكة التعبير، وجودة الخط، وإحكام الشكل والضبط، موصوفا بالإتقان والتحرير، واعيا لما يقول، مستحضرا لغريب التقول، جامعا لأشتات العلوم على الخصوص والعموم.

قرأ على الشيخ أبي عبد الله - شارح "الحصن" - وأخيه سيدي عبد الرحمن[1]، وعلى الأخوين: أبي محمد سيدي عبد السلام وأبي عبد الله سيدي محمد العربي بن سيدي الطيب القادري الحسني، وعلى أبي عبد الله القسنطيني الحسني؛ المعروف بالكَمَّاد، وعلى القاضي أبي عبد الله بردلة، وعلى العلامة المسناوي... وغيرهم.

وأخذ عن الأحمدين[2]، واتصل منهما بسيدي أحمد ابن عبد الله معن أتم اتصال، حتى اهتدى بهديه، وانتفع بجميل سعيه، متخلقا بأخلاقه، مع الورع والزهد. وأخذ - أيضا - عن الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي؛ دفين الشرشور، بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم في رؤيا منامية حصلت له، وكان مشمرا في العلم والعمل على ساعد الجد، ظاهر الخصاصة مع القناعة، لا يأكل إلا من عمل

---

[1] يعني الشيخين محمد وعبد الرحمن ابني الشيخ عبد القادر الفاسي.

[2] يعني: الشيخين أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، وأحمد اليمني.

البراعة، يرتاد الخلوات؛ فرارا من الشهود مع أهل الشان في الجلوات، اتخذ مأوى بظهر زاوية شيخه سيدي أحمد ابن عبد الله بأقصى حومة المخفية؛ فكان ينسخ هناك ويقيد، ويدرس سنين، ثم ألزم التصدر للانتفاع [125] به من سلطان الوقت؛ فخرج لمجالس الظهور على إكراه، حتى انتفع به من أهل فاس الجم الغفير، ممن لهم في العلم والفضل والدين قدر كبير.

ثم ولي القضاء بفاس، والخطابة بالقرويين منها بعد طول امتناع؛ وذلك سادس صفر سنة أربعين ومائة وألف؛ فأظهر العدل في أحكامه، ونهج نهج الصواب في مسائل الدين في أيامه، مع التحري والإنصاف، والورع والوقار والعفاف، ومشاورة العلماء، ومذاكرة الفقهاء، إلى أن أخر عنه رابع شوال من السنة المذكورة من غير ريبة ظهرت منه.

وألف تآليف؛ كحواشيه على "شرح الحصن"، و"إزالة الدلسة عن أحكام الجلسة"، و"جمع الأقوال في لبس السروال"... وغير ذلك. وله أسئلة كثيرة، مشتملة على مباحث نفيسة، كان يرفعها لأكابر أشياخه. وله أجوبة – كذلك – كانت ترفع إليه من أعيان نجباء عصره، وأبحاث على "التحفة"، و"اللامية"، "والعمليات" لشيخه أبي زيد الفاسي، وكان يدرس هذه الأنظام الثلاثة، و"الموطأ"، و"الرسالة"... وغير ذلك. وكان لا يخرج في فتواه عن المشهور.

توفي – رحمه الله – عشية يوم الأربعاء عاشر جمادي الأولى سنة إحدى وخمسين ومائة وألف. قال في "الروضة المقصودة": « ودفن بالغد بعد الصلاة عليه بجامع القرويين، داخل باب الفتوح، بقرب باب الحمراء. رحمة الله عليه » .هـ. ترجمه في "الروضة" المذكورة، وكذا صاحب "النشر" في خاتمة الجزء الثاني، وعده الشيخ التاودي ابن سودة المري في فهرسته من شيوخه. وأثنى عليه.

[555- الموقت سيدي أبو جيدة بن محمد (حمّ) المشاط المتافي]
(ت: 1148)

ومنهم: الشيخ الفقيه الأديب، الموقت العدل الخطيب؛ سيدي أبو جيدة بن محمد – المدعو: حمّ المشاط المتافي.

كان – رحمه الله – مؤقتا بمنار مسجد القرويين[1]، قائما به، وبضبطه، حريصا على مهمات المسجد المذكور، حريصا في طلب العلم، وحصل منه على مهمات من النحو والفقه. وكان له اعتناء بمطالعة المسائل الأدبية واللغوية، وكان يقوم على روضة الجادري في التوقيت، وعلى "ألفية" ابن مالك، ويعتني بمطالعة ابن هشام. وهو من جملة أشياخ صاحب "النشر"؛ قرأ عليه "الجرومية"، و"ألفية" ابن مالك إلى الاشتغال.

---

[1]. في نسخة في "النشر": « بمنار مسجد الأندلس. فليحرر ». مؤلف.

توفي في سن شبابه في التاسع والعشرين من جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، ودفن بقرب باب الحمراء، وترك ولدا مات بعده صغيرا؛ فلم يبق له عقب - رحمه الله - ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر".

[556- الصالح سيدي عبد الله الأغصاوي (ابن العقدة)]

ومنهم: الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله الأغصاوي؛ المعروف [126] بابن العقدة، الشهير عند الناس بـ: سيدي الأغزاوي.

أورده في "التنبيه"، وذكر أن ضريحه قريب من باب الحمراء، ولم يزد. وأورده الشيخ المدرع في منظومته فيمن دفن قرب الباب الحمراء - أيضا - قائلا:

ومنهمُ: الشيخ الجليل الجاه	وهُو الاغزاويُّ عبد الله
شجرتا النارنج قامتا عليهَ	وأثر القبول لا يخفى لديه

ولم أعثر له الآن على ترجمة.

[557- الفقيه الصالح سيدي محمد بن محمد ابن إبراهيم المَشَنْزائي] (ت: 925)

ومنهم: الشيخ الفقيه الجليل الأكمل، العالم العلم المشارك الأفضل، المتفنن؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الفقيه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الفقيه أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ أبي عمران موسى الدكالي المشنزائي؛ المعروف بالبحر.

كان - رحمه الله - من أهل العلم والفقه، والتفنن في العلوم، والمشاركة فيها، زكيا فاضلا صالحا. أخذ عن ابن غازي وأجاز له أن يروي عنه ما في فهرسته المشهورة. وتوفي - رحمه الله - سنة خمس وعشرين وتسعمائة، ودفن بإزاء سيدي الأغزاوي، قرب الباب الحمراء.

قال بعضهم: « ويحكى أنه: كانت فتنة في بعض السنين - فيما قبل دولة مولانا الرشيد الشريف الحسني - وكان الرماة يبيتون على سور مدينة فاس بإزاء الباب الحمراء للحراسة، فرأى في بعض الليالي واحد منهم عمودا من نور خارجا من بعض المقابر القريبة من قبر الشيخ سيدي ابن العقدة؛ الشهير بـ: سيدي الأغزاوي؛ فنزل من السور، وذهب إلى ذلك القبر، وجعل عليه علامة، ولما كان

من الغد؛ جاء إليه وسأل عنه؛ فقيل: هو لسيدي محمد ابن إبراهيم؛ المعروف بالبحر! . قال الراوي المذكور: فلم أزل أتعاهده بالزيارة من ذلك اليوم – نفعنا الله به)) . هـ .

ترجمه قريبه الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الخياط ابن إبراهيم الدكالي؛ فيما جمعه في التعريف ببعض أقاربه تكميلا لما جمعه أخوه أبو العباس.

[558- الفقيه المجود سيدي محمد بن محمد ابن إبراهيم المشنزائي] (ت: 992)

ومنهم: ولده الشيخ الفقيه، الأستاذ النزيه، الولي الصالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن محمد بن محمد بن إبراهيم الدكالي المشنزائي.

وصفه عمه وشيخه الأستاذ أبو القاسم – المترجم له بعده – في إجازته إياه بـ: الفقيه النجيب الأريب، الحافظ القارئ المجود، الأبر الأرضى، المتقن المحقق الأدرى. . ووصفه الفقيه أبو العباس أحمد ابن عبد الله بن القاضي ابن أبي محلي السجلماسي في كتابه "الإصليت" بـ: الفقيه الصالح الأبله. ووصفه مرة أخرى في الكتاب المذكور بـ: الأستاذ الصالح.

وكان – رحمه الله – من [127] أهل التجويد للقراءات، مع الضبط لأحكامها والتحصيل، معروفا بالولاية والكمال والتكميل.

وقد ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"؛ فقال فيهما: ((محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم المشنزائي الدكالي؛ أبو عبد الله، الفقيه الأستاذ الحافظ. كان رجلا صالحا، مشهور الولاية. توفي بمدينة فاس في يوم الأربعاء منتصف القعدة سنة اثنين وتسعين وتسعمائة، وولد بمدينة فاس سنة إحدى عشرة وتسعمائة)) . هـ . ولم يتعرض فيهما لمحل دفنه، وأظنه مع والده المذكور، في روضتهم المذكورة. . . والله أعلم.

[559- العلامة المقرئ المفسر سيدي أبو القاسم بن محمد ابن إبراهيم المشنزائي] (ت: 978)

ومنهم: عمه وشقيق والده الشيخ الإمام الشهير، الأستاذ الكبير، العلامة المحقق، الدراكة المدقق، النحوي المفسر؛ أبو محمد سيدي أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم بن أبي عمران موسى الدكالي المشنزائي الفاسي.

ترجمه تلميذه المنجور في فهرسته؛ وقال: «كان من الأساتيذ المُعْتَبَرِين، عارفا بعلوم القرآن – أداء ودرسا، ورسما وتفسيرا – ممتعا من الكتب العلمية: التفسير والحديث والعربية... وغير ذلك مما جمعه صهره – والد زوجته – الأستاذ الكبير، ذو النحو الغزير، الفقيه الفرضي؛ أبو عبد الله الهبطي، وهي إعانة كبيرة على الطلب، كما كان بعض الشيوخ يقول: آلة تحصيل الطلب: كتب صحاح، وشيخ فتاح، ومداومة وإلحاح. وزاد بعض الأذكياء من أصحابنا: وقدر فواح».

«قلت: وينبغي أن يزاد: وأن لا يكون مع الأقحاح. وقد قال بعض الحكماء: العلم يفتقر إلى خمسة أشياء، متى نقص منها شيء؛ نقص من علمه بقدر ذلك؛ وهي: ذهن ثاقب، وشهوة باعثة، وعمر طويل وجدة، وأستاذ».

«أخذ عن والده الفقيه أبي عبد الله، وعن شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن غازي؛ وهو عمدته؛ لازمه في دروسه: التفسير وغيره مدة ليست بقليلة، وجمع عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع، وأجازه فيه وفي غيره. وأخذ – أيضا – عن صهره أبي عبد الله الهبطي، وعن غيرهم ممن عاصرهم».

«وكان مشاركا في الأدب والتاريخ، ويحسن كتب الوثائق، لازم السماط مدة؛ قال لي: إنه ولد في السنة التي توفي فيها الفقيه أبو مهدي عيسى الماواسي، أو قال لي: قبلها بسنتين. وتوفي الماواسي سنة ست وتسعين وثمانمائة، وتوفي هذا الأستاذ عام ثمانية وسبعين من هذه المائة – أي: وهي العاشرة – وكانت جنازته مشهودة؛ حضرها الخاص والعام». انتهى باختصار لبعضه.

وترجمه أيضا في "الدوحة"؛ فقال: «ومنهم: الشيخ الحافظ، العلامة النقاد، النحوي الأستاذ؛ أبو القاسم ابن إبراهيم [128] أخو أبي زيد المذكور آنفا – يعني: في كلامه – كان شيخ التفسير وإمامه، يستظهر "الكشاف" للزمخشري، وينقل من تفسير الفخر وغيره في مجلس إقرائه، ويحقق أقوال المفسرين بالرد والقبول. وبالجملة: فإنه إمام القراء في عصره، وشيخ التفسير في مصره. وأدركه الضعف في آخر عمره لكبر سنه، وربما خرف عقله. توفي – رحمه الله – أواسط العشرة السابعة بفاس». هـ.

وفي "جذوة الاقتباس": «أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم المشنزائي الدكالي: الفقيه الأستاذ النحوي الحافظ. كان فقيها أديبا لغويا. أخذ عن أبي عبد الله ابن غازي، وعن أبي العباس الدقون عن المواق عن المنتوري. توفي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة». هـ. وذكر في "درة الحجال" في ترجمة أبي العباس الدقون المذكور أنه: أجاز صاحب الترجمة بقوله:

أُشْهِدُكُمْ يَا مَنْ حَضَرْ	أَهْلَ الْبَوَادِي وَالْحَضَرِ
أَنِّي أَجَزْتُ قَاسِمَا	ابْنَ الْفَقِيهِ الْمُعْتَبَرْ

ومن أخذ عن صاحب الترجمة: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الزَّموري؛ دفين الدَّوح من طالعة فاس، والشيخ سيدي رضوان الجنوي، والشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي... وغيرهم ممن لا يحصى.

وعده في "جواهر السماط" من أصحاب الولي الشهير سيدي عبد الله الخياط الزرهوني؛ قائلا ما نصه: « ومنهم: الشيخ أبو القاسم ابن إبراهيم؛ دفين باب الفتوح؛ أحد أبواب فاس. كان رجلا صالحا، عارفا بالكتاب والسنة. أخذ عن الشيخ الخياط، وصحب بعد موته الشيخ أبا الطيب اليحياوي، وبقي على صحبته إلى أن توفي ودفن بباب الفتوح ». هـ.

ولعل مراده أنه: دفن داخل باب الفتوح لا خارجها كما يوهمه كلامه؛ ففي خط العالم البركة أبي العباس سيدي أحمد بن يحيى الشريف الحسني ما نصه: « توفي الفقيه الأستاذ المقرئ النحوي، المدرس المفسر لكتاب الله تعالى، المحقق؛ سيدي أبو القاسم ابن إبراهيم الدكَّالي، الفاسي الدار والمولد والوفاة؛ في منتصف رجب الفرد عام ستة وسبعين وتسعمائة، ودفن بتربة أسلافه - رحمهم الله - بالباب الحمراء من مدينة فاس - رحمه الله، ورضي عنه - وكانت جنازته حافلة؛ حضرها الخاص والعام، ولم يتخلف عنها أحد، وحضرها مولانا السلطان أمير المؤمنين أبو عبد الله مولانا محمد المتوكل على الله ابن مولانا السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني، وكذلك سائر الفقهاء الذين يطول ذكرهم ». انتهى. نقله الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد [129] الخياط ابن إبراهيم فيما جمعه من التعريف بأقاربه.

وما ذكره في وفاته من أنها سنة ست وسبعين؛ مثله في "مطمح النظر"، وتقدم عن المنجور وابن القاضي في "الجذوة" أنه: توفي سنة ثمان وسبعين، ومثله في "درة الحجال"، وفي "لقط الفرائد" لابن القاضي أيضا، ولأبي زيد الفاسي في "ابتهاج القلوب". وعلى كل حال؛ فما ذكره هؤلاء في وفاته يرد ما تقدم عن صاحب "الدوحة" من أنها: أواسط العشرة السابعة، وصوابه: الثامنة. والله أعلم.

[560- الإمام الفقيه سيدي عبد الرحمن بن محمد ابن إبراهيم المشنزائي] *(ت: 962)*

ومنهم: أخوه وشقيقه الشيخ الفقيه الإمام، الأستاذ الموثق الهمام، العلامة المحقق، الفهامة المدقق، الواعظ الخطيب الصالح، البركة القدوة الناصح؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي الفاسي.

كان – رحمه الله – أحد الفقهاء المحققين، المقتدى بعلمهم وهديهم، الذين نفع الله بهم أمة عظيمة، جامعا بين العلم والصلاح، قائما على رسالة ابن أبي زيد أتم قيام، وكاد يحفظ تقييد الجزولي المسبع عليها، وكان يُدعى: أبا "الرسالة"؛ لأنه كان أفقه الناس بغوامضها، وأعرفهم بمشكلاتها. يستحضر نصوصها، ويضرب مسائلها بعضها ببعض، وكان يفسر بها "المدونة" وسائر كتب المذهب.

قال المنجور في فهرسته: « وكان مجلسه مُنَوَّرا، وللفظه حلاوة، وعليه طلاوة، وربما يحضره في ذلك المجلس شيخنا الفقيه أبو محمد الونشريسي – وكان أسن منه – ويَتَعَجَّبُ من فصاحته ورشاقته في ذلك؛ ويقول في تدريسه ذلك: هو السهل الممتنع. وكثيرا ما تسأله العامة عن أمر دينها بالمجلس وخارجه، وهو عمدتهم في ذلك وفي معاملاتهم، ويقصدونه لعقد شروطهم في مناكحتهم ومبايعتهم، وسائر معاملاتهم، وكان يحسن الوثيقة؛ قد لازم السماط مدة طويلة، حتى حصل له بذلك زيادة تمرن في المسائل الفقهية، مع كونه لا يترك التدريس في "المدَونة"، و"الرسالة"، ويدأب على ذلك؛ لكنه يقتصر على حل اللفظ، ولا يزيد. كما مر ». هـ.

أخذ – رحمه الله – عن أبيه – الذي هو من طبقة ابن غازي ووفاته بعد موت ابن غازي بنحو سنتين – وأخذ – أيضا – عن ابن غازي، وأبي عبد الله الهبطي، وأبي العباس الزقاق، وأبي العباس الحباك، وأبي الحسن ابن هارون، وأبي محمد عبد الواحد الونشريسي. . .وجلس للتدريس في أول شبابه سنة إحدى عشرة، وانتفع به خلق كثير.

وممن أخذ عنه: الشيخ سيدي رضوان الجَنوي؛ ولازمه وانتفع به، والشيخ أبو عبد الله القصار، والشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي [130]، والفقيه القاضي أبو عبد الله محمد ابن يوسف الترغي؛ وأجاز له في القراءات السبع. وأخذ عنه – أيضا – الولي الصالح سيدي عبد الله ابن حَسُّون، وأبو العباس المنجور؛ وذكره في فهرسته وأثنى عليه، والأستاذ أبو زيد عبد الرحمن النالي، وأبو القاسم بن محمد ابن عبد الجبار الفجيجي. . . وغيرهم.

وتوفي – رحمه الله – بفاس أول سنة اثنتين وستين وتسعمائة؛ عن نحو سبعين سنة، وطال مرضه نحو السنة. قال في "الدوحة": « واحتفل الناس كلهم بحضور جنازته، وكسروا أعواد نعشه تبركا . . .». هـ. وقال المنجور: «كانت جنازته مشهودة؛ حضرها ولي العهد – حينئذ – أبو محمد مولانا عبد الله، وأسف الناس لفقده، وأثنوا عليه خيرا. . قال: وكان كثيرا ما يتنفل بين المغرب والعشاء، شاهدت ذلك منه بمسجد الأبارين، وله قيام بآخر الليل – على ما أخبرني به ولده: الثقة الخطيب أبو فارس عبد العزيز – ومن أعظم عباداته: إعانته لولده الفقيه الصالح أبي شامة في مؤن الدنيا، وتفريغه إياه لعبادة الله عز وجل! ». هـ.

ترجمه جماعة؛ منهم: تلميذه المنجور في فهرسته، وصاحب "الجذوة"، و"الدرة"، و"نيل الابتهاج"، و"الدوحة"، و"المرآة"، و"ابتهاج القلوب"...وغيرهم. ونص في "الجذوة"، و"المرآة"..وغيرهما على أن وفاته: كانت بفاس. ولم أقف على تعيين مدفنه، وذكرته هنا مع أقاربه المذكورين باعتبار الظن. والله أعلم.

[561- الأستاذ أبو شامة سيدي محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم المشنزائي] (ت: 964)

ومنهم: ولده الشيخ الصالح، الفقيه البركة الواضح، الأستاذ النحوي الأريب، الفَرَضي المتفنن الخطيب، العلامة الزاهد، المنقطع عن الدنيا وأهلها الناسك العابد؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن إبراهيم المشَنْزائي، الدكالي أصلا ومحتدا، الفاسي دارا ومولدا؛ المعروف بأبي شامة.

قرأ - رحمه الله - على أبيه وعمه أبي القاسم، وعلى أبي العباس الحَبَّاك؛ جمع عليه القرآن بالقراءات السبع، وعلى أبي الحسن ابن هارون، وعلى أبي عبد الله ابن مجبر، وقرأ بعض "فرعي" ابن الحاجب و"التوضيح" على الشيخ أبي محمد عبد الحق المصمودي، وعلى غيرهم ممن في عصرهم.

وأخذ عنه هو جماعة؛ منهم: سيدي رضوان الجنوي؛ عده المرابي في تحفته من أشياخه؛ وقال: «كان من الأئمة المقتدى بهم، وكان إماما بالقرويين، وكان رجلا خمولیا؛ عليه أثر الصلاح لائح». هـ. وممن أخذ عنه - أيضا - القصَّار، والمنجور، وأبو القاسم، الفجيجي... وغير واحد.

وكان - رحمه الله - ذا زهد وورع، غزير الدمع، كثير الخشية، طويل الفكرة، من عباد الله الصالحين، قائم الليل، صائم النهار، لا يفتر ساعة عن العبادة، وإذا أدركه النوم [131]؛ ينام على الأرض في ثيابه، ملاصقا جنبه للثرى أو الحصير، ويجعل الحجر أو الأحجار تحت رأسه، ولا يلتفت إلى الدنيا، ولا إلى أهلها، ولا يتزين، ولا يتصنع، مقبلا على شأنه، مهتما بأمر آخرته، يخلو بنفسه يتلو القرآن، ويذكر الله تعالى، لا يغتاب أحدا، ولا يترك من يغتاب عنده، ولا يبحث عن الدنيا ولا عن أهلها، متفرغا للعبادة من أول أمره إلى وفاته.

ولما مات أبوه؛ تطارح الناس عليه وطلبوا منه أن يقوم مقامه في التدريس والخطبة بجامع القرويين؛ فأبى عليهم، فألحوا عليه؛ ففعل. وكان مأواه بمقصورة الجامع، ثم تخلى عن الخطابة.

ولد - رضي الله عنه - بفاس سنة عشر وتسعمائة، وتوفي بها أول سنة أربع وستين وتسعمائة، وانحشر الناس لجنازته؛ فلم يتخلف عنها سلطان ولا غيره، وتطارحوا على جنازته تبركا، وكسروا أعواد نعشه على عادتهم.

ترجمه المنجور في فهرسته؛ وعده فيها من شيوخه، وصاحب "الجذوة"، و"الدرة"، و"الدوحة"، و"ابتهاج القلوب"... وغيرهم. وفي تأليف لسيدي عبد السلام بن الخياط القادري الحسني في التعريف بالشيخ مولاي عبد الله الشريف الوازاني عند تعرضه لصاحب الترجمة ما نصه: «وتوفي أول سنة أربع وستين وتسعمائة، ودفن مع أهله قرب الباب الحمراء؛ داخل باب الفتوح من عُدْوَةِ فاس». هـ.

[562- العالم سيدي إبراهيم بن أبي شامة ابن إبراهيم المشنزائي]

(ت: 994)

وخلف - رحمه الله: ولده الفقيه الفاضل، المدرس الناسك، الزاهد الورع، الولي الصالح؛ أبا إسحاق إبراهيم.

كان - رحمه الله - مقلا من الدنيا، زاهدا فيها، مع ورع. متقبضا عن أبناء الدنيا، منزويا عن أبناء جنسه، لا يقف بأبوابهم، ولا يخضع لعظمائهم، قليل الكلام جدا، مدمن السكوت، لا يتكلم فيما لا يعنيه، مع ما له من الحظ الوافر في المشاركة في ضروب العلوم؛ من النحو والبيان، والفقه والحديث، والعروض... أستاذا.

جمع على أبيه وأجازه، وعلى عم أبيه سيدي أبي القاسم، وعلى سيدي محمد ابن مجبر، وتخرج في الحديث على أبي الفضل خروف التونسي، والشيخ سيدي رضوان الجنوي؛ وأجازاه، وعمما له الإجازة. وكانت له يد طولى في الأدب، وبلاغة في النظم، وكانت بينه وبين الشيخ القصار مخاواة ومحبة شديدة، ما ريء مثلهما في زمانهما على تلك الحالة، من صغرهما إلى أن فارقتهما الموت، وهما اللذان أعانا شيخهما سيدي رضوان على نظمه لرجال "الحلية".

ولد - رحمه الله - سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، وتوفي في محرم سنة أربع وتسعين وتسعمائة، ولم أقف على مدفنه، وربما يكون مع والده هنا.. والله أعلم.

[563- العلامة الفقيه سيدي محمد بن عبد الله ابن أبي محلي]

ومنهم: الفقيه الإمام، الفاضل الهمام؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله [132] ابن القاضي بن أبي محلي؛ به شهر. السجلماسي.

قرأ مع أخيه وشقيقه الشيخ أبي العباس أحمد - صاحب "إصليت الخرّيت، في قطع بُلعوم العفريت النفريت" - على الشيخ الفقيه الأستاذ الصوفي أبي محمد عبد الوهاب بن محمد ابن إبراهيم الدكالي. ولازماه، وانتفعا به، وكان سكناهما معا أوان الطلب بمدرسة العطارين.

وتوفي صاحب الترجمة بفاس؛ قال في "الإصليت" المذكور: « ودفن بإزاء الشيخ الأستاذ أبي شامة؛ أحد فروع شجرة العلم بمدينتها . وهم: أولاد ابن إبراهيم ». هـ.

[564- العالم سيدي العربي ابن إبراهيم]
(ت: 1271)

ومنهم: الولي الصالح، المتجرد السائح؛ أبو حامد سيدي العربي ابن إبراهيم، الدرقاوي طريقة.

كان - رحمه الله - من أصحاب الولي العارف مولاي العربي الدرقاوي، وكان فقيرا صوفيا، متجردا يدور في الأسواق حافي الرأس عاري القدم، عليه قشابة صوف، لا يزيد عليها، وفي عنقه جراب كبير من دُوم؛ يسمى عند الناس بـ: أقراب. وكان متبركا به، منسوبا إلى الخير والصلاح.

وله خبرة بشيء من كلام القوم، ويتذاكر ويحسن السؤال والجواب، وشاهد الناس له كرامات، وحكوا عنه مآثر حميدة؛ منها: أنه لما ثقف قاضي فاس خراج الحبس على الشريف العلامة سيدي عبد السلام بوغالب بسبب أنه طلبه للقضاء ببعض حواضر المغرب فأبى من ذلك وامتنع منه؛ صار هو يظل يومه يسأل الناس، وما أفاء الله به عليه من السؤال يأتي به إليه، وكان يحصل له منه نصيب وافر، إلى أن رُد إليه خراجه بعد سنين.

توفي - رحمه الله - بالطاعون ثامن ربيع النبوي سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة أهله الكائنة بكدْيَةِ البَرَاطِيل؛ قريبا من ضريح سيدي ابن عباد، وقبره عار ليس به بناء ولا غيره.

[565- الإمام العارف سيدي مَحمد بن إبراهيم ابن عبّاد النفزي]
(ت: 792)

ومنهم: الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، العارف بالله، الدال في جميع أقواله وأفعاله على الله، الولي الكبير، القدوة الشهير، الزاهد الورع النبيه، السالك المسلك الصوفي الفقيه، ذو العلوم الباهرة، والمحاسن المتظاهرة، سيد العارفين بالله في زمانه، ووحيد عصره وأوانه، سليل الخطباء البلغاء، ونتيجة العلماء الكبراء؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب أبي

إسحاق إبراهيم بن أبي بكر عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى ابن عباد النفزي الحميري نسبا، الرندي بلدا، الشهير بابن عباد.

ترجمه صاحب "السلسل العذب" فقال: «ومن الطبقة الثانية: الكثيف جلباب الحياء، المكب على ما يُعَد لدار البقاء، صاحب الصدر السليم، والنظر المستقيم، المعطي للخير رَسَنَ الانقياد [133]؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن عباد. من أشد المريدين مروءة، وأكثرهم حشمة، وآثرهم للخلوة، وأدأبهم على مطالعة كتب العلماء ومصنفات الفضلاء، وله مأثور صحبة مع الشيخ أبي العباس ابن عاشر، ومرافقة مع الزهري المتقدم الذكر - يعني: في كلامه - وأخيه أبي يحيى ابن عباد».

«وكان الشيخ - رحمه الله - يمهد له كرامة، ويلحظه بعين عناية، ويقرر نجابته عند الخاص والعام، ويشهد له أصحابه بيُمْن النقيبَة، وسلامة الجيب، وكرم الفطرة. مشغول بما يعنيه، ذو حظ من العلم، منور البصيرة، حسن الأهتداء، وقور السمت، عالي الإدراك، ثاقب الذهن، خير كله؛ باطنه وظاهره في الخير سواء، وأحواله في الخيرات تزيد، وباعه في الفضل يمتد، له همة مشوفة إلى الاطلاع على غرائب العلوم، أكثر تعبده: الاشتغال بالقراءة؛ فأوقاته مُسْتغرَقة في مطالعة الكتب، والتمتع بفنون العلم. موثر للصمت...». انتهى منه، وقد نقله - أيضا - صاحب "إفادة المرتاد بالتعريف بابن عباد".

وفي "أُنس الفقير" ما نصه: «ورأيت من الصالحين بفاس: الخطيب الشهير، الصالح الكبير؛ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الرندي. وكان والده من الخطباء الفصحاء النجباء، ولأبي عبد الله هذا عقل وسكون، وزهد بالصلاح مقرون، وكان يحضر معنا مجلس شيخنا الفقيه أبي عمران موسى العبدوسي - رحمه الله - وهو من كبار أصحاب ابن عاشر، ومن خيار تلامذته. وله كلام عجيب في التصوف، وصنف فيه ما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير، وله في ذلك قلم انفرد به، وسُلم له فيه بسببه. ومن تصانيفه العجيبة: شرح "الحكم" لابن عطاء الله، في سفر، رأيته، وعلى ظهرَ نسخة منه مكتوب هذا البيت:

لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا ... حتى يَكيلَ تراب الأرض بالقدم

«ومن كلامه فيه: الاستيناس بالناس من علامات الإفلاس، وفتح باب الأنس بالله تعالى: الاستيحاش من الناس. ومن كلامه فيه: من لازم الكون، وبقي معه، وقصرت همته عليه، ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية، ولا خلَصَ بسره إلى فضاء مشاهدة الوحدانية؛ فهو مسجون بمحيطاته، ومحصور في هيكل ذاته... إلى غير ذلك من كلامه».

«وكان يحضر السماع ليلة عيد المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك، وما رأيته قط في غير مجلس جالسا مع أحد، وإنما حظ من يراه: الوقوف معه خاصة. وكنت إذا طلبته في الدعاء؛ احمر وجهه، واستحيى كثيرا، ثم يدعو لي، وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير، ويتولى أمر خدمته بنفسه، ولم يتزوج، ولم يملك أمة، ولباسه في داره [134] مرقعة، فإذا خرج سترها بثوب أخضر أو أبيض. . . ».

«وله تلامذة كلهم أخيار مباركون. وبلغني عن بعضهم أنه: تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهبا. وهو الآن إمام جامع القرويين بفاس وخطيبه، وأكثر قراءته في صلاة الجمعة: ﴿ *إذا جاء نصر الله* ﴾. [النصر: 1]. وأكثر خطبته وعظ. ومثله من يعظ الناس! ؛ لأنه اتعظ في نفسه. وقد أوحى الله إلى عيسى – عليه السلام: يا عيسى؛ عظ نفسك، فإن اتعظت؛ فعظ الناس، وإلا؛ فاستحي مني. ذكره الغزالي. وعهدي به أنه على صفة الأبدال، الصادقين النبلاء. أكثر الله مثله في الإسلام، بجاه النبي عليه السلام » . هـ .

وقال الشيخ زروق في بعض شروحه على "الحكم": « هو سيد العارفين بالله في زمانه، ونخبة عصره وإبانه، نسيج وحده، وعمدة الصديقين من بعده، الشيخ الصالح الفقيه، الخطيب البليغ النبيه، كان ذا سمت وصمت، وزهد وعفاف، وتجمل وحسن طباع، متبرئا من الدعاوي. قال بعض تلامذته المعتبرين: قول الحق فيه: إنه عالم بجميع العلوم الدينية، معولا في حل المشكلات على فتح الفتاح العليم، لم يكن له في عصره قرين. وقد قال لي بعض فقراء الوقت: ما رأيت أحدا ممن تكلم في هذا الفن بريئا من الرضى عن نفسه بكل وجه إلا ابن عباد! » .

« وكان خديمه سيدي أحمد ابن مالك ينقل عنه أنه كان يقول: إنما حجبَ الخلق عن الله تعالى: تدبيرهم لأنفسهم، وعملهم على الحظ. والذي يعمل لا للحظ؛ عليه تصب الحظوظ! . قال: وسألته: هل تزوجت قط؟ . قال: ولا هممت به؛ اقتداء بالشيخ. وله حكاية في العذر عن ذلك يطول ذكرها، وكان يلبس الثياب الرفيعة، ويستعمل الطيب، حتى حكي لنا أن السلطان أراد أن يضاهيه؛ فقال: حاولت بكل ممكن؛ فلم أقدر على ذلك! » .

«وسمعت سيدي أبا القاسم العمير – شيخ من أهل الخير – يقول: كان أبي مؤذنا، وكنت أجيء معه للمسجد، فنقعد ننتظر خروج الشيخ للإقامة، فما نعرف خروجه إلا برائحته! » .

«**وبالجملة**: فقد كان – رحمه الله – من الأئمة المهتدين، ومن أهل الظرافة في الدنيا والدين، ولئن استقصينا ما بلغنا من أخباره؛ لخرجنا عن غرض الكتاب » . انتهى المراد منه بإسقاط ما لم تدعُ الحاجة إليه.

وقال في شرحه الحادي عشر على "الحكم": «كان ذا سمت وصمت، وزهد وعفاف وتجمل، معظما عند الكافة، ليس له في عصره قرين. وحدثني من أثق بقوله: إن سيدي أبا عبد الله العكرمي – أحد مشاهير الفقهاء في وقته – كان يقول متى ما ذكره: إنه سيد العارفين بالله في وقته. ثم قال: له من التآليف التي رأيتها: سبعة:

أولها: رسائله الكبرى. وفيها من [135] الفوائد ما لا يحصى، مع وفور أنوارها، وعظيم أسرارها. ذكر لي بمصر أنها لما بلغت سيدي أبا عبد الله البلالي؛ صاحب اختصار "الإحياء" وغيره؛ جعلها على رأسه وصار يقول: أنا عبد لابن عباد!.

الثاني: رسائله الصغرى. وهي أوفر علما، وأوضح، وإن كانت الكبرى أعظم نورا وإفادة.

الثالث: الخطب المعلومة في المواسم. والقصد بها: تنبيه الغفلة، وإفادة العوام، اتباعا لأبي طالب، وأبي حامد – رحمهما الله – وإلا ففي الرسائل ما يدل على نقيض ذلك.

الرابع: كتاب "تحقيق العلامة في أحكام الإمامة". رأيته بخطه؛ سفرٌ ضخم، جمع فيه ما يحتاجه الإمام؛ فذكرته لشيخنا القوري؛ فقال: أظنه لأبيه!.

الخامس: "الأدعية المرتبة على الأسماء الحسنى"، وأظنها – والله أعلم – رسالة من الرسائل الصغرى، إذ رأيتها ملحقة بها في بعض النسخ.

السادس: ترجيز "الحِكَم" في ثمانمائة بيت وبيت؛ نبه فيه على بعض معانيه باختصار، وهو مفيد في بابه.

السابع: التنبيه المعروف "بالشرح". أي: للحكم العَطائية. والذي أقول فيه: بستان الفن، وخزانة أحكامه، وجامع لبه، لا يكفي غيره عنه، ويكفي هو عن غيره. قد رأيت على نسخة منه بخط اللبّابي؛ غفر الله له ما نصه:

جـزى الله الرجـال جـزاء خـيـر ... عـلـى مـا أظـهـروه لـنـا وأبـدوا
لقـد عَظُمَـتْ فضـائـلـهـم علـيـنـا ... بـمـا للمؤمـنـين هـدوا وأهـدوا

وأظنهما له... والله أعلم».هـ.

قال صاحب "إفادة المرتاد": «وقول الشيخ زروق: الثالث: الخطب المعلومة في المواسم. ظاهره: أنه لم يقف على غيرها. وقد وقفت على هذه الخطب مجموعة في جزء؛ وهي نحو الخمس عشرة خطبة، كل واحدة منها تأليف في موضوعه لا مزيد عليه، ووقفت على خطبه العامة المشتملة

على الوعظ والتذكير، والإغراء والتحذير، والإنذار والتبشير، والترغيب والترهيب، والتنبيه على العوارض الوقتية التي لا تنضبط لزمام. . . رأيت من ذلك مجلدا كبيرا ضخما، وله - أيضا: تأليف آخر في الحديث؛ سماه: "فتح التحفة، وإضاءة الشرفة"، كتاب جيد جدا، أكيد على المتدين في هذا الزمان المظلم. نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بمقتضاه)).هـ.

وقد كان الناس - قبل هذا - يقرؤون من خطبه ما يتعلق بالمولد النبوي بين يدي السلطان تبركا به، وكذا يقرؤونه في المجتمعات في المواسم؛ كأول رجب وشعبان ونصفهما، والسابع والعشرين منهما، كرمضان. وله أيضا - رضي الله عنه - أجوبة كثيرة في مسائل العلوم، نحو مجلدين، وله نظم رائق ذكر شيئا منه في "المنتقى المقصور" [136] وكذا في "إفادة المرتاد". قال في "نفح الطيب": ((ومما نقل من خطه، ولا يدرى هل هو له أم لا؟:

الحزم قبل العزم؛ فاحزم واعزم	وإن استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذي هو مكسب	ذكر القلوب وجُدَّ واجمل واحلم
واحرُس وسُدْ واشجع وصل وامنن وصل	واعدل وأنصف وارع واحفظ وارحم
وإذا وعدت؛ فعد بما تقوى على	إنجازه وإذا اصطنعت فتمم)). هـ.

وقال الشيخ زروق - أيضا - في شرحه السابع عشر على "الحكم": ((هو سيدنا الشيخ الفقيه، العارف المحقق الخطيب البليغ، نسيج وحده، ومقدم من أتى من بعده؛ أبو عبد الله. قرأ بفاس وتلمسان العربية والأصول، والفقه؛ ككتاب "الإرشاد"، ومختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي، وتسهيل ابن مالك. . . ومن مشايخه: الآبلي، والشريف التلمساني، والأستاذ المجاصي. وتوفي بفاس، وقبره بها مشهور، ومزيته معروفة شرقا وغربا. وقد كتب رسائل معروفة؛ أكثرها لسيدي يحيى السراج، وله كتب الشرح مع سيدي سليمان ابن عمر الذي قال فيه: إنه ولي بلا شك!. بطلبهما لذلك. ورأيت له كتابا في الإمامة سماه: "تحقيق العلامة، في أحكام الإمامة"، فذكرته لشيخنا القوري - رحمه الله - وكان معتنيا بكتبه، معولا عليها في حاله؛ فقال: أظنه لوالده سيدي إبراهيم. وقد كان خطيبا بالقصَبَة إذ كانت عامرة، وله خطب عظيمة الفصاحة، حسنة الموقع)).هـ.

وقال في شرحه الخامس عشر عليها: ((ولد برندة، وبها نشأ في عفاف وصيانة، مولده سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. جمع القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم رحل لفاس وتلمسان؛ فقرأ بهما الفقه والأصول والعربية، ثم عاد؛ فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما وعبادة: سيدي أحمد ابن عاشر - نفعنا الله به - فأظهر الله عليه من بركاته ما لا يخفى على متأمل، ثم نقل بعد وفاة الشيخ؛ فجُعل خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس، وبقي بها خمس عشرة سنة خطيبا، فتوفاه الله تعالى بها

بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، رابع رجب سنة اثنين وتسعين وسبعمائة، ودفن بكدية البراطل من داخل باب الفتوح. وكان - رضي الله عنه - ذا صمت وسمت، وتحمل وزهد، مُعَظَّما عند الكافة، مُعَوَّلا في حل المشكلات على فتح الفتاح العليم:

ومن علمه: أنْ ليس يُدعى بعالم | ومن فقره: أن لا يُرى يدعي الفقرا
ومن حاله: أن غاب شاهد حاله | فلا يدعي وصلا ولا يشتكي هجرا!

[137] كذا رأيت بخط من أثق به في تعريفه، ونقلته باختصار، مع زيادة ما تحققت، وكتبه شاهدة بكماله علما وعقلا؛ فهي كافية في تعريفه. وكان الذي طلبه في وضع الشرح على "الحكم": سيدي أبو زكرياء السرَّاج؛ الذي أكثر رسائله له، وسيدي أبو الربيع سليمان ابن عمر »، هـ.

وكان - رحمه الله - حسن السمت، طويل الصمت، كثير الوقار والحياء، جميل اللقاء، حسن الخلق والخلق، عالي الهمة، متواضعا، معظما عند الخاصة والعامة، إماما عالما، منصفا خاشعا، خاشيا ربانيا، محققا فقيها، صوفيا زاهدا، ورعا صالحا، عارفا بالله تعالى. وكان الغالب عليه: الحياء من الله، والتنزل بين يدي عظمته، وتنزيله نفسه منزلة أقل الحشرات؛ لا يرى لنفسه مزية على مخلوق؛ لما غلب عليه من هيبة الجلال، وعظمة الملك، وشهود المنة، وكان نظارا إلى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة، والنصيحة العامة، مع توفية المراتب حقها، والوقوف مع الحدود الشرعية...

وكان من حاله: تَأَلُّفُ قلوب الأولاد الصغار، وكانوا إذا رأوه؛ ازدحموا على تقبيل يده. وكان الملوك - أيضا - يزدحمون عليه، ويتذللون بين يديه، فلا يحتفل بذلك.

نشأ ببلده رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين - كما سبق - ثم تشاغل بعد ذلك بطلب العلوم النحوية والأدبية، والأصولية، حتى رَأَسَ فيها، وحَصَّل معانيها، ثم أخذ في سلوك طريق الصوفية، والمباحثة عن الأسرار الإلهية، حتى صار يشار إليه في ذلك، ويُدَل فيه عليه، وتكلم في علوم الأحوال والمقامات، وما يدخلها من العلل والآفات، وألف في ذلك التواليف العجيبة، والتصانيف البديعة، التي من جملتها: شرحه على "الحكم"، الذي قيل فيه: «أبى الله عز وجل أن يقبل إلا شرحه عليها!». ودرس كتبا كثيرة، وحفظها أو جلها.

أخذ برندة عن والده؛ قرأ عليه القرآن العظيم وغيره، وعن خاله أبي عبد الله الفُرَنسي؛ قرأ عليه القرآن والعربية... وغير ذلك، وعن أبي الحسن بن أبي الحسن الرندي؛ قرأ عليه حرف نافع، وعرض عليه "الرسالة".

وأخذ بتلمسان وفاس عن جماعة من الشيوخ؛ منهم: أبو عبد الله التلمساني الحسني، وأبو عبد الله المقري – جد مؤلف "نفح الطيب" – وأبو محمد عبد النور العمراني، وأبو عبد الله الآبلي، وأبو الحسن الصرصري، وأبو العباس المكناسي، وأبو مهدي عيسى المصمودي. . .

وذهب لسلا؛ فصحب بها الشيخ الصالح الزاهد الورع، الحاج الأبر، ذا الكرامات الكثيرة، والمقامات [138] الكبيرة؛ أبا العباس سيدي أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي؛ نزيل سلا ودفينها على ساحل البحر المحيط بخارجها. المتوفى سنة ثلاث وستين وسبعمائة. وأقام بها معه ومع أصحابه سنين عديدة. قال رحمه الله: «قصدتهم لوجدان السلامة معهم».

ثم رحل إلى مدينة طنجة؛ فلقي بها الشيخ الصوفي، المحقق المربي؛ أبا مروان عبد المالك، قال في "جهد المقل القاصر": «ولعله المراد بالرجل العامي الذي قال بعضهم: إنه لم يفتح لابن عباد إلا على يديه». هـ.

ثم رجع إلى فاس؛ وولي الخطابة والإمامة بجامع القرويين منها مدة من خمس عشرة سنة، إلى أن توفي وعمره ستون سنة، وشهد له المقطوع بولايتهم بالخصوصية العظمى، وأقروا له بالشيخوخة وتبركوا به؛ كسيدي سليمان اليازغي، وسيدي محمد المصمودي، وسيدي سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي. . . وأمثالهم.

وكان شيخه سيدي الحاج ابن عاشر المذكور يشيد بذكره، ويقدمه على سائر أصحابه، ويأمرهم بالأخذ عنه والانتفاع به، والتسليم له، ويقول: «ابن عباد أمة وحده!»، ولا شك أنه كان كذلك؛ فإنه كان غريبا، والعارف غريب الهمة، بعيد القصد، لا يجد مساعدا على قصده.

وكان شيخه الآبلي يشير إليه في حال قراءته عليه، ويقول: «إن هناك علما جمًّا لا يوجد عند مشاهير أهل هذا الوقت، إلا أنه كان لا يتكلم!»، وذكر بعض من كان من أخص الناس به ومنقطعا إليه أحوال رجال "الرسالة" القشيرية، و"الحلية"، وما منحوا من المواهب. قال: «فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصديقيته؛ لاح لي أن تلك الصفات التي تذكر فيها مشخصة فيه، نشاهدها عيانا، ولو لم أر الشيخ؛ لقلت: إني لم أر كمالا».

وبالجملة: فهو واحد عصره بالمغرب، وقد وصفه بالقطبانية غير واحد؛ منهم: العلامة أبو العباس السوداني في "نيل الابتهاج" في ترجمة سيدي الحاج ابن عاشر؛ قائلا ما نصه: «وممن انتفع به: الولي القطب أبو عبد الله ابن عباد الآتي في حرف الميم». هـ. والشيخ أبو زيد عبد الرحمن التادلي في تأليفه الصغير الذي سماه "بالتشوف" قائلا ما نصه: «ومنهم: الشيخ الإمام الأجل، العالم الفقيه

القطب؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن عباد الأندلسي، الفاسي دارا ومنشأ. وكانت له كرامة خارقة للعادة، من أهل العلم والعمل به. توفي بفاس ودفن بباب الحمراء داخل السور)).هـ. لكن؛ في قوله: ومنشأ. مع ما تقدم من أنه: ولد برندة ونشأ بها؛ نظر.

وله – رضي الله عنه – كرامات عديدة، وهي أشهر من نار القرى [139] على علم. منها: ما ذكره في "نفح الطيب"؛ قال: ((حدث الشيخ أبو مسعود الهراس قال: كنت أقرأ في صحن جامع القرويين والمؤذنون يؤذنون بالليل، فإذا أبو عبد الله ابن عباد قد خرج من باب داره، وجاء يطير في الصحن كأنه جالس متربع، حتى دخل في البلاط الذي حول الصومعة، ثم مشيت؛ فوجدته يصلي حول المحراب)).هـ.

ويحكى أنه – رضي الله عنه – لما حضرته الوفاة؛ جعل رأسه في حجر بعض أصحابه؛ وهو: أبو القاسم الصريفي، وأخذ في قراءة آية الكرسي إلى قوله: ﴿الحي القيوم﴾. [البقرة: 155]، ثم قال: يا الله، يا حي يا قيوم. فلقنه بعض من حضر: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾؛ فامتنع من قراءتها. وجعل يقول: يا الله، يا حي يا قيوم. فلما قربت وفاته؛ سمع منه هذا البيت، وكان آخر ما تكلم به:

ما عـودونـي أحبـائـي مقـاطعـة بـل عـودونـي إذا قطعتهم وصلوا!!

وقد ذكر وفاته تلميذه السراج في فهرسته؛ فقال: ((توفي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، الثالث من رجب الفرد، عام اثنين وتسعين وسبعمائة، ودفن إثر صلاة الظهر من اليوم بعده، بمقربة من الباب المسدود؛ المعروف بالحمراء، داخل فاس المحروسة، وكان يوما مشهودا، حضر فيه جميع النـاس؛ حتى الأمير – نصره الله على الحق – وازدحم الناس على قبره، وهمت العامة بكسر نعشه وأخذه تبركا به؛ فمنعهم الأمير من ذلك. .وقد حضرت جنائز العلماء والصلحاء قبله؛ فلم أر جنازة أحفل ولا أكبر خلقا من جنازته؛ كلهم يثنون على فضله، ويبكون لفقده، ورثاه شعراء زماننا وأدباؤه بقصائد كثيرة)).هـ.

وقال غيره: ((توفي بمدينة فاس سنة اثنين وتسعين وسبعمائة، ودفن داخل باب الفتوح؛ بالمحل المعروف بكدية البراطيل، وحضر جنازته السلطان أحمد ابن السلطان أبي سالم، وأهل البلدتين: فاس الجديد؛ التي هي مسكن السلطان وخواص أتباعه. وفاس العتيق؛ التي هي محل الأعلام والخاص والعام. وكان المحفل فيها عظيما، وعزم العامة على كسر نعشه؛ فمنعهم السلطان المذكور، وكان ممن زاحم على قبره)).هـ.

قال في "الجذوة": « وقبره مزار مشهور، والدعاء عنده مستجاب ». هـ. وقال في "نفح الطيب": « قد زرت قبره مرارا بفاس، ودعوت الله تعالى عنده، وهو عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر ». هـ. وفي "المقصد" أنه: وقف العارف الفاسي مرة على قبره زائرا له؛ فقال: « إنه ممن تشد إليه الرحال »، ومما أنشده فيه بعضهم:

ألا قف على ذا القبر عند الشدائد ... وقل: يا ابن عباد لديك مقاصدي [140]
ظفرتَ من السر الإلهيّ بالذي ... سموت به قدرا على كل عابد
وأمسيت بدرا في الحقيقة ساطعا ... ورمت مراما في سماء المحامد
ففيك معان من حقائق حكمة ... فقلدتها باللطف در القلائد
وخضت بحارا من كتاب وسنة ... فأبديت للأفهام أبهى الفرائد
وكل مقام في السلوك سلكته ... وسدت بأمر في التصرف نافذ
وفي قصبات السبق لو قيل: من لها ... لقيل: ابن عباد مفيد الفوائد
سموت بتوفيق إلى ذروة العلا ... فصرت فريدا فائقا كل ماجد
فلله ما أعلاك قدرا ورتبة ... ولله ما أوفاك عند المواعد
إذا ما أتى الظمآنُ يوما ضريحَكم ... يفوز بعذب من أياديك بارد
ألا يا ابن عباد سألتك بالذي ... حباك بأهل الحق أسنى المقاصد
وألبسك الإجلال منه كرامة ... فكنت رفيع القدر أكرم سيد
أنلني وأنجز بالنوال تفضلا ... علي ووفي بالمرام وساعد
إلى بابك الأمداح مد رقابُها ... مهذبة حبا لكم بتعاهد
فمن كان محسوبا عليك فحقّ أن ... تلاحظه عند الرخى والشدائد
ومني على ذاك الضريح تحية ... تحيي ابن عباد سماء المحامد
أيا زائرا ذاك الضريح لك الهنا ... فأصبحت جارا للسعادة في غد

وهذه الروضة التي بها ضريحه؛ هي - بحسب الأصل - لتلميذه ابن السكاك وأهله، وابن السكاك هو الذي دفنه بها تبركا؛ هو وأهله بجواره، وكانت بَرَاحا ليس بها بناء سقف، وإنما بها جدار أحاط بجوانبها الأربعة؛ ثم بعد ذلك سقط الجدار الذي أحاط بها من ثلاثة جوانبه، ولم يبق منه سوى الوجه الشرقي الفاصل بينها وبين روضة المالقيين التي على قبلتها، واستمر الحال كذلك إلى أن زار ضريح صاحب الترجمة نائب فاس أبو العباس أحمد؛ ولد السلطان سيدي محمد الحاج البكري الدلائي؛ فرأى ما حدث بالروضة المذكورة؛ فأمر ببناء جدار حائز لها من جوانبها الأربع، وأن يبنى على ضريح سيدي ابن عباد سقيف؛ ففعل ذلك.

ثم إنه طلب منه خديمه وكاتبه الشريف أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: حمّ - بن أحمد بن علي الحسني الطاهري المراكشي سلفا، الفاسي دارا وولادة ونشأة ووفاة، أن يصرف عليه ما يؤتى به للضريح المذكور من الصدقات [141]؛ فأجابه إلى ذلك، وصرفه عليه، وكتب له به ظهيرا يبقى بيده وبيد عقبه، وهو أول من صرف عليه هذا الضريح؛ لأنه قبل البناء عليه لم يكن مقصودا لذلك. وأول من دفن من هؤلاء الشرفاء الطاهريين بهذه الروضة: سيدي محمد المذكور، واستمر دفنهم من بعده بها إلى الآن، وحتى الآن.

وفي "المُنتقى المقصُور" ما نصه: «حدثني شيخنا أبو راشد - يعني: يعقوب بن يحيى اليدري - أن أبا زيد عبد الرحمن البردعي الجذامي الأندلسي كان مع الشيخ ابن غازي - المتوفى سنة تسع عشرة وتسعمائة - ذات يوم عند قبر الولي الصالح، الخطيب الزاهد، الصوفي العابد؛ أبي عبد الله محمد ابن عباد، وكانت هنالك شجرة لوز في أوان نوّارها؛ فقال له الشيخ ابن غازي: قل في هذه الشجرة. فقال ارتجالا:

عروس تجتلى في كل حَوْل	تُنزهُ من تفرد بالكمال
وتؤذن بالحياة لها وموت	بأن الحادثات إلى زوال ». هـ.

وفي "المقصد" أنه - رضي الله عنه - شاذلي الطريقة، قال: « صرح بذلك تلميذه الشيخ أبو عبد الله ابن السكاك ». هـ.

وذكر غير واحد أنه أوصى بربعة كانت محفوظة عند رأسه أن يخرج ما فيها بعد موته، ويشترى به ربع يكون حبسا على مسجد القرويين؛ ففعل ذلك، فحسب ما فيها؛ فإذا هو ثمانمائة عشر مثقالا من الذهب، وذلك جملة ما قبضه في أجرته مدة خطابته وإمامته بالقرويين!. وحكي أن الربع المشترى: هو حمام القلعة الذي بعدوة فاس القرويين، بالقطانين منها.

قال في "نشر المثاني": «**ومن عجائبه:** أنه يقصده أهل المرض المعروف بالحب؛ وهو المعروف بـ: حب الإفرنج، الذي هو من الأمراض الشاقة. يغسلون به للاستشفاء؛ فيشفون. وأعجب منه: أنه لا يتأذى به من غسل معهم من السالمين، ولم يسمع أحد ممن غسل به أعداه شيء. استقرأ ذلك منذ أزمنة طويلة، حتى صار لا يتجنبه أحد من ضعفة العقول الذين يتطيرون منه، وهذا من بركة هذا الإمام - رضي الله عنه - قال: ولا شك أنه - رضي الله عنه - من أكابر العارفين، ممن لا يحصى ما له من المناقب، ويعز وجود مثله في المشارق والمغارب ». انتهى.

ترجمه جماعة كثيرة؛ من جملتهم: الشيخ زروق في غير ما شرح من شروحه على "الحكم العطائية"، وتلميذه: أبو زكرياء السراج في فهرسته، والمقري في "نفح الطيب"، وصاحب "نيل الابتهاج"، و"الجذوة"، و"الدرة"، و"الروض". ووقفت على تأليف لبعضهم في كراسة سماه: "إفادة

المرتاد، في التعرف بابن عباد"، جمع فيه بعض ما وقف عليه من التراجم [143] المتضمنة للتعرف به. أثابه الله على قصده الجميل بمنه. . .

[566- الإمام الراوية سيدي يحيى بن أحمد السَّرَّاج]
(ت: 805)

ومنهم: تلميذه ورفيقه الشيخ الفقيه الإمام، الرحالة المحدث الهمام، المكثر في الرواية، القائم بها فهما ودراية، العالم الصالح، الصوفي الناصح؛ أبو زكرياء سيدي يحيي ابن الفقيه العالم الصالح المكتب أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن يحيى بن عاصم بن القس (بضم القاف، وكسر السين مهملا) النفزي الحِمْيَرِي، الرُّندي الأصل، الفاسي المولد والوفاة، المعروف بالسراج.

ترجمه ابن القاضي في "الجذوة"؛ فقال: « يحيى بن أحمد السراج الرندي النفزي الحميري، أبو زكرياء، الفقيه الإمام، المحدث الراوية، الرحالة المكثر في الرواية، وقلما تجد كتابا في المغرب ليس عليه خطه، وله فهرسة وسماع عظيم، انتهت إليه رواية الحديث ورياسته. توفي بمدينة فاس المحروسة سنة خمس وثمانمائة، ودفن مع أبي عبد الله محمد ابن عباد - رفيقه وصاحبه - وإلى هذا كانت رسائله الكبرى ». هـ.

وقال في "دُرَّة الحجَال": « يحيى بن أحمد بن محمد السراج، الرندي النفزي الحِمْيَري، أبو زكرياء: الفقيه الصوفي، المحَدثَ المكثر، الراوية الرحلة، كانت بينه وبين أبي عبد الله محمد بَن إبراهيم ابن عباد الرندي الحميري مراسلات ورسالات، وله فهرسة وسماع عظيم، وانتهت إليه رياسة الحديث في وقته. توفي بفاس المحروسة، ودفن مع ابن عباد المذكور سنة خمس وثمانمائة ». هـ.

وقال في "الروضة المقصودة" ما نصه: « وبنو السراج: بيت علم ودين بالأندلس، ونسبهم إلى حمْيَر. كان منهم برندة ثم انتقل إلى فاس الإمام الرحالة، المحدث المكثر في الرواية: أبو زكرياء يحيى بن أحمد السراج النفزي الحميري؛ ممن انتهت إليه رواية الحديث ورياسته، وله فهرسة وسماع عظيم، وهو رفيق الشيخ الكبير، الولي الخطير؛ أبي عبد الله محمد ابن عباد النفزي الحميري الرندي، وقريبه في النسب، وبلديه في الأندلس والعدوة، والمخاطب في رسائله الكبرى. توفي بفاس سنة خمس وثمانمائة ». هـ.

وانظر قوله: « كان منهم برندة، ثم انتقل إلى فاس. . . إلخ »، فإنه يوهم أن صاحب الترجمة هو الذي انتقل بنفسه إلى هذه الحضرة، مع أنه تقدم لنا - تبعا لبعضهم - أنه فاسي المولد، وذكر هو في فهرسته في ترجمة والده سيدي أحمد أن والده المذكور: رندي الأصل: فاسي المولد والوفاة، وذلك يفيد أن المنتقل إليها أحد أجداده. فتأمل.

وفهرسته المشار إليها: وقفت عليها؛ وهي في سفرين؛ ذكر فيها شيوخه، وبدأ منهم بوالده أبي العباس، وثنّى بسيدي محمد ابن عباد، وقال: «لازمته كثيرا، وقرأت عليه، وسمعت منه، وأنشدني [143] من شعره ومن شعر غيره، وترددت بيني وبينه الرسائل أيام كونه مقيما بمدينة سلا، وانتفعت به منفعة عظيمة في الطريقة الصوفية وغيرها، وأجازني إجازة عامة في جميع ما صدر عنه من تأليف وتقييد ونظم ونثر، وكتب لي خطه بذلك» . هـ.

ومن شيوخه – أيضا – أبو البركات ابن الحاج البلفيقي، والفقيه المدرس القاضي أبو محمد عبد النور بن محمد العمراني الفاسي. قال في "النيل" و"الكفاية" – نقلا عن ابن الأحمر: «أخبرني – أي: صاحب الترجمة – عنه – أي: عن عبد النور المذكور – عن محمد بن محمد بن عبد العزيز ابن واجتن النينملي، عن أبيه قال: رأيت في المنام جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – فقلت له: بالله حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال لي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سلم علي في يوم مائة مرة؛ مات ولم يذق طعم الموت. قال ابن الأحمر: ويشبه هذا ما روي عن أبي إسحاق الشيرازي قال: رأيته صلى الله عليه وسلم في المنام مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فقلت: يا رسول الله؛ بلغني عنك أحاديث كثيرة، فأسمعني خبرا أتشرف به دنيا، وأجعله ذخيرة للآخرة!. فقال لي: يا شيخ؛ قل عني: من أراد السلامة؛ فليطلبها في سلامة غيره منه» . هـ.

ثم ما تقدم في سنة وفاته؛ مثله – أيضا – في "لقط الفرائد" قائلا: «توفي أبو زكرياء يحيى بن أحمد السراج بفاس المحروسة سنة خمس وثمانمائة، ودفن مع الشيخ ابن عباد بكدية البراطيل، داخل باب الفتوح» . هـ.

وذكر في "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج"، وفي "المنح البادية" أنه توفي عام ثلاثة وثمانمائة. والله أعلم. وذكر في "النشر" في ترجمة سيدي يحيى السراج الأصغر أن ضريح صاحب الترجمة عن يمين الداخل لروضة شيخه سيدي ابن عباد – نفعنا الله بهما.

[567– قاضي الجماعة[1] سيدي محمد بن أبي غالب ابن السكاك]
(ت: 818)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العلامة المدرس الهمام، المفتي القدوة الحجة، الموضح لمن بعده سبيل المحجة، المؤرخ النسابة المتفنن، الخطيب البليغ المفسر المتقن، الصالح الورع الزاهد، المتصوف الناسك

---

[1] قاضي الجماعة: هو المعروف بقاضي القضاة في المشرق.

العابد، قاضي الجماعة بفاس ومفتيها، وعدل القضاة بها: أبو عبد الله وأبو يحيى سيدي محمد ابن الفقيه أبي غالب ابن الخير الناسك أحمد ابن الفقيه محمد ابن الفقيه العلامة الولي الصالح المتبرك به أبي الحسن علي ابن الفقيه العدل محمد ابن السكاك المكناسي، ثم العياضي، الشهير بابن السكّاك. صاحب كتاب "نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام".

كان – رحمه الله [144] – من أهل العلم والفضل والدين، فقيها مفسرا، مؤرخا نسابة، خطيبا مفتيا، ورعا زاهدا صالحا. وتولى قضاء الجماعة بفاس، فأحسن السيرة.

أخذ العلم عن الشريف أبي عبد الله التلمساني وغيره، والتصوف عن سيدي ابن عباد. وكان يقول فيه: «شيخي وبركتي».

وأخذ عنه: القاضي بفاس أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المَصْمُودي، والأستاذ المقرئ سيدي يعقوب الحلفاوي.. وغير واحد.

وألف تآليف عديدة؛ منها: شرح على "الشفا" أجاد فيه، وتأليف في الأدعية، ووقفت له على تأليف آخر في "نصح ملوك الإسلام" أكبر من "النُّصح" المشهور، وفيه زيادات عليه وفوائد جمة، وفي آخره: التنبيه على أنه: النصح الأوسط. وهو يقتضي أن له نصحا ثالثا أكبر من هذين... والله أعلم.

توفي – رحمه الله – بفاس بعد العشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ثاني عشر شهر ربيع الأول عام ثمانية عشر وثمانمائة، وكان الحال عليه سهلا، طلق اللسان، يقرأ: ﴿*لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم*﴾. [التوبة: 128، 129]. ويذكر ورد سيدي أبي الحسن الشاذلي؛ وهو: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله... إلخ»، يكرر جميع ذلك، وأوصى أن تدفن أسماء أهل بدر معه، وكان كتبها بخطه. وصلى عليه تلميذه أبو يوسف يعقوب الحلفاوي، وأدخله قبره وألحده ودفن – كما ذكره غير واحد – بروضتهم التي بكدية البراطيل، داخل باب الفتوح، مع شيخه سيدي ابن عباد، قريبا منه، رحمة الله عليه، ونفعنا به.

ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"... وغيرها. وفي كتاب "لمحة البهجة العلية، في بعض أهل النسبة الصقلية"، لصاحب "النشر"، عند تعرضه لصاحب الترجمة وتعريفه به ما نصه: «وهو من تلامذة الشيخ ابن عباد، ودفن بضريحه». هـ.

تنبيهات

الأول: تقدم لنا أن صاحب الترجمة هو: محمد بن أبي غالب بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد. وهذا هو الذي عند بعضهم في تأليف له، وهو الذي رأيته منقولا بخط بعض تلامذة الشيخ المسناوي عنه، ووقع في "الجذوة"، و"النيل". .وغيرها؛ رفع نسبه هكذا: محمد بن أبي غالب بن أحمد بن علي بن أحمد. وفي "لقط الفرائد" أنه: محمد بن أبي غالب بن أحمد بن علي بن محمد. ويظهر أن الأول هو الصواب، وأن ما عداه سبق قلم أو تحريف من الكتاب. والله أعلم.

الثاني: تقدم أن صاحب الترجمة أوصى أن تدفن أسماء أهل بدر معه، وقال الشيخ المسناوي في بعض تقاييده بخطه ما نصه: «في تنفيذ مثل هذه الوصية نظر. انظر الحطاب [145] ».هـ.

قلت: اللائق بجنابه: حمله على أنه أراد جعلها في كُوَّة عند رأسه، مرتفعة عن الأرض، بحيث لا يصيبها شيء من الأذى، إذا حمل على هذا؛ فتنفذ به وصيته، ولا منع في ذلك - حينئذ - والله أعلم.

[568- قاضي الجماعة سيدي محمد بن أبي البركات ابن السكاك]
(ت: 800)

الثالث: ترجم في "الكوكب الوقاد" لمحمد بن أبي البركات ابن السكاك العياضي الفاسي؛ الشيخ الأستاذ الأصولي البياني المفسر، وذكر أنه انتقل من فاس صبيا مع والده لتلمسان، فنشأ بها، وقرأ على شيوخه؛ كالشريف التلمساني، وأبي عبد الله الآبلي. وولي قضاء سبتة مرارا، وقضاء الجماعة بفاس في زمن موسى بن أبي عنان، ثم أعيد لقضاء سبتة وغيرها، وتوفي في محرم فاتح ثمانمائة. وهو في ثمانين سنة من عمره. والظاهر أنه غير صاحب الترجمة. فتأمل ذلك. والله أعلم.

[569- الإمام سيدي عبد الواحد بن أحمد الوَنْشَرِيسي]
(ت: 955)

ومنهم: الشيخ الإمام، الفقيه الهُمَام، العالم العلامة، البحر الفهامة، الأستاذ النحوي الأديب، الناظم الناثر الخطيب، صاحب العلم الصحيح، واللسان الفصيح، فريد دهره، وأعجوبة عصره، قاضي فاس ومفتيها، وعدل قضاة زمانه؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد ابن الإمام المتبحر سيدي أحمد بن يحيى بن علي الوَنْشَرِيسي الزناتي الفاسي.

كان – رحمه الله – إمام وقته من غير مدافع، متضلعا بالفقه والنحو والأدب، عارفا بالأصول والفروع، مشاركا في الفنون، محققا لجميعها، مع طلاقة اللسان، وحسن التعبير وسرعته، وجودة الفهم والخط والشعر، شاعرا مجيدا؛ لا يقارعه أحد من أهل عصره. وكان صحيح الدين، متين الورع، مهيبا، ذا سمت حسن، وحال مستحسن، وتؤدة وسكون. متقدما في صنعة الإنشاء وعقد الشروط والوثائق.

وكان له مجلس خاص لا يحضره إلا أكابر العلماء؛ كالزقاق واليستيتني. وغيرهما. وجمع له بين الخطط الثلاثة: الفتيا والقضاء والتدريس. بقي في خطة القضاء بفاس نحوا من ثمان عشرة سنة، ثم تخلى عنها إلى الفتوى بعد موت الشيخ ابن هارون، وكان – قبل ذلك – يتعاطى الشهادة بسماط العدول؛ أطلق يده عليها القاضي المكناسي حين زوجه والده وأعرس له، وقال لوالده: «هذه هديتي لهذا العرس! ».

وكان – رحمه الله – عدلا في أحكامه، جاريا في فتواه على الصواب، وفتاويه كلها محررة منقحة، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم.

أخذ العلم عن والده، وعن ابن غازي، وأبي زكرياء السوسي، وأبي العباس الحباك، وأبي الحسن ابن هارون... وغيرهم من أهل عصرهم.

وممن أخذ عنه هو: أبو راشد اليدري، وأبو زكرياء السراج، وأبو زيد السلواني، وأبو العباس [146] المنجور... وغيرهم.

ومن تآليفه: نظم قواعد المذهب؛ المسمى "بالنور المقتبس، من قواعد مذهب مالك بن أنس"؛ لخص فيه كتاب "إيضاح المسالك" لوالده، وزاد عليه زيادات رائقة، ومنها: شرحه على مختصر ابن الحاجب الفقهي في أربعة أسفار. وشرحه على "الرسالة" المطول العجيب، ونظم "تلخيص" ابن البنا في الحساب، وتعليق حسن على البخاري لم يكمل، وله أزجال وموشحات.

وكان رقيق الطبع، يهتز عند سماع الألحان وآلات الطرب؛ لاعتدال مزاجه، وقوام طبعه. وكانت فيه قوة في الدين وصلابة. ومما يحكى عنه في ذلك: أنه خرج يوم عيد ليصلي بالناس صلاة العيد؛ فانتظر السلطان أبا العباس أحمد المريني، فلم يخرج إلى وقت الظهر، فلما وصل السلطان؛ نظر صاحب الترجمة إلى الوقت؛ فرآه قد فات، فرقي المنبر وقال: «يا معشر المسلمين؛ عظم الله أجركم في صلاة العيد، فقد صارت ظهرا! ». ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة، وصلى بالناس صلاة الظهر، وانصرف، ولم يراع السلطان ولا غيره!.

ولد – رحمه الله – بفاس بعد الثمانين وثمانمائة، وذلك بعد انتقال أبيه إليها من تلمسان، إذ كان انتقاله سنة أربع وسبعين وثمانمائة، وتوفي بها – أيضا – قتيلا، قتله بعض اللصوص بباب مسجد القرويين، وذلك ليلة الاثنين سابع وعشري ذي الحجة الحرام سنة خمس وخمسين وتسعمائة، عن نحو سبعين سنة. وسبب قتله مذكور في "نزهة الحادي" وغيره من كتب التاريخ. ودفن مع سيدي ابن عباد – رضي الله عنه – بروضته. وريء في المنام بعد موته؛ رآه الفقيه الصالح أبو شامة ابن إبراهيم الدكالي، فقال له: «ما فعل الله بك؟ ». فأنشأ يقول:

لقد عمّني رضوان ربي وفضله	ولم أر إلا الخير في وَحْشة القبر
وإنــي أســأل الإلــه بفضلـه	ليحفظني يـوم الخروج إلى الحشرَ
وما بعـد ذلك مـن أمـور عريضة	كنشر الكتاب والجواز على الجِسر
بجـاه النبـي الهـاشمي محمـد	وأصحابه والآل ذي الشرف الغـر

وذكر في "الدوحة" أنه: جرى يوما في مجلس قراءته ذكر كرامات الأولياء؛ فقال: «لا يرتاب في كراماتهم إلا ملحد، ولقد دعوت الله عند مشهد الشيخ أبي يعزى بـ: تاغيا، وسألته بحرمة الشيخ أن يرزقني ثلاثة أشياء؛ فرزقت منها اثنين، وأنا أرجو الثالثة، مع أني موقن بالإجابة في الجميع ». فقيل له: «وما هي؟ ». فقال: «العلم، والمال والشهادة ». فرُزقها كما ذكر – رحمه الله.

ترجمه تلميذه المنجور في فهرسته، وصاحب "الدوحة"، و"الجذوة"[147]، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"، و"نزهة الحادي" . . . وغيرهم.

[570- الإمام اللغوي سيدي أحمد بن علي الوجّاري]
(ت: 1141)

ومنهم: الشيخ الإمام الشهير، العالم النحوي الكبير، الأديب اللغوي الخطير، التاريخي المحقق النحرير، الحاذق النبيه، الذكي النزيه، المتفنن الفاضل، المحقق الكامل، الصالح البركة؛ أبو العباس سيدي أحمد بن علي الوَجَّاري شهرة، الأندلسي الغرناطي محتِدا، القضاعي نسبا، الفاسي دارا ومولدا ووفاة.

كان – رحمه الله – نادرة الزمان، ووحيد أهل العصر والأوان؛ مروءة وتودة، وعملا وعلما؛ من نحو وتصريف ولغة، وبيان وعروض وقافية، وأنساب وأيام وتاريخ، وأشعار وأمثال. . .مع المشاركة – على نهج التحقيق – فيما سوى ذلك من تفسير وحديث وفقه، وأصلين ومنطق وحساب وتعديل. . . وغيرها، وكان يختم "ألفية" ابن مالك في كل سنة مرتين، أو ما يقرب منهما، وكلما ختمها دَرَّس "لامية الأفعال" لابن مالك أيضا. وطلِب للقضاء؛ فأبى واختفى حتى قدم له غيره.

وأخذ عن جماعة من الشيوخ؛ وعمدته منهم: الأخوان العلامتان أبو محمد عبد السلام وأبو حامد العربي ابنا الطيب القادري الحسني، والعلامة المسناوي. وانتفع به هو جم غفير، وتخرج به غالب علماء فاس وغيرها من الواردين عليها.

وكان له مجلس غاص في تدريس العربية، يقصده الناس من سائر نواحي المغرب لأخذها عنه، يقتصر فيه على مهمات المسائل، وتحرير المشكلات، ويستحضر اللطائف والشوارد والغرائب، ويلقيها في مجلس درسه، وكانوا يستحسنون ذلك منه جدا، وكان يُدرس بسطح المدرسة الرشيدية، ثم احتال عليه تلامذته إلى أن صار يدرس بجامع الأندلس.

وقد عده الشيخ التاودي في فهرسته من شيوخه؛ وقال: «امتن الله به على الأنام، ونفع بعلومه الخاص والعام؛ فلست ترى من إمام إلا ومنه قد عرف ما يتألف منه الكلام، ولا من صاحب اهتداء إلا ومنه كان له الابتداء، مُد في عمره الجليل، ونفع الطالبين منه جيلا بعد جيل. أخبرني بعض شيوخي - ممن قرأ عليه - أنه: ذكر مرة عن الإمام ابن هشام أنه: أقرأ ألفية ابن مالك ألف مرة ومائة مرة؛ فسأله بعض من سمعه: وكم أقرأتها أنت؟. فقال: أما المائة؛ فجزتها!».هـ.

وله تقاييد كثيرة مفيدة في أنواع من العلوم؛ ولا سيما في علم النحو، وقد جمع بعض المعتنين من الحذاق ما كتبه على هوامش "المحاذي" لابن هشام في سفر ضخم. وكان بينه وبين الشيخ المسناوي - رحمه الله - اتصال وألفة وملازمة، لا يقطع المسناوي أمرا دونه [148]، ولا يخرج عن مشورته ورأيه، وعاش - رحمه الله - أكثر عمره عزبا، ثم تزوج قرب موته.

وتوفي ليلة الأربعاء الحادي عشر من جمادى الثانية سنة إحدى وأربعين ومائة وألف. قال في "المورد الهني": «ودفن بداخل القوس المبني، كاثر السقاية، عن يسار الداخل لروضة سيدنا العارف الكبير، ولي الله تعالى سيدي محمد ابن عباد - رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته - داخل باب الفتوح من فاس، ووافق أول يوم من يناير في مطر غزير، وبرد وريح شديد، ورثاه كثير ممن انتفع به بقصائد».هـ.

وقال في "التقاط الدرر" - بعد ما ذكر أنه آخر المحققين للعربية بفاس - ما نصه: «ومدفنه عن يمين الخارج من روضة الشيخ ابن عباد، داخل باب الفتوح، بموضع كان سقاية، وبقي قوسها عليه؛ إذ تعذر جري مائها».هـ. ترجمه صاحب "المورد الهني"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الروضة المقصودة"... وغيرهم.

[571- العالم سيدي عمرو السَطي]
(ت: 1173)

ومنهم: الشيخ البركة الفقيه، العالم العلامة النبيه؛ أبو حفص سيدي عمرو (بسكون ثانيه) السَطي. من القبيلة المعروفة بجوز وَرْغة، نسبها بعضهم للأوراب.

كان – رحمه الله – فقيها عالما ذا مروءة، يقوم بفاس على مختصر خليل والبخاري، وله مشاركة في غيرهما، وقيد وأفتى.

أخذ عن المسناوي وأضرابه، وأخذ عنه جماعة من الطلبة.

توفي بفاس عام ثلاثة وسبعين (بموحدة) ومائة وألف. قال في "التقاط الدرر": « ودفن بفاس، داخل باب الفتوح، بجوار سيدي محمد ابن عباد – نفعنا الله به – بوصية منه؛ احتراما بابن عباد، أنالنا الله وإياه حرمته ». هـ. ترجمه فيه، وفي "النشر".

[572- الإمام سيدي أبو القاسم بن علي ابن خَجُّو]
(ت: 956)

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، الحافظ الحجة الفهامة، العالم العامل، المبارك الفاضل، ناصر السنة، ومميت البدعة؛ سيدي أبو القاسم بن علي ابن محمد ابن خجو (بفتح الخاء المعجمة، وشد الجيم المضمومة) الحسّاني (بشد السين) الخلوفي.

كان – رحمه الله – فقيها مطلعا، متضلعا حافظا، مفتيا متقنا ورعا، شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عظيم الإنصاف، لا يفتي إلا بما علم.

تفقه بحضرة فاس، وأخذ عن كثير من مشايخها؛ كابن غازي، وأبي العباس الزقاق، وأبي الحسن بن الحسن ابن هارون، وأبي العباس الحباك، وأبي عبد الله الهبْطي – صاحب الوقف – والشيخ زروق. . . وغيرهم. وأخذ طريق التصوف عن الشيخ سيدي عبد الله الهبطي، وكان سيدي عبد الله المذكور يعظمه كثيرا، ويعمل على فتاويه في الفروع [149] الفقهيات؛ لما يعلم من علمه وديانته، وتحقيقه للمسائل. وكان صاحب الترجمة إذا أشكلت عليه مسألة؛ يلجأ فيها إليه.

وكان – رحمه الله – يغرس دوالي العنب بيده، ويجعلها صدقة يأكل ثمرها جميع من مر بها من الناس.

وألف تآليف؛ منها: تأليف سماه "بغنيمة السلطاني"، وآخر سماه "بضياء النهار"، وآخر سماه "بالنصائح فيما يحرم من الأنكحة والذبائح".

ولما تغلب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ الشريف على ملك المغرب، وبعث لسائر الفقهاء في الحضور؛ بعث إليه؛ فوفد عليه وحمل كفنه معه. والسبب في ذلك أنه: كان يسأل الله تعالى أن يجعل وفاته بفاس، فرأى فيما يرى النائم وقائل يقول له: «قد أجيبت دعوتك». فلما قدم فاسا؛ أيقن بوفاته، ولما لقي السلطان؛ أعجب به، وقال: «ما رأيت فيمن رأيت أفضل من هذا الرجل علما وصلاحا». ثم رغب منه أن يقيم بفاس أياما لينتفع به الناس، فأقام أياما، ثم أناخ به أجله؛ فتوفي - رحمه الله - بها، وذلك سنة ست وخمسين وتسعمائة، وحضر السلطان والكافة جنازته، وكسر الناس نعشه، وحملوه أطرافا للتبرك به.

قال في "الدوحة": «ودفن بجوار روضة الشيخ ابن عباد، داخل باب الفتوح من مدينة فاس - رحمه الله». هـ. وقال في "التنبيه": «دفن بباب روضة الشيخ سيدي محمد ابن عباد - أعني: الباب الأول - عليه مقبرية من رخام». هـ.

ترجمه في "الدوحة" وغيرها. وفي "درة الحجال": «أبو القاسم بن علي ابن خجو الحساني؛ الفقيه المفتي بالبلاد الهبطية، كان فقيها نوازليا، يستحضر الفقه المالكي، وكان قوالا بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم. توفي سنة ست وخمسين وتسعمائة». هـ.

[573- الشريف سيدي محمد بن علي الصقلي]
(ت: 1141)

ومنهم: الشريف الصالح، البركة الواضح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن علي الصقلي الحسيني؛ دعي بالكبير لكبر سنه، والروداني؛ لإقامته بتارودانت.

كان رحمه الله - أولا - من أهل التجارة، وحصل له مال كثير جدا، فنهب له، فأتبعه بحرق الرسوم التي له على الناس، وكانت مشتملة على مال عريض، فلما صدر منه ذلك توهم الناس أنه اختل عقله، وليس كذلك. ثم إنه تجرد، وحدث الناس عنه - بعد ذلك - بكرامات وخوارق.

وتوفي في رجب - أو شعبان - سنة إحدى وأربعين ومائة وألف. قال في "النشر": «ودفن بالمزارة التي على رأس الشيخ ابن عباد، خارج الروضة، داخل باب الفتوح من فاس الأندلس». هـ. ترجمه فيه.

[574- الشريف سيدي الطاهر بن عبد السلام القادري]
(ت: 1142)

ومنهم: الفقيه النزيه، العدل الثقة النبيه، العالم الأريب، الحائز من شرف [150] النفس وكرم الأخلاق أوفر نصيب، الأرضى الأمجد، الأكمل الأنزه الأصعد؛ أبو الجمال سيدي الطاهر ابن الفقيه العلامة الصوفي أبي محمد سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني.

ولد - رحمه الله - قبل طلوع شمس يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر عام خمسة وتسعين وألف.

وتفقه على أبيه وتلميذه أبي عبد الله المسناوي وغيرهما، وسمع منهما ومن غيرهما، ولقي العارف أبا العباس سيدي أحمد ابن عبد الله معن، وانتفع به وحج وزار، وأخذ الطريقة القادرية عن شيخها بالحرمين الشريفين أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الشريف القادري. وكانت له عناية بالأنساب والغيرة عليها، وله ألف الشيخ المسناوي "نتيجة أهل التحقيق" حين عزم على السفر للحج والزيارة.

وكان فقيها نبيها جميلا، وجيها ذكيا نبيلا، نزيها عدلا مرضيا، مهذبا وفيا، واسع الخلق، كريم النفس، ظاهر المروءة، لين المعاشرة، تواقا للمعالي، متوجها لأثر الأسلاف، ذاكرا ملازما لتلاوة القرآن؛ يختمه في يومين مع ما كلفه من شغل المعاش، وكلف العيال، وفتن الوقت.. محبا لأهل العلم والعرفان، شديد الحنانة على المسلمين، غزير الفضل، حافظا ضابطا، ذا عفاف وحظوة وصيانة، وكمال نزاهة وديانة. حسن الخط جدا.

قلد خطة الشهادة في الأوقاف، بمقصورة القرويين؛ فقام بها على سنن أهل العدل والورع، إلى أن توفي شهيدا؛ أصابه بعض المفسدين ببندقة من سور باب المسافرين وهو في معاينة بعض ما هو بصدده من مهمات الأوقاف؛ يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر سنة اثنين وأربعين ومائة وألف. قال في "السر الظاهر": «ودفن بقرب روضة ولي الله أبي عبد الله محمد ابن عباد - نفعنا الله به - وراء قبر سيدي حكيم، وبني عليه قوس متصل بقوسه».هـ. ترجمه فيه، وفي "المورد الهني"، وأشار - أيضا - لشيء من ترجمته في "الزهر الباسم".

[575- الفقيه الشريف سيدي الطيب بن محمد القادري]
(ت: 1062)

ومنهم: جده الشريف الجليل، العدل الأرضى الأثيل، الفقيه الصالح؛ أبو محمد مولاي الطيب بن محمد الحسني القادري. والد الأخوين العالمين: سيدي عبد السلام، وسيدي العربي القادريين.

ولد – رحمه الله – في رجب سنة ثمان وعشرين وألف، وكان ذا مروءة وإبابة نفس، ورَزانة عقل، فقيها دينا، عدلا مرضيا صالحا، مع خلق تام من الحلم والحنانة والشفقة على المسلمين.

ومما يدل على حلمه – وفي ضمنه كرامة عظمى له: ما اتفق له أنه كان جالسا ببعض الطرق، ومر به بعض المبغضين لبعض معارفه، وواجهه ونال منه [151] بمكروه، وهو مطرق لا يجيبه بشيء، مع قدرته على الانتصار. فعل ذلك هذا الظالم وانصرف. فما سار إلا يسيرا؛ وإذا ببعض الظلمة فاجأه في الطريق وضربه بخنجر أراق به أمعاءه. . . نسأل الله السلامة والعافية.

توفي – رحمه الله – في رجب سنة اثنتين وستين وألف وعمره أربع وثلاثون سنة. قال في "السر الظاهر": « ودفن داخل باب الفتوح، قرب روضة سيدي مَحمد ابن عباد – نفعنا الله به – حيث مقبرة المتأخرين منهم – رحمهم الله ». هـ. وأشار إليه صاحب "إغاثة اللهفان" في منظومته، بعد ذكر والده سيدي محمد؛ فقال:

وخلف ابنه السري الأفضلا	الطيب الأسنى الحليم الأعدلا
وفاته في رجب لدى اثنتين	من بعد ستين وألف دون مَيْن
وقبره بقرب للإمام	أعني: ابن عباد أخا الإعظام

[576- السيدة فاطمة بنت سيدي حمدون الشقوري]
(ت: 1101)

وتوفيت بعده زوجته وأم ولديه المذكورين: السيدة الصالحة، المباركة الخيرة الناصحة؛ فاطمة بنت سيدي حمدون الشقُوري الأندلسي، عشية يوم الخميس رابع عشر المحرم فاتح عام واحد ومائة وألف، ودفنت بإزائه، بعد صلاة الجمعة. ذكر ذلك في "الزهر الباسم".

[577- الشريف سيدي عبد القادر بن علي القادري]
(ت: 1065)

ومنهم: الفقيه النزيه، العالم النبيه، العدل الثقة؛ الصالح أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي بن أحمد بن محمد الشريف الحسني القادري.

ولد سنة تسع وألف، وكان دينا خيرا، مقلا من الدنيا، قانعا بإقلاله، حسن الرجاء، جميل المعاشرة، عدلا مرضيا، تصدى للشهادة بسماط القرويين.

وتوفي في رجب سنة خمس وستين وألف. قال في "السر الظاهر": «ودفن بمقبرتهم التي بداخل باب الفتوح، قرب الشيخ ابن عباد – نفعنا الله به ». هـ.

[578– سيدي أحمد الطرنباطي]

ومنهم: الولي الصالح، المرابط الفالح؛ أبو العباس سيدي أحمد الطرنباطي الأندلسي.

أخذ عن الشيخ سيدي قاسم ابن رحمون الزرهوني، وعن شيخه مولاي الطيب الوازاني، وتربى به وتأدب وتهذب، ولزم الأوراد والأحزاب، ومداولة الجلالة والاجتماع؛ فاقتبس من أنوار شيخه الأنوار، وأشرقت عليه الأسرار، واعترته الأحوال؛ فصاح ونطق بالمغيبات والأخبار، وبشر وقال؛ فصدقه الله في كل حال.

توفي في العشرة الرابعة من القرن الثاني بعد الألف بفاس، وحضر جنازته خلق كثير، ودفن قرب روضة سيدي ابن عباد، ولم يترك شيئا؛ لأنه كان يعطي كل ما يملكه لأهل البيت. ترجمه في "النشر".

[579– سيدي الصديق الفلالي]
(ت: 1271)

ومنهم: الولي الصالح، ذو الهدي الواضح [152]؛ سيدي الصديق الفلالي.

كان – رحمه الله – أميا، وكان يحفظ "دلائل الخيرات" عن ظهر قلب، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه إياه مناما؛ كان يقف عليه فيعلمه صلاة منه، فيستيقظ فيجد نفسه قد حفظها، ثم يقف عليه فيعلمه صلاة أخرى... وهكذا حتى حفظه بتمامه.

وكانت حرفته: الدباغة. وكان فقيرا، ولا يقبل من أحد شيئا، فقيل له في ذلك؛ فقال: «طريقتنا مبنية على هذا؛ فإن قبضنا؛ سلبنا! »، وكانت له مكاشفات صريحة، وكرامات عديدة.

أخذ عن الولي الصالح سيدي الحاج الجلالي – الطراف حرفة – دفين خارج باب الشريعة، وكان يقول فيه شيخه المذكور: «فلان يرى ما لا نراه! ».

توفي – رحمه الله – بالطاعون يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان المعظم سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، ودفن قريبا من ضريح سيدي محمد ابن عباد – نفعنا الله به.

[580- سيدي إبراهيم بن قاسم الأندلسي]
(ت: 1027)

ومنهم: الشيخ الفاضل، الولي الصالح، الحامد الشاكر، المتورع الصابر، الحاج الأبر: أبو سالم سيدي إبراهيم بن قاسم الأندلسي.

كان - رحمه الله - من أصحاب الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وكان من أهل الولاية والرضى بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب. وكان كلما ريء عليه أثر بشر وسرور؛ يُعْلَمُ أنه قد أصيب في شيء من أهله أو ماله، ولا يتأثر بشيء من ذلك. وكان قد أقيم في التجريد، واليوم الذي يصبح لا شيء له؛ يصبح مسرورا يكاد يطير فرحا، حتى يظهر ذلك على ظاهره كثيرا ويعرف منه، فكان الشيء الذي يشكي منه الناس يضحك منه هو!. وله أحوال عجيبة، ومنازلات غريبة.

توفي - رحمه الله - سنة سبع وعشرين وألف، وغسله سيدي علي البيطار، قال في "الابتهاج": «ودفن بقرب سيدي محمد ابن عباد.. قال: وكان في جنازته الشيخ أبو محمد سيدي عبد الرحمن الفاسي؛ فقال: انظروا هذا الأمر؛ إن الشيخ أبا المحاسن واقف يرجوه يسلم على الشيخ ابن عباد ليلقاه!». ترجمه فيه وفي "الصفوة".

[581- حافظ المذهب سيدي أحمد بن يحي الونشريسي]
(ت: 914)

ومنهم: البحر الزاخر، والكوكب الزاهر، حجة المغاربة على أهل الأقالم، وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عالم، الفقيه الكبير، الحافظ المحصل الشهير، العلامة المشارك القدوة، الحجة المنصف الإسوة، حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة، وإمام المغرب والمشرق: أبو العباس سيدي أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل والمولد، التلمساني المنشأ والقراءة، الفاسي الاستيطان والقرار والقبر.

كان - رحمه الله - [153] أحد كبار العلماء الراسخين، والأئمة المحققين، متبحرا في مذهب مالك، عارفا بأصوله وفروعه، كثير الاطلاع والحفظ والإتقان، يقضي بذلك كل من يطالع أجوبته وتآليفه، قال في "الدوحة": «ولقد رأيته مر يوما بالشيخ ابن غازي بجامع القرويين، فقال ابن غازي لمن كان حوله من الفقهاء: لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك - أصوله وفروعه - لكان بارا في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته!. لتبحر أبي العباس، وكثرة

إطلاعه، وحفظه وإتقانه)). هـ. وكان شديد الشكيمة في دين الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولذلك لم يكن له مع أمراء وقته كبير اتصال.

نزل – رضي الله عنه – فاسا انتقالا إليها من تلمسان، لما حصل له فيها ما حصل من جهة السلطان، وانتهبت داره في محرم سنة أربع وسبعين وثمانمائة. ولما نز لها؛ أكب على تدريس "المدونة" وفرعي ابن الحاجب. وكان مشاركا في فنون من العلم؛ إلا أنه أكب على تدريس الفقه فقط، فيقول من لا يعرفه: ((إنه لا يعرف غيره)). وكان فصيح اللسان والقلم، حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول: ((لو حضره سيبويه؛ لأخذ النحو من فيه!)). أو عبارة نحو هذا. وكان – مع جلالة قدره – بعد قدومه لفاس يحضر مجلس القاضي المكناسي.

أخذ عن أبي عبد الله ابن العباس، والكفيف ابن مرزوق، وأبي الفضل قاسم العقباني، وولده القاضي أبي سالم العقباني، وحفيده الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، والعالم أبي عبد الله الجلاب، والغرابلي، والمري، وأبي العباس ابن زكري... وغيرهم من الشيوخ التلمسانيين، ممن تضمنته فهرسته.

وتخرج به جمع؛ كولده عبد الواحد، وأبي محمد عبد السميع المصمودي، وأبي زكرياء يحيى السوسي، وأبي عبد الله محمد بن محمد الغرديس التغلبي، وأبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الورتدغيري... وغيرهم.

قال المنجور في فهرسته: ((وكثيرا ما كان يدرس بالمسجد المعلق بالشراطين من فاس القرويين، المجاور لدار الحبس التي كان يسكن بها، وسكنها ولده – شيخنا المذكور – بعده مدة طويلة، حتى بنى داره بالعقبة الزرقاء)). هـ.

وألف تآليف مفيدة؛ منها: كتاب "المعيار المغرب، والجامع المعرب، عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، جمعه في ست مجلدات؛ فاق به الأوائل والأواخر، واستعان فيه بخزائن تلميذه أبي عبد الله الغرديس – المذكور – العلمية، التي احتوت على فنون العلم والتصانيف المعتبرة في النوازل وغيرها. قال المنجور في فهرسته: ((فإنما تيسرت له تلك النوازل – لا سيما فتاوى أهل فاس وأهل الأندلس – من خزانة هذا الفقيه)). هـ.

ومن تآليفه أيضا: كتاب "الفائق [154] في الوثائق"، و"القواعد" التي سماها "بإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك"، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في ثلاثة أسفار، و"غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق الفشتالي"، و"فهرسة" جمع فيها شيوخه...

قال في "الدوحة": « توفي في أواخر العشرة الأولى – والله أعلم – بمدينة فاس ».هـ. وهو خلاف ما في فهرسة المنجور وغيرها، من أنه: توفي سنة أربع عشرة وتسعمائة. ونحوه في "نيل الابتهاج" قائلا: « توفي عام أربعة عشر وتسعمائة – وفي هذه السنة استولى الفرنج على مدينة وَهْرَان؛ فك الله أسرها – وعمره نحو ثمانين سنة. أخبرنا بذلك صاحبنا الشيخ المسن، مفتي فاس؛ محمد بن قاسم القصار الفاسي، زادني بعض أصحابنا أن وفاته: يوم الثلاثاء موفي عشرين من صفر ».هـ. وفي "أزهار الرياض" للمقري: « كانت وفاة الإمام الونشريسي يوم الثلاثاء موفى عشرين من صفر من عام أربعة عشر وتسعمائة، بمدينة فاس رحمه الله ».هـ.

ودفن – كما في "التنبيه" وغيره – قرب سيدي محمد ابن عباد، ورثاه الفقيه أبو عبد الله محمد ابن الحداد الوادي آشي ثم الغرناطي، نزيل تلمسان، بقطع من الشعر ذكرها المقري في "أزهار الرياض"؛ منها قوله:

لقد أظلمت فـاس بل الغـرب كله	بموت الفقيـه الونشريسي أحمد
رئيـس ذوي الفتـوى بغير منـازع	وعارف أحكام النوازل الأوحد
لـه دُربـة فيـها ورأي مسـدد	بإرشـاده الأعـلام في ذاك تهتـد
وتـالله ما في غربنا اليوم مثلـه	ولا مـن يـدانيـه بطـول تـردد
عليـه مـن الرحمن أفضـل رحمـة	تروح على مثواه فيضا وتغتدي

ذكره "المنجور" في فهرسته في ترجمة ولده أبي محمد، وترجمه في "الدوحة"، و"الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"، و"التوشيح" . . . وغيرها .

[582، 583، 584- لال يَدُّونة، وسيدي السَّمار، وسيدي علي الكُسْكُس]

وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته مع امرأة يقال لها: لال يدُّونة، ورجلين آخرين يقال لأحدهما: سيدي السمار، وللآخر: سيدي علي الكسكس. وكلهم بالقرب من سيدي محمد ابن عباد؛ فقال:

يَـدُّونـة بـدت مـع السمـار	بالـقرب للإمـام ذي الفخـار
والعالـم العلامـة المدقـق	الواصـل المقـرب المحقـق
أحمـد الونشريسـي الحبر الكبيـر	حصن الشريعـة المعظـم الخطير
بقربـه الشيـخ علـي الكُسْكُـسُ	المطمَئـن قلبـه والنَّـفَـسُ

[585- سيدي محمد بن العربي قَصَّارة الحميري]
(ت: 1257، أو 1258)

ومنهم: الفقيه النبيه، المعقولي النزيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن العربي [155] قَصَّارة الحِمْيَري.

كان - رحمه الله - متفننا في علوم شتّى؛ من نحوٍ، ومنطق. . وغيرهما . وكان ضريرا؛ لا يبصر، فقد بصره في آخر عمره، وكان يسكن بحومة القلقليين، فكان الطلبة يقودونه لضريح سيدي عبد القادر الفاسي، فكان يقرأ معهم به، ولم يترك التدريسَ اكتفاء بسماع ما يدرسه أو دون سماع.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم فاتح عام سبعة - أو ثمانية - وخمسين ومائتين وألف، ودفن قريبا من ضريح سيدي مَحمد ابن عباد .

[586- سيدي عبد الرحمن بن أحمد النّالي]
(ت: 951)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الأستاذ النزيه، البركة الصالح، المؤدب الناصح؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد النالي؛ منسوب لبني نال من بلاد غمارة.

كان - رحمه الله - يعلم الصبيان بمكتب حومة المَعَادي من فاس القرويين. وكان زاهدا في الدنيا، ورعا صالحا، متبركا به.

أخذ العلم عن أبي زيد عبد الرحمن ابن إبراهيم وغيره، والطريقة عن سيدي علي حُمَاموش؛ دفين خارج باب الفتوح.

وأخذ عنه هو: سيدي محمد الحضري.

وتوفي بفاس سنة إحدى وخمسين وتسعمائة. وهو أول ميت اجتاز على جسر الرصيف بعد تجديده. ودفن - على ما قيده بعضهم - وهو - والله أعلم بالصواب - بهذا الداخل، لا أنه دفن بمسجد حومة المعادي - خلافا لما اشتهر - لما تقدم بيانه. والله أعلم. ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة" . . . وغيرهما .

[587، 588- سيدي عمر الرَّجْرَاجِي (الأستاذ والتلميذ)]

ومنهم: الشيخ الصالح؛ أبو حفص سيدي عمر الرجراجي. ذكره بعضهم من أولياء هذا الداخل، وسيأتي ذكره من أولياء خارج باب الفتوح.

ووُجد بخط الشيخ سيدي الحسن الزناتي - وقد ذكر رجلا سماه: سيدي عمر الرجراجي - ما نصه: « وسيد عمر هذا من أصحاب الرجراجي المدفون خارج باب الفتوح من فاس ».هـ. فجعلهما اثنين، وعليه؛ فيمكن أن يقال: إنهما اثنان؛ أحدهما: داخل الباب، والآخر خارجها، والذي في الداخل من تلامذة الذي في الخارج... والله أعلم!.

[589- المقرئ النحوي سيدي محمد مَنديل بن محمد ابن آجَرُّوم] (ت: 772)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الأستاذ النزيه، المقرئ النحوي الأريب، الشاعر اللغوي الأديب، الحاج الأبر؛ أبو عبد الله سيدي محمد المدعو: بمنديل ابن الشيخ الفقيه الأستاذ المقرئ العلامة أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي؛ شهر بابن آجَرُّوم، ويكنى بأبي المكارم.

كان - رحمه الله - فقيها مقرئا، لغويا نحويا، أديبا شاعرا، مكثرا مُجيدا، كثير الانبساط والمداعبة، جميل المجالسة والمعاشرة، من أعجب المقرئين فصاحة وحسن إلقاء.

وكان جل إقرائه: "مقامات" الحريري، فكان في ذلك أوحد أهل زمانه، وكان نبلاء الطلبة يرصُدونه؛ فما يسمعون منه لحنة. رحل لأداء حجة الفريضة في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ولقي في رحلته جماعة وأجازوا له، وأجاز له جماعة من المغاربة أيضا.

أخذ عن أبي حيان [156]: لقيه بالقاهرة، وأجاز له إجازة عامة، وعن أبي عبد الله محمد عبد السلام بن يوسف الهواري التونسي، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الرصافي التونسي أيضا، وأبي العباس بن أبي بكر بن أبي القاسم اليَحْصُبي التونسي، وأبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي... وغيرهم. وروى تآليف والده عنه.

وأخذ عنه هو: ابن الأحمر، وأبو زكرياء السراج الكبير... وغيرهما.

وتوفي يوم الاثنين الرابع من شهر جمادى الأولى عام اثنين وسبعين وسبعمائة. قال السيد أبو محمد عبد السلام بن الخياط القادري في تأليف له في "مناقب مولاي عبد الله الشريف الوازاني" بعد ذكر وفاته، وأنها بفاس ما نصه: « ودفن بظهر الكاف داخل باب الفتوح، وقد زرت قبره مع والدي مرارا متعددة ».هـ. ترجمه تلميذه "السراج" في فهرسته، وكذا في "الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"... وغيرها.

[590- الإمام الميقاتي النحوي سيدي عبد الرحمن بن محمد المَدْيُونِي الجاديري]

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، المحدث الميقاتي الهمام، العالم العلامة، المحقق الفهامة؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن عطية المديُوني، ثم الجاديري. به عرف. الفاسي.

ولد – رحمه الله – سنة ست – أو: سبع – وسبعين وسبعمائة، وقطن فاسا، وكان بها عدلا مبرزا، وولي توقيت جامع القرويين بها، وكان أحد الأعلام بها؛ فقيها محصلا، متفننا مقرئا، نحويا حيسوبيا، مؤقتا بمنار القرويين.

قرأ القرآن بالسبعة على الأستاذ محمد ابن عمر الموقت، وعلى أبي عمرو عثمان الزَرْوَالي، وأبي عبد الله الفخار، وأبي عبد الله القيسي، ويروي عن الترجالي، وعن برهان الدين ابن صديق، وعن الرئيس ابن الأحمر، وعن أبي زيد المكودي؛ روى عنه مقصورته وغيرها، وروى البخاري عن أبي الحسن ابن الإمام.

وأخذ عنه: الشريف العلامة أبو الحسن علي ابن مَنُون المكناسي – دفينها؛ أحد شيوخ ابن غازي.

وألف – رحمه الله – تآليف عديدة؛ منها: "شرح رجز أبي مقرع"، ومختصر شرح "الخاقانية" للداني، ورجز سماه: "النافع في أصل حروف نافع"، و"تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام"، وشرح رجز شيخه القيسي في الضبط، وشرح "الدرر اللوامع"، ونظم في التوقيت؛ سماه: "روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار"، و"اقتطاف الأنوار"؛ ذكر فيه مسائل "الروضة" نثرا، وهو كالشرح لها، و"مختصر الاقتطاف" المذكور؛ جمع فيه بين العمل بآلة الإسطرلاب، والصفيحة الشكارية، وربع الدائرة، والعمل بالحساب والجدول في اثنين وأربعين بابا، وله أيضا: "المذكر والمؤنث"، و"فهرسة" مليحة عد فيها مشيخته، و"شرح البردة" . . . وغير ذلك.

توفي – رحمه الله – بفاس سنة ثمان عشرة وثمانمائة – على ما ذكره في "الجذوة "، و"الدرة" و"لقط الفرائد"، و"المنح [157] البادية" . . . وغير ذلك – وذكر في "الكفاية" و"النيل" – تبعا لبعض الجاميع المغربية – أنه: توفي سنة نيف وأربعين وثمانمائة، ثم نقل عن "الوفيات" للونشرسي أنه: توفي سنة تسع وثلاثين. زاد في "النيل": «ودفن في داخل باب الفتوح ». هـ. وفي بعض النسخ: «ودفن بروضة الكهف داخل باب الفتوح ». هـ. وروضة الكهف: هي المسماة بظهر الكاف. قريبا من باب الفتوح. بينها وبين روضة سيدي محمد ابن عباد.

[591- الكاتب سيدي عبد الرحمن بن محمد المَكُّودي]

ومنهم: الشيخ سيدي المكودي؛ بروضة ظهر الكاف المذكورة. أثنى عليه الشيخ المدرع في منظومته بالإمامة، والعلم والأدب، والتجويد، وأشار إلى أن أبا زيد الجاديري - السابق - مدفون معه بها، وأنه ليس عليها بناء؛ فقال:

فمنهمُ: إمامنا المكودي	ذو العلم والأدب والتجويد
والجاديري معه كان دفنا	بظهر كاف ما عليهما بنا

وبيت بني المكودي بفاس بيت فقه وعلم وكتابة، وعدالة وثروة، ولهم زقاق بفاس يقال له: عقبة المكودي.

وقد عرّف أبو العباس ابن القاضي في "الجذوة" وفي "درة الحجال" بجماعة منهم، ولم أدر من هو صاحب الترجمة؟، وليس هو صاحب شرح "الألفية" المشهور، خلافا لمن توهمه؛ لأن صاحب شرح الألفية تقدم لنا أنه دفين حومة الأصدع؛ داخل باب الجيسة، وتقدمت ترجمته هناك.

وممن ترجمه في الكتابين المذكورين ويمكن أن يكون صاحب الترجمة: الفقيه الكاتب بفاس؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المكودي. كان يشهد عقد زيتون ابن عطية بمدينة فاس، أيام السلطان أبي سعيد بن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني. قال في "درة الحجال": «وهو من بيت بني المكودي المشهور بفاس؛ بيت علم وكتابة، غير صاحب الشرح على "الألفية" ». هـ.

[592- الكاتب سيدي محمد بن عبد الرحمن المكودي]

(ت: 753)

وممن ترجمه فيهما منهم أيضا: الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الكاتب أبي زيد عبد الرحمن المكودي. قال في "الجذوة" و"الدرة": « توفي بفاس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة. قال: ولم يبق أحد منهم في عصرنا اليوم ». هـ.

[593- سيدي عبد الوهاب بن عبد القادر الحسني]

(ت: 1132)

ومنهم: السيد الجليل، الماجد الأصيل، الشريف المنيف: سيدي عبد الوهاب بن عبد القادر الحسني. من أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي، قال في "دوحة البستان": « توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بظهر الكهف؛ داخل باب الفتوح ». هـ.

[594- الفيلسوف سيدي محمد بن محمد بن علي ابن البقال]
(ت: 725)

ومنهم: الشيخ الفقيه المتقن، العلامة المحقق المتفنن؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد ابن علي؛ عرف بـ: ابن البقال.

قال في "نيل الابتهاج": «قال أبو العباس الونشريسي: نقلت من خط الفقيه الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد ابن بَرّي أن [158] أبا عبد الله المذكور: كان من العلماء المحققين، المحصلين المشاركين، قرأ بتازا علم الفرائض والعَدَد على أبي عبد الله العباس ابن مهدي، والنحو والكلام على أبي عبد الله الترجالي، واستوطن فاسا، ودأب على القراءات، واستفرغ وسعه في المعقول سنين عديدة، حتى حصّل المعالم وأتقنها، ثم أخذ أخيرا في التفسير، والفقه الخلافي، وكان له حظ وافر من الأدب واللغة، والبيان والعروض، والشعر والكتابة. وكان آخر عمره كثير التلاوة للقرآن، محافظا على صلاة الجماعة، له ورد من الليل. ***وبالجملة: ما رئي في وقته من حصل من علوم الفلاسفة مثل ما حصله***، مع الديانة، والوقوف مع الشريعة. وأخذ في آخر عمره في تدريس الفقه. ؛فكان آية».

«توفي بفاس سنة خمس وعشرين وسبعمائة، ودفن إثر صلاة الجمعة داخل باب الفتوح وقد قارب الخمسين... قلت - أي: قال في "النيل" - وله أجوبة حسنة في التفسير والأصول؛ أجاب بها أبا زيد ابن العشاب المتقدم». انتهى كلامه فيه في "النيل"، ونحوه له في "الكفاية".

[595- المقرئ سيدي محمد الحَصَّار]
(ت: 908)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الأستاذ البركة النزيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد الحَصَّار.

كان - رحمه الله - من أهل مدينة فاس، وكان فقيها، أستاذا مقرئا بجامع القرويين، وهو غير سيدي محمد الحصار المعروف بقرب سيدي أبي زيد الهزميري - كما نبه على ذلك في "المطمح".

توفي - رحمه الله - يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعمائة، ودفن داخل باب الفتوح. كذا ذكر وفاته ومدفنه في "درة الحجال"، وفي "لقط الفرائد"، وفي "المطمح" في ترجمة ابن جلال الكبير بخط مؤلفه.

ويوجد في بعض نسخ "الجذوة" ما نصه: «محمد ابن الحصار: الفقيه الأستاذ، من أهل مدينة فاس، توفي في عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة، ودفن خارج باب الفتوح». هـ. وهو تحريف من الناسخ قطعا، ونصه في "لقط الفرائد" في الكلام على سنة ثمان وتسعمائة: «توفي الفقيه الأستاذ، المقرئ بجامع القرويين؛ أبو عبد الله محمد الحصار، يوم السبت عاشر جمادى الأولى منها، ودفن داخل باب الفتوح». هـ. . والله أعلم.

[596- الإمام الحافظ الراوية سيدي عبد الرحمن بن علي سُقّين العاصمي]
(ت: 956)

ومنهم: الشيخ الكبير، العالم الشهير، الفقيه الأستاذ العلامة، الضابط المحدث الفهامة، المسند الحاج الرحال، البركة الصالح المفضال، راوية المغرب، ومفتي فاس وخطيبها وعمدتها؛ ولي الله تعالى أبو زيد وأبو محمد سيدي عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي السُفياني القَصْري، ثم الفاسي عرف بسُقّين (بضم السين المهملة، وفتح القاف وتشديدها).

كان - رحمه الله - إمام أيمة عصره، ووحيد وقته ودهره، فقيها علامة، محدثا ضابطا، محققا مشاركا في الفنون [159] من طب وأدب، وعربية وتصوف. . . وغير ذلك.

وكان رجلا طويلا، لونه كلون العرب، وله سَمْتٌ حسن، وهدْي مستحسن، وقيد كثيرا من فوائد الحديث والأدب، وجمع كثيرا من الكتب، مع تواضع؛ يركب الحمار مع أشراف الناس.

أخذ عن ابن غازي، والشيخ زروق، وأبي العباس الزقاق، وأدرك أبا الفرج الطنجي وجود عليه القرآن، وأبا مهدي عيسى الماواسي، وأبا فارس عبد العزيز البُوفرحي، وأبا زيد عبد الرحمن الحميدي، وأبا زيد عبد الرحمن الزواوي، وأبا عبد الله محمد ابن حَسُّون. . .وأخذ في طريق الإرادة عن الشيخ القطب أبي محمد عبد الله الغزواني؛ وارث الشيخ التباع - رضي الله عنهم.

وارتحل إلى المشرق سنة تسع وتسعمائة، ودخل بلاد السودان، وحج وأخذ علم الحديث بمصر عن القلقشندي، وزكرياء الأنصاري، والسخاوي. وبمكة عن ابن فهد، وكلهم عن الحافظ ابن حجر؛ فحصلت له رواية واسعة، لم تحصل لغيره من أهل فاس.

ثم آب للسودان، ودخل كَنوا وغيرها، وحدث بمحضر ملوكهم، وأجلسوه للتحديث على الفرش الرفيعة، ووصلوه بالصلات الجزيلة؛ من جوار وغيرها، وذكر هو عن نفسه أنه افتض هناك قريبا من مائة جارية مما يهدى إليه، وأعطاه سلطانهم - يوم لقيه - خمسين صرة من التِبر، في كل واحدة خمسمائة مثقال، وولد له هناك بعض الأولاد، وأقام سنين كثيرة.

ثم رجع لفاس سنة أربع وعشرين وتسعمائة؛ فخطب بجامع الأندلس، وتولى الفتيا بعد موت أبي العباس الزقاق، ثم عزل عنها بعد ثلاث سنين، فلزم رواية الحديث وإقراءه؛ "كالموطأ" و"العمدة"، والكتب الستة، والتفسير. . .وكان كثير من الشيوخ بفاس؛ كالإمام أبي عبد الله اليستيني، والفقيه أبي محمد عبد الوهاب الزقاق، والأستاذ أبي عبد الله العبسي. . . وغيرهم يأخذون عنه الحديث، ويروونه عنه؛ لمعرفتهم بتحقيقه فيه، وضبطه له، وسعة روايته فيه، وكثرة من لقي من مشايخه.

وممن أخذ عنه: أبو العباس المنجور، وأبو راشد اليَدْري؛ وعليه كانت جل قراءة سيدي رضوان الجنوي، ولازمه حتى توفي. وفي "تحفة الإخوان" للمُرابي أن سيدي رضوان هذا: كان يملأ فمه بذكره، ويقول: «لم أر مثله في فنه!»، وكان يقول أيضا: «من أعظم النعم علي؛ معرفتي بالشيخين أبي محمد عبد الله الغزواني، وأبي زيد عبد الرحمن سُقَين!؛ فإن الشيخ الغزواني غرس وحرث، والشيخ عبد الرحمن سقى ونقى».

وذكروا عنه أنه: كان ينكر على من يطلب قراءة الفاتحة للناس أو يقرؤها لهم، ويقول: «إنها بدعة؛ لم ترد في حديث»، لكنه رئي بعد موته في المنام؛ فسئل عن ذلك؛ فرجع عن إنكاره. وفي [160] "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج" – واللفظ للثاني – ما نصه: «قال الشيخ زروق في بعض تواليفه: ما اعتاده أهل الحجاز واليمن ومصر ونحوهم من قراءة الفاتحة في كل شيء؛ لا أصل له. لكن؛ قال الغزالي في "الانتصار" ما نصه: فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير، واستجلب ما تؤمله من هداية وبر، بقراءة السبع المثاني، المأمور بقراءتها في كل صلاة، وتكرارها في كل ركعة، وأخبر الصادق المصدوق أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل والفرقان مثلها . وفيه تنبيه – بل تصريح – أن يكثر منها؛ لما فيها من الفوائد والذخائر. انتهى – أي: كلام زروق – قلت: – أي: قال صاحب "الكفاية" و"النيل" – أخرج أبو الشيخ في "الثواب" عن عطاء قال: إذا أردت حاجة؛ فاقرأ فاتحة الكتاب حتى تختمها؛ تقض إن شاء الله تعالى. نقله الجلال السيوطي رحمه الله تعالى».هـ.

قلت: وحديث: «الفاتحة لما قرئت له»، عزاه الزَّرْكشي للبَيْهَقي في "الشعب"، ورده السُيوطي في "الدرر المنتثرة" وقال: «لا وجود لهذا الحديث في "الشُعَب"؛ وإنما الذي فيه: فاتحة الكتاب شفاء من كل داء. أخرجه من حديث عبد الله بن جابر».هـ. وقال بعض الحفاظ: «لا أعرفه بهذا اللفظ!». هـ.

وفي حاشية التَّاق على "شرح الحصن" لشيخه أبي عبد الله سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي ما نصه: «كان شيخنا المؤلف – رحمه الله – يقول: إن ما يقال: الفاتحة لما قرئت له. يذكر أنه حديث أو من كلام بعض الأئمة. . . قال: وهو ثابتٌ مَعْنَى».هـ.

وفي "الأجوبة السّتينية" لوالده رحمه الله: « ذكر الوادي آشي: مما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها - يعني: الفاتحة - لما نويت له ». هـ.

وفي "مرآة المحاسن" ما نصه: « وقد شاع في العُرف: إطلاق اسم الفاتحة على رفع الأيدي للدعاء؛ لما شاع من رفع الأيدي وقراءتها في الدعاء وطلب الحاجات، ومن أصول ذلك: ما في كتاب الشيخ المحدث أبي محمد عبد الغفور بن عبد الله النفزي المرْسي - رحمه الله - عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان؛ إذا دعوت فقدم بين يديك ثناء!. فقلت: كيف يا رسول الله؟. قال: تقرأ الفاتحة ثلاث مرات. وما في "شعب الإيمان" للحافظ أبي بكر البيهقي - رحمه الله - من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: فاتحة الكتاب شفاء من كل داء. وما في كتاب "الثواب" لأبي الشيخ ابن حيان عن عطاء قال: إذا أردت حاجة؛ فاقرأ بفاتحة الكتاب حتى تختمها؛ تقض إن شاء الله تعالى ». انتهى.

« وأخرج البيهقي في "الشعب" عن أبي سعيد الخُدْري، وأبو الشيخ في "الثواب" عن أبي هُرَيْرَة [161] وأبي سعيد - معا - رفعاه: فاتحة الكتاب شفاء من السم. وأخرج الديلمي في "مسند الفردوس" عن عمران بن حصين مرفوعا: فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرأهما عبد في دار فيصيبهم ذلك اليوم عين إنس أوجن. وذكر المنجور أنه: جاء في بعض الأحاديث قراءتها على الطعام ». هـ. والله أعلم.

ولد صاحب الترجمة - رحمه الله - على ما ذكره غير واحد كابن القاضي في "لقط الفرائد"، وفي "المنتقى المقصور"، وصاحب "الابتهاج"، و"المنح البادية" سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة. وقال المنجور في فهرسته - في أوائلها - على ما في بعض نسخها: « ولد سنة ثلاث وسبعين من المائة التاسعة فيما زعمه بعض أصحابه، وقيل: قبلها بنحو ثلاثة أعوام أو أكثر، ولعل هذا أصح! ». هـ. وقال بعد هذا في ترجمة صاحب الترجمة: « زعم الفقيه أبو عبد الله محمد الزُّموري - نائبه في إمامة جامع الأندلس - أن ولادته كانت سنة ثلاث وسبعين. وهو بعيد، وذكر لي بعض من لازمه كثيرا من الطلبة أن سنه: ست وثمانون سنة ». هـ.

وتوفي - رحمه الله - بفاس ليلة الأحد الخامس والعشرين من محرم الحرام فاتح سنة ست وخمسين وتسعمائة، وانقطع قرّاءُ الحديث بموته، ودفن بعد صلاة ظهر يوم تلك الليلة داخل باب الفتوح.

ترجمه تلميذه المنجور في فهرسته، وكذا في "الجذوة"، و"الدرة"، و"الكفاية"، و"النيل"، و"الدوحة"، و"الابتهاج"، و"المطمح"... وغيرها. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته أثناء ذكره لبعض من دفن داخل باب الفتوح؛ فقال:

ومنهمُ: سُقَين عبد الرحمن   بالعلم والزهد حباه المنان

[597- الشريف سيدي عبد العزيز بن علي الخياط]

ومنهم: السيد الفقيه، الفاضل النزيه؛ أبو فارس سيدي عبد العزيز ابن الشيخ العارف الفقيه العلامة أبي الحسن علي الخياط؛ دفين داره بالمُنْيَة من طالعة فاس ابن الفقيه العلامة العارف، وارث والده وخليفته من بعده؛ سيدي إبراهيم ابن القطب سيدي عبد الله الخياط الشريف الحسَيْني الرِفاعي؛ دفين جبل زرْهُون.

أورد صاحب الترجمة في "جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط"، وجعله جدا لسيدي محمد ابن إبراهيم - دفين دَرْب الحرة من طالعة فاس، بزاويته الشهيرة به - وقال: «إنه دفين داخل باب الفتّوح». هـ. ولم يعين محل دفنه منه، ولم يذكر له ترجمة.

[598- الشريف سيدي إبراهيم بن عبد العزيز الخياطي]

ومنهم: ولده الفقيه الأوحد، الأمجد البركة الأنزه الأصعد، الولي الصالح؛ أبو سالم سيدي إبراهيم بن عبد العزيز الخياطي الشريف الحسيني، والد الشيخ العارف أبي عبد الله [162] سيدي مَحمد (فتحا) ابن إبراهيم؛ دفين درب الحرة. أورده في "جواهر السمَاط" - أيضا - وقال: «إنه دفين داخل باب الفتّوح من فاس». هـ. ولم يذكر له غير ذلك. والله أعلم*.

وهذا آخر ما يسر الله تعالى لنا ذكره من أولياء وعلماء داخل سور هذه المدينة المباركة، نسأله تعالى بجاههم، وعلو مكانهم، أن يغفر لنا ذنوبنا، ويستر - بفضله وكرمه - عيوبنا، ويمن علينا في الدارين برضاه، ويحشرنا في زمرة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وتحت لواه. . . آمين.

وكان الفراغ من تبييضه - سوى أشياء زدتها فيه أو نقصتها منه - بعد يوم الثلاثاء سادس شعبان المعظم عام ثمانية وثلاثمائة وألف.

ويتلوه - إن شاء الله تعالى - الكلام على أولياء وعلماء خارج المدينة، مما هو متصل بها أو قريب منها، والبداءة منه بخارج باب الفتّوح - فتح الله لنا أبواب رحمته، ومن علينا بإتمام عافيته ونعمته، بجاه خير الورى، وأفضل من وطئ الثرى، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومجد وشرف وكرم وعظم. . .آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

* تاريخ الفراغ من تبييض هذا القسم من السلوة: عام 1308 هجرية.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به من
صلحاء وعلماء خارج باب الفتوح من فاس المحروسة
رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين

وقد اشتمل هذا الخارج على صلحاء وعلماء لا يحصون كثرة وعددا، بل قيل: إنه لا يكاد يخلو شبر منه من ولي لله تعالى. وكثير من الأخيار إذا خرج إليه للزيارة؛ ينزع نعليه، ويخرج حافيا؛ تواضعا لله تعالى، وأدبا مع أهله؛ فإن فيهم الأقطاب، والأوتاد والأفراد، وأهل المعرفة الكبرى بالله تعالى، ونحـوهم. وقد بلغنا عن بعض الأكابر أنه: كان يقول في رجال هذا الخارج: « كادوا أن يكونوا أنبياء » .هـ. وهو كذلك - حشرنا الله في زمرتهم، وأعاد علينا من بركتهم. . . آمين.

[599- سيدي البناد: سعيد بن هُبيرة]
(ت: القرن الثالث)

منهم: عند قوس الباب - أعني: باب الفتوح الأولى التي سدت - عن يسار الخارج منها، رجل كانت العامة تسميه قبل اليوم بسيدي البناد. والبناد هو: العلاَّم؛ لقب بذلك لأنه كان - فيما يقال - علام مولانا إدريس بن إدريس - رضي الله عنهما - يحمل رايته. واسمه فيما يقال: سعيد بن هبيرة.

وقد أشار إليه صاحب "الروض" آخر ترجمة أبي عمرو السَّلالجي فقال: « وبباب الفتوح روضة عند [163] قوس الباب، عن يسار الخارج من المدينة، كانت بها شجرة عنَّاب، فقطعها سيدي أحمد بن عمر البهلول - الذي بباب الجيسة - في آخر أمره، وبقيت خشبتها مطروحة هناك، يقال: إن صاحب الروضة اسمه: سعيد بن هبيرة، وإنه كان يحمل راية مولانا إدريس باني فاس - رضي الله عنهما » .هـ.

وأشار إليه - أيضا - في "التنبيه"؛ فقال: « ومنهم - يعني: من أولياء خارج باب الفتوح - سيدي سعيد بن هبيرة، ويسميه أكثر الناس الآن: سيدي البناد » .هـ.

[600- سيدي فَتُّوح]

وفي التقايد المفيدة في صلحاء فاس، عند تعرض صاحبها لأولياء خارج باب الفتوح ما نصه: « أولهم: سيدي سعيد بن هُبيرة؛ علام مولانا إدريس » .هـ. وعامة الناس اليوم تسميه بسيدي فتوح،

وذلك من تغييراتهم، وسيدي فتوح: ذكره المدرع في منظومته ممن دفن داخل الباب قريبا منها، لا ممن دفن خارجها، ونص كلامه:

والقرطبي مع سيدي فتوح مثواهما لداخل الباب يلوح

والله أعلم...

[601- مداح النبي الإمام سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي]

(ت: 1120)

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة الدراكة الهمام، الولي الأطهر، والبركة الأشهر، الفقيه الأديب، الناثر الناظم الأريب، الشائع البلاغة في المدح النبوي، المفصح بالشوق والمحبة في الجناب المصطفوي، سراج الدين، وضياء المحبين؛ أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي المنشأ والدار، الفاسي الرحلة والقرار، الشافعي مذهبا، القرشي – فيما يقال – نسبا.

إمام مشهور، وهمام مشكور، وبحر لا تكدره الدلاء، وحَبْرٌ يفاخر أعلام الدلاء. ذاق الحب النبوي وساغه، وحمل فيه لأهل زمانه راية البلاغة، وأنفق بضاعته في مدح المصطفى، وأخرج من بحر المعجزات ما رسب من درر البلاغة أو طفى؛ فعلا في الناس قدره، وامتلأ بالأنوار صدره.

نشأ ببلده حلب، وفيها حلب من ثدي العلوم ما حلب، ثم رحل لفاس، وصارت له خير كناس، فأعظم أهلها – بعد الاختبار – أمره، وأصغروا دونه زيد الأدب وعَمْرَه، وعرف علماؤها من حقيقته الفصل والخاصة، وانتهى بينهم إلى مقام خاصة الخاصة، وتلمذ له الأكابر، وخوطب بولاية الكراسي والمنابر؛ فأغنته الغَيْبة عن الظهور، ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾. [النور: 40].

وكان – رضي الله عنه – شافعيا، ولم يتحول قط مالكيا؛ لأنه قدوة في ذلك المذهب، وإليه المفزع في أحكامه والمهرب.

وله مؤلفات، في أغراض مختلفات، أكثرها لم يكشف عن مخدراته سواه، ثم لم يكد أن يبلغ فيه مداه، وله ديوان في الأمداح [164] النبوية، ومقامات فيها – أيضا – تعارض الحريرية؛ سماها "بالحلل السُندسية، في مدح الشمائل المحمدية"، كتب عليهما أكثر أئمة العصر في المشرق والمغرب، وأوسعوا في الثناء عليه بما شاهدوه من أمره المعجب، وقد ذكر أكثرهم في كتابه "كشف اللثام عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه الصلاة والسلام". وهذا الكتاب ذكر فيه مراتبه الإلهية والنبوية، الدالة على أعظم البشائر الدنيوية والأخروية، وبمطالعته يعرف قدره، ويظهر مكانه وفخره، وكذا بمطالعة

غيره من تآليفه: "كالدر النفيس، في مناقب مولانا إدريس"، و"السيف الصقيل، في الانتصار لمدح الرب الجليل"، و"معراج الوصول، في الصلاة على أكرم نبي ورسول"، و"مناهل الصفا، في جمال ذات المصطفى"، و"مناهل الشفا، في رؤيا المصطفى"، و"الروض البسام، في رؤيا غيره عليه السلام"، و"الكنوز المختومة، في السماحة المقسومة، لهذه الأمة المرحومة"، في أربعة أسفار، و"فتح الفتاح، على مرائع الأرواح"؛ وهو شرح له على قصيدة له كبيرة عينية سماها "بمرائع الأرواح، في كمالات الفتاح"، و"السيف المسلول، في قطع أوداج الفلوس المخذول"؛ وهو: رجل أنكر عليه نداء النبي صلى الله عليه وسلم باسمه مجردا عن السيادة في قصيدة له، و"ريحان القلوب، فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب" في مجلد.

وله - رحمه الله - في الأمداح النبوية قصائد رفيعة كثيرة، وأزجال بديعة شهيرة، تارة يتغزل فيها على طريق النسيب، وتارة يصرح أولا بالمديح، ويأتي في كل بالعجب العجيب.

وله - أيضا - في مدح الأولياء - وخصوصا الإدريسيين - ما ينشرح به الصدر، وتقر به العين، ومرائي إلهية، ومخاطبات رحمانية، وأخرى نبوية محمدية، وأخرى شريفة إدريسية، وهي أكثر من أن تحصى، وأوسع من دائرة الاستقصا، وقد ذكر شيئا منها في كتبه، وأثنى عليه أهل عصره فيما كتبوه بخطوطهم على تآليفه.

وممن أثنى عليه منهم: الشيخ سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي، وأخوه سيدي عبد الرحمن، والقاضي العُمَيري، وأبو عبد الله القَسَنْطيني، والقاضي أبو عبد الله المجَّاصي، والقاضي أبو مدين السوسي، وأبو العباس ابن يعقوب. . . وغيرهم ممن يكثر.

ومن أشياخه رحمه الله: الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد الرفاعي الحسيني: شيخ مشايخ البصرة في وقته، وهو من حفدة القطب سيدي أحمد الرفاعي الكبير، أخذ عنه صاحب الترجمة، وانتفع به، واستفاد منه، وكان يقول فيه: «شيخي ووسيلتي [165] إلى الله تعالى»، ومما سمعه منه - نقلا عن جده سيدي أحمد الرفاعي - قال: «من لم يعاتب نفسه في كل نفَس؛ لم يُحسب من الرجال!».

ولازم - رحمه الله - القراءة بهذه الحضرة بعد وروده عليها على شيوخها؛ كالشيخ أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي وغيره، وكان العلامة اليوسي من المعجبين بنظمه، وكان يقضي له كل ضرورياته من ماله؛ لغربته ونفاسة علمه، حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق، فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه، سدا للذريعة، وحماية لجانب الشريعة، مخافة أن يقتدي به في ذلك، من

ليس له حظ هنالك، فلم يثنه صاحب الترجمة عن فعله؛ لعلمه أنه فيه على بصيرة من ربه، وأنه يتكلم بلسان الوجد والحال، لا بلسان التشدق والابتذال؛ فهجره اليوسي – رحمه الله – واغتاظ عليه، وقطع عنه ما كان يوجهه إليه، فلم يبال صاحب الترجمة بما عنه صدر، وأقبل على ما هو بصدده مما يعود عليه نفعه في كل ورد وصدر.

وبالجملة؛ فهو أديب شهير، وعالم صوفي كبير، ولوع بالأشواق النبوية، والأمداح المصطفوية، ظهر صدق توجهه في محبة المصطفى، واغترف من بحار البلاغة ما أعزه وكفى، وأعجز كل مديح، وحاز في هذا الباب الفخر الصريح، ودام على ما كان عليه، إلى أن قبضه الله إليه، وذلك في جمادى الثانية من عام عشرين ومائة وألف. ودفن بهذا الخارج، على مقربة من ضريح سيدي دراس ابن إسماعيل، أسفل منه. وقبره معروف إلى الآن مقصود للزيارة، يقابل الباب التي سُدت بإزاء الباب المفتوحة اليوم؛ والدعاء عنده مستجاب – رحمه الله ونفع به.

ومما أنشده فيه العلامة الأديب سيدي الشاذلي ابن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي حسبما في "البدور الضاوية":

كيف لا يرفل في بُرْد العَجَب	من يكن منشؤه أرض حلبْ
نجل عبد الحي من أحيا العلا	بفنون رائقات وأدبْ
زاده الله سناء وسنا	وحباه الخلد يوم المنقلبْ

ترجمه جماعة؛ منهم: الفقيه الأديب أبو عبد الله سيدي محمد الطيب الشريف العلمي، في "الأنيس المطرب فيمن لقي من أدباء المغرب"، وصاحب "النشر"، و"التقاط الدرر"، والعلامة أبو الربيع الحوات فيما رأيته بخطه في بعض تقاييده التي قيدها [166] على رؤيا صاحب الترجمة الآتية. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته فقال:

ومنهم: الإمام مداح النبي	الشيخ أحمد الأديب الحلبي
قد ألف الأسفار في مدح الرسول	من شعره الذي به يسبي العقول

[رؤيا الشيخ الحلبي بخصوص البيت الكتاني]:

وقد رأيت برسم بيد شرفائنا، عليه شكل العلامة الفقيه أبي مالك سيدي عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، وبرسم آخر بخط الفقيه المحدث الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي الحسيني، ناقلا له عن خط أبي مالك عبد

الواحد المذكور ما نصه: «الحمد لله؛ ذكر العلامة الأديب، الآتي من سحر البلاغة بكل عجيب، أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي - رحمه الله - في كتابه المسمى "بكشف اللثام" ما نصه: رأيت رب العزة - يعني: في المنام - وهو يخاطبني خطابا حسنا، ويعدني وعدا جميلا من الفضل والعطاء والجميل، وذلك أظنه في سنة سبع وثمانين وألف، فسمعت ذلك الخطاب العظيم، بمعنى لا أقدر على التعبير عن كيفيته الآن؛ من غير صوت، ولا حرف، يقول لي: يا عبدي؛ وعزتي وجلالي لأدخلنك الجنة، وعزتي وجلالي لأغفرن لك ذنوبك، وعزتي وجلالي لأجعلن من ذريتك الشرفاء. هذا آخر ما سمعت منه تعالى، وما بقي من الوعد الكريم لم أحفظه كله الآن؛ لطول العهد بيني وبين هذه الرؤيا. . .انتهى من خطه رحمه الله».

«وقد أعطاه الله - سبحانه - ما وعده به من جعل ذريته شرفاء؛ فإن بنته المسماة فاطمة، كانت زوجا للشريف الجليل، المبجل الماجد الأصيل، سيدي مَحمد ابن الشريف المعظم، الفاضل المحترم، مولاي العربي بن مولاي مَحمد بن مولاي علي الذي هو مجتمع فروع قبيلة ساداتنا الشرفاء الكتانيين، أهل عقبة ابن صوال الحسنيين الإدريسيين، حسبما وقفت على رسم صداقه معها، بتاريخ ذي الحجة الحرام، متم عام تسعة ومائة وألف. وأولاد هذا الشريف زوجا، الذين منهم عقبه كلهم من زوجه المذكورة، حسبما وقفت عليه بزمام تركته، وهم الشرفاء الأجلة الأربعة: مولاي العربي، ومولاي الفضيل، ومولاي الزمزمي، ومولاي أحمد. ولكل واحد منهم عقب معلوم، وفر الله عددهم، وبمعونته وتأييده أمدهم».

«فيالها من مزية لهؤلاء السادات الأشراف ما أسناها، ويا لها من بركة لهم ما أعلى قدرها وأسماها، لهم بها من سمو الفخر، ما لا يحتاج لبيان، ومن علو القدر، ما لا يكاد يبين عنه لسان، نفعنا الله بمحبة آل بيت نبيه الكرام، وجعلنا [167] من المحشورين في زمرة جدهم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فمن وقف على ما ذكر كما ذكر، ووعاه كما قرر وسطر؛ قيده هنا أوائل ربيع النبوي الأنور من عام واحد بعد المائتين والألف». انتهى ما رأيته بحروفه.

قلت: ومن منن الله علينا أن جعلنا وجل الموجودين الآن من هذه الشعبة الكتانية، من حفدة هذا السيد الجليل، صاحب هذه الرؤيا، وهو صاحب الترجمة، من بنته فاطمة المذكورة، وكانت وفاتها - حسبما في زمام تركتها بخط العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري صاحب"نشر المثاني" وغيره: سنة سبعين ومائة وألف، وخلفت من زوجها المذكور - كما تقدم - أربعة أولاد؛

[602، 603، 604، 605 - الشرفاء مولاي العربي، ومولاي أحمد، ومولاي الفضيل، ومولاي محمد الزمزمي أبناء سيدي محمد الفضيل الكتاني]

أولهم: المسن البركة مولاي العربي. وكانت وفاته سنة ست وتسعين ومائة وألف.

والثاني: مولاي أحمد. وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف.

والثالث: الفقيه الأجل، التالي كتاب الله عز وجل؛ مولاي الفضيل. وكانت وفاته سنة ست وثمانين ومائة وألف.

والرابع: الفقيه الأجل، الإمام بمسجد الحوت، مولاي الزمزمي. وتأتي وفاته عند ترجمته قريبا - إن شاء الله - وبه يتصل نسب جامع هذا التقييد عفا الله عنه.

[بعض مما قيل من الثناء في البيت الكتاني بسبب رؤية الشيخ الحلبي]

وقد أثنى على هذه الشعبة - بسبب الرؤيا المذكورة - نظما ونثرا جماعة من الأئمة الأعلام؛ كالعلامة أبي مالك سيدي عبد الواحد الفاسي المذكور، والشيخ أبي محمد سيدي عبد القادر ابن شقرون، والمحدث الصوفي أبي الفيض سيدي حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي، والفقيه المشارك أبي حامد سيدي العربي بن أحمد بن التاودي ابن سودة المري، والأديب البارع أبي العباس سيدي أحمد بن محمد شقور الحسني العلمي الموسوي، والعلامة الدراكة الأديب أبي الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات الحسني. . . وغيرهم.

ومما أنشده في ذلك أبو الفيض سيدي حمدون ابن الحاج:

حزتم من الشرف الأثيل ما به قد ... زاحمتمُ منكب الجوزاء في أفق

وإن رؤيا ابن عبد الحي فيكمُ قد ... أتاه تأويلها يضيء كالفلقَ

منيطة بكم الذكر الجميل كما ... تنيط حسناء عقد الدر في العنق

ومما أنشده فيه سيدي العربي ابن سودة المري:

حزتم برؤيا ابن عبد الحي منقبة ... زدتم بها شرفا حقا على شرف

وذاك غير غريب في بيوتكمُ ... بيت النبوءة مأوى الفضل والشرف [168]

ومما أنشد فيه أيضا سيدي أحمد شقور العلمي:

نلتم برؤيا ابن عبد الحي مكرمة ... من دونها الشمس إذ تحل في الحَمَل

والله خصكـــمُ بــهــا فــلا أحـــد	يفــي بحــقكــمُ في القــول والعمــل
لا غرو أن حزتم الفضـل الجسيم فلم	تنكــر مزيتكم في السهـل والجبـل
بقيتــمُ ببقــاء الدهــر في شـــرف	وقدركم دائمـا يعلو على زحل

وأنكر الفقيه العلامة، الصوفي المحدث، البركة النفاعة؛ أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن – دفين المدينة المنورة، في بقيعها، في شهر صفر سنة أربع وخمسين ومائتين وألف – أن تكون في هذه الرؤيا منقبة لهؤلاء الأشراف قائلا: « لا يخفى على ذي لب أن رائيها هو الذي حاز بها شرفا، واكتسب بها في الدارين علوا بالقرب من المصطفى، حيث اتصل نسبه بخير الأنساب، ودخل في زمرة هؤلاء السادة الأنجاب. . .قال: وأما هؤلاء السادات؛ فشرفهم سما فوق طباق السماوات، في غنى عن التأكيد، غير محتاج إلى التأييد؛ إذ هو أشهر من نار على علم، وأعز من أن يعبر عنه اللسان والقلم ». هـ.

وقصد – رحمه الله – بهذا بيان سمو رتبة هذه الشعبة الكتانية وعلو مكانتها، وظهور عزتها ورفعتها، وأن نسبها ثابت صحيح، لا يحتاج إلى زيادة تصحيح، وإلا؛ فلا يخفى أن هذه الرؤيا قد اشتملت لهذه الشعبة على مزيتين عظيمتين:

الأولى: شهادة الله الذي يعلم ما ظهر وما خفي، بأنهم من ذرية نبيه وحبيبه المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وكفاهم هذه الشهادة فضلا ومنقبة وذكرا، وثناء جميلا وفخرا، ولم نسمع بصدور مثلها منه سبحانه وتعالى لقبيلة من القبائل الأشراف على كثرتها واتساعها، والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والثانية: ذكر الله تعالى بذاته المقدسة وكلامه القديم، وفي ذلك من الاعتناء بهم والتنويه بقدرهم ما لا يخفى، والدليل على أن ذكر الله تعالى لعبده من أعظم المناقب الكتاب والسنة:

أما الكتاب؛ فقوله تعالى: ﴿ *اذكروني أذكركم* ﴾. [البقرة: 152]. فجعل سبحانه جزاء ذكر العبد له: ذكره تعالى بنفسه لعبده، ولولا أن في ذلك الذكر من تفخيم العبد وترفيع قدره وجنابه ما يجل عن الحصر؛ ما جعله جزاء عن ذكره. وقيل في قوله تعالى: ﴿ *ألا بذكر الله تطمئن القلوب* ﴾. [الرعد: 28]. إنه بذكره تبارك وتعالى إياهم تطمئن قلوبهم.

وأما السنة: فأخرج الشيخان والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي [169] بن كعب: « إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿ *لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب* ﴾ ». قال: وسماني الله تعالى لك؟!. قال: « نعم »؛ فبكى أبي. يعني: بكاء فرح

وسرور بذكر الله عز وجل له، وفي رواية للبخاري في "التفسير" من حديث أنس أيضا: «إن الله أمرني أن أقرئك القرآن». قال: الله سماني لك؟!. قال: «نعم»؛ قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟!. قال: «نعم»، فذرفت عيناه. . .والله أعلم.

[بشارة الشيخ المطيري بالنسب الكتاني]:

وقد قال الشيخ أبو الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات الحسني في بعض ما كتبه على الرؤيا السابقة ما نصه: «ومما يزيدهم الفضل على الفضل، ويشهد لهم برد الفرع إلى الأصل: ما حدثني به بعض فضلاء أهل النسب، ممن عزز الله له وصفي العلم والدين؛ بثالث من لدنه شاهد له بالفتح المبين، أن الشيخ أبا شعيب بن عمرو المطيري - نزيل مدرسة العطارين عدوة فاس القرويين - ثار به الشوق المزعج إلى أداء فريضة الحج، وزيارة ساكن طيبة، التي هي أعظم قربة، فرأى ذات ليلة في المنام، سيد الوجود عليه الصلاة والسلام، وفي وجهه تباشير الإقبال، كأنها تؤذن بالمأمول في الحال قبل الاستقبال، وصدقها صلى الله عليه وسلم من فصل خطابه بصادق الوعد، الذي لا يماطل منه غريم السعد، وأنه سيقضي ضماره، من حقوق الحج والعمرة والزيارة، في صحبة شريفين من صرحاء ذريته، ثم ينعطف معهما استكمالا لأمنيته، نحو القدس ومدينة الخليل، لزيارة من بهما من مشاهد الأنبياء وعلى الله قصد السبيل».

«فلم يلبث إلا يسيرا، وكان مُزْجَى البضاعة، ثم يسر الله له من حيث لا يحتسب أسباب الاستطاعة، وسافر صحبة الركب الفاسي في عشرة شريفين من ذرية المصطفى، تحقيقا من الله لوعد من إذا وعد وفى، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، والشريفان هما: السيد البركة الدين أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد العراقي الحسيني؛ من أفاضل الشعبة العراقية، التي هي في سماء الشهرة راقية، والسيد المكين الخير أبو طالب بن عبد الله الكتاني الحسني؛ وهو أنضر الفروع في الشجرة الكتانية، الذين تمت لهم العناية بالرؤيا الأولى والثانية، ولم يفارقهما قط حتى ظفر بالسول، من حج البيت وديار الرسول، ثم قدس معهما وخلل، واستكمل ببركة جدهما - صلى الله عليه وسلم - ما أمّل، فهذه - أيضا - منقبة سنية، وشهادة لشعبتي الشريفين بأنهما من صفوة الذرية. ولقد اعتد بهذه المرائي النبوية واعتبرها غير واحد من أفاضل العلماء، وأكابر الأئمة المتقدمين والمتأخرين، وعدوها من الآيات الظاهرة، والمناقب الباهرة». انتهى المراد من كلام أبي الربيع المذكور، ومن خطه نقلت.

[606- الشيخ أبو شعيب المطيري]
(ت: 1184)

والشيخ [170] أبو شعيب هذا: كان موصوفا بالعلم والتقوى، محبوبا في السر والنجوى، زاهدا ورعا خاشعا، وليا صالحا خاضعا، زوارا للصالحين، محبا في المساكين، ممن أقبل على الله وأعرض عن الدنيا، مجانبا هواه.

واتصل بالقطب مولاي أحمد الصقلي، وتربى به وتهذب، وتجلى في مقعد الصدق وتقرب منه.

وكانت وفاته بمصر القاهرة سنة أربع وثمانين ومائة وألف، نفعنا الله به، ولرؤياه هذه نظائر تتعلق بهذه الشبعة أضربنا عنها مخافة الطول.

[607- الشريف سيدي مَحمد (الفضيل) بن العربي الكتاني]
(ت: القرن الثاني)

ومنهم: صهره الشريف المعظم، الفاضل المحترم، المخصوص من الله عز وجل بكمال العناية، المشهود له بالشرف وصحة النسب الذي هو عنوان كل فضل وولاية، الولي الصالح؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن الشريف الجليل، الماجد الأصيل؛ مولاي العربي بن محمد بن علي الحسني الإدريسي؛ الشهير بالكتاني.

كان - رحمه الله - من أكابر الأشراف وفضلائهم، وممن يشار بالصلاح والخير إليهم، وكفاه شرفا وفخرا، وولاية وفضيلة وذكرا، مصاهرته لمادح أكرم الحي، الشيخ سيدي أحمد بن عبد الحي، بتزوجه لابنته فاطمة - المذكورة في ترجمته - بعد وقوع الرؤيا الإلهية السابقة، فكان هو عروس ظهور عزها، وصدق أمرها، والمشهود له ولعقبه بكمال فخرها وذكرها.

ولم أقف له على وفاة، والغالب أنها في أواسط القرن الثاني بعد الألف، وضريحه - رحمه الله - بمطرح الجنة، بروضة صهره المذكور التي صارت بعده مدفنا لأحفاده من شرفائنا، وهو قريب من ضريحه من جهة رأسه، بينه وبينه نحو من قبرين طولا.

[000- الفقيه الشريف سيدي محمد الزمزمي بن مَحمد (الفضيل) الكتاني]
(ت: 1187)

ومنهم: ولده الفقيه الأجل، البركة الأكمل، الإمام بمسجد الحوت؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: الزمزمي بن محمد بن العربي الكتاني.

كان – رحمه الله – من أهل الخير والصلاح، والفقه والبركة والنجاح، ووفاته سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ودفن بالروضة المذكورة فوق ضريح والده المذكور.

وسمعت بعض أبناء العم يحكي أن سبب تلقيبه بالزمزمي: أنه حج مرة بيت الله الحرام، فلما أراد الشرب من ماء زمزم، وجد الزحام عليه، وامتنع القيم عليه من المبادرة لسقيه منه، فحلف للماء لئن لم يرتفع حتى يتناول منه ما أراد بيدهلا جرى أبدا، فارتفع الماء في الحين، وأخذ منه ما أراد والناس متعجبون من ذلك، وبقي الماء كذلك نحو الثلاثة أيام، ثم إنه رجع إليه وقال له: ارجع لمكانك؛ فرجع... هكذا سمعت. والله أعلم.

[608– الفقيه الشريف سيدي إدريس بن محمد الزمزمي الكتاني]
(ت: 1194)

ومنهم: ولده؛ وهو جد جدي؛ الفقيه الأجل، الحسيب النزيه الأفضل، التالي كتاب الله عز وجل، الإمام بمسجد والده؛ وهو: مسجد الحوت [171]، البركة الصالح أبو العلاء سيدي إدريس بن محمد الزمزمي الحسني الإدريسي؛ شُهِرَ بالكتاني.

توفي – رحمه الله – سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن بالروضة المذكورة متصلا بسيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي، من جهة القبلة.

[609– الصالح الشريف سيدي العابد بن الفضيل الكتاني]

ومنهم: الشريف الجليل، الولي الصالح الحفيل، ذو الكرامات والأحوال؛ أبو المجد سيدي العابد بن الفضيل – كجميل – ابن هاشم بن الفضيل بن محمد بن العربي بن محمد بن علي الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني.

كان – رحمه الله – أولا من أصحاب الشيخ الكبير، العارف الشهير؛ مولاي المهدي العراقي – دفين هذا الخارج، فوق قبة سيدي أحمد اليمني، وكان يتردد إليه، ويعول في طريق الوصول إلى الله عز وجل عليه، فلقيه مرة مولاي الطيب بن محمد الكتاني وقال له: «تتركون الماء الجاري وتتبعون الماء المحكن؟! – بالكاف المعقودة؛ يعني: الراكد – نحن إدامنا فينا؛ فلا نحتاج لإدام عراقي ولا صقلي»، ثم ضربه على كتفه وقال له: «اذهب!»، فحصل له حينئذ ما حصل من الجذب، وصار لا يضبط شيئا من أموره. قلت: ولعل هذه القضية كانت قبل بلوغ مولاي المهدي المذكور ما بلغ. والله أعلم.

وكان – رحمه الله – من أهل الأحوال والكرامات، والبركة والتصرف وخرق العادات، مولها مجذوبا، مغربا محبوبا، غائبا عن البرد والحرارة بحيث ربما كان الناس زمن البرد يرتعدون من شدته وهو يرشح عرقا، وذلك عند غلبة الحال عليه. وكان إذا اعترَاه؛ ينام اليوم واليومين والثلاثة وأكثر، وربما ينام على الأرض من غير حائل، وإذا وضع على حائل؛ دفعه برجليه، وكان ربما يكون في الطريق ماشيا، فيخرج نعله من رجله وهو لا يشعر، وتسقط الدراهم وغيرها من يده ولا يشعر أيضا، ويدخل بعض الدور التي يمر عليها من غير استئذان، وربما يكون نائما فيفتح عينيه ويقول: «أين أنا أين أنا ؟ »، كل ذلك من شدة الغيبة.

ومن كراماته: أن رجلا من الشرفاء كان أهله يتهمونه برؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم وبالاجتماع به في بيته من داره، فجاء صاحب الترجمة مرة ودخل الدار التي بها الشريف المذكور، وولج محله الذي يكون به من غير تقدم معرفة له به، وجعل يقبله، ويقول: «سعدي بسيدي، رائحة سيدي هنا! »، فعلموا صحة ما ينسب للشريف المذكور من الاجتماع به صلى الله عليه وسلم في محله المذكور من داره، وصحة كشف صاحب الترجمة وولايته.

وأخبرني شريف صالح ثقة من أبناء عمنا قال: « قلت له مرة: إن الشيخ سيدي العربي التكاوتي ازداد عليه الحال في هذه [172] السنة وقد ثقل بسبب ذلك»، قال: فقال لي: «مسكين مسكين؛ رَفَـدَ[1] الحمل في سنة واحدة فثقل عليه، وأنا منذ تسع سنين وهم في كل سنة يزيدون علي حملا فما تثاقلت لذلك».

وكان الشيخ سيدي العربي المذكور إذا رأى أحدا من أصحاب صاحب الترجمة، أو أبناء عمه، يقول له: «اطلب لي الدعاء منه ». ويؤكد عليه في ذلك.

وكراماته – رحمه الله – كثيرة شهيرة، توفي أواخر العشرة الثامنة من القرن الثالث بعد الألف، ودفن بالروضة المذكورة، وقبره معروف مزار عند بعض الناس، وهو عار ليس عليه بناء ولا غيره، ورأته امرأة من أقاربه بعد موته، فزعمت أنه قال لها: «**من زارني في قبري فكأنما زار نبيا مرسلا** »، أو قال: « النبي صلى الله عليه وسلم »، يشير لها بذلك إلى أنه في مقام الخلافة عن واحد منهم، عليهم الصلاة والسلام. ومعلوم أنه لا يلزم من ذلك أن يكون في درجته؛ لأن الأولياء حسنة من حسنات الصحابة، والصحابة حسنة من حسنات الأنبياء، ولا يبلغ أحد من الأولياء مرتبة أحد من أصحابه عليه الصلاة والسلام؛ فكيف يبلغ مرتبة نبي من الأنبياء ؟!! . فافهم.

---

[1]. أي: حمل.

[610- سيدي أحمد زروق بن عبد الغني ابن شقرون]

(ت: 1296)

ومنهم: السيد الصالح، البركة الواضح؛ أبو العباس سيدي أحمد – المدعو: زروق بن عبد الغني ابن شقرون، من أولاد ابن شقرون المعروفين بفاس، سماه والده على اسم سيدي أحمد زروق، تبركا به، وتفاؤلا بأن يكون على قدمه.

كان – رحمه الله – قصير القامة، أشيب، يلبس قميصا على جسده لا غير، أو يجعل فوقه قشابة صوف، ويرتدي بحانك الصوف الخشن، وكان في أول أمره يخدم حرَّارا، ثم ترك ذلك، وصار الناس يتبركون به، ويتوسمون فيه الخير والصلاح. وأخبرني بعض أصحابه بأنه شاهد له كرامات عديدة:

منها: أنه خرج فيه القطّاع يوما من الأيام عشية النهار، بالموضع المسمى بالرمل خارج باب الجيسة، وسلبوه ثيابه ولم يتركوا له إلا قميصا على جسده. قال: «فبينما أنا جالس هنالك أفكر في نفسي ماذا أصنع؟، واستحييت أن أدخل في تلك الحالة على باب المدينة، إذ بسيدي زروق أتاني بطربوش وبلغة وكساء، وقال لي: «قم والبس هذه عليك، ودفع الله ما كان أعظم!». قال: «فبهت ولبست ذلك وانصرفت معه حتى دخلنا المدينة».

وذكر لي بعض الأخيار من أقاربه أنه كان يبيت معه، قال: «فكنت أسمع أصوات رجال خمسة أو ستة يكلمونه بالليل ويكلمهم، ولا أرى أشخاصهم!».

وكان – رحمه الله – كثيرا ما يجري على لسانه: «ها أنا أريد أن أسل التفجيرة»، وهي بحسب الأصل: الخشبة التي يسد بها مجرى الماء، ثم إنها تزال عند إرادة [173] إفراغ المجرى لما فيه، وكان هو يكني بذلك عن شيء آخر، فكان الناس يتباسطون معه، ويقولون له: «أسللت التفجيرة يا سيدي زروق؟»، فيقول: «ها أنا أريد أن أسلها!».

أدركته – رحمه الله – ورأيته مرارا وتبركت به.

وكانت وفاته عند طلوع الشمس من يوم الجمعة الثاني من شهر ذي الحجة الحرام متم سنة (...)[1] وألف، وصلي عليه بالقرويين، ودفن بروضتنا هذه، ولم يخلف – رحمه الله – من الأولاد سوى ابنة واحدة.

([1]) فراغ بالأصل بمقدار ثلاث كلمات. و حقق وفاته المؤرخ ابن سودة في "الإتحاف" (2665 موسوعة) بالجمعة الثاني من شهر ذي الحجة عام 1296، وفي الأصل بياض محل القوسين المربعين.

[612- الشيخ سيدي الزبير بن محمد المحمدي (ابن الكبير)]

(ت: القرن العاشر)

[613- والشيخ سيدي أبو عبد الله محمد المطرفي العيساوي]

ومنهم: الشيخ الكبير، الولي الشهير؛ أبو محمد سيدي الزبير بن محمد المحمدي. ويقال فيه: سيدي الزبير بن الكبير. ولعل والده محمدا كان يلقب بالكبير.

كان - رحمه الله - من الأولياء الأبرار، ومن أكابر الفضلاء الأخيار، وهو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني. ومن أصحابه هو: أبو عبد الله سيدي محمد المطرفي العيساوي؛ المدفون على ضفة نهر مكس، من أولاد عيسى، أخذ عنه أولا، ثم كمل على الشيخ سيدي عبد الله الخياط، وانتسب لهما معا، ويقال: إن خدمته لسيدي الزبير كانت أكثر من خدمته لسيدي عبد الله الخياط، ولذلك لم ينسبه بعضهم إلا لسيدي الزبير.

وأبو عبد الله المطرفي هذا: هو شيخ الشيخ أبي العباس أحمد بن يحيى اللمطي، دفين النواعريين من داخل باب الجيسة، شيخ الشيخ سيدي أحمد الشاوي دفين الجرف من عدوة فاس القرويين - رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

ولم أقف لصاحب الترجمة على وفاة، إلا أنه يؤخذ مما تقدم أنه من أهل القرن العاشر. وذكر في "جواهر السماط": أنه دفين مطرح الجنة خارج باب الفتوح. وقال في "الروض": «هو دفين خارج باب الفتوح، أمامها بالقرب منها». يعني: الباب التي سدت عن يسار الباب المفتوحة الآن. وفي منظومة المدرع:

ومنهم: الشيخ الزبيري الكبير   صحب أحمد بن يوسف الشهير

[614- سيدي علي السدراتي]

(ت: القرن العاشر)

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة الناصح؛ أبو الحسن سيدي علي السدراتي.

كان - رحمه الله - خيرا فاضلا صالحا، وله رسالة كتبها إلى بعض أصحابه بسلا ذكرها في "الروض" تدل على علو مقامه.

توفي - رحمه الله - في حياة الشيخ سيدي رضوان الجنوي، يدل على ذلك قول الشيخ أبي العباس المرابي في "تحفة الإخوان" ما نصه: «ودخلت على الشيخ أبي النعيم - يعني: سيدي رضوان

رضي الله عنه – صبيحة يوم جمعة، بعد أن كنت حضرت وفاة الشيخ سيدي علي السدراتي في تلك الصبيحة، فوجدته واقفا وعصاه بيده، فسلمت عليه، وقلت له: يا سيدي؛ قد توفي في هذه الساعة سيدي علي. فقال لي: كذا احتسبه عند [174] الله، إنا لله وإنا إليه راجعون. وتغير لذلك ثم قال لي: يا تُرى؛ كيف كانت وفاته؟!. قلت: أحسن ما يكون؛ بقي يتشهد حتى خرجت نفسه. فقال: الحمد لله؛ امش هنيئا لك يا سيدي؛ قد أفلتَّ من شدة الغيْسَة، وتركتَ هذه الشيبة بعدك؛ لا يدري بماذا يختم له!. ثم بكى وصعد المنزل)).هـ.

وفي "الروض" أيضا: ((إنه دفين خارج باب الفتوح، أمامها، بالقرب منها)).هـ. وفي منظومة المُدَرِّع:

ومنهم علي السدراتي خبره يروى عن الثقات

قلت: وكثير من الناس اليوم يقول: إنه صاحب القبة التي جددها السلطان الأمجد، والهمام الأصعد، مولانا الحسن. بين سور المدينة وقبة سيدي الدراس بن إسماعيل، وليس ذلك منهم عن تحقيق، وإنما هو عن تقليد لقول من تكلم فيه في هذا الوقت، بحسب الظن والتخمين. وقد بالغت في السؤال عن صاحب هذه القبة كمن يظن به معرفة ذلك، فمنهم من يقول: صاحبها فلان. ومنهم من يقول: فلان، ومنهم من يقول: فلان، ولم أعثر لها إلى الآن على نسبة صحيحة. . . والله أعلم.

[615– سيدي علي المرابط الواريني]
(ت: 1050)

ومنهم: السيد الصالح، الخير الدين الفالح؛ أبو الحسن سيدي علي المرابط الواريني، من أصحاب الشيخ سيدي علي وزرك (بالكاف المعقودة)، دفين خارج باب الشريعة من فاس.

كان – رحمه الله – أولا يسكن بقرية صفرو، ثم انتقل إلى فاس واستوطنها، وتزوج بها وولد له أولاد، وكان يخدم ربّاعا في الأجنة، فاضلا خيرا، دينا مشتغلا بالجد والاجتهاد، وأنواع من العبادات، لهجا بذكر الله عز وجل، لا يفتر عنه قائما وقاعدا، ملازما للصلوات الخمس، جدا لا يتوانى في ذلك أبدا، وكان يتحرك وتعتريه أحوال تخرجه عن دائرة حسه، فينطق إذ ذاك بمغيبات، وظهرت له كرامات ومكاشفات.

ومن مناقبه: أنه كان مرة ذاهبا بمقبرة صفرو خارجه، بموضع يقال له: المقام، وهو يذكر الله على عادته ويقول: لا إله إلا الله. فسمع قائلا من قبر يقول: ((أكملها بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم!))، فصار بعد ذلك لا يذكر إلا الكلمتين معا.

أورده في "الروض"، ولم يذكر له وفاة، وقال في "الصفوة" آخر ترجمته ما نصه: «توفي – رحمه الله – عام خمسين وألف، ودفن خارج باب الفتوح، بإزاء السدرة التي هناك أمام الباب». وفي منظومة المدرع:

ومنهـم: أبـو الحسـن علـي	أعنـي المرابـط الرضى التقـي
يقـارب البـاب لـه بنـاء	وسـدرة عظيمـة إزاء

[616- الإمام الحافظ سيدي دَرَّاس بن إسماعيل]

(ت: 357)

ومنهم: عالم فاس في عصره، وفريد أوانه ودهره، الشيخ العلامة الفاضل [175]، الحافظ الحجة الكامل، الولي الصالح، الهمام الواضح، أحد أوتاد المغرب، وتاجه المكلل بيواقيت السر العجيب المطرب؛ أبو ميمونة سيدي دراس بن إسماعيل. ويقال له: دراس بن إسماعيل الفاسي. من أهل مدينة فاس، وممن أدخل مذهب مالك – رضي الله عنه – بلاد المغرب، وكان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين.

وسمي: دراسا؛ لكثرة دراسته للعلم، وهو ممن تقدم عصره، وشهر فضله. سمع من شيوخ بلده فاس، ورحل إلى المشرق؛ فحج وجال في الأندلس وافريقية، ولقي جماعة من العلماء. وروى الحديث، وقرأ الفقه، وسمع بإفريقية من أبي بكر بن اللباد وغيره، وبالأندلس من شيوخها. ولقي علي بن أبي مطر بالإسكندرية، وسمع منه كتاب ابن المواز وحدث به بالقيروان؛ سمعه منه: أبو محمد بن أبي زيد، وأبو الحسن الفاسي. . . وغيرهما.

ودخل – أيضا – الأندلس مجاهدا وطالبا، وتردد بها في الثغر؛ فسمع منه أبو الفرج عبدوس بن خلف، وخلف بن أبي جعفر. . وغير واحد. قال عياض في "المدارك": «وأراه دخل بلدنا[1]؛ فقد حدث عنه أقوام من كبارهم».

وكان – رحمه الله – من حفاظ المغرب، من أهل الفضل والدين، ممن له الإمامة بمذهب مالك وأصحابه. ولما وصل إلى القيروان؛ اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم، حتى كان يقال: «ليس في وقته أحفظ منه». وكان نزوله بها عند ابن أبي زيد، وظهر تقصيره بعلماء القيروان، وشفوفه على كثير منهم.

([1]) أي: سبتة.

وقد قال أبو بكر المالكي: «كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين، والأئمة المبرزين، من أهل الفضل والدين»، وقال القاضي أبو الوليد ابن الفرضي: «كان أبو ميمونة فقيها حافظا للرأي على مذهب مالك». وقال أبو عبد الله ابن عَتّاب: «كان يعرف بأبي ميمونة المحدث». وقال أبو الوليد الباجي: «كان شيخا صالحا». وذكر المالكي أنه: «كان من أحفظ أهل زمانه بمذهب مالك وأصحابه».

ولما ذكر الشيخ أبو عبد الله اليسيتني في تقييد له في القبلة رد به على الشيخ أبي زيد عبد الرحمن التاجوري محراب القرويين، وأنه لا انحراف فيه؛ جعل يذكر الأئمة الذين صلوا فيه من غير انحراف، ثم قال: «وكالشيخ أبي ميمونة؛ حافظ كبير، وعالم جليل».

وكان – رحمه الله – عارفا عابدا، ورعا زاهدا. ذكر عياض في "المدارك" عن بعضهم أنه: دفع دينارا لمن يشتري له طعاما؛ فأتاه؛ فقال له: «اشتريتُ واجتهدتُ»، فوصف له كيف اكتال الطعام والزرع، فلم يكتف منه بذلك، وقال له: «رد علي رأس ما لي ولا حاجة لي به!».

وكان – رضي الله عنه – من أهل الصلاح والولاية، يمشي بالخطوة، وله كرامات كثيرة. بل ذكروا أنه: كان [176] أحد أوتاد الأرض. وفي "المستفاد" في ترجمة الغازي بن فتوح أن جوهرا لما حاصر مدينة فاس: أقام عليها مدة ولم يفتح له؛ فساءه ذلك. فرأى في المنام قائلا يقول له: «لا تقدر على دخول هذه البلدة أبدا ولو أقمت عليها أعواما؛ لأن فيها أربعة من أوتاد الأرض»، فذكرهم وذكر فيهم الشيخ دراس بن إسماعيل.

«وكان – رحمه الله – كثيرا ما ينشد:

غفلت وحادي الموت في أثري يحدو	وإن لم أرح يوما فلا بد أن أغدو
أرى العمر قد ولّى ولم أبلغ المنى	وليس معي زاد وفي سفري بُعد
أنعم جسمي باللباس ولينه	وليس لجسمي من لباس البلا بد
كأني به قد مد في برزخ البلا	ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت مني المحاسن وامّحت	ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
فكيف إذا يا رب بالنار قربت	ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد
عسى غافر الزلات يغفر زلتي	فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد»

«وأخبرني ابن التبان أن رجلا من أهل المغرب ممن كان منصرفا من الحج قال له سنة سبع[1] وخمسين وثلاثمائة: نمت بالرَّمادة؛ فرأيت السماء والأرض يبكيان. فقلت: ما هذا؟! . فقيل لي: مات أبو ميمونة دراس بن إسماعيل». ولم يكونوا عرفوا بموته؛ فإذا به قد مات رحمه الله.

[1] كذا في "جنا زهرة الآس"، وفي نسخة من "المدارك": سنة ثمان وخمسين. مؤلف.

توفي بفاس في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة – فيما قاله: ابن الفرضي، وصدر به في "المدارك"، واقتصر عليه ابن قُنْفُذ في "شرف الطالب"، وصاحب "النيل".. وغير واحد. وهو الذي في مشهد قبره الذي جدده السلطان أبو عنان. وذكره – أيضا – الحافظ أبو محمد الرَشاطي، وصاحب "جنا زهرة الآس". وقال بعضهم: إنه الصحيح. وفي "تاريخ الأفارقة" أنه: توفي سنة ثمان وخمسين. وفي بعض التواريخ، وصدر به في "المعرب المبين" أنه: توفي سنة اثنين وستين، وقيل: سنة إحدى وستين... والله أعلم.

قال بعضهم: « ودفن بالموضع المعروف بمطرح الأجلة، الموقوف على دفن الغرباء خارج باب الجيزيين من مدينة عدوة فاس الأندلس، وتعرف الآن بالباب الحمراء، وهي مسدودة الآن ». وقال غيره: « دفن قريبا من باب الجيزيين المسدودة، عن يمين خارج باب الفتوح »، ويقال: إنها سُدت يوم خروجه منها ميتا؛ فبقيت كذلك؛ لأنه سقط عن رؤوس الحاملين له بها. فرئ في المنام؛ فقال لهم: « نزلت للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان بجنازتي ». ذكر هذه الحكاية في "الجذوة"؛ وقال: « إنما سمعتها ولم أجدها منصوصة. والله أعلم [177] بصحتها ».هـ. وضريحه إلى الآن مشهور معروف، وهو معظم مقصود للتبرك وطلب الحاجات، والدعاء عنده مستجاب.

وقد جدد البناء عليه السلطان أبو عنان، وجعل هناك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ موته، ونصبت عند رأسه في رمضان سنة أربع وخمسين وسبعمائة. وذكر بعضهم أنه: بقي على الحالة التي بناه عليها إلى أن جدد بناءه السلطان الجليل أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله العلوي أواخر المائة الثانية عشر، وجعل عليه قبة أوسع مما كانت، محكمة البناء، متقنة العمل، منقوشا داخلها بالذهب وغيره، مفروشا سطحها بالقرمود الأخضر. ولازالت على ما بناها عليه إلى الآن وحتى الآن.

وكان له – رحمه الله – بفاس مسجد يعرف به بحومة مصمودة من عدوة فاس الأندلس، ويقال: إن قبلته أقوم قبلة بفاس، وبه كان – رحمه الله – يدرس الفقه بعد رجوعه من المشرق.

ويحكى أن أبا محمد ابن أبي زيد القيرواني قدم لفاس لزيارته؛ فوجده قد توفي في ذلك اليوم؛ فحضر جنازته وأقام بقبره ثلاثة أيام، وكان ذلك سبب زيارة القبور بفاس تلك الأيام إلى الآن. ولما أراد الرحيل من ثم إلى بلده أنشد:

قف بالمقابر للتوديع يا حادي ... فإن في جوفها قلبي وأكبادي

ومر يوما على ضريحه - رضي الله عنه - سيدي كَدار - وكان من أهل الكشف الصحيح - فسأل عنه - إما في وقت مروره أو بعده - ولم يكن يعرفه؛ فقيل له: إنه سيدي الدراس. فقال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفارق ذلك الموضع». ذكر ذلك في "الروض"، وفي "ممتع الأسماع": أن الشيخ أبا العباس أحمد البربيري - من أصحاب الشيخ أبي المحاسن، وذوي الأحوال الصحيحة منهم - زار قبره مع العارف الفاسي؛ فأدركتهم هناك صلاة المغرب؛ فصلوها عنده؛ فقال لهم سيدي البربيري: «ألا تسمعون ما يقول لكم هذا الشيخ؟». فقالوا له: «لا»، قال: «إنه يقول لكم: أحييتم قبري - أو قال: موضعي - أحيا الله قلوبكم!».

وفي "المنتقى المقصور" لأبي العباس ابن القاضي أنه: «يحكى أن أبا العباس المنصور مرض مرة؛ فرأت أمه شخصا في النوم يقول لها: زوريه دراسا؛ فإنما أصابته عين. فقصت عليه رؤيتها، ثم زاره؛ فعوفي» .هـ. وذكر بعضهم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم يحضر عنده عند غروب شمس كل يوم خميس، وأن زائره في ذلك الوقت تقضى حاجته بفضل الله تعالى. وإلى ذلك يشير الشيخ المدرع في منظومته بقوله [178]:

والشيخ دراس أبو ميمونة	من أمه يقضي له شؤونه
أخباره مشهورة معلومة	بكتب القوم بدت مرسومة
وفي الخميس زره في وقت الأفول	حينئذ يكون عنده الرسول

ترجمه عياض في "المدارك"، وأبو عبد الله التميمي في "المستفاد"؛ بادئا به كتابه، وأبو الحسن الجزنائي في "جنا زهرة الآس"، وابن القاضي في "الجذوة"، وأبو العباس السوداني في "كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج"، وصاحب "الروض"... وغير واحد.

[617- سيدي محمد بن عبد العزيز الصنهاجي]
(ت: 1154)

ومنهم: الولي المقطوع بولايته، المجمع على بركته ودرايته، السيد الصالح البركة، الموفق المحمود السعي والحركة، السالك السني، المؤيد بالعلم اللدني، نور الدياجي؛ أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) ابن عبد العزيز ابن الولي الأشهر، العارف الأكبر؛ أبي الحجاج سيدي يوسف؛ دفين حوز مدينة صفرو ابن أحمد ابن القطب أبي الحجاج الحاج يوسف بن عيسى الصنهاجي أصلا، الفاسي دارا ومزارا.

ذكر بعضهم أنه شريف النسب، وأن أصله من شرفاء فجيج، وأنه ينتهي نسبه إلى الإمام محمد ابن إدريس، من طريق ولده أبي العباس أحمد – رضي الله عنهم.

كان – رحمه الله – قاطنا بحومة مصمودة من عُدوة فاس الأندلس، مؤذنا بمسجد سيدي دراس بن إسماعيل منها، قريبا من داره. وكان من أكابر الأولياء، وأعيان عباد الله الأتقياء، لا يفي بحصر مناقبه قلم، ومقامه في الولاية أشهر من نار على علم. وكان يحب أهل البيت والعلماء، والفقراء والمساكين، ويكرمهم ويخدمهم.

وصحبه جماعة من أفاضل العلماء والأشراف؛ فنالوا من بركته، وانتفعوا بدعائه، وشاهدوا منه أنواع الكرامات، وخوارق العادات، مما لا يعبر عنه لسان، وليس الخبر كالعيان.

وكان – رحمه الله – ممن تغلب عليه محبة أهل الكمال، وتعتريه الأحوال، حتى كان في بعض الأحيان ينزع ثيابه عنه، ويبقى في السراويل لا غير.

وكان من علامات حاله أنه: يكثر الأكل في جسده حتى يأمر من حضره أن يحك له ظهره، وعند أول الحك ينزع ثيابه ويقول: «حَك حَك». حتى يغيب عن الوجود، وينتفخ جسده حتى يعظم جدا ويملأ المكان المتسع، ولا يقدر أن يشاهده أحد، ويُلقى على الأرض كالجبل من عظم جثته، ولا يفيق حتى يَنْفَشّ.

وأقام – رحمه الله – أياما يُطعم الطعام في زمن المسغبة العظيمة. وكان يحب السماع، ويتواجد له حتى يغيب عن حسه. وكان إذا قال لأحد: اعطني كذا. أو: أطعمني كذا. أو: بِتْنا عندك. يرى المقول له ذلك [179] خُلفا عظيما، وبركة ظاهرة.

وقال يوما لبعض الناس وهو معه بالمدرسة: «يا فلان؛ قم إلى سيدي أحمد الشدادي وقل له يَرْفد هُوَيْدِرَتَه[1]». والشدادي يومئذ قاض لا يتوقع له عزل. فجاء الخبر بعزله في الحين.

وبالجملة – كما قال بعضهم – هو البحر؛ عجائبه لا تنقضي؛ فحدث عنها ولا حرج.

[618- استطراد بترجمة العارف سيدي محمد بن عبد الله السوسي]
(ت: 1079)

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ الولي الكبير، القطب العارف الشهير؛ سيدي محمد بن عبد الله السوسي زمن نزوله بمسجد سيدي دراس، بعد انتقاله من زاوية سيدي محمد ابن عبد الله التي

---

[1] الهويدرة: تصغير هيدورة؛ وهي: السجادة من صوف الخروف.

بالمخفية، لما لم يلتئم حاله مع بعض من بقي بها من أصحابه، وذلك قبل سفره للحج والقدس من فاس. فخدمه صاحب الترجمة جهده، ونال منه خيرا، وظهرت عليه بركته.

وتوفي شيخه هذا بمكة، وهو محرم بالحج تحَلُّلَه الثاني، سنة تسع وسبعين وألف، ودفن بالحَجون، عند رأس مولاتنا خديجة رضي الله عنها.

وهو موصوف بالقطبانية، وله كرامات وتلامذة، ونقل عنه أنه: كان يقول: «بعثني الله لأسقي حيا وميتا»، وألف فيه وفي أتباعه الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن يعقوب الولالي تأليفا سماه: "مباحث الأنوار، في أخبار بعض الأخيار". فليراجع.

[عودة إلى ترجمة الصنهاجي]:

وأخذ صاحب الترجمة – أيضا – عن غيره من مشايخ المغرب؛ كالشيخ مولاي التهامي الوازاني، والشيخ سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي، والشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، والقطب مولانا عبد العزيز الدباغ... وغيرهم. وأخذ عنه خلق كثير من البلاد القاصية والنائية.

وكان – رضي الله عنه – حسن التربية، زكي التنمية، وأخبر قبل موته بالوباء، وذكر أنه رأى زمام الموتى، وكان يقول: «إن مات هؤلاء كلهم؛ لم يبق أحد». فكان أصحابه يرغبونه: هل هم في ذلك الزمام؟. فلم يجب أحدا في ذلك ولا عينه، ولا رئي ضاحكا من يومئذ حتى توفي أول من توفي به بعد الزوال من يوم الأحد سابع، أو ثامن، عشري صفر عام أربعة وخمسين ومائة وألف، ودفن لعصر ذلك اليوم بضريح سيدي دراس، داخل قبته. وحضر جنازته خلق كثير ملأ تلك المساحة؛ بحيث كان الناس عند قبره – مع إشرافه – لا يرون الآخر، وجعل على قبره عند تزديجه مقبرية من رخام علامة عليه، لكنها أزيلت بعد ذلك.

ترجمه في "النشر"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"الروضة المقصودة". وأورده الشيخ التاودي في فهرسته فيمن لقي من صلحاء المغرب، وقال: «خالطته مدة، ورأيت له كرامات عدة». هـ.

[619– سيدي محمد بن محمد الصنهاجي]
(ت: 1194)

وخلف – رضي الله عنه – ولده: سيدي محمدا. كان – رحمه الله – مجذوبا سالكا، والسلوك أغلب عليه. وكان خديما للفقراء وجميع أهل النسبة، يغلبه حاله [180] فيخبر بأمور غيبية؛ فتكون كما يخبر. وكان متجردا متقشفا، وما مات حتى ظهرت عليه علامات الخير، وظهرت له كرامات.

لقي الشيخ مولاي الطيب الوزاني، وزاره مرارا، ولقي – أيضا – ولده سيدي أحمد بن الطيب. وزاره كذلك. توفي عام أربعة وتسعين ومائة وألف. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[620- الشريف الصالح مولاي الرشيد بن عبد الحفيظ الكتاني]
(ت: 1240)

ومنهم: الولي الصالح، الشريف الفالح، المتبرك به؛ مولاي الرشيد بن سيدي الحفيد بن أحمد بن محمد – الملقب بالفضيل – ابن العربي بن محمد بن علي الحسني الإدريسي؛ الشهير بالكتاني.

من أشرافنا الكتانيين، ومن المشهود لهم بالخير والصلاح، والبركة والنجاح، تُذكر له كرامات عديدة، وأحوال سَنية حميدة. وأُخبِرْت أن ابن عمه العارف بالله مولاي الطيب الكتاني كان يشهد له بالخصوصية الكبيرة.

توفي – رحمه الله – سنة أربعين ومائتين وألف، ودفن بضريح سيدي دراس بن إسماعيل، متصلا به من جهة القبلة.

[621- الصالح سيدي محمد ابن جامع]
(ت: 1191)

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة السائح، المسن المقعد؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن جامع اليوسفي أصلا، الزجلي قبيلة – من قبيلة بني زجل التي بحوز شفشاون – الحنصالي طريقة. وجامع: جده لأمه.

كان – رحمه الله – من السُياح – كما أخبر بذلك من كان يرافقه أيام سياحته – جوالا طوافا، ولم يركب طول عمره دابة قط؛ لا في سفر ولا في حضر، إلى أن أقعد، ولم يتزوج امرأة قط إلى أن مات عزبا.

وكان – أولا – يأوي إلى دار لبعض المحبين بفرن الكُوَيْشة من أسفل طالعة فاس، ثم صار يأوي إلى مولاي إدريس، ثم إلى دار بحومة الصاغة، ثم جعل يتردد منها لمولانا إدريس إلى أن توفي بها.

وكان سيدا جليلا، ولِيا صالحا حفيلا، حاله حال قبض دائما، قد تجلى الله فيه باسمه القابض.

أخذ عن الشيخ العلامة، الشهير البركة والصلاح؛ أبي عثمان سيدي سعيد آحنصال؛ دفين الدلاء، المتوفى ثاني عشر ربيع الأول عام أربعة عشر ومائة وألف عن سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي؛ دفين تادلا. وكان رفيقا للشريف الولي الصالح مولاي عبد الهادي الدرقاوي؛ الشهير بابن عبد النبي الحسني؛ نزيل حومة العيون من فاس ودفينها.

وعده الشيخ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي في رسائله فيمن لقي، وذكر أنه: كان مُقعدا بسبب مشاحنة وقعت بنيه وبين الشيخ مولاي الطيب الوازاني، إذ كانا قد اختلفا في سلطنة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي؛ فمولاي الطيب كان يقول: « هو السلطان! »، وسيدي ابن جامع هذا كان يقول: « هذا لا يكون أبدا »، فعظمت المشاحنة بينهما حتى أدى أمرهما إلى أن ركل [181] مولاي الطيب سيدي ابن جامع من وازان وهو يتوضأ بضريح سيدي علي بن غالب بقصر كتامة؛ فأقعده حينئذ . وبقي مقعدا إلى أن توفي! .

قال في "الرسائل": « وسمعنا أن الشيخ مولاي الطيب: مات وقت هذه المشاحنة، ومات ابن جامع بعد موته بما شاء الله من الأعوام، وعاش مائة وخمسة – أو ستة – وعشرين سنة ».هـ . وذكر في "سلوك الطريق الوارية" أنه: عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة. والله أعلم.

ووفاة مولاي الطيب الوازاني – حسبما تقدم – سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، ووفاة صاحب الترجمة في شعبان سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن ملتزما بحائط روضة الشيخ أبي ميمونة دراس بن إسماعيل، وذلك قبل هدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي الحسني للروضة المذكورة وجعلها قبة كبرى أوسع مما كانت، وبعد ذلك صار قبر صاحب الترجمة داخل حائط القبة. نبه على ذلك في "سلوك الطريق الوارية".

وقد رمز بعض الأدباء لتاريخ وفاته بـ: "شعبان صح"، من أبيات نظمها لتكتب على قبره؛ نصها:

الحمـد للمعطي الكريـم المانـع	ثـم الصلاة على الرسول الشافـع
هذا ضريـح الصالح الأسمى أبي	عبـد الإلـه محمـد نجـل جامـع
من خصه المولى الكريم بصالح الأ	عمـال في الدنيا وقلـب خاشـع
فبجـاهـه سَل ربنـا يعطيك مـا	تـهواه من زلفى وحسن منافـع
تـاريخه: "شعبـان صـح" وفاتـه	بجـوار ذي العفـو العظيم الواسـع

ورمز – أيضا – لتاريخها: العلامة أبو الربيع مولانا سليمان الحوات بـ: "مشفعا" من بيتين؛ وهما:

نـاهيـك بالمعمـر ابـن جامـع	مـن ذاكـر لـربـه وخاضـع
لمـا قضـى أرخـتـه "مشـفـعا"	شَفـعـه الكريـم فينـا أجمعـا

وذكر لي بعض الناس أن ضريحه: لدى باب قبة سيدي الدراس. وحُدثت عن جد والدي سيدي الطائع بن إدريس الكتاني أنه: كان إذا زار ضريح سيدي الدراس؛ لا ينزع نعليه إلا عند

الباب، فوقف عليه في يوم من الأيام رجل وقال له: «أما تستحي تطأني ها هنا بنعليك؟، لو لا أنك من ذرية المصطفى صلى الله عليه وسلم لفعلت بك كذا وكذا!». فكان بعد ذلك إذا زار الضريح المذكور؛ ينزع نعليه قبل وصوله إلى الباب [182]. نفعنا الله بسائر أوليائه، ورزقنا الأدب معهم بمنه وكرمه. آمين.

قلت: وسيدي الدراس هذا في يد شرفائنا؛ يقبضون صدقته ويدفنون فيه. وقد اشتمل داخل القبة منه وخارجها من مباحها المتصل بها على عدة مقابر لهم، وفيهم من هو موصوف بالخير، ومن هو مشار إليه بالولاية، وتركت ذكرهم لعدم تحقيقي لتراجمهم.

[622- الإمام المتكلم سيدي عثمان بن عبد الله السلالجي]
(ت: 564، أو 594)

ومنهم: الشيخ الأصولي الإمام، الحجة القدوة الهمام، العالم المفيد، البركة السعيد، الفقيه الصالح، العلم الواضح؛ أبو عمرو سيدي عثمان بن عبد الله القيسي القرشي؛ المعروف بالسلالجي؛ من بيت بني السلالجي بفاس، وهو بها بيت عربية قيسية وثروة. وهو إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد، ومنقذ أهل فاس من التجسيم.

كان - رحمه الله - فقيها عالما، عاملا محصلا، متواضعا صالحا. دخل مراكش وأخذ عن أهلها. ثم قدم فاسا وأخذ بها عن أبي الحسن ابن حرزهم وغيره، ورحل إلى مدينة بجاية، وعزم على الرحلة منها إلى المشرق في البحر في مركب؛ فسجن الوالي كل من عزم على التوجه إلى المشرق؛ فهرب هو وأصحابه من السجن بالليل، ورجع متوجها إلى مدينة فاس؛ فلقي أبا الحسن علي بن أحمد اللخمي؛ المعروف بابن الإشبيلي، وكان له بصر بكتاب "الإرشاد"؛ فلازمه حتى فهم عليه الكتاب المذكور.

ثم لازم مدينة فاس، مستوطنا لها، زاهدا في الدنيا وأهلها، منتصبا لتعليم العلم بها؛ فنفع الله به وبدعائه. وأخذ عنه علم الكلام وأصول الفقه بها جماعة؛ منهم: عبد الحق بن خليل السكوني؛ وكان أهل العلم بفاس يقولون: «إنه لم يتخرج عن صاحب الترجمة مثله»، ومثل أبي عبد الله بن عبد الكريم الكتاني.

وإنما شهر بالسلالجي؛ لأجل أملاك كانت له بجبل سليلجو. كان يتردد إليها من فاس.

ورتبته في العلم كرتبة الإمام أبي المعالي الجويني؛ المعروف بإمام الحرمين. وعنه نشأ في المغرب علم أصول الدين، وله: "البرهانية"؛ وضعها لامرأة أندلسية فقيهة؛ اسمها: خيرونة، وهي من الصالحات.

وكان – رحمه الله – يحمل خبزه بيده إلى الفرن، فيريد تلامذته أن يكفوه، فيأبى ذلك. إلى أن قال لهم: «ما انتصبت للتعليم إلا لوجه الله تعالى، فإذا لقيني أحد منكم؛ فلا يعرض لخدمتي بشيء؛ فإني أخاف أن يفسد علي نيتي!»، وكان يمر بالأبواب، فيجد النساء قد خرجن بالخبز لمن يحمله لهن إلى الفرن، فيحمله بنفسه لهن إليه.

توفي بمدينة فاس يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الأخيرة عام أربعة وستين، وقيل: عام أربعة وتسعين وخمسمائة. ودفن بهذا الخارج، بإزاء ضريح سيدي دراس [183] ابن إسماعيل، ملاصقا لروضته. قال في كتاب "التفكر والاعتبار": «وقبره هنالك مشهور عند العلماء يزار، والدعاء عند ضريحه مستجاب. وقد كان شيخنا ووالد والدنا أبو عبد الله سيدي محمد بن عطية – يعني: السلوي الأندلسي؛ دفين الجبيل من فاس الأندلس – يلازم زيارته عند صلاة العصر من ليلة الجمعة، ويحض أصحابه على زيارته، وكذلك الفقيه الأستاذ سيدي عبد الرحمن ابن القاضي – نفعنا الله بالجميع».هـ. ترجمه التادلي في "التشوف"، وابن القاضي في "الجذوة"، وصاحب "الروض"... وغير واحد.

[623– سيدي محمد بن الحسين الرفاعي]

(ت: القرن الحادي عشر)

ومنهم: الفقيه الصالح، البركة الفالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسين الرفاعي.

أخذ – أولا – عن سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي، ثم عن سيدي محمد بن عبد الله معن؛ ولازمه إلى أن مات في حياته قرب وفاته، وضريحه قريب من سيدي الدراس. أشار له في "التنبيه"، وكذا الشيخ المدرع في منظومته.

[624– سيدي الحسن بوگرين]

وبجاهه رجل يقال له: سيدي الحسن بوگرين. أظنه من عقب الشيخ سيدي محمد بوگرين اليازغي. لم أقف له على ترجمة. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته مع السلالجي وصاحب الترجمة وآخرين عقب ذكره سيدي دراسا؛ فقال:

قرب ضريحه: الإمام عثمان	يدعى السلالجي مُرَفَّعُ الشان
بقربه محمد؛ وهو يقال	ابن الحسين ذو رسوخ وكمال
تجاهه الحسن هو بگرين	ومعه المنجور تلميذ سُقين
كذلك الإمام أعني: الكنتي	وزد إليهما الإمام الزرتني (كذا)
عليهما حوش من الحجارة	قد جعلوه لهما أمارة

[625- سيدي مبارك بَعْ]
(ت: 1146)

ومنهم: رجل بهلول أسمر اللون؛ يقال له: سيدي مبارك بَعْ. كان بدار بوادي الشرفاء، القريب من ضريح سيدي عبد القادر الفاسي، بصقلابية بها، وهو يقول: بع. الليل والنهار لا يفتر؛ فسُمي عند ذلك: "سيدي مبارك بع". وكان الناس يتبركون به وينسبونه إلى الصلاح، ومنهم من يخدمه.

إلى أن مات بالدار المذكورة عام ستة وأربعين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ودفن بمطرح الجنـة قرب سيـدي الدراس، وبني عليـه حـوش؛ وهو الحوش المدور بالحجارة فوق البنـاء ». هـ.

[626- العلامة اللغوي العارف الشريف سيدي عبد المجيد بن علي المنالي الزبادي]
(ت: 1163)

ومنهم: الفقيه العلامة العَلم، وركن السيادة المسلّم، جامع أشتات الفضائل والمفاخر، ومنظم غرر المناقب والمآثر، نخبة المحافل، وسلالة القادة الأفاضل، الصوفي اللغوي العَروضي الأديب، الناظم الناثر المشارك الأريب، العارف بالله تعالى المربي النفاع، ذو التلامذة [184] والأتباع؛ أبو الثنا وأبو محمد سيدي عبد المجيد بن علي بن محمد بن علي المَنَالي، ثم الصوفي؛ الشهير بالزَبّادي الشريف الحسني الإدريسي. من ذرية عيسى بن إدريس رضي الله عنهما.

كان - رحمه الله - غزير العلم، واسع الحلم، صائما قائما قانتا لله ذاكرا مذكرا، حافظا للسنة، عارفا بها، جامعا بين الشريعة والحقيقة، كريم المعاشرة، جميل المذاكرة، سابغ الفضل والكرم، واسع الخلق والصبر، والتواضع والتلطف، مع الدين المتين، والمحبة في جانب أهل العلم والمنتسبين.

شارك في علوم، ومهر في علم اللغة، وكان إماما فيه، حافظا شوارده ودقائقه، وله الباع الطويل في علم الطب؛ فكان يعالج المرضى ويباشرهم، ويظهر على يده الشفا. وله - أيضا - براعة في نظم الشعر، ومدح العلماء وآل البيت والصالحين، ولو جمع ما له في ذلك؛ لكان ديوانا.

وله مؤلفات؛ منها: الرحلة التي ألفها في سفره للحج، وضمنها مسائل نفيسة، وعلوما جليلة؛ سماها: "بلوغ المرام، بالوُصلة إلى بيت الله الحرام"، وتأليف في التعريف بالشيخ ابن عباد، وتأليف في علم العروض، وتأليف في شرح الكلام المنسوب لشيخه السوسي في تقسيم أهل الخصوصية، وله تقاييد عديدة في التاريخ والتصوف واللغة.

أخذ عن جماعة من الشيوخ كأبي العباس الوَجّاري، وأبي عبد الله المسناوي، وابن زكري، وأبي العباس ابن مبارك، وأبي عبد الله جسوس، وأبي عبد الله ميارة الصغير . . . وغيرهم.

وأخذ الطريقة القاسمية عن الشيخ الكامل سيدي أحمد السوسي؛ دفين مراكش، وعن ولده سيدي أحمد العباس. والطريقة العيساوية عن بعض أحفاد الشيخ سيدي محمد بن عيسى، وعنه أيضا مناما.

وسافر للحج وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم في صحبة القطب مولاي أحمد الصقلي، والعلامة مولاي الهادي بن محمد العراقي عام ثمانية وخمسين ومائة وألف؛ فحج وزار، ولقي العلماء والأخيار، وأخذ عنهم وتبرك بهم. *ومن جملة من أخذ عنه:* الشيخ محمد كشك المصري، والشيخ محمد الحفناوي، وتلميذه الشيخ محمود الكردي، والشيخ البرناوي، والشيخ السمان.

وكان كثير السفر لزيارة السادة والمشايخ، أحياء وأمواتا. وزار الشيخ مولانا عبد السلام مرارا عديدة، وكذلك مولانا إدريس الأكبر.

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، ولقنه: «اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله». وظهرت له عدة بركات وكرامات، وكان له أصحاب وأتباع يلوذون به وينتسبون إليه، وظهرت عليهم أمارات الخير بسببه.

توفي – رحمه الله – شهيدا بالطاعون؛ غروب شمس يوم الجمعة [185] الحادي عشر من شعبان عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن من الغد بهذا الخارج، بروضتهم الكائنة قريبا من ضريح سيدي دراس، وجعل على قبره بها شاهد صغير للتمييز. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية" . . . وغيرها.

[من أصحاب سيدي عبد المجيد المنالي]

ومنهم: كثير من أصحابه ممن أخذ عنه أو لازمه وانتفع به:

[627– سيدي عبد القادر السلوي الوربي (الصدوق)]

كالمسن الصدوق، الولي المحب الوثوق؛ أبي محمد سيدي الحاج عبد القادر السَلَوي الوَرْبي؛ ممن أخذ عنه وحج معه، وكان يحضر مجالس العلم عنده وعند العلامة سيدي محمد جسوس، وكان خامل الذكر، وله حانوت بالعطارين الكبرى، وكانت آثار الخير والولاية لائحة عليه.

توفي سنة نيف وسبعين ومائة وألف. ودفن بجوار شيخه المذكور.

[628- سيدي عبد السلام ابن موسى]

وكالأرضى الناسك، الخـيّر المـرتضى؛ سيدي الحاج عبد السلام ابن موسى.

كان رفيقًا للحاج عبد القادر المذكور، تابعا لمولاي عبد المجيد، وحج معه، وكان يحب العلماء والفقراء، ويواسي الضعفاء.

توفي ودفن ملتزما بقبر رفيقه المذكور، عند ضريح سيدي عبد المجيد.

[629- سيدي قاسم الزُّموري]

(ت: 1164)

وكسيدي الحاج قاسم الزموري. كان تابعا لمولاي عبد المجيد المذكور، وحج معه - أيضا - وأخذ الطريقة القاسمية عن الولي سيدي أحمد السوسي المراكشي.

وتوفي عام أربعة وستين ومائة وألف، ودفن بجوار من قبله.

[630- سيدي علي البُوري]

(ت: 1164)

وكالأرضى المسن، الخير المحب في جانب الله، والخديم لأولياء الله وأهل بيت رسوله: سيدي الحاج علي البوري.

كان من المحبين في سيدي عبد المجيد المذكور، ومن الملازمين لضريح مولانا إدريس، خادما له ولإمامه العلامة سيدي عبد الكبير السرغيني. توفي عام وفاة من قبله، ودفن بإزائه.

[631- سيدي عبد الكريم الحَيَّاني]

(ت: 1177)

وكالفقير السيد عبد الكريم الحياني العيسوي طريقة.

كان ممن خرقته المحبة، ويحصل له عند الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعند الحضرة حال عظيم. وكان من أهل الخير، وممن يُتوسم فيهم الصلاح.

توفي عام سبعة وسبعين ومائة وألف بمدينة صفرو، ذهب إليها زائرا لوليها سيدي أبي سرغين، وجيء به إلى فاس ميتا، ودفن بروضة سيدي عبد المجيد عند رأسه.

[632- الشريف سيدي عبد الرحمن بن هاشم التَّيار]

وكالشريف الأجل، المحب الأفضل: سيدي عبد الرحمن بن هاشم النيار.

كان فقيرا محبا ملازما لسيدي عبد المجيد، قاسمي الطريقة، ذاكرا متقشفا. توفي - رحمه الله - ودفن مع من ذكر قبله.

[633- الفقيه سيدي أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي]
(ت: 1195)

وكالفقيه الأجل؛ سيدي أحمد ابن الفقيه سيدي محمد ابن العلامة الشهير سيدي أحمد ابن الحاج السُلمي المرْداسي.

كان خادما لسيدي عبد المجيد المذكور، وحج معه راجلا من فاس إلى فاس، ولم يفارقه قط؛ لا في حج ولا في زيارة، ولا في مجلس علم ولا في غير ذلك، إلى أن توفي سيدي عبد المجيد [186]. وبعد وفاته انضاف إلى سيدي محمد جسوس، وجعل يخدمه حضرا وسفرا.

وتوفي بعده عام خمسة وتسعين ومائة وألف، ودفن عند رأس سيدي عبد المجيد. ترجمه وجميع من قبله صاحب "سلوك الطريق الوارية". وانظر هذا الأخير؛ هل هو أخ للفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج، المتقدم في صلحاء الدرب الطويل من داخل المدينة، أصغر منه، سمي باسمه، أم ماذا؟. والعلم عند الله تعالى.

[634- الشريف سيدي علي بن محمد المنالي الزبادي]
(ت: 1163)
[635- ووالده الشريف المؤذن سيدي محمد بن أحمد المنالي الزبادي]
[636- وعمه الشريف سيدي علي بن أحمد المنالي الزبادي]

ومنهم: والد سيدي عبد المجيد المذكور؛ الشريف البركة الأمثل، الخير الناسك الأفضل؛ أبو الحسن سيدي علي ابن الشريف المسن البركة، مؤذن[1] منار القرويين مولاي محمد - المدعو: الزبادي ابن الفقيه الصوفي أبي الحسن سيدي علي ابن الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد المنالي الصوفي؛ الشهير بالزبادي.

---

[1] كذا في "سلوك الطريق الوارية" أن مؤذن المنار بالقرويين: سيدي محمد ابن الشريف الفقيه الصوفي أبي الحسن سيدي علي ابن الولي الصالح سيدي أحمد. مؤلف.

ذكر ولده سيدي عبد المجيد في رحلته أن جدهم الأعلى سيدي أحمد بن محمد: كان من أهل الخير والبركة والنجدة، ممن ظهرت له الكرامات. وأن ولده - أي: ولد الجد المذكور سيدي محمد بن أحمد - كان من خواص أصحاب سيدي مَحمد بن عبد الله معْن الأندلسي، وهو الذي اشتهر بالصوفي، بسبب أنه تواجد يوما بين يدي شيخه المذكور؛ فقال له: «تبارك الله؛ شريف صوفي!»، فصار لقبا له، ثم سرى في أخويه وعقبهما.

وكان له أخ اسمه: علي بن أحمد؛ من أصحاب سيدي عبد القادر الفاسي، وأن جده سيدي مَحمد بن علي كان مؤذنا بالقرويين، ومن أصحاب العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، وكان كثير الزيارة للصالحين، واللهج بذكرهم، لا ينام كل ليلة حتّى يسرد عددا كثيرا منهم، يستعطفهم ويستغيث بهم، ويتلذذ بذكرهم.

وأن والده سيدي عليا المذكور - الذي هو صاحب الترجمة - كان من أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ثم صحب بعده سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، ثم بعده سيدي محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وكان يلازم مجالس الشيخ المسناوي، والعلامة ابن زكري. وبعد وفاتيهما؛ لازم مجالس الشيخ أبي عبد الله جَسّوس، والشيخ سيدي الكبير السرغيني.

ووجدت بخط بعض الفضلاء أنه: توفي بالطاعون قرب وفاة ولده سيدي عبد المجيد المذكور، في أوائل رجب عام ثلاثة وستّين ومائة وألف، ودفن بمطرح الجنة، خارج باب الفتوح حيث مقابرهم، قريبا من سيدي دراس... والله أعلم.

[637- العالمة السيدة عائشة بنت علي بونافع]
(ت: 1177)

ومنهم: زوجته وأم أولاده: السيدة عائشة؛ المدعوة: عَشْوَة بنت الحاج علي بونافع، وحفيدة سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي من بنته السيدة آمنة.

كانت - رحمة الله عليها - حسنة الخُلق، لينة الكلام، حسنة العشرة، خصوصا مع بعلها؛ لا تغاضبه، ولا تقابله، ولا تراجعه بشيء قط. وكانت من الخاشعات [187] القانتات، الصائمات الصابرات.

ماتت أمها وأربع أخوات لها، وأولادهن الذكور والإناث، وبعلها وأولادها منه: الذكور ثلاثة، وأنثى، وأولادهم، ولم تبك على أحد منهم قط بالصوت، ولم تتسخط، ولم يصدر منها سوى البكاء الخفيف بالدمع لا غير.

وكانت كثيرة الذكر، مواظبة على قراءة الأحزاب صباحا ومساء، كثيرة الزيارة للصالحين، والمحبة في أهل الخير المنتسبين، وتتنفل بالليل كثيرا، وتحضر مجلس البخاري على أبي العباس ابن مبارك بعد صلاة الصبح، بضريح سيدي أحمد ابن يحيى، ثم بعده على أبي عبد الله جسوس إلى أن توفيت، وتحضر - أيضا - مجلس ولدها سيدي عبد المجيد في "النصيحة الكافية"، و"رسالة ابن أبي زيد"، وشمائل الترمذي فيما بين العشاءين، ومجلس الوعظ عند ولدها - أيضا - سيدي محمد بالضريح الإدريسي عند الفجر.

وكانت في آخر عمرها مداومة على الوضوء؛ لا تبقى بدونه قط، وتواظب على الصلاة مع الجماعة في كل الأوقات؛ إما في القرويين وإما بمولانا إدريس.

ترجمها ولدها سيدي محمد في تأليفه: "سلوك الطريق الوارية"، وقال في آخر ترجمتها ما نصه: «توفيت عام سبعة وسبعين ومائة وألف، ودفنت مع سيدنا الوالد بمطرح الجنة». هـ. وقد كان لها - رحمة الله عليها - من زوجها المذكور أولاد أربعة، كلهم أخيار مباركون؛ أولهم: سيدي عبد المجيد وقد تقدم.

[638- المشارك الشريف سيدي أحمد بن علي المنالي الزبادي]
(ت: 1147)

الثاني: سيدي أحمد. وقد ترجمه أخوه المذكور في رحلته؛ فقال: «هو الفقيه النبيه النزيه، الدين الصين العفيف الوقور؛ شقيقي أبو العباس سيدي أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد المنالي الحسني. كان له خبرة بالعربية والبيان، والمنطق والأصول والفقه، وحج حجتين، وجاور بالحرمين الشريفين. وهو أكبر مني بنحو عامين. وتوفي ليلة الخميس الثامن من شوال سنة سبع - بتقديم السين - وأربعين ومائة وألف». هـ.

[639- الشريف سيدي عبد الله بن علي المنالي الزبادي]
(ت: 1167)

الثالث: سيدي عبد الله. كان مقدما على الفقراء أصحاب الولي الكبير سيدي علي بن عبد الرحمن التادلي؛ الذين صاروا يجتمعون بزاوية أبي النعيم رضوان؛ التي بزنقة الجياد من حومة البليدة.

وكان دينا صادقا، محبا حازما، ضابطا عارفا بمباشرة الفقراء وأمور الزاوية، وما يليق بحالهم وما لا. توفي ثامن ذي الحجة الحرام متم عام سبعة وستين ومائة وألف.

والرابع: سيدي محمد؛ وهو المترجم له على الإثر. نفعنا الله بجميعهم.

[640- الشريف سيدي محمد بن علي المنالي الزبادي]
(ت: 1209)

ومنهم: الشريف البركة الأنور، الصوفي الباهر الأذكر، الفقيه العالم الصالح، الواعظ المذكر الناصح؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن علي بن محمد بن علي بن أحمد المنالي؛ منسوب إلى: مَنَالة؛ بلدة بالسوس الأقصى، الحسني [188] الشهير بالزبادي.

أخذ - رحمه الله - عن أخيه سيدي عبد المجيد، وعن أبي عبد الله جسوس، وأبي العباس ابن مبارك، وسيدي الكبير السَرْغيني. . . وغيرهم ممن عاصرهم. وتبرك بمن لا يحصى من الأولياء والصالحين؛ سالكين ومجذوبين.

وكان عارفا بتغسيل الموتى؛ فولي بسبب ذلك تغسيل جماعة كثيرة من الأولياء والعلماء والمنتَسبين؛ فعادت عليه بركتهم، وشملته عطفتهم.

وكان يتعاطى الشهادة بسماط عدول القرويين، والوعظ بضريح مولانا إدريس رضي الله عنه عند الفجر، وكان مولعا بالتقييد، بحاثا عن أهل الخير، وله مرائي نبوية وأخرى إدريسية، وأحوال ربانية وكرامات، وكلام على طريقة أهل الملحون. . .

و [له] تآليف عديدة: منها: "تنبيه الفقير، من الغفلة والتقصير؛ إلى الخدمة والتشمير". ومنها: "روضة البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ ابن عبد الرحمن"، يعني: الشيخ الكبير، العارف الشهير؛ أبا الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي؛ دفين تادلة. ومنها: "سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية"؛ ترجم فيه لكثير من العلماء والأولياء، والصالحين والمجاذيب والبهاليل، نقلنا عنه في هذا التقييد كثيرا.

وسافر للحج؛ فحج سنة ست وستين ومائة وألف في صحبة الولي الكبير سيدي عبد الوهاب التازي؛ دفين هذا الخارج، ولقي هناك جماعة من الأخيار والعلماء، وتبرك بهم، وأخذ عنهم. وترجمته - رحمه الله - واسعة.

توفي أول ربيع النبوي الأنور، عام تسعة ومائتين وألف، ودفن بروضتهم المذكورة قرب ضريح سيدي دراس، وبني عليه شاهد صغير، وكتب بوسطه تاريخه.

[641- سيدي محمد السفياني]
(ت: 1171)

ومنهم: الفقيه الناسك، الحاج الأبر، السيد محمد السفياني الفاسي.

ممن رحل إلى الحج، وحج وسار إلى القدس، ودخل الشام وبغداد. وأخذ الطريقة القادرية بمدينة حماة – من مدن الشام – عن الشيخ ياسين بن محمد درويش عن آبائه أبا عن أب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ورجع إلى فاس، وأخذت عنه الطريقة المذكورة بها.

وتوفي بها عام واحد وسبعين ومائة وألف، ودفن بهذا الخارج قرب ضريح سيدي دراس. ترجمه سيدي عبد السلام بن الخياط القادري في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوازاني.

[642- الفقيه سيدي محمد بن محمد ابن الهاشمي]
(ت: 1301)

ومنهم: الفقيه الوجيه، المدرس الواعظ النبيه، الصالح البركة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن الطاهر بن الهاشمي المراحي – نسبة إلى بني مراح؛ قبيلة من قبائل حوز مُعَسْكَر – الشريف الحسني، يعرف بالفقيه ابن الهاشمي.

كان – رحمه الله – فاضلا دينا، خيرا صالحا، متبركا به. وكان فقيها مدرسا، وله مجالس بجامع الديوان من هذه الحضرة، وكذا بجامع [189] سيبُوس، وبزاوية سيدي أحمد ابن عبد الصادق. يسرد كتب الوعظ تارة، ويدرس الفقه ونحوه أخرى.

وكان غالب من يحضر مجلسه: العوام، وكانوا ينتفعون بقراءته، ويحصلون منها ما لا يحصلونه من غيره. وكان حسن الأخلاق، لينا متواضعا، محبا لآل البيت والعلماء والصلحاء والمنتسبين، بساما في وجه كل من يلقاه. وكان إذا رأى أحدا؛ يقول له: «أهلا بالنور المحمدي». حتى لقب بذلك عند بعض الناس.

ومن مناقبه: أنه كان مرة جالسا بدار بعض الرؤساء من فاس، في جمع عظيم من العلماء ووجوه الناس؛ فقام إليه بعض الحاضرين ممن له استناد إلى الرئيس المذكور، ونال منه منالا عظيما من السب والوصف بأوصاف ذميمة، والناس يسمعون، وهو – رحمه الله – يتبسم ويضحك. ويقول له: «لم يعرفني أحد من الناس سوى أنت!»، ولم ينتصر لنفسه مع قدرته على الانتصار بالكلام، ولم يتغير من ذلك، ولا رئي في وجهه أثر الغضب منه.

وأُخبِرتُ أنه: كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويسأله عن أشياء ويجيبه، وأخبرني بعض الثقات عن بعض من يشار له بالخير الكبير أنه: كان من أهل التصرف؛ إلا أنه كان يتستر.

أخذ العلم عن الشيخ سيدي الحاج الداودي التلمساني وغيره، ولقي غير واحد من الأخيار، وتبرك بهم؛ كالشيخ سيدي الحاج العربي الوازاني؛ ووقعت له معه كرامة عظيمة.

وتوفي – رحمه الله – بعد عشاء ليلة الأربعاء خامس عشر صفر الخير عام واحد وثلاثمائة وألف، ودفن بهذا الخارج قريبا من قبة سيدي دراس، قبلة منها بانحراف إلى فوق، وبني عليه شاهد صغير للتمييز، وجعل في وسطه تاريخه كما ذكرناه، وقبره مزار عند بعض الناس متبرك به.

[643– القاضي سيدي محمد بن محمد المصمودي]
(ت: 885)

[644– وجده شيخ الجماعة سيدي عيسى بن علال المصمودي]
(ت: 823)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة النزيه، القاضي؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن القاضي أبي عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه العلامة القاضي أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي الكامي؛ نسبة إلى "مصمودة كامة" من بلاد الهبط.

كان جده أبو مهدي شيخ الجماعة بفاس وقاضيا بها، وإماما وخطيبا بجامع القرويين، وله تعليق على مختصر ابن عرفة. أخذ عنه القَوْري، والأستاذ الصغير، وجماعة كثيرة من العلماء. وأخذ هو عن أبي حفص عمر الرَجْراجي وغيره. وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة.

وكان هو – أيضا – قاضيا بفاس، عدلا في أحكامه، خيرا صالحا، ثقة مأمونا، جميلا متجملا، تقيا قائما بما يجبه لخطته، محصلا أكثر مسائل البيان.

قرأ "المدونة" على علي الأنفاسي، وأخذ – أيضا – عن ابن السكاك، وأخذ عنه القاضي المكناسي وغير واحد. وكان صلبا [190] في دين الله، لا يخاف في الله لومة لائم.

توفي – رحمه الله – ليلة الخميس ثالث عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وثمانين وثمانمائة، ودفن – كما ذكره غير واحد – بهذا الخارج بمطرح الجنة منه، على مقرُبة من ضريح سيدي دراس، وفي عبارة لبعضهم قال: « دفن ببلاد الحُبُس الموقوفة على دفن الغرباء بمطرح الأجلة، خارج فاس، قرب دراس بن إسماعيل ». هـ. ترجمه ابن القاضي في "الجذوة"، و"الدرة"، وأبو العباس السوداني في "الكفاية"، و"النيل".

[645- الحافظ الراوية سيدي محمد بن عمر ابن رُشَيْد الفهري]
(ت: 721)

ومنهم: خطيب غرناطة الشيخ الإمام الكبير، الفقيه المحدث الشهير، الحاج الرحال، الحافظ المتبحر؛ محب الدين أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر بن محمد بن عمر؛ المعروف بابن رُشَيْد؛ تصغير: رَشيد؛ الفهري الأندلسي السبتي، نزيل فاس.

وصفه ابن خلدون في "العبَر" بـ: كبير مشيخة المغرب، وسيد أهله، شيخ المحدثين، الرحالة.
وقال غيره: «كان إماما مشارًا إليه، وقدوة معتَمدا عليه، فريد عصره جلالة وعدالة، وحفظا وأدبا، وسمتا وهديا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بالصناعة الحديثية، قيما عليها، بصيرا بها، محققا فيها، ذاكرا للرجال، متضلعا من العربية واللغة والعروض، فقيها جميل النظر، ذاكرا للتفسير، ريانا من الأدب، حافظا للأخبار والتواريخ، مشاركا في الأصلين والبيان وغير ذلك، عارفا بالقراءات، بارع الخط، حسن الخُلق، عظيم السكينة والوقار، كثير التواضع، رقيق القلب، مبذول الجاه، كهفا لأطناق الطلبة...».

«رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة ثلاث وثمانين وستمائة، فدخل إفريقية ومصر والشام، وأخذ بها وبالحجاز عمن لقي من الأئمة؛ كالشرف الدمياطي، والقطب القسطلاني، ومحمد ابن عبد المنعم اللخمي، وعلي بن أحمد المقدسي، وأحمد بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي. وأخذ بسبتة وغيرها عن جماعة من الشيوخ الكبار؛ كأبي الحسن بن أبي الربيع، وأبي محمد عبد الله ابن هارون، وابن بقي... وغيرهم. وفي شيوخه كثرة، وقد أودعهم رحلته الحافلة؛ التي سماها: "ملء العيْبَة، وإحضار ما جُمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة"؛ وهي في أربعة أسفار، وقال بعضهم: في ستة. جمع فيها من الفوائد الحديثية والفرائد الأدبية كل غريبة وعجيبة. وله تآليف عديدة».

«مولده بسبتة عام سبعة وخمسين وستمائة، وقدم غرناطة سنة اثنين وتسعين، وأقام بها خطيبا وإماما في المسجد الأعظم، وعقد فيها مجالس للخاص والعام، وأقرأ بها فنونا، وكان مقبول الشفاعة عند وُلاتها. ثم رحل عنها ولحق بحضرة فاس، ثم تحول إلى مراكش، وقدم للصلاة والخطبة [191] بجامعها العتيق، ثم انتقل إلى مدينة فاس؛ فأقام بها معظما عند الملوك والخاصة».

«إلى أن توفي بها في الثالث والعشرين من شهر الله المحرم مفتتح عام واحد وعشرين وسبعمائة.
قال في "النشر" في ترجمة أبي المحاسن، نقلا عن صاحب "الإحاطة" ما نصه: ودفن في الجَبَّانة التي بخارج باب الفتوح، بالروضة المعروفة بمطرح الجلة، التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء،

من الغرباء الواردين مدينة فاس)).هـ. قال في "النشر": ((والجلة: باللام؛ جمع جليل، ويقال فيه اليوم: الجنة؛ بالنون، وهو تفاؤل حسن)).هـ. ترجمه ابن فرحون في "الديباج"، وصاحب "الإحاطة"، والسيوطي في "بغية الرواة"، وابن القاضي في "الجذوة"، و"الدرة"... وغيرهم.

[646- المجذوب الشريف سيدي حمادي بن عبد الحفيظ الكتاني]
(ت: 1250)

ومنهم: صاحب المدد الروي، والنور القوي، الشريف المجذوب المتبرك به؛ سيدي حمادي بن الحفيد بن أحمد الحسني الإدريسي؛ المعروف بالكتاني.

أخذ - رحمه الله - أولا عن سيدي علي الجمل، ثم بعده عن تلميذه الأكبر مولاي العربي الدرقاوي، وبه تربى وانتفع، وتهذب وارتفع، وكان صاحب حال وقبض، وجذب قوي وفيض، يدور في الأزقه والأسواق، وتصدُر منه أفعال كثيرة خارجة عن النطاق، رجلا ملامتيا، ولطريق الوله والغيبة والخراب منتحيا، له كرامات عديدة، وأوصاف من الولاية حميدة.

ومما يذكر من كراماته: أنه في اليوم الذي دخلت فيه الجزائر؛ أخذ شلْيَة[1] وجعلها بباب السلسلة إزاء سقاية الكروش هناك، ولبس كَبُوطا[2] من كبابيط النصارى، وبابوجا مما يلبسونه أيضا، ولم يكونوا معروفين في ذلك الوقت بفاس، ولا موجودين بها، ولا يُدرى من أين أتى بهما؟. وطلى وجهه ولحيته بالنجاسة؛ وكانت له لحية عظيمة، وجلس على الشلية المذكورة، في المحل المذكور، على الحالة المذكورة؛ من الصباح إلى العصر، والناس يمرون عليه، وينظرون إليه، فمنهم من يقول: ((الله يلطف بنا، ما هذا إلا لأمر وقع أو سيقع))، ومنهم من ينكر فعله المذكور في نفسه؛ فما مضت بعد ذلك إلا أيام يسيرة وورد الخبر بأن الفرنسيس - دمره الله - أخذ الجزائر في ذلك اليوم!، أعادها الله عز وجل دار إسلام بمنه، فتبين - حينئذ - للناس وجه فعله، وأنه أشار بذلك لهذه الأخذة الفظيعة. تداركنا الله بلطفه.

ومما يذكر منها أيضا: أنه أخذ يوما قفة عظيمة، وصار يدور بها في دور فاس، ويسأل أهلها: ((ألكم زبل ترمونه؟))، فمنهم من يعطيه؛ فيرميه في الوادي، ومنهم من لا. فشاع الخبر بذلك في فاس، ووصل لعاملها إذ ذاك؛فأرسل وراءه؛ فجاءه؛ فقال له: ((اتق الله وارفق بعباده [192]؛ فإن من

---

1. الشلية: الكرسي.
2. الكبُّوط: المعطف. والبابوج: نوع من الأحذية.

الناس من يعرفك ومنهم من لا، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفعل هذا الفعل تؤذي به الناس؟ »؛ فأجابه بقوله: « لي دار؛ وبها جدار في بيت يريد أن يسقط، وأريد أن أجمع مالا أبني به الجدار »، فقال له: « أتريد أن تبنيه من المال الذي تجمعه من هذا الفعل؟ »، قال: « نعم »؛ فقال: « أنا أبنيه لك، واترك الفعل المذكور ». فأجابه إلى ذلك. ثم إنه أصبح من الغد مستمرا على فعله، فما مضت إلا مدة يسيرة وجاء الوباء - عافانا الله منه - ويقال: إنه ما من دار أخذ الزبل منها إلا وخَلَيَتْ في ذلك الوباء؛ وهو: وباء سنة خمسين ومائتين وألف.

ثم إنه قال يوما لبعض الناس: « إن الأولياء قد فرضوا أربعة أشخاص يتحملون هذا الوباء عن الناس، ويفدونهم بأنفسهم، وأنا أحدهم »، فما مضى بعد ذلك إلا يوم أو يومان أو نحوهما؛ وطُعن ومات في ذلك العام، وكان ذلك آخر عهد الناس بالوباء، وعافاهم الله منه بفضله وكرمه.

ودفن هو - رحمه الله - بالروضة التي يدفن بها شرفاؤنا، بجوار روضة الشرفاء الدباغيين؛ المدفون فيها قطبهم مولاي عبد العزيز الدباغ، وقبره بها مُزَدَّج، وهو معروف مزار عند بعض الناس - نفعنا الله به.

[647- الفقيه الشريف سيدي محمد الزمزمي بن إدريس الكتاني]
(ت: 1255)

ومنهم: الفقيه الأجل، البركة الناسك الأفضل؛ أبو عبد الله سيدي محمد الزمزمي بن إدريس بن محمد الزمزمي الحسني؛ الشهير بالكتاني.

كان - رحمه الله - تقيا زكيا، فاضلا ناسكا سنيا، بركة صالحا، ومَتْجَرا للخيرات رابحا، وحصل له إقعاد في آخر عمره، وبقي كذلك إلى أن توفي يوم الخميس الثاني من شهر ذي القعدة الحرام عام خمسة وخمسين ومائتين وألف، ودفن بالروضة المذكورة.

[648- الشريف سيدي إبراهيم بن محمد الزمزمي الكتاني]
(ت: 1265)

ومنهم: ولده الشريف البركة الأرضى، الخير الدين المرتضى، الولي الصالح، الموصوف بكمال الفضل والهدي الواضح؛ أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد الزمزمي الكتاني. وهو جدي من قبل الأم.

كان - رحمه الله - من أهل الفضل والدين، سالكا سبيل المهتدين، متقشفا في اللباس، تاركا لعوائد الناس، أحواله جارية على السنة والشريعة، مجانبا لأهل الفسق والبدع والخديعة.

وكان لا يدخل الحمام؛ لما يعلم فيه من كشف العورات، وتزايد المنكرات. كثير التلاوة حتى في الأزقة والأسواق، حسنها، كثير التبسم في وجه من يلقاه، كثير الرؤية للمصطفى صلى الله عليه وسلم.

أخذ عن العارف بالله مولاي المهدي العراقي - دفين الروضة المشرفة فوق قبة سيدي أحمد اليمني بهذا الخارج - وكان أصحاب الشيخ سيدي [193] أحمد ابن ناصر الدرعي يطلبون منه الدخول في طريقهم؛ فيأبى، ويقول: «إن الرجل لا يدخل إلا في ربيگة واحدة»، فألحوا عليه؛ فرأى مرة النبي صلى الله عليه وسلم بجامع الأندلس جالسا بباب الحراب، ومعه شيخه المذكور، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له: «الزم عُهْدة شيخك هذا!». فلزمه. وكان شيخه المذكور يحبه كثيرا، وكانت له - رحمه الله - لحية مفروقة نصفين، وكان لا يأخذ منها ولا يصلحها؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: «إني رأيتها كذلك في اللوح المحفوظ، فلا أغيرها!!».

وكان يقول لعم والدنا سيدي عمر الكتاني: «إني أجد في نفسي منك شيئا». فيقول: «ولم؟!»، فيقول له: «رأيت في اللوح المحفوظ أنك المتصرف في تركتي من بعدي»؛ فيقول: «يا سيدي؛ وأين أولادك؟!»، فيقول له: «لا أدري!». فلما توفي صاحب الترجمة؛ ترك أولادا صغارا لم يول عليهم أحدا؛ فطلب من عم والدنا المذكور أن يكون وليا عليهم؛ ففعل. فكان المتصرف في تركته كما كان يخبره به في حياته.

توفي - رحمه الله - وهو يقول: «الله الله». وحضر وفاته الشيخ سيدي أبو بكر زويتن؛ فقال لمن معه: «هذا من الذين تولى الله عز وجل قبض أرواحهم!». وكانت وفاته يوم الخميس قبل الزوال، رابع شوال، عام خمسة وستين ومائتين وألف، ودفن بالروضة المذكورة، عند رجلي والده المذكور.

[649- الشريفة الصالحة السيدة كنزة بنت إبراهيم الكتانية]

(والدة المؤلف، ت: 1280)

وخلف - رحمه الله - أولادا ذكورا وإناثا، من جملتهم: السيدة كنزة؛ التي هي أمي؛ توفيت - رحمة الله عليها، ورزقني رضاها - يوم الاثنين سادس عشر شوال عام ثمانين ومائتين وألف، ودفنت بالروضة المذكورة. وقبرها متصل بقبر جدي للأب، المترجم له على الإثر، وراءه.

[650- العالم المجاهد الشريف مولاي إدريس بن الطايع الكتاني]
(ت: 1281)

ومنهم: جدي للأب: الفقيه الوجيه، العدل النزيه، الصدر الزكي، المجاهد السمي؛ أبو العلاء سيدي إدريس بن الطايع بن إدريس بن محمد الزمزمي الكتاني.

كان – رحمه الله – من عدول هذه الحضرة، موسوما بالخير والبركة، موصوفا بالورع والتحري في الشهادة. وكان لا يأخذ أجرة ممن هو من آل البيت أو من طلبة العلم أو من الفقراء. وإذا حصل له منها قدر كفاية اليوم؛ نزل من حانوته، ولا يرجع لها، وإذا حصل شيئا ورأى غيره ممن هو بجواره لم يحصل شيئا وأتى إليه من يطلب منه الشهادة؛ يقول له: «اذهب إلى تلك الحانوت، فإنا قد استفتحنا، وهؤلاء إلى الآن ما استفتحوا!». وإذا كثر عليه الزحام في بعض الأوقات؛ يقول لمن هو واقف عنده بقصد الشهادة: «إني أريد قضاء الحاجة»، فيذهب ويترك لهم الحانوت، وإذا خفي عن أعينهم؛ طلب من شخص أن يسدها له [194].

وكان كثير البذل والصدقة؛ يتوارد عليه وهو في حانوته كثير من المجاذيب والضعفاء والصبيان؛ فلا يرد أحدا منهم خائبا. وكان إذا حصل له مرض أو نحوه؛ يبيع أمتعة بيته لينفق على نفسه وعياله؛ لعدم إمساكه لشيء من الدنيا وادخاره.

أخذ شيئا من العلم عن شيخ وقته أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي، وقبله عن العلامة أبي محمد سيدي عبد السلام الآزمي، وأخذ الطريقة عن الشيخ سيدي محمد الحراق، وكان يحضر مجلسه في التفسير بزاويته من حومة المخفية حين افتتح الخمسة الأخيرة من القرآن، بعد قدومه لهذه الحضرة الإدريسية.

وحضر – رحمه الله – غزو الصبنيون[1] مع المسلمين بأحواز تطوان في أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي، وقاتل قتالا شديدا، وأسره المشركون، ثم أنقذه الله عز وجل من أيديهم.

وتوفي سابع عشر ربيع الثاني عام واحد وثمانين ومائتين وألف، ودفن بالروضة المذكورة قريبا من وسط الصف الموالي لروضة الدباغين[2].

---

1. أي: الإسبان.
2. ذكر العلامة محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني – حفيد المؤلف – رحمهما الله تعالى في كتابه "فاس عاصمة الأدارسة"،ص85؛ بأنه يذكر أن المترجم له توفي معانيا من جراحات. فتكون وفاته شهيدا رحمه الله ورضي عنه.

[651- المجذوب المجاهد الشريف سيدي محمد المنتصر بالله بن الطائع الكتاني] (ت: 1278)

ومنهم: الولي الصالح المجذوب، الهائم المتيم المغرب المحبوب، التائه في بحار الحضرات الفردانية الإلهية، السكران بخمور الخمرة الربانية العرفانية، المتوجه في طريق سيره ووصوله إلى مولاه، المقبل عليه بكليته معرضا عما سواه؛ أخو جدنا المذكور من والده: سيدي المنتصر بالله بن الطائع الكتاني.

كان - رحمه الله - ممن جذبته يد العناية الربانية، واختطفته أنوار العوارف الإحسانية، وكان في أول أمره يخدم خرّازا، ثم حصل له ما حصل، وصار مجذوبا يمشي في الأسواق وهو يَسُفُّ الريح مغمضا لعينيه. وكان يقول: « سيدي المهدي الفاسي - يعني: الذي كان معاصرا له - يسف ويطلق، وأنا أسف ولا أطلق! »، وذلك أن سيدي المهدي المذكور كان مجذوبا أيضا، وكان يسف الريح ويرده بعد جذبه بقوة. وكان صاحب الترجمة يسفه ولا يرده.

وسبب جذبه، وحصول قربه من ربه - فيما أُخبرت به - أنه: سمع أن من قصد مولانا إدريس - رضي الله عنه - أربعين يوما؛ قضى الله حاجته. فقصده العدة المذكورة؛ فلما كملت وهو بطرازه الذي يخدم به؛ إذا بمولانا إدريس - رضي الله عنه - خرج عليه يقظة، وأعطاه شمعة خضراء في يده، وقال له: « لا بأس عليك يا ولدي! »؛ فانقلبت أحواله في الحين، وصار ينطق بالمغيبات، وتظهر على يديه الكرامات.

ومما حكي لنا من كراماته: أنه كان يستعمل الطَّنْجية، ويعمل فيها من كل ما يراه بعينه، ومن جملة ذلك: السم القاتل لحينه. ثم يأكلها ويأكل معه بعض [195] أصحابه ممن كان ملازما له، وتكرر ذلك منه مرات كثيرة. ولم يكن يؤثر السم فيه ولا فيمن كان يباشره معه.

ومنها: أنه صعد غير ما مرة لبعض طبقات فندقي العطارين والشماعين، ورمى بنفسه لأسفل الفندق والناس ينظرون، ثم قام يمشي من غير ما باس.

ومنها: أنه ذهب مرة إلى والي الحسبة في وقته، وأطبق بيديه على عنقه، ثم أطبق بهما على رجليه، ثم طلب منه شيئا من الدراهم؛ فأعطاه له. ثم ذهب لسماط العدول، وتوجه لبعض عدوله؛ وقال له: « انزل من هذا الحانوت؛ فنحن الأولياء أصحاب توليتكم! »، فما أمكنه إلا النزول. فنزل؛ فلما كان الغد: أرسل السلطان يأمر بالقبض على المحتسب المذكور مسلسلا مقيدا، وولى مكانه العدل الذي أنزله صاحب الترجمة من حانوته. ثم إن ذلك المحتسب الأول تداركته الألطاف وأطلق عن قرب بسبب ما دفع لصاحب الترجمة من الدراهم.

ومنها: أن بعض أصحابه، ممن كان ملازما لخدمته، كان له أخ ينكر عليه خدمته له، ويعاتبه على ذلك غاية المعاتبة، حتى قال له مرة بمحضر صاحب الترجمة: «ما لك لا تناهى عن خدمة هذا الفاعل الجاعل[1] ومتابعته؟»، فالتفت صاحب الترجمة بعدما ذهب عنه لصاحبه المذكور، وقال له: «إن أخاك لم يتركنا، ولم يحد عن سبيلنا، وإني قد ضربته الآن، وسترى بعدُ حاله وأمره!».

فما رجع الصاحب المذكور لدارهم حتى وجد أخاه المذكور محموما وقد اسود لونه من شدة الحمى، وبقي كذلك عدة أشهر، والصاحب المذكور لا يستطيع أن يكلم صاحب الترجمة في شأنه، حتى قال له مرة: «ما لك لم تشفع في أخيك؟»، فقال له: «يا سيدي؛ لم أقدر»، فقال له: «اعطني نصف درهم فضة لأداويه»، فاعطاه له، ولم يكن معه سواه، فقال له: «قم بنا إليه»، فذهبا إليه؛ فوجداه في شدة عظيمة، فوضع صاحب الترجمة يده على رأسه وكبر ثلاثا، ثم قال له: «لا بأس عليك، برئت إن شاء الله»، ثم خرج عنه. فلم يلبث أن كساه العرق الكثير من حينه، وشفي بإذن الله تعالى، وعلم أن ما أصابه إنما هو من إنكاره عليه؛ فتاب إلى الله عز وجل من ذلك. وكراماته - رحمه الله - كثيرة.

وكان - رحمه الله - عزبا؛ لم يتزوج قط، فلم يكن له عقب. وقيل له مرة: «ألا تتزوج؟»، فقال: «أنا لا أتزوج في الكنيف»، فقيل له: «والدنيا كنيف؟!»، فقال: «نعم؛ إن أبانا آدم عليه الصلاة والسلام إنما خرج من الجنة إليها ليستفرغ فيها».

ولما مات أخوه سيدي عمر الكتاني؛ امتنع من الخروج من الدار، فلم يخرج منها إلى أن توفي غروب شمس يوم الخميس بعد حكايته [196] لأذان المؤذن ثاني وعشري رجب عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالروضة المذكورة، وسط الصف الأخير منها. وحُفر قبره بعد أشهر يسيرة من موته؛ لأمر اقتضاه؛ فلم يوجد فيه شيء من جسده أصلا، ولعله رفع، أو نقلته الملائكة إلى البقيع... والله أعلم.

[652- الإمام العارف الشريف سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ] *(ت: 1131)*

ومنهم: الولي الكامل الكبير، والغوث الحافل الشهير، قطب الدائرة، وشمس الأسرار الفاخرة، الشيخ الأبهر، والمربي الأكبر؛ أبو فارس سيدي عبد العزيز ابن الفقيه العالم النحوي سيدي مسعود الشريف الحسني الإدريسي، الشهير بالدباغ. أحد الشرفاء الدباغيين المشهورين بفاس، وهم من ذرية سيدي عيسى بن إدريس رضي الله عنهما.

---

[1] أسلوب من أساليب التقذيع والتنكيل.

كان – رحمه الله – قطبا كاملا، وغوثا حافلا، وعارفا واصلا، وسيدا فاضلا، ونجما زاهرا، وصوفيا باهرا، صاحب إشارات علية، وعبارات سَنية، وحقائق قدسية، وأنوار محمدية. أنشأ الله به الطريقة بعد خفاء آثارها، وأبدى به علوم الحقيقة بعد خبو أنوارها.

ولد – كما ذكره تلميذه صاحب "تيسير المواهب" نقلا عن خط والده مولاي مسعود – عشية يوم السبت حادي عشر صفر سنة خمس وتسعين وألف، واسم أمه: فارحة. وهي بنت أخت الولي الكبير، العارف الشهير؛ سيدي العربي الفشتالي، وكان سيدي العربي المذكور يقول لوالد صاحب الترجمة سيدي مسعود: «إنه يتزايد عندكم ولد اسمه: عبد العزيز، له شأن عظيم في الولاية». ورأى مرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: «إنه سيزداد ولي كبير عند ابنة أختك»، قال: «فقلت: يا رسول الله صلى الله عليك؛ ومن أبوه؟». فقال صلى الله عليه وسلم: «أبوه: مسعود الدباغ».

وكان سيدي العربي المذكور يتمنى أن يدرك ولادته؛ فلم يُقَدر له ذلك، ومات قبلها. ولما حضرته الوفاة؛ أوصى لصاحب الترجمة بشاشية وسُباط[1]؛ فبقيا عند والده مصانين إلى أن ولد وأدرك؛ فرفعتهما إليه أمه حينئذ، فلبسهما، وكان من أمره بعد ذلك ما كان.

وكان ورده في أول أمره كل يوم: سبعة آلاف مرة: «اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اجمع بيني وبين سيدنا محمد في الدنيا قبل الآخرة». لقنه ذلك سيدنا الخضر عليه السلام بعد اجتماعه به ليلا؛ وكانت ليلة جمعة، عند السدرة المحررة، التي بقرب باب روضة الولي الصالح سيدي علي ابن حرزهم، خارج باب الفتوح، وأوصى عليه قيم الروضة المذكورة؛ وهو: سيدي عمر بن محمد الهواري.

وبقي – رضي الله عنه – على هذا الورد إلى أن توفي سيدي [197] عمر المذكور، وبعدما توفي بثلاثة أيام؛ وقع له – رضي الله عنه – الفتح؛ وذلك يوم الخميس ثامن رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف، ثم اجتمع بعد ذلك في شهر رجب المذكور بسيدي عبد الله البرناوي؛ وكان قطبا، وأصله من "برنو"، فبقي معه يرشده ويسدده ويقويه إلى أن كان اليوم الثالث من يوم عيد النحر، فرأى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فقال له سيدي عبد الله المذكور: «قبل اليوم كنت أخاف عليك، واليوم أمن قلبي واطمأن!». ثم إنه استودعه وذهب إلى بلاده.

ولم يزل صاحب الترجمة – رضي الله عنه – يجتمع بالأولياء، ويتلقى منهم وينتفع بهم، ويرث من مات؛ حتى ورث عشرة من أكابرهم. وزاد في آخر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وراثة رجل آخر

---

[1] أي: الحذاء.

من الكبار، ومن جملة العشرة الذين ورثهم أولا: سيدي عمر بن محمد الهواري، وسيدي عبد الله البرناوي المذكوران، وسيدي يحيى - صاحب الجريد؛ وكان من الأقطاب، وسيدي منصور بن أحمد؛ من أهل جبل حبيب - وكان قطبا أيضا، وسيدي محمد السراج؛ من أهل أنجرًا من الفحص - وكان قطبا أيضا، وسيدي علي بن عيسى المغربي؛ وكان قطبا أيضا، وسيدي أحمد بن عبد الله المصري؛ وكان غوثا، وهو الذي علمه اللغة السريانية بعد اجتماعه به سنة خمس وعشرين في نحو شهر. وهذه اللغة قال في "الإبريز": «إنه لا يعرفها إلا الغوث والأقطاب السبعة الذين هم تحته.. قال: وعلمها له سيدي أحمد المذكور؛ لعلمه بأنه سيصير قطبا؛ فإنه تقطب بعد ذلك بقليل».

وكان - رضي الله عنه - قبل الفتح تظهر على يديه كرامات وكشوفات، حدث بها كثير ممن كان يخالطه في العشرة الثانية من القرن المذكور، وسأله صاحب "الإبريز" وقال له: «كيف وقع لكم هذا والفتح إنما كان عام خمسة وعشرين؟». فقال رضي الله عنه: «منذ لبست الأمانة التي أوصى لي بها سيدي العربي الفشتالي؛ حصل لي فتح، ولكنه ضيق. فإذا توجهت إلى شيء؛ لا أحجب عنه، ولكني لا أرى غيره».

ولم يزل - رضي الله عنه - بعد الفتح يترقى في المقامات والأحوال، إلى أن انتهى مقامه إلى القطبانية العظمى؛ وهي: الغوثية. وقد وصفه بها صاحب "الإبريز" في كتابه المذكور في عدة مواضع منه، وصرح بها تارة، ولوَّح أخرى، وكان - رضي الله عنه - يقول - كما ذكره صاحب "تيسير المواهب":

رأيــت الحبيــب بعينـــي	وشفيـت من النظـرا في ذاتُ
مــنْ لا يــــراه خذوا عنـــي	يـتعـــرى وهـــو فـي حيـاتُ

[198] وذكر في "الإبريز" في الباب الذي عقده في ذكر الديوان؛ وهو: الباب الرابع من أبواب الكتاب، أنه: سمعه مرة يقول وهو معه خارج باب الجيسة - أحد أبواب فاس: «أيش هو الديوان؛ والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري!»، قال: «وسمعته مرة يقول: إنما يقام الديوان في صدري. وسمعته يقول مرة أخرى: السماوات والأرضون بالنسبة إلي كالموزونة في فلاة من الأرض. .قال: يصدر منه هذا الكلام وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة، بل هو في زيادة دائما رضي الله عنه». هـ.

ثم ذكر أنه: كان معه مرة بباب الفتوح، وجرى بينه وبينه ذكر الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي؛ قال: «فقال: هو من الأكابر.. .قال: فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته؛ فقال - رضي الله عنه: لو عاش سيدي إبراهيم الدسوقي من زمنه إلى زماننا؛ ما أدرك من المقامات، ولا

ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز – يعني: نفسه – من أمس إلى اليوم، والله ما قاله أخوك افتخارا، وإنما قاله تعريفا وتحدثا معكم بالنعمة». قال: «وكنت داخلا معه ذات يوم من باب الجيسة؛ فنظر إلي وقال: علي في هذه الساعة ثلاث كسوات، لو أخذت واحدة منها ووضعت على مدينة فاس؛ لذاب جميع من فيها، ورجع سورها وبنيانها ودورها وجميع من فيها عدما محضا!»».

قال: «وكنت داخلا معه ذات يوم من باب الفتوح؛ فسألته عن أسمائه تعالى وعددها، وأن من العلماء من قال: إنها أربعة آلاف. فقال رضي الله عنه: إني في لحظة قدر تغميضة العين وفتحها أشاهد من أسمائه تعالى ما ينوف على مائة ألف، والترقي هكذا على الدوام في كل لحظة». هـ.

وقال في الفصل الذي تكلم فيه على الأشياخ الذين ورثهم صاحب الترجمة، بعد أن ذكر فيه أن من الأولياء من يسمّى باسم واحد من أسماء الله تعالى، ومنهم من يسمّى باثنين، ومنهم من يسمّى بأكثر؛ ما نصه: «فقلت له: وبكم سقيتم أنتم؟. فقال – رضي الله عنه – وهو الصادق فيما يقول: سُقيت بسبعة وتسعين اسما؛ بالمائة كلها إلا ثلاثة. فقلت: إنما هي تسعة وتسعون!. فقال – رضي الله عنه: والمكمل للمائة لم يُعدّ فيه؛ لأن الناس لا يطيقونه، وهو: اسم الله العظيم الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى...». ثم قال: «قال – رضي الله عنه: ولا يسقى بهذا العدد – يعني: العدد الذي سقي هو به – إلا واحد من الأولياء». قال مؤلف "الإبريز": «قلت: وهو الغوث».

قال: «ثم هذا الذي قاله في أول الأمر، وسمعت منه في آخر أمره – رضي الله عنه – أنه: سقي بالعدد كله، أعني: المائة، وأن السقي بها ينقسم [199] إلى سقيين؛ أحدهما: في مقام الروح. فمن الأولياء من يسقى بواحد، ومنهم من يُسقى بأكثر، ولا يكمل المائة كلها إلا الغوث. السقي الثاني: في مقام السر...قال رضي الله عنه: ولا يستكمل المائة فيه مخلوق من المخلوقات إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم».

ثم قال في الفصل المذكور بعد هذا بنحو الورقة ما نصه: «وقال لي – رضي الله عنه – مرة: إني أرى السماوات السبع، والأرضين السبع، والعرش داخلة في وسط ذاتي، وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابا، وفي كل حجاب سبعون ألف عام، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام، وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرَّقَّاء؛ (بتشديد الراء وتشديد القاف بعدها)، فكل هؤلاء المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء – فضلا عن جوارحهم – إلا بإذن رجل واحد رحمه الله تعالى». هـ. ويعني بالرجل المذكور نفسه؛ كما يدل عليه كلامه – نفعنا الله به ورزقنا محبته ورضاه... آمين.

وقال – أيضا – في "الإبريز" في الباب الذي تكلم فيه على شيخ التربية؛ وهو: الباب السادس. ما نصه: « ولما مات الشيخ؛ كنت أتكلف الذهاب إلى زيارته في قبره كثيرا؛ فوقف علي في المنام، وقال لي: إن ذاتي ليست بمحجوبة في القبر، بل هي في العالم كله، عامرة له، ومالئة له، وفي أي موضع تطلبني تجدني، حتى إنك لو قمت إلى سارية في المسجد وتوسلت بي إلى الله عز وجل؛ فإني أكون معك حينئذ . . . قال: ثم أشار إلى العالم كله؛ فقال: وأنا فيه بأجمعه؛ فحيث ما طلبتني وجدتني، وإياك أن تظن أني أنا ربك عز وجل؛ فإن ربك عز وجل غير محصور في العالم، وأنا محصور فيه. . . قال: هذا ما سمعته منه – رضي الله عنه – في المنام، وكذا سمعته – رضي الله عنه – يقول في حياته: إن العالم كله قد يكون أحيانا في وسط جوفي. وسمعته – رضي الله عنه – أحيانا يقول: ما السماوات السبع والأرضون السبع في نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض ». هـ.

وقد كان له – رضي الله عنه – أصحاب أخيار، وتلامذة مباركون، فيهم الفقهاء وغيرهم، انتفعوا به، وتخرجوا على يديه. وكان – رضي الله عنه – يؤدبهم ويهذبهم، ويعلمهم ما ينتفعون به دينا ودنيا، وشريعة وأدبا، وكان رحيما بهم، شفيقا عليهم، يرأف بهم أشد من رأفة الوالد على ولده، ويهتم بأمورهم كلها أشد من اهتمامه لنفسه.

وفي "الإبريز" ما نصه: « وما كان – رضي الله عنه – لأصحابه إلا رحمة محضة؛ يشفع لهم في زلاتهم، ويتكفل لهم بنوائبهم، ويتحمل لهم كل ما يخشون [200] عاقبته، ويهتم لأمورهم أكثر مما يهتم لأموره. . .قال: وقال لي – رضي الله عنه – ذات يوم: الرجل الذي لا يشاطر صاحبه في سيئاته؛ ما هو بصاحب له. وقال: إن لم تكن الصحبة إلا على الحسنات؛ فما هي بصحبة. قال: وبالجملة؛ فما كان – رضي الله عنه – لأصحابه إلا رحمة مرسلة من الله عز وجل؛ فعلى مثله يبكي الباكون ». هـ.

وفيه – أيضا – بعد هذا بقريب ما نصه: « وكنا معه – رضي الله عنه – على حالة قل أن يُسمع بمثلها؛ لا ينزل بنا أمر مهم أو غير مهم إلا ذكرناه له؛ فيتحمله عنا عيانا، ويريح خاطرنا منه بمجرد ذكره له. قال: وكان – رضي الله عنه – يمازحنا، ويضاحكنا، ويزيل الحياء عنا، ويفاتحنا بالأمور قبل أن نسأله عنها، ويقول لنا: لا تجعلوني في مقام الشيخ؛ إنما أنا لكم بمنزلة الأخ، ومقام الشيخ لا تطيقون القيام بآدابه، فأنا أسامحكم، وأجعلكم في حل من ذلك، واجعلوني بمنزلة الأخ؛ تدوم الصحبة بيننا وبينكم ». هـ.

وأجل أصحابه علما ودينا: الشيخ أبو العباس ابن مبارك؛ مؤلف كتاب "الإبريز" المذكور. وقد ذكر في أثنائه أن أول اجتماعه معه: كان في رجب سنة خمس وعشرين ومائة وألف، وأنه: سايره في

الكلام، وسأله عن أمور تتعلق بالولاية؛ فسمع منها ما بهره، فلما رآه استحسن جوابه؛ قال له - رضي الله عنه: «سل عن كل ما بدا لك!»، فجعل يسأله عن كل ما يعرض له أو يشكل عليه، ويجيبه بالأجوبة الحسنة، الباهرة المسكتة، التي تشفي وتكفي. وسأله - حينئذ - عن فواتح السور؛ فأجابه عنها بما بهر لبه، وحير عقله، قال: «فعلمت أنه - رضي الله عنه - من أكابر الأولياء؛ لأني رأيت أكابر الصوفية إذا تعرضوا لفواتح السور ورمزوا إلى شيء مما ذكره الشيخ؛ صرحوا بأنه لا يعرف معنى فواتح السور إلا الأولياء الذين هم أوتاد الأرض. فكانت هذه عندي شهادة عظيمة بولاية هذا السيد الجليل. رزقنا الله محبته، ووصلنا إلى العلوم التي تبدو لنا منه ولم يتعاط شيئا منها لا في كبره ولا في صغره، بل ولا قرأ القرآن، ولا يحفظ منه إلا سورا قليلة من حزب "سبح"، وإذا سمعته يتكلم في تفسير آية؛ سمعت العَجَب العُجاب!». هـ.

وكراماته - رضي الله عنه - وتصرفاته وأوصافه وأحواله كثيرة، وقد عقد في "الإبريز" فصلا في بعض الكرامات التي ظهرت على يده، وقال في أوله: «اعلم أن أمر شيخنا - رضي الله عنه - غريب، وشأنه كله عجيب، ومثله لا يحتاج إلى كرامة؛ لأنه كله كرامة، فإنه يخوض في العلوم التي تعجز عنها الفحول، ويأتي فيها بما يوافق [201] المعقول والمنقول، مع كونه أميا؛ فإنه لا يحفظ القرآن العزيز، فضلا عن أن يُسام بتعاطي شيء من العلوم، مع أنه قط لم يُر في مجلس درس من صغره إلى كبره». انتهى.

وقد ألف في التعريف به، وذكر أحواله ومناقبه، وكراماته وأجوبته؛ تلميذه الشيخ أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي المذكور، والشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي المرابطي السجلماسي، وسمى الأول تأليفه فيه بـ: "الذهب الإبريز، في مناقب الشيخ سيدي عبد العزيز". وهو كتاب عظيم شهير، متداول، مملوٌّ بالأسرار الوهبية، المبينة لما أشكل من مسائل العلوم الشرعية. وسماه الثاني بـ: "تيسير المواهب، في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب". وهو موجود عند بعض الناس.

وقد رأيت مرة في المنام أني أزور قبر صاحب الترجمة، وأتوضأ من عين تجري من عند رجليه، وإذا بأناس من أهل الفضل أعرفهم ورائي يتذاكرون فيه، وفي العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي؛ دفين هذا الخارج أيضا، أيهما أكمل حالا، وأكبر مقاما؟. فقال واحد منهم: «الشيخ مولانا عبد العزيز أكمل وأكبر»، وتوقف الآخر في ذلك، وإذا برائحة حسنة عظيمة سطعت من عند رأس الشيخ؛ فاستنشقتها؛ فحصل لي منها في ذلك المنام علم ضروري بأن حال صاحب الترجمة أتم، ومقامه أكمل، فصرت أقول في نفسي: «الحق مع فلان الذي يقول: إن مقام سيدي عبد العزيز أعلى»، رضي الله عن الجميع، وحشرنا في زمرتهم بجاه النبي الشفيع... آمين.

توفي صاحب الترجمة - رضي الله عنه - حسبما ذكره في "تيسير المواهب"، ورأيته منقولا من خط أبي العباس ابن مبارك بُعيد طلوع الفجر، صبيحة يوم الخميس الموفي عشرين من ذي القعدة الحرام سنة إحدى وثلاثين ومائـــة وألـف. وأورده في "النشـر" فيمن توفي سنة اثنين وثلاثين، وكذا فعل في "التقاط الدرر"، قائلا أثناء عده لبعض من توفي في هذه السنة ما نصــه: «والشريف الصالح المتبرك به: سيدي عبد العزيز بن مسعود الشريف؛ المعروف بالدباغ، من قبيل من الأشراف الأدارسة يُعرفون بذلك، وصفه شيخنا الحافظ سيدي أحمد بن المبارك الفلالي في كتاب له فيه يسع مجلدا، وحلاه بأوصاف تقف عندها العقول، وله أتباع من مدينة فاس وتازا وغير ذلك، ودفن خارج باب الفتوح، قرب روضة الأنوار، وبنيت عليه قبة» اهـ.

وقبته إلى الآن معروفة شهيرة؛ وهي: القبة البيضاء يمنة الطالع لسيدي علي حُمَامُوش، تقابل قوس سيدي علي صالح الأندلسي [202]، وعلى ضريحه بوسطها دربوز يزار به ويتبرك، ولوائح القبول والإجابة ظاهرة عنده... نفعنا الله به آمين.

[653- الإمام المجتهد سيدي أحمد بن مبارك اللمَطي]
(ت: 1155، أو 1156)

ومنهم: صاحبه ورفيقه، وتلميذه ومؤلف مناقبه، العالم العلامة، الجهبذ الفهامة، المشارك المحقق، الهمام المدقق، الحافظ المتضلع المتبحر، المجتهد القدوة المحرر، نجم الأمة، وتاج الأئمة، شيخ الشيوخ، ومن له في العلم القدم الثابتة الرسوخ؛ أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك - به عرف ابن محمد بن علي السجلماسي اللمَطي (بفتحتين؛ نسبة إلى لمَط: قرية بالمدينة العامرة من سجلماسة، خربت فيما قبل اليوم)، البكري الصديقي؛ يتصل نسبه بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ولد - رحمه الله - في حدود التسعين وألف ببلده سجلماسة، وجمع هناك قراءة السبع على ابن خالـه، وابن عم جد والده: الإمام الكبير، العارف الشهير؛ أبي العباس سيدي أحمد الحبيب، وقرأ عليه شيئا من النحو أيضا.

ثم دخل فاسا بقصد القراءة سنة عشر ومائة وألف؛ فأخذ عن عامة شيوخها؛ كأبي عبد الله مَحمد بن عبد القادر الفاسي، وسيدي الحاج أحمد الجـرَنـدي، وسيدي محمد المسناوي، وسيدي محمد بن أحمد القسمطيني، وسيدي علي الحريشي، والقاضي أبي عبد الله بُرْدُلة... وغيرهم.

وكان - رحمه الله - شيخا متبحرا، وإماما حجة متصدرا، انتهت إليه الرياسة في جميع العلوم، واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم؛ فكان له باع طويل وتبحر في البيان والأصول

والحديث، والقراءات والتفسير، وله عارضة في المقابلة بين أقاويل العلماء والبحث معهم، ويجيب عنهم بمقتضى الصناعة والآلات، ويصرح لنفسه بالاجتهاد، ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين، ويصرح بأنهم لو أدركوه؛ لانتفعوا به!.

وكان كثير التنويه بقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستغراق في بحر محبته، ويحمل الخلق على وُسعهم منها بشدة وغلظة إذا استولى عليه الغرق فيها، وربما أدركه البكاء وهو على الكرسي في مجلس درسه، وربما غلبه الضحك وتمادى به جدا، وربما تكلم بأسرار على سبيل الكشف، وربما عاجل بأخبار بتوقع وقوعها فيما يستقبل.

وقد كلمه تلميذه الشيخ التاودي - رحمه الله - يوما في شأن الحج متمنيا له ذلك، وأن تشرق شموس علمه هنالك، فقال له مشيرا إلى شيخه مولاي عبد العزيز الدباغ: « إن الناس قالوا لي: جعلناك في حُق - يعني: بضم الحاء - فلا تخرج من هذه البلدة، وإنك أنت - يعني: الشيخ التاودي - ستحج وأعطيك ألف دينار، أو قال: ألف مثقال [203] إن شاء الله »، ولم تكن نفسه تحدثه بالحج في ذلك الوقت، ولا يخطر لها ببال؛ فحج ونال ما ذكره له صاحب الترجمة.

وكان - رحمه الله - محبا للغرباء، مواسيا للضعفاء، خاشعا متواضعا، ذا صلاح وولاية وكرامة، وكان له اعتناء كبير ومحبة عظيمة في شيخه مولاي عبد العزيز الدباغ، وسلب له الإرادة في علمه وعمله، وتبعه بقلبه وقالبه، حتى لا يكاد يسلو عنه طرفة عين، ويجالسه في الأسواق التي لا يمر بها غيره ممن له فضل علم ومروءة، ويناوله ما يحتاج إليه مما ليس شأن مثله أن يناوله، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه؛ فظهرت عليه آثار صُحبته، وانتفع غاية النفع بمعرفته.

وكان شيخه المذكور يحبه محبة عظيمة جدا، وقال له مرة: «حاسبني بين يدي الله عز وجل إن كنت لا أنتبه لك في الساعة الواحدة خمسمائة مرة». وقال له مرة: «يا سيدي؛ رأيت في المنام ذاتي وذاتك في ثوب واحد!»، فقال له رضي الله عنه: «هذه رؤيا حق»، وأشار إلى أنه لا يفارقه ليلا ولا نهارا.

وقد ألف - رضي الله - تآليف عديدة؛ منها: "الذهب الإبريز" الذي ألفه في مناقب شيخه المذكور كما تقدم، وألف بعضهم في الرد عليه؛ فحاد عن سواء السبيل. ومنها: تأليف في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾. [الحديد: 4]، و"كشف اللبس عن المسائل الخمس"، و"رد التشديد في مسألة التقليد"، وتأليف في "دلالة العام على بعض أفراده"، وطرر على شرح الشيخ سيدي سعيد قدُّورة على "السُلم"؛ جردها بعض الطلبة. وله تقاييد وأجوبة. وأخذ عنه جماعة من العلماء يطول ذكرهم.

وكان يقرأ صحيح البخاري زمن الشتاء قبل طلوع الشمس، بضريح سيدي أحمد ابن يحيى - رضي الله عنه - حتى توفي - رحمه الله - بالطاعون، ليلة يوم الجمعة[1] تاسع عشر جمادى الأولى عام خمسة[2] أو ستة[3] وخمسين ومائة وألف، ودفن مع شيخه المذكور في قبته، متصلا به، ليس بينه وبينه إلا جبهة بناء، وعليهما اليوم دُربوز واحد؛ فوقه مقبريتان. وكان الشيخ التاودي هو الذي ألحده في قبره - نفعنا الله به.

ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"الروضة المقصودة"... وغيرها، وأورده الشيخ التاودي في فهرسته من جملة شيوخه.

[654- المشارك الشريف مولاي علي بن محمد العلوي البَلْغيثي]

ومنهم: الشريف الوجيه، البركة النزيه، العالم العلامة، الدراكة الفهامة؛ أبو الحسن مولاي علي بن محمد بن الشريف العلوي البلغيثي.

كان - رحمه الله - عالما عاملا، مشاركا في جميع الفنون. أخذ عن أبي العباس ابن مبارك وغيره. وسكن مدينة تازا بأمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ودرس العلم بجامعها الأعظم، [204]. ثم ارتحل منها لفاس؛ وكان من خيار علمائها، إلى أن توفي بها ودفن خارج باب الفتوح مع شيخه المذكور، بضريح مولانا عبد العزيز الدباغ - رضي الله عنه - ترجمه في "الدرة الفائقة".

[655- العالم الشريف سيدي عمر بن محمد بن إدريس بن عبد العزيز الدَّبَّاغ] (ت: 1260)

ومنهم: الفقيه الأجل، العالم الناسك البركة الأمثل؛ أبو حفص سيدي عمر ابن البركة الأسمى، السمح الوقور؛ أبي عبد الله سيدي محمد ابن أبي العلاء إدريس ابن الشيخ القطب أبي فارس مولانا عبد العزيز الدباغ، الشريف الحسني الإدريسي.

كان - رحمه الله - فقيها حسيبا، نزيها، ظاهرا في المظاهر العلمية، بالدؤوب وسلامة السجية.

---

[1] هكذا هذه الوفاة عند الشيخ التاودي في فهرسته، وفي "النشر": ((أنه توفي غدوة يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، عام ستة وخمسين ومائة وألف)). مؤلف.

[2] هذا هو الذي في فهرسة سيدي التاودي. مؤلف.

[3] هذا ما في "سلوك الطريق الوارية"، و"نشر المثاني". مؤلف.

تفقه على جماعة من شيوخ فاس؛ منهم: أبو محمد عبد القادر ابن شقرون، ولازم الشيخ أبا الفيض حمدون ابن الحاج في عدة فنون.

وولي خطة الشهادة والإمامة والخطابة بمسجد الديوان، على عهد السلطان أبي الربيع مولانا سليمان، ثم تخلى عن ذلك اختيارا، وزهد فيه لما أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد التجاني، واتصل به وسلب له الإرادة.

توفي – رحمه الله – رابع عشر رجب عام ستين ومائتين وألف، ودفن بضريح جده المذكور، داخل قبته. ترجمه في "الإشراف" وغيره.

[656- العارف المجذوب الشريف سيدي محمد بن عمر الدباغ]
(ت: 1285)

ومنهم: ولده الشريف الجليل، البركة الحفيل، الفقيه الناسك، المجذوب السالك، الولي الصالح، العارف الواضح، الذاكر الأمجد؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه البركة أبي حفص عمر الدباغ الحسني الإدريسي.

كان – رحمه الله – من أهل الخير والبركة والصلاح، معروفا بالنجابة والفضل والسماح، فقيها نبيها، مُعَظَّما وجيها، كثير الأذكار، والتهجد في الأسحار، عظيم البذل والمعروف، والصدقات وإغاثة الملهوف. . .قرأ شيئا من العلوم، ونال منها ما يقيم به الرسوم، ثم اشتغل بعلم الأسماء، حتى حصل منه ما فيه الكفاية والشفاء، واشتهر به اشتهار النهار، ورحل لأخذه عنه من مُتَبَاعَد الأقطار، ولقي غير واحد من الأخيار، والشيوخ الكبار، وأخذ عنهم، وتبرك بهم؛ منهم: الشيخ سيدي محمد صالح بن السيد خير الله الرَضوي البخاري.

وسمعت بعض أهل الخير يثني عليه كثيرا، ويقول: « إنه كان من كبار الأولياء »، إلا أنه كان ملامتيا؛ لأنه كانت تصدر منه أمور يُنكَرُ ظاهرها؛ من الحلف بالحرام[1] في بعض المرات ونحو ذلك.

وشوهدت له – رضي الله عنه – كرامات، وخوارق عادات؛ منها: ما حدثني به بعض أصحابه أنه: كان له أب يتجر في بلاد الروم، وكان خائفا عليه أن يموت هنالك، ففكر في نفسه يوما في ذلك بمحضر صاحب الترجمة، فقال له: « مالك تفكر؟ »، فقال له: « يا سيدي؛ ما بي إلا هم أبي [205]؛ أخاف أن يموت في بلاد الروم »، قال: « فاحمرت عيناه، ووقف شعره في رأسه، وقال لي: علي الحرام لا مات والدك إلا في بلاد الإسلام! »، قال: « فكان الأمر كذلك ».

---

[1]. الحلف بالحرام: هو الحلف على المرأة بالطلاق الثلاث.

ومنها: أن رجلا من القواد قبض عليه السلطان بمراكش - وكان إذ ذاك هو بحضرتها - فجاء أهله إليه وشكوا له ذلك، وكان ذلك يوم السبت؛ فقال لهم: «علي الحرام لا بات في اليوم الخامس - أي: الذي هو يوم الأربعاء - إلا معكم طليقا »، فجاء يوم الأربعاء المذكور، وقرب تمام النهار، ولم يظهر لتسريحه أثر، فجاءوا إليه وقالوا له: «يا سيدي؛ هذا هو اليوم الذي وعدتنا بتسريح صاحبنا فيه، وقد انقضى ولم يظهر لتسريحه أثر ولا خبر »، فذهب في تلك الساعة بنفسه إلى السلطان، ولم ينفصل عنه حتى أمر بتسريحه على سبيل خرق العادة، لأنه لم يكن يُظَنُّ أن السلطان يفعل ذلك، فسرح بعد غروب شمس ذلك اليوم، وبات تلك الليلة مع أولاده كما قال رحمه الله تعالى.

ومنها: أنه كان الوباء في سنة من السنين، وكان بعض أصحابه جالسا معه، فقال له: « يا سيدي؛ نخاف على أنفسنا وأهلينا من هذا الوباء ». فقال له: «علي الحرام؛ لا خرج من دارنا ولا من داركم في هذا الوباء أحد »، فكان الأمر كما قال.

ومنها: ما حدثني به بعض أصحابه، قال: «دفعت إليه مرة عشرة مثاقيل، ففرقها على من كان حوله ممن يُظَنُّ به بعض الغنى، فتغيرتُ في نفسي، وقلت: لو أنفقها على نفسه وأهله ومن يلوذ به من الضعفاء لكان أولى! . قال: فكاشفني في الحال، وقال لي: قلت: كذا وكذا ؟!، إني إذا أنفقتها عليهم؛ يا تيني الله عز وجل عوضا منها بكذا وكذا . لعدد كثير من الدراهم. . .قال: فقلت له: إني تائب إلى الله عز وجل. وانصرفت ».

خرج مرة إلى ضريح جده مولانا عبد العزيز الدباغ - رضي الله عنه - بهذا الخارج، فلما وصل إليه ودخل قبته؛ اضطجع في موضع قبره الذي هو به الآن، ثم قال لبعض أصحابه ممن كان معه: «إذا أنا مت؛ فادفنوني ها هنا »، فلم يبق بعد ذلك إلا نحو الثمانية أيام ومات - رحمه الله - وكانت وفاته بالوباء زمنه: صبيحة يوم السبت خامس عشر شهر الله المحرم فاتح عام خمسة وثمانين ومائتين وألف. ودفن داخل قبة جده المذكور.

[657- شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي] (ت: 1275)

ومنهم: سراج الإسلام، وشيخ الشيوخ الأعلام، حامل لواء مذهب مالك، والسالك فيه كل المسالك، حسنة العصر، وغرة الدهر، العلامة المحقق، المحرر المدقق، شيخ جماعة الفقهاء بفاس؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن [206] الفلالي الحجرتي.

كان – رحمه الله – ممن حاز رياسة الفقه في زمانه، وإليه المرجع فيه في وقته وأوانه، مع حسن الصناعة، وبديع البراعة، والتضلع والمشاركة في العلوم، والمعرفة بطريق المنطوق منها والمفهوم، والدين المتين، والورع والصلاح واليقين، وكان يحضر مجلسه من الفقهاء الكثير، ومن الطلبة الجم الغفير، جليلا مهيبا، ذكيا عاقلا نجيبا.

أخذ عن عدة من الشيوخ؛ كالعلامة النفاع أبي محمد سيدي عبد السلام بن أبي زيد الأَزَمّي الحسني الإدريسي، والشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن عمرو بن عبد الله الزَّرْوَالي، والشيخ سيدي الطيب ابن كِيرَان، والشيخ سيدي بدر الدين الحَمُّومي. . . وغيرهم.

وأخذ عنه والدنا وغيره ممن هو في طبقته، وهو معتمدهم في المسائل الفقهية وما يرجع إليها، إذ كان شيخ الجماعة كما ذكرنا.

وعُرِضت عليه – رضي الله عنه – المناصب من الإمامة وغيرها؛ فأعرض عنها ولم يقبلها. وترجمته واسعة.

توفي – رحمه الله – ضَحْوَةَ يوم الجمعة سابع عشر المحرم فاتح عام خمسة وسبعين ومائتين وألف، ودفن قريبا من قبة سيدي عبد العزيز الدباغ، غربا منها، بالروضة المعروفة لأولاد ابن جلون، وبني عليه قوس صغير للتمييز، وهو معروف عند بعض الناس، مزار متبرك به.

وللفقيه النبيه، الأديب الكاتب سيدي عبد الرحمن الشرفي مشيرا لتاريخ وفاته:

زُرْ قبر شيخ مديد العلم وافره	من لا نظير له في الغرب سائره
تاج المحاسن ما في الدهر مكرمةً	إلا وتُعزى إلى ميمون طائره
محمد بن أبي زيد عَنَيْتُ وهل	يطاق تعداد بعض من مآثره
يوم الكرامة عضو جم *شامله*[1]	ورحمة الله كنز من دخائره

[658– النحوي سيدي الحاج محمد الفلالي. (المدعو: حمارة)]
(ت: 1281)

ومنهم: الفقيه النحوي، العلامة المسن البركة؛ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد الفلالي؛ المدعو: حمارة.

[1] الحروف المائلة: إشارة بحساب الجمل إلى تاريخ وفاته.

كان – رحمه الله – فقيها نحويا – والنحو أغلب عليه – يدرس فيه ألفية ابن مالك، ومقدمة ابن آجروم، ويحسن تدريسهما، ويفتي مع ذلك. وكان مسنا. حج بيت الله الحرام، وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، وانتفع به في هذه الحضرة جماعة من الطلبة والأعلام؛ منهم: سيدنا الوالد؛ أخذ عنه مقدمة ابن آجروم.

توفي بفاس سادس عشر شوال سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف، ودفن بالروضة المذكورة؛ قبلة من صاحب الترجمة قبله، ولم يخلف ولدا؛ لكونه كان عقيما [207].

[659- الإمام العارف المربي سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي]
(ت: 903)

ومنهم: الشيخ الإمام، الصوفي الهمام، العلامة الناسك، المربي السالك، القاطع لعقبات النفس، الواصل لمقام الأنس، العارف بالله، الدال بحاله ومقاله على الله، شيخ الجماعة التباعية بفاس؛ أبو الحسن سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي الغرناطي.

كان – رحمه الله – أحد رجال الطريق، تربية وتحكيما وسلوكا، وإفادة بالهمة، وتلقينا.. .أخذ ببلاد الأندلس عن رجالها، واستفاد منهم، وتأدب بآدابهم، وتربى – في الجملة – بهم.

ثم رحل إلى هذه الحضرة، واستقر بها، متجرا بحانوت بسوق القيسارية، إلى أن قدم الشيخ التباع إلى فاس؛ فاجتمع به بها، وأخذ عنه، ولقنه الشيخ التباع ما لقن، واستمد منه صاحب الترجمة وتنور، وبسببه تكمل وتصدر، وأذن له في جمع الفقراء وتربيتهم، وتأديبهم وإفادتهم.

ثم بعد رجوع التباع إلى مراكش؛ رحل إليه صاحب الترجمة من فاس مرارا وزاره هنالك، واتخذ بفاس زاويته التي كانت مشهورة بوادي الزيتون، وكان له بها تلامذة وأتباع، ظهرت عليهم آثار بركته وصحبته.

وقد ترجمه غير واحد؛ كصاحب "المُمتع" قائلا ما نصه: «ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي؛ شيخ عارف جليل، قال في "المرآة": وهو من أهل غرناطة، وكان يطلب شيخا يلقي إليه قياده، فكان يقال له: شيخك في العُدْوَة؛ فانتقل إلى فاس، وفتح بها حانوتا في القيسارية، ثم قدم إليها من مراكش شيخ المشايخ: أبو محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار؛ الشهير بالتباع، ونزل بمدرسة العطارين، وقعد في وسط قبتها، وانحشر أهل فاس للتبرك به، وجاء الشيخ أبو الحسن في آخرهم، فحين قرب من الفصيل الذي ينفذ منه إلى الصحن؛ قام إليه الشيخ سيدي عبد العزيز يتخطى الناس؛ فتلقاه وأخذ بيده، وصعدا في درج المدرسة، فمكثا هنيئة، ونزل وطلب

الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب، فطلب منه الناس الإقامة؛ فامتنع وقال: إنما جئت لأداء أمانة كانت عندي لربها، فقد أديتها إليه! . وانصرف رضي الله عنه)).

((وكان الشيخ أبو الحسن حين جاءه نزل من حانوته، ورفع المغلاق الأسفل فقط، على نية الرجوع قريبا، فلما لقي شيخه؛ كان ذلك آخر عهده بالحانوت؛ فلم يعد إليه، وتأهل من حينه للمشيخة، واتخذ زاوية للفقراء في وادي الزيتون من عدوة الأندلس من فاس حرسها الله، وهي معروفة إلى الآن، إلى نظر حفدة الشيخ سيدي محمد الصغير السهلي)).

((وتوفي في حياة شيخه أبي محمد عبد العزيز، وصحبه خلق ظهرت عليهم آثار الخصوصية، وتأهل كثير منهم للمشيخة، وأكثرهم [208] أندلسيون، ودفن كثير منهم ومن تلامذتهم معه في روضة واحدة؛ تعرف بروضة الأنوار، خارج باب الفتوح من أبواب فاس، وبمقربة منها إلى جهة المدينة: روضة الشيخ أبي ميمونة دراس بن إسماعيل - رحمهم الله، ورضي عنهم، ونفعنا ببركاتهم)). انتهى.

[660- استطراد بترجمة الإمام العارف المربي مولانا عبد الله بن محمد الغزواني (دفين مراكش)]

(ت: 935)

وناهيك من شيخ حصل في شبكته الشيخ الإمام، العلامة الهمام، الصوفي المحقق، الكامل المدقق، بركة العصر، وإمام الدهر، شيخ المشايخ، العارف بجلال الله وجماله، الداعي إلى حضرة الربوبية بجميع أقواله وأحواله، ذو المقامات السنية، والأحوال المرضية، والهمم العلية، والإشارات الخفية، والمواهب الربانية، والأسرار العرفانية، سيد أهل زمانه، وفريد عصره وأوانه، القطب الغوث الجامع، الوارث الرباني؛ أبو محمد مولانا عبد الله ابن ولي الله سيدي محمد؛ المدعو: عجال، الغزواني؛ منسوب إلى غزوان: قبيلة من العرب بالمغرب، ومن الناس من يجعل نسبه علويا .

فإنه على يديه كان فتحه في خبر يحسن ذكره؛ وهو: أن الشيخ أبا محمد الغزواني كان في أول أمره يقرأ العلم في مدرسة الوادي بعدوة الأندلس من فاس، وكانت جماعة من الفقراء تجتاز في عشية الخميس بباب المدرسة، فتساءل الطلبة فيما بينهم إلى أين يجتازون؟!، فقال بعضهم: ((لزاوية قريبة هناك))، فقالوا: ((هل لكم في المبيت معهم؛ فنتفرج في حضرتهم - أي: السماع - ونشبع من الكسكسو[1] عندهم؟!)).

---

[1]. طعام مغربي مشهور يصنع من الدقيق المفتول، وتضاف إليه الخضروات واللحم.

فساروا إلى الزاوية بهذا القصد، وفيهم الشيخ سيدي عبد الله الغزواني، فلما أخذ الفقراء في الذكر، دخل معهم فيه، فأدركه في باطنه أمر عظيم قال: إنه كشف له فيه من العرش إلى الفرش. ويقال: إنه غسل أيدي الفقراء بعد الطعام، وشرب الماء الذي غسلوا فيه أيديهم.

فلما نزل به ما نزل؛ جلس بين يدي شيخ أولئك الفقراء؛ وهو: الشيخ أبو الحسن علي صالح – صاحب الترجمة – وقص عليه قصته، وطلب منه أن يقبله مريدا؛ فقال له الفقراء: «يا سيدي؛ اقبله»، فقال لهم: «هذا عربي قوي – بالقاف القريبة من الكاف؛ كما ينطق به أهل الأندلس – بل أبعثه للشيخ!». فبعثه لمراكش لشيخه؛ شيخ المشايخ، وجبل الفضل الشامخ، أستاذ الأكابر، وجُرْثومَة المفاخر، بحر العرفان، ومجمع المآثر الحسان، العالم العامل، والسيد الكامل، قطب وقته ووارثه وغوثه النفاع، وإمام أيمة الطريقة في عصره من غير اختلاف ولا نزاع؛ أبي محمد وأبي فارس سيدي عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتباع، ويعرف – أيضا – بالحرّار؛ نسبة إلى صناعة الحرير، إذ كانت حرفته في أول أمره [209].

فرحل إليه، ولازمه وخدمه، وكان من أمره ما هو مشهور، وفي غير ما ديوان من دواوين الأيمة مذكور، وقد قال بعضهم: «كان الشيخ أبو عبد الله الغزْوَاني آية من آيات الله في ملكه، وبهجة عقد الأولياء وواسطة سلكه، بحرا لا يجارى، وسيفا صارما لا يبارى، له الكرامات الكثيرة، والمنازلات العظيمة الشهيرة، بلغ بها التواتر في أقصى البلاد، ولم تزل متداولة بين العباد، وأخباره لا تحصى، ومناقبه لا تستقصى».

وقال الشيخ القصار: «كان سيدي عبد الله الغزْوَاني من كبار المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه يُزَغرت[1] حين ظهر هلال ربيع النبوي – على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام – وكان سائر المشايخ من أصحابه – كأبي الحجاج التليدي، وأبي البقاء عبد الوارث بن عبد الله، وأبي الحسن علي بن عثمان... وغيرهم – يصرحون بقطبانيته، وكتب إليه الشيخ ناصر الدين اللقاني من مصر يسأله عن القطب: أين هو؟. فكتب إليه يشير إلى نفسه، فلما بلغه الجواب؛ قال لحاضريه: هذا صاحب الوقت؛ فمن أراد لقاءه؛ فليتوجه إليه!».

---

[1] أي: يزغرد.

« وكان يطلق على نفسه اسم السلطنة، ويسمي نفسه سلطانا، وسمع مرة امرأة تزغرت على السلطان وهو مار في الطريق، فقال لها: علي فلتزغرتي يا بنت الحزينة، أنا سلطان الدنيا والآخرة!.
وقال مرة للفقراء من أصحابه: إذا قيل لكم من زاهدكم؟؛ فقولوا: سيدي رَحّال الكَوش. وإذا قيل لكم: من عابدكم؟؛ فقولوا: سيدي علي بن إبراهيم. وإذا قيل لكم: من مجذوبكم؟؛ فقولوا: سيدي محمد بن داود. وإذا قيل لكم: من مائدتكم؟؛ فقولوا: سيدي عبد الكريم الفلاح. وإذا قيل لكم: من عالمكم؟؛ فقولوا: سيدي سعيد بن عبد النعيم. وإذا قيل لكم: من سلطانكم؟؛ فقولوا: سيدي عبد الله الغزواني! ». هـ.

وله - رضي الله عنه - كلام في الطريق نظما ونثرا، إلا أنه غامض؛ لا يفهمه إلا من فُتِحَ عليه، وكان يقول لأصحابه - محذرا لهم من الاغترار بكل ناعق: « يا فقراء؛ اختاروا الفقراء في الفقراء! »، ويقول لهم محذرا من الدخول في الفضول، حاضا على الاشتغال بما يعني: « الدنيا بسلاطينها، وقضاتها، وحكامها، وكذا وكذا - يعدد أهل الخطط إلى أن يقول - وفقرائها - يعني: أهل الفضول - وأنتم ها - ويريهم السبحة - لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم! ».

وكان شأنه: ملازمة الذكر والذكرى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ووقعت له الإجابة في سائر أقطار المغرب، وخلف المئين من المشايخ [210]، وكان لسان الحال لديه أفصح من لسان المقال، وصاحب أحوال؛ تصدر منه أمور غامضة لا يسلمها إلا من أيده الله أو كان من أهلها، فكان حاله في ذلك كحال الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب - رضي الله عنه - وكان إذا رأى من يتحرك في حلقة الذكر أو يقصر في خدمة؛ يضربه بعصا لا تفارقه، وكل من يضربه يفتح الله عليه في الحال!.

وضرب مرة الشيخ سيدي أبا محمد عبد الله الهبطي ضربة فوق حاجبه هشمت العظم، وكانت تثور عليه إلى آخر عمره، وكان الهبطي المذكور يقول: « كل ما فتح الله به علي إنما هو من بركة سيدي أبي محمد الغزواني! ».

وكان والده الشيخ الولي أبو البركات سيدي عَجّال يقول قبل ظهوره: « عندي ابن تركته يقرأ العلم؛ سيكون له شأن، وله من الأتباع عدد ما في صابة الزبيب من حبوب، كبيرها حلو، وصغيرها حلو! ».

توفي - رحمه الله - سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بحومة القصور داخل مراكش، وبنيت عليه قبة حافلة، وهو مزارة عظيمة مشهورة - رضي الله عنه - راجع ترجمته في "الدوحة"، و"المرآة"، و"الممتع" . . . وغيرها.

[661- استطراد بترجمة الإمام العارف المربي سيدي عبد العزيز التباع]
(ت: 914)

[662- والشيخ العارف سيدي محمد الصُّغير السهلي]
(ت: 918)

وأما شيخه التباع؛ فأفعمت أقطار المغرب أنواره، وملأت صدور رجاله معارفه وأسراره، وكان في الإمامة والجلالة بمكانة يعز عن الوصف بلوغ مداها، ويعلو على ارتفاع الشأن وشهرة الصيت نداها، حتى كان يلقب في الأقطار المراكشية بسيدي عبد العزيز الشيخ الكامل، وكان يقال: النظرة فيه تغني.

ووصفه شيخه الشيخ القطب أبو عبد الله سيدي محمد ابن سليمان الجزولي "بالكيمياء"؛ وذلك أنه: خدمه مدة، وفتح له على يديه، فلما حان أجله؛ أوصى به كبير أصحابه؛ وهو: الشيخ الكبير، العارف الشهير، أحد الأفراد الكاملين، وذوي الهمم العلية من الواصلين؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) الملقب من شيخه بالصُّغير - بالتصغير - العَمْري (بفتح فسكون)، المعروف بالسَّهْلي، المتوفى عن سن عالية جدا سنة ثمان عشرة وتسعمائة بمنزله من خندق الزيتون، قرب وادي اللبن من القبيلة الحَيَّانيَّة، وقبره هناك معروف مشهور مشهود، معظم محترم، لا يقدر أحد على هتك حرمته؛ لما يعلم من بطشه بمن تجاسر على حرمه وصولته، وقد بنى عليه روضة الشيخ سيدي أبو محمد عبد الله الغزواني.

وكان السهلي - هذا - مقصودا للزائرين، ووجهة للطالبين، أحد كبار الأولياء، وصدور الأصفياء، يصطاد الرجال بهمته، ويتصرف فيهم بنظرته، وكان يغني بالنظرة، وهو صاحب النسخة السهلية من "دلائل الخيرات"؛ وهي أصح نسخه وأعلاها.

فقال له: «يا صغير؛ الله الله في عبد العزيز، فإن عبد العزيز كيمياء!»، فسار إليه بعد موت [211] الشيخ، وخدمه سنين بمنزله من خندق الزيتون، إلى أن أطلقه من ثقاف الإرادة، بعدما ظفر منه بالحسنى والزيادة، فسار حتى استقر بوطنه مراكش، وأقبل الناس إليه من كل مكان، وعمر خبره من المغرب الزوايا والأركان، واشتهرت كرامته، وانتشرت تبعته، وكان وارث حال شيخه الجزولي، وشيخ الجماعة في وقته.

وكان يلقن: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو ذكر سيدي رضوان الجنوي، ويربي أصحابه "بالمباحث الأصلية"؛ للشيخ العارف ابن البنا السرقسطي، وكان شيخه الجزولي يربيهم بقصيدة الشيخ أبي الحجاج الضرير في أصول الدين، والغزواني يربيهم بقصيدة الشيخ الشريشي.

توفي – رحمه الله – سنة أربع عشرة وتسعمائة، وقبره بمراكش، مزارة عظيمة مشهورة بالموضع المعروف بـ: "بين الثلاثة فحول". يزدحم عليه الرجال والنساء، وأثر الجمال ظاهر عليه – رضي الله عنه ونفعنا به.

[عودة إلى بقية أخبار صاحب الترجمة سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي]

وتوفي تلميذه – صاحب الترجمة – حسبما ذكره في "الابتهاج": ثالث وعشري جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعمائة، ودفن بروضة الأنوار الكائنة بهذا الخارج يسار الطريق الطالعة لسيدي علي حَمَّامُوش، قريبا منه، وضريحه بها بإزاء الطريق المذكورة قبلة من قبة سيدي عبد العزيز الدباغ، وكانت عليه قبل هذا الوقت قبة، ثم إنها سقطت، وبقي أساس سواريها الأربع، ثم سقط ذلك أيضا، وخيف على قبره التلف؛ فبنى عليه بعض من ابتغى الأجر قوسا كبيرا، وكتب بوسطه في زليج ما نصه: «الحمد لله وحده؛ هذا ضريح الولي الأشهر، العارف الأكبر؛ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي. توفي – رحمه الله – في جمادى الأولى عام ثلاثة وتسعمائة». هـ. وذكر غير واحد أن: الدعاء عند قبره مستجاب، وأن ذلك: مما جرب فصح.

وله – رحمه الله – تأليف في "التصوف" نقل عنه كثير من الأئمة.

وزاويته المشار إليها فيما تقدم؛ قال بعضهم: «هي: الثالثة عن يسار الداخل للدرب المعروف بوادي الزيتون، وبقربها دار سكناه، ودار أخرى لطبخ الطعام للزائرين، ودار أخرى لنزول الإخوان الواردين عليه والزائرين ونحوهم، وأروى لطرح الأعواد والأثقال ونحوها، وأخرى لربط بهائم الضيفان والزائرين. وكانت الزاوية المذكورة عامرة في حياته، واستمرت عَمَارتها بعد وفاته بأصحابه وأتباعه، سالكين طريقته ومتبعين سبيله، إلى أن خلت في مجاعة عام خمسين ومائة وألف؛ فحينئذ سدت، وبقيت على حالها نحو عشر سنين، ثم سقطت وخربت. والبقاء لله وحده، وقد انقرض عقبه بموت آخرهم في عام المجاعة المذكورة». هـ. والأمر لله [212] ما شاء فعل.

[663– العارف سيدي أحمد بن قاسم الأندلسي الشَرَفي] (ت: 953)

ومنهم: الشيخ الولي الصالح، المحقق الكامل الناصح، صاحب التوحيد الذوقي، والمعرفة الحقيقية الوجدانية، العارف بالله تعالى؛ أبو العباس سيدي أحمد بن قاسم الأندلسي الشَرَفي (بفتح الشين والراء)؛ نسبة إلى الشَرَف: من سواد إشبيلية بالأندلس.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي، عن الشيخ التباع.

وأخذ عنه هو: الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي؛ والد الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي. قال في "المرآة": «صحبه بفاس، وكان يقصده من القصر للزيارة والسلوك على يديه؛ فانتفع به، وظهرت عليه بركاته؛ فهو قدوته في الطريق، وعليه عول فيها». هـ.

توفي رحمه الله – كما ذكره في "الابتهاج" – في صفر سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، ودفن بروضة شيخه المذكور.

[664– سيدي أحمد الحسّاني]
(ت: 950)

ومنهم: الشيخ الكبير، الولي الشهير؛ أبو العباس سيدي أحمد الحساني الأندلسي؛ من أصحاب الشيخ أبي الحسن علي صالح الأندلسي المذكور.

وذكره في "الابتهاج" في جملة من ورثهم الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب قائلا ما نصه: «وممن ذكر أنه ورثة: الشيخ الجليل، المتوجه إلى الله بأسراره، المتخلص من أغباره؛ أبو العباس أحمد الحساني؛ دفين خارج باب الفتوح من فاس. وتوفي سنة خمسين وتسعمائة». ثم ذكر أنه أخذ عن الشيخ أبي الحسن المذكور، ثم قال: «وسمعت من غير أهل العلم أن سيدي الحساني أخذ عن الشيخ الغزواني. ولا علم لي بصحة ذلك». هـ.

وممن أخذ عنه هو وانتفع به: الشيخ أبو الحسن علي فَنْدَرِيرُو القصري، والشيخ أبو علي منصور الهرَوي؛ دفين سلا، والشيخ سيدي علي الجناح، والشيخ سيدي علي البحري، والشيخ سيدي محمد بن أحمد الغماري؛ شيخ سيدي أحمد حبيب؛ دفين هذا الخارج، وضريحه – رحمه الله – بالروضة المذكورة مع شيخه المذكور. ورأيت في بعض التقاييد أنه: يحكى أن بعض الناس وقف على قبره ليُطلع نعليه في رجليه قائلا: يا سيدي عبد القادر الجيلاني! . فقيل له من داخل القبر: «هذا الذي وضعت نعلك عليه أكبر من الشيخ عبد القادر!»، نفعنا الله بجميعهم.

[665– سيدي جناح]

ومنهم: الشيخ الصالح، والنور الواضح؛ أبو البركات سيدي جناح. ذكر في "الروضة"، و"الممتع" و"الطرفة"... وغيرها أنه: من أصحاب الشيخ سيدي علي صالح الأندلسي، وذكر الأول والثاني:

أنه دفين روضة الأنوار؛ التي هي: روضة شيخه المذكور. وانظر: هل هو سيدي علي الجناح الذي قدمنا أنه أخذ عن سيدي الحساني؛ فيكون أخذه عنه بعد وفاة شيخه المذكور، أو هو غيره؟.. والله أعلم.

[666- سيدي عبد الحق السَّهلي]

(ت: القرن العاشر)

ومنهم: الشيخ الكبير، والولي الصالح [213] الخطير، أبو محمد سيدي عبد الحق السَّهلي؛ أحد عقب سيدي محمد الصُغير (بالتصغير) السهلي؛ دفين القبيلة الحيانية من أصحاب أصحابَ الشيخ سيدي علي صالح الأندلسي، ودفين روضته.

وتُذكر له كرامات، وأمور من خوارق العادات، وما ذكرناه من أن اسمه: عبد الحق؛ جزم به في "الروض" وغيره، وذكره بصيغة الترجي في "مَتع الأسماع"، ونصه: « ومن أهل روضة الأنوار: سيدي السهلي؛ أحد عقب سيدي الصُغير السهلي، ولا أعرف اسمه ولا شيخه منهم، ولعل اسمه: عبد الحق، وإليه تنسب زاويتهم التي بالزيتون، وقبره بالروضة المذكورة ». هـ.

وإليه وإلى من قبله من أهل هذه الروضة يشير المُدرَّع في منظومته بقوله:

وارجع بـنا لـروضـة الأنـوار	لـذكـر جملـة من الأخيـار
شيخهم: الشيخ الجليل الواضح	وهُـو سيـدي علـيٌ صالـح
بـقربـه التلميـذ ذو المكـارم	الشَرقي أحمـد نجـل قاسِـم
والسيـد السهلـيُ عبد الحـق	لـه كرامـات بـدت في الخَلـق
وسيـدي جـنـاحُ المُدانـي	لـه كـذاك أحمـد الحسَانـي

وقد كان على كل واحد من هؤلاء المذكورين وممن معهم من إخوانهم في الشيخ وأتباعهم قوس مبني؛ فسقط ذلك في سنة من السنين المتقدمة كان فيها مطر غزير؛ فجاء السيل؛ فهدمها. نبه على ذلك في" الروض".

[667- سيدي علي البحري]

(ت: 980)

ومنهم: الشيخ الناصح، والولي الصالح؛ أبو الحسن سيدي علي البحري الأندلسي.

ذكر الشيخ أبو زيد الفاسي في "بستان الأذهان" أنه: دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح، قال: « وهو وسيدي علي فندريرو، وسيدي علي الجناح، وسيدي منصور الهروي، وسيدي محمد الغماري – صاحب زاوية المخفية – كلهم أخذوا عن سيدي أحمد الحساني، عن سيدي علي صالح عن سيدي عبد العزيز التباع ». ذكر هذا لما تعرض لذكر زاوية العارف الفاسي التي بأول القلقليين، وأن أصلها في القديم: دار لصاحب الترجمة. قال: « وكان بها بيت واحد فقط، وفي وسطها شجرة من الإنجاص المعروف بالكمثري، ثم تهدمت لما مات في حدود الثمانين وتسعمائة، ثم صارت طرازا، ثم سقط سقفه وخلا في الغلاء الذي كان سنة أربع عشرة وألف، فبقي متهدما إلى سنة سبع وعشرين؛ فوهب للشيخ – يعني: العارف بالله أبا زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي – فبناه زاوية ». انتهى.

[668– سيدي الزيتوني]

ومنهم: الشيخ سيدي الزيتوني. من أصحاب سيدي علي صالح الأندلسي، أو أصحاب أصحابه. وهو معه في روضته، وكان على ضريحه قوس فسقط. ذكره في "التنبيه" [214].

[669– سيدي أحمد الأندلسي]

(ت: القرن العاشر)

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة الواضح؛ أبو العباس سيدي أحمد الأندلسي.

ذكره المرابي في "تحفة الإخوان" استطرادا؛ فقال ما نصه: « وحكي أن رجلا دخل يوما على الشيخ سيدي أحمد الأندلسي – الذي كان يسكن بباب النقبة، وقد أدركه ورآه، كان رجلا ملامتيا من أهل الله تعالى، يقال: إن له كرامات كثيرة – فقال له: يا سيدي؛ أردت الحج، وأردت أن يكون معك! . قال: فحرك رأسه وأطرق به إلى الأرض – وكان من عادته إذا فعل ذلك أن يقول شيئا – فرفع رأسه، وقال مغنيا:

سر أنت للحج والزيارة	ودعني في سكري نتهمل
فكم من حجة مشت خسارة	النية ابلغ من العمل

قال: « وسكت ولم يقل بعد شيئا – رضي الله عنه ونفعنا به ».هـ. والإمام المرابي هذا: كانت وفاته سنة أربع وثلاثين وألف، وكان شروعه في التأليف المذكور – حسبما أخبر به هو في أوله – يوم الجمعة الثامن عشر من صفر عام اثنين وتسعين وتسعمائة بفاس، وهذا يدل على أن صاحب الترجمة من أهل القرن العاشر. والله أعلم.

وقد ترجمه في "الروض" بما نقلناه عن المرابي، وذكر أنه دفين هذا الخارج قرب روضة الأنوار، وأشار إليه المدرع في منظومته فقال:

وأحمد الأندلسي بقربه زفرُفة؛ نعم الفتى أعْظِمْ بِهِ

تنبيه وفائدة

[في حكم حج أهل المغرب عن طريق سفن النصارى]

تنبيه وفائدة: نص غير واحد على أن الحج لا يجب على أهل المغرب؛ لفقدهم الاستطاعة التي هي من جملة شروط وجوبه. بل قد يكون حراما في حقهم إذا علم أنه يؤدي إلى ارتكاب محرم، أو تضييع واجب.

وقد كان ورد السؤال على فاس الغراء من حضرة مراكش الخضراء، من سيدنا أمير المؤمنين، وظل الله على العالمين، السلطان ابن السلطان ابن السلطان: أبي فارس مولانا عبد العزيز ابن مولانا الحسن ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الرحمن، في السنة التي قبل هذه[1]؛ وهي: سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف، عن قوم أرادوا الذهاب لحج بيت الله الحرام، والحال أن أجناس النصارى – دمرهم الله – اتفقوا على التنكيل البالغ بمن يحج في هذه السنة من الأنام، فهل يُمَكَّنُون منه والحالة هذه؛ أم لا؟.

وقد كتبت في ذلك كتابة أحببت أن أذكرها ها هنا حفظا لها من الضياع، وحرصا على عموم الانتفاع. نصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده، وعلى آله وأصحابه والذين [215] أتوا من بعده، أما بعد؛

فمما هو ضروري لدى كل إنسان، ومعلوم حتى عند صغار الولدان، أن الحج أحد أركان الإسلام، وقاعدة من قواعده المجمع عليها بين الأنام، وأنه من الفروض العينية، على كل من له استطاعة من البرية، قال تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾. [آل عمران: 97]، وقال عليه السلام: «بني الإسلام على خمس. . .إلخ ». وقال: «إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام »، وقال: «الإسلام ثمانية أسهم »، وذكر منها حج البيت، وقال: «من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج؛ فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا! ». وقال: «يقول الله

([1]) في هذا الموضع إشارة إلى تاريخ كتابة هذا القسم من الكتاب؛ وهو: عام 1315هـ.

عز وجل: إن عبدا صححت له جسمه، وأوسعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أعوام ولا يفد إلي؛ لمحروم!». وقال: «لو أن الناس تركوا زيارة هذا البيت عاما واحدا؛ ما أمطروا! ». وفي رواية: «ما أنظروا ». أي: ما أخر العذاب عنهم.

ومما هو معلوم - أيضا - أن من جملة الاستطاعة: وجود ما يكفي من البضاعة، والأمن على النفس والمال والدين، ومن أن يُفعل به ما يخل بمروءته أو يشين، وأنه متى فقدت؛ فقد الوجوب والانبرام، وخلفه غيره من بعض الأحكام، فإن علم - أو غلب على الظن - مع فقدها تأديته إلى مكروه؛ كره. أو إلى حرام؛ منع. أو عدم تأديته إلى واحد منها؛ ندب وشرع.

ومن المعلوم في هذه الأزمان الأخيرة، تأديته بالنسبة لغالب العوام إلى محرمات كثيرة:

منها - وهو أشنعها: تلفظ كثير منهم عند جريان بعض المحن عليهم بما هو عين الكفر، أو ربما آل إليه.

ومنها: تضييع الصلوات، والجهل بأحكام كثير مما يعرض في السفر من العبادات.

ومنها: الركوب في مراكب أعداء الدين، والكفرة المعتدين، حيث يعلم أنه تجري أحكامهم بالإهانة عليه، وأنهم يتوصلون بشيء من الأذى بالفعل إليه.

وإلا؛ فإن شك في ذلك؛ فعند الأئمة - حينئذ - نزاع هنالك. فقال الأبي في شرح مسلم ما نصه: «وأما ركوبه في مراكب النصارى التي الراكب فيها تحت نظرهم؛ فلا يجوز ».هـ. ونحوه لغير واحد. وقال بعضهم: «إن تحقق جريان أحكامهم عليه؛ حرم ركوبه في مراكبهم، وإن لم يتحقق ذلك؛ فقولان: بالكراهة والتحريم ».هـ.

وقال الشيخ أبو العباس القبَّاب: «أكثر الأشياخ على النظر فيما ينال منه: فإن كان يؤدي إلى أن يكره على سجود لصنم أو إذلال للإسلام؛ لم يجز. وإلا؛ كره. قال: وهذا القدر لم تجر به [216] العادة في مراكبهم ». هـ.

وقال الشيخ زروق في شرحه لحزب البحر، لما تكلم على ركوب البحر، وأنه ممنوع في خمسة أحوال؛ ما نص المراد منه: «الرابعة إذا: أدى ركوبه للدخول تحت أحكامهم، والتذلل لهم، ومشاهدة مناكرهم، مع الأمن على النفس والمال بالاستيثاق منهم. . . قال: وهذه حالة المسلمين اليوم في الركوب مع أهل الطرائد ونحوهم. وقد أجراها بعض الشيوخ على مسألة التجارة لأرض العدو، ومشهور المذهب فيها: الكراهة؛ وهي: من قبيل الجائز. وعليه؛ يحمل ركوب أئمة العلماء والصلحاء معهم في ذلك وكأنهم استخفوا الكراهة في مقابلة تحصيل الواجب - الذي هو: الحج وما في معناه ».هـ.

وإذا علم هذا؛ فالمرء في السفر للحج فقيه نفسه؛ فليعمل فيه ما يحمده عند حلول رَمْسه، فإن كان يعلم أو يظن عدم السلامة من ارتكاب بعض المحرمات؛ لم يجز له الإقدام عليه - لا في الحالَ ولا في الآتِ - وإلا؛ لزمه مع فرض وجود الاستطاعة، وكان في سعة عند عدمها؛ كقلة البضاعة، وما ذكره الطُرطوشي وغيره من إطلاق أن الحج على أهل المغرب حرام؛ رده غير واحد من الأعلام. ويكفي في رده: تمالؤ من لا يحصى من علماء المغرب وصلحائه، ومن يقتدى بفعله على عدم قبوله وإلغائه. على أنه إنما قال ذلك في الطريق البعيدة البرية، التي كان الناس يتحملون فيها أنواعا كثيرة من الأمور المدهية. وقد قرب الحال جدا في هذه الأزمان بما حدث من الذهاب في البحر في هذه المراكب النارية الحسان، وارتفعت به أنواع من المشاق الكثيرة، والمخاوف العظيمة الخطيرة، لولا أنه تكدر صفو ذلك، بجريان أحكام أهل الشرك هنالك، ويجري فيه ما تقدم من التفصيل والخلاف، لدى كل متسم بسمة الإنصاف وترك الاعتساف.

قال العلماء رضي الله عنهم: والناس موكولون في هذه العبادة - التي هي: عبادة الحج - إلى ما حُمّلوه من الأمانة، ويُرَدّون في فعلها وتركها إلى ما عندهم من اليقين والديانة، بيد أنهم يعلمون منها ما جهلوه، والله حسيبهم بعد ذلك فيما عملوه، إلا إذا تمالئوا على الترك في جميع الأقطار، ومن سائر النواحي والأمصار؛ فعلى الإمام - أو غيره من جماعة المسلمين - تعيين طائفة من المحتسبين، لتذهب إلى ذلك المقام، لإقامة الموسم في كل عام، وإلا؛ إذا تحقق أو غلب على الظن أنه يلحقهم بالسفر لها مكروه شديد، أو يقعون بسببه في وبال عظيم ونكال مبيد؛ فللإمام - حينئذ - أن يمنعهم منها في العام الذي يظن فيه حصول ذلك، بل ذلك من النصيحة الواجبة عليه هنالك، كما ذكر سيدنا - حفظه الله - فيما أخبر به نائبه بطنجة عن هذا العام [217]، وما يحصل فيه من البأس العظيم العام، والله يحفظ به الإسلام، ويبقيه ملجأ للأنام، ويجعل النصر على يديه، ويحمي بيضة الدين به ولديه، آمين. . . السلام. قاله وكتبه محمد بن جعفر الكتاني. لطف الله به. . . آمين.

[670- الشيخ العارف الشريف سيدي محمد بن عبد الله أمْغار]

(ت: القرن العاشر)

ومنهم: الشيخ الولي الجليل، الصالح الحفيل؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الشريف الحسني الإدريسي؛ المعروف بأمغار، من السادات الأمغاريين أهل عين الفطر، المسماة بتيطنفطر. وتعرف الآن بتيط. وهم - على ما هو التحقيق في نسبهم - شرفاء أدارسة، من ذرية عبد الله بن إدريس رضي الله عنهما. وقد وسمهم بالشرف جماعة من الأئمة؛ كما في "الممتع" وغيره. قال الشيخ أبو علي سيدي الحسن ابن رحال في "الروض اليانع": «ونقل أنهم - رضي الله عنهم - دعوا على من طعن في نسبهم الشريف بقطع عقبه؛ فليحذر الإنسان من الوقوع في مثل ذلك!». هـ.

[671- استطراد بترجمة الإمام الشريف أبو عبد الله محمد بن إسحاق آمغار (الكبير)]

وآمغار: لفظة بربرية، ومعناها عندهم: الشيخ. لقب بها جدهم: القطب الكامل، والعارف بالله الواصل، الشيخ الشهير، والقدوة الظهير؛ أبو عبد الله سيدي محمد آمغار الصنهاجي دفين أزمور، ويعرف بآمغار الكبير والأكبر. وهو: ابن الشيخ أبي جعفر سيدي إسحاق بن إسماعيل بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين (مصغرا) بن عبد الله بن إبراهيم بن يحيى بن موسى بن عبد الكريم بن مسعود بن صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن تميم بن ياسر بن عمر بن يحيى بن أبي القاسم بن عبد الله بن إدريس باني فاس - رضي الله عنهم. هكذا وجد هذا العمود الشريف في شجرة قديمة بخط قديم، محفوظة عند حفدة أبي عبد الله آمغار المذكور.

وما يوجد في بعض المقيدات مما يخالفه؛ لا صحة له، وهو من الخطأ الصراح.

وكان أبو عبد الله هذا قُطْبا جامعا، وشمسا ساطعا، ويقال: إنه كان من الأبدال، ومن أقران أبي شعيب أيوب السارية. ووالده أبو جعفر من أقران أبي يَنُور.

وهو - أعني: أبا عبد الله - رئيس الطائفة الصنْهاجية، وكان له أولاد سبعة تولوا مقام البَدَلِيَّة؛ وهم: أبو سعيد عبد الخالق، وأبو يعقوب يوسف، وأبو مَحمد عبد السلام العابد، وأبو الحسن عَبد الحي، وأبو محمد عبد النور، وأبو محمد عبد الله، وأبو عمر ميمون. ولذا يلقب أيضا بـ: أبي البدلاء.

[672- استطراد بترجمة العارف المربي الشريف أبو عبد الله محمد آمغار (الصغير)]

ومن ذريته: السيد أبو عبد الله آمغار الصغير. ويقال له أيضا: الأصغر. وهو: الشيخ الشهير، العارف الكبير، قطب دهره، وفريد عصره؛ أبو عبد الله سيدي محمد آمغار؛ الذي كان قاطنا برباط تيط؛ مأوى سلفه المبارك. وأخذ عنه الشيخ أبو عبد الله [218] سيدي محمد ابن سليمان الجزولي؛ لقيه ببلاد دكالة؛ فصحبه، وكان كثيرا ما يذكره باسم: الشيخ. في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب، وكان - رضي الله عنه - من أهل القطبانية أيضا، وأحد العباد والزهاد وأصحاب الكرامات الظاهرة.

ارتحل من بلاده مرارا، وساح في بلاد المغرب، وتلمذ له الجم الغفير، وهو من أهل القرن التاسع، ووفاته - والله أعلم - في أواسطه، وضريحه ببلاد آزَمُّور أيضا.

وبيتهم: قال في "أُنس الفقير": «أكبر بيت في المغرب في الصلاح؛ لأنهم يتوارثونه - أي: سلفا عن خلف - كما يتوارث الناس المال» اهـ. وقال في "المعْزَى": «ومازالوا إلى الآن يتوارثونه، والغالب

أنهم أعلام؛ إما في الصلاح والعلم، أو في الصلاح. ولا تجد من له نسبة حقيقية بهم إلا وتجد فيه خلة من الصلاح!)) .هـ.

وقد ترجم في "التشوف"، و"كفاية المحتاج" وغيرهما لجماعة منهم، ووصفوهم بكمال المعرفة والصلاح.

[عود إلى صاحب الترجمة من آل آمغار: أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله آمغار]

وصاحب الترجمة منهم: من أصحاب الشيخ القطب أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني؛ أحد أكابر أصحاب الشيخ زروق - رضي الله عنهم - عده من أصحابه جماعة؛ كصاحب "المقصد"، و"تحفة أهل الصديقية"، و"الطرفة"، و"جواهر السماط"، و"الروض"... وغيرهم.

قال في "الروض": ((وكان من الأكابر، حسبما شهد له بذلك بعض أرباب البصائر لما مر بقبره، وكوشف بأمره)) .هـ. وكأنه يعني به: الشيخ العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله مَعْن الأندلسي. فقد نقل ذلك عنه في "المقصد" ونصه: ((وذهب - يعني: الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله المذكور - مرة لضريح الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله آمغار؛ دفين خارج باب الفتوح، من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني. فقال إنه: رجل قوي. وسأل عن اسمه. إذ لم يكن يعرفه)) .هـ.

ولم أقف على تاريخ وفاته؛ إلا أنه يؤخذ من أخذه عن "الملياني" أنه: من أهل القرن العاشر. لأن وفاة الملياني كانت سنة سبع، وقيل: تسع وعشرين وتسعمائة. والغالب أن وفاة صاحب الترجمة في أواسط هذا القرن. وضريحه قال في "الروض": ((خارج باب الفتوح، قرب روضة الأنوار)). رضي الله عنه، ونفعنا به.

[673- الشيخ المجذوب العارف سيدي علي بن أحمد الدَّوَّار الصنهاجي] (ت: 947)

ومنهم: الشيخ الصالح، المجذوب السائح، ذو الحال العظيم، والمدد الجسيم، المستغرق في بحار الحقيقة، الطالع بدرا في سماء الطريقة؛ الملامتي أبو الحسن سيدي علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي، ثم الفاسي؛ المعروف بالدَّوَّار؛ قيل: لأنه كان يدور في عطيته الأسرار والأحوال؛ فيستردها لأدنى سبب يقع من المريد أو دونه. وقيل: لكثرة ما كان يدور في الأماكن

والأسواق، وهو يصيح: الله. الله!. قال في "ممتع الأسماع": « وهذا هو [219] الأقرب في تلقيبه بذلك. قال: قيل: وكان يكره اللقب به ». هـ.

ولد - رحمه الله - بصنهاجة الكبيرة التي يقال لها: صنهاجة الحجر. وله بها سلف وفيهم أولياء، منهم: أبو جده والدِ أبيه المذكور. وخرج منها صغيرا، ثم دخل فاسا بعد مدة، وبقي بها إلى أن مات.

وقد ترجمه في "الدوحة"؛ فقال: « ومنهم: الولي الشهير، الشيخ أبو الحسن علي الصنهاجي؛ المعروف بالدوار. كان - رحمه الله - من عباد الله الصالحين، وولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح، وكان بُهلولا مجذوبا، على طريق الملامتية، تعتريه أحوال الجذب في كل حين، وليس له أهل ولا قرار، يخبر بالمغيبات، ويكاشف كثيرا ممن يلقاه، لا يلتفت إلى مدح ولا إلى ذم، يدخل ديار ملوك بني مرين؛ فيتلقاه النساء والأولاد، فيقبلون يديه وقدميه، فلا يلتفت إلى أحد، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة، والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه، فإذا خرج؛ تصدق بجميع ذلك. ويمر على حوانيت الزياتين، فيغمس أكمام الحلة التي تكون عليه ويبرقعها بالزيت أو بالسمن، ولا يزال يدور في بعض الأمكنة ويصرح باسم الجلالة. ولا يعرف له أحد مأوى. وشأنه عظيم عند أهل فاس؛ لما رأوا له من الكرامات التي لا تحصى. ولما توفي؛ تساقط الناس على جنازته، وتقاسموا أعواد نعشه وسجادته ولباسه، وكانت وفاته في آخر العشرة الخامسة - يعني: من القرن العاشر - ودفن خارج باب الفتوح، وحضر الناس جميعا - حتى السلطان والفقهاء وغيرهم - جنازته - رحمة الله عليه ». انتهى كلام صاحب "الدوحة".

ومن كراماته - رضي الله عنه - أنه: مر مرة بدار؛ فألقى يده تحت عتبة الباب العليا، وجعل يصيح: « يا أهل الدار اخرجوا. اخرجوا! »، فلما خرجوا كلهم ولم يبق بها أحد منهم؛ أزال يده؛ فسقط الحائط وسلموا جميعا.

ومنها: أنه دخل دارا بغتة قبل أن يستأذن أهلها؛ فوجد ربتها تغسل ثيابها وهي مشمرة ثيابها التي عليها؛ فكرهت دخوله عليها في تلك الحال؛ وإذا بصبي قد سقط من سطح الدار وفوق دخوله؛ فلقيه بيده، وأنزله إلى الأرض سالما، وقال للمرأة: « هذا الذي أدخلني! »، وخرج على طريقه سريعا.

ومنها: أنه كان يوما جالسا بباب مسجد القرويين، والناس يصلون، وهو يأكل الخيار. فاجتاز به رجل داخلا للمسجد يصلي، فقال في نفسه: « الناس يصلون وسيدي علي يأكل الخيار لا يصلي معهم! »، ثم دخل، فكان يصلي وخاطره يتحدث بشراء حمار احتاج إليه من سوق الخميس، وكان

ذلك اليوم يوم الخميس والصلاة صلاة الصبح، فلما خرج؛ ناداه [220] سيدي علي: «يا فلان: أكل الخيار خير من صلاة الحمار! ».

وله - رضي الله عنه - كلام على معاني حروف الهجاء وأسرارها. قال في "الممتع": «لم يحضرني». وذكره في "الروض"، وله - أيضا - أبيات تنسب إليه؛ وهي:

المـــوت أفنـــى مـــن مضـــى | والمـــوت يُفنـــي مـــن بقـــي
والمـــوت يجمـــع فـــي الـثـــرى | بيـــن المُنَعَّـــم والشـقـــي
يـــا مـــن أسـا فيــما مـضـــى | كـــن محســنا فيـما بقـــي!

وكان - رحمه الله - لا تحده الحدود، ولا يمنعه حائط ولا باب، وشوهد عند الكعبة - أعزها الله تعالى - مرارا، وكان صاحب وقته؛ له اليد العليا على أهل الغيب - حسبما تقتضيه حكايته المعلومة مع سيدي عبد الرحمن المجذوب - فإنه: لما لقيه صاحب الترجمة بباب القرويين النافذ إلى الشماعين؛ أقبل عليه، وأمسك به، وحركه، ثم دفعه؛ فإذا به بالبرج الجديد بوادي فاس، فمكنه من الخطوة وطي الأرض؛ فرأى الشيخ المجذوب في تلك الحال أن الشيخ سيدي عليا - صاحب الترجمة - رفعه من سرته على أصبعه - وأهل الله مجتمعون - وهو يقول لهم: «من أحبني؛ فليعط هذا! ».

وذكر في "الابتهاج" أنه: وقع في بعض كلام صاحب الترجمة ما يدل على أنه كان من الأبدال، وحلاه الشيخ المدرع في منظومته بالقطبانية؛ فقال:

ومنهم: القطب الجليل المجذوب | عليّ الدوار نعْمَ المحبـــوب
شيخ الشيـــوخ الجلـة الأعيـــان | مصباح أهـل السـر والعرفـــان

أخذ - رحمه الله - عن العارف بالله، الشيخ الصالح، المجذوب الملامتي؛ أبي النور سيدي إبراهيم بن علي آفحام (بالحاء، ويقال: آفهام بالهاء). الزرهوني؛ دفين جبل زرهون، وهو الوارث له - كما ذكره في "المقصد" وغيره - لأنه الذي ظهر بحاله من القوة في الجذب والغيبة في التوحيد، ولم يوجد متصف بذلك غيره، بل لم يعرف آخذ عن الشيخ سيدي إبراهيم سواه.

[674- استطراد بترجمة الشيخ العارف المربي سيدي عبد الرحمن بن عيّاد المجذوب] (ت: 976)

وأخذ عنه هو: الولي الكامل، العارف الواصل، عالي المقامات، وصاحب الكرامات، ذو الخصائص والمآثر العديدة، والمناقب والمفاخر الحميدة، والإشارة السنية، والهمة العلية، قطب زمانه

في الأحوال، ومُمد فحول الرجال، شيخ عصره، وأعجوبة دهره، أحد الأوتاد الأربعة؛ أبو العزم سيدي عبد الرحمن بن عياد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الأصل، ثم الفرجي الدكالي؛ الشهير بالمجذوب، واعتمد عليه، وانتسب في الطريق إليه. قال في "ابتهاج القلوب": «ويقال: إنه إنما لقيه الشيخ المجذوب مرة واحدة فقط، عند مسجد القرويين من فاس». هـ.

وكان الشيخ المجذوب هذا عظيم الحال [221]، باهر الخوارق، كثير الكرامات؛ بحيث عزت عن الحصر، وملأت الوجود، غزير المكاشفات. وكانت له الإغاثة في البر والبحر، ويمشي بالخطوة، حتى كان يقف في كل سنة بعرفات، وكان يجري في كلامه الإخبارُ عن اللوح المحفوظ ورؤية ما به.

وكان يرث المشايخ في وقته؛ وأول من ورث: شيخه سيدي علي الصنهاجي. وآخر من ورث: سيدي عمر اللواح السريفي. وكان صاحب ملامة - كما كان شيخه سيدي علي الصنهاجي، وشيخ شيخه سيدي إبراهيم أفحام - فكانت تجري على ظاهره أمور توحشُ الخلق؛ فينافرون عنه، وينكرون عليه بسببها، وهي في حقيقتها صواب، وصادرة من عين الجمع.

وكان يوصي بعدم الاقتداء به فيما يخرج به عما يعرفونه من ظاهر الشريعة، مما يجبره عليه وارد الحقيقة، وكان مردودا عليه للشريعة، مترسما برسمها، مقيما لوظائفها، سؤولا عنها، متبعا للسنة، عاملا بها. ومناقبه كثيرة، وفضائله وأحواله وأخباره لا تنحصر، حتى إنها أفردت بالتأليف.

توفي - رحمه الله - وسط ليلة الجمعة - وكانت ليلة عيد الأضحى - بمجسر من مجاسر بلاد عوف، فساروا به إلى مكناسة الزيتون، ودفنوه بها خارج باب عيسى منها، بجوار قبر سيدي عمران ابن موسى، ضحوة يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة الحرام عام ستة وسبعين وتسعمائة، وبنى عليه تلميذه ووارثه الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي قبة.

وتوفي شيخه - صاحب الترجمة - ثاني الجمادين سنة سبع وأربعين وتسعمائة. قال في "الابتهاج": «كذا وجدته بخط بعضهم؛ والأقرب الذي يصح: أنه توفي في أول سنة إحدى وأربعين، أو في تمام السنة التي قبلها، ودفن خارج باب الفتوح من فاس، وبني عليه بناء حسن، وأما البناء الموجود الآن؛ فهو بناء جدد سنة سبع وستين وألف». هـ. وكان المجدد له: الفقيه العلامة سيدي الصغير ابن القاضي، بمال ورثه - كما أشار لذلك في "النشر" - ثم جدد بناءه في هذا العصر: السلطان الجليل، الماجد الأصيل؛ مولانا الحسن بن مولانا محمد العلوي - أحسن الله إليه، وأفرغ حلل السعادة والبشائر عليه، بمنه... آمين. وروضته هي: المجاورة لسيدي علي حماوش، يمين المتوجه إليه من الطريق الطالعة هناك. وممن ترجمه: صاحب "الممتع"، و"المقصد"، و"الابتهاج"، و"الروض"...

[675- الصالحة السيدة آمنة بنت أحمد بن علي ابن القاضي]
(ت: 960)

ومنهم: خديمه وضجيعه الولية الجليلة، العلية القدر الحفيلة؛ السيدة آمنة بنت الفقيه القاضي أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن إبن أبي العافية المكناسي. تقدمت ترجمة والدها المذكور عقب ترجمة شيخه ابن غازي - دفين الكغادين من داخل هذا الخارج [222] - وتقدم لنا أن وفاته كانت سنة خمس وخمسين وتسعمائة.

وكانت هي - رحمة الله عليها - من كبار الأولياء، وخاصة الأصفياء. أخذت عن الشيخ أبي الحسن علي الصنهاجي المذكور، وكانت تخدمه وتتبعه، ولا تفارقها آنية الزيت؛ إذا أتاها وجدها عندها ليريقها على نفسه؛ لأنه كان يحب ذلك، وكان أهلها ينقمون عليها خدمتها له، فكان يقول: « *إنه: ما جيء بأولاد ابن القاضي كلهم من مدينة مكناسة إلى فاس إلا لأجلها !* »، وسجنوها مرة في غرفة، وجعلوا عليها قيد الحديد، فلم يشعروا إلا به واقفا في وسط الدار ينادي: « يا آمنة! ». فلما ناداها؛ قالت: « نعم يا سيدي! ». فقال لها: « اهبطي! ». فإذا بالقيد قد سقط من رجليها، وبها قد خرجت إليه وهم ينظرون، والغرفة على حالها مسدودة. فمن يومئذ سلموا لهما حالهما.

وكانت يوما قد طبخ أهلها دجاجا وأعطوها سهمها. فقالت: « لو أن كُليبة سيدي - لكلبة كانت له - لأعطيتها سهمي هذا! »، فإذا بالكليبة معها مادة يدها؛ فناولتها إياه.

وكانت من أهل الخطوة، وربما تصبح في فراشها جريحة أو نحو ذلك من أثر حضور في الجهاد، وقد شهد لها الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب - رضي الله عنه - بالخصوصية؛ فإنه كان يقول: « مات سيدي؛ فورثته أنا وأختي آمنة؛ للذكر مثل حظ الأنثيين »، ولما ماتت؛ قال: « الآن حصل لي إرث أبي كاملا ». يعني: لكونه ورث منها ما بقي له من سر شيخه المذكور.

وكانت قد تزوجت. تزوجها ولد عمها: الفاضل الخير أبو زكرياء يحيى بن قاسم بن علي ابن أبي العافية المكناسي، وصداقها مؤرخ بخامس شوال عام أحد عشر وتسعمائة، و لما حضرتها الوفاة؛ أخرجت من كان معها في البيت وقالت لهم: « إن سيدي آت يحضر خروج روحي! ». ثم ماتت.

وكانت وفاتها - فيما قيل - في حدود الستين وتسعمائة. وقال في "الابتهاج": « توفيت بعد والدها بنحو سبع سنين، عن نحو ثمان وسبعين سنة. . . قال: فيكون مولدها - تقريبا - سنة خمس وثمانين من التاسعة، ووفاتها سنة ثلاث وستين من العاشرة. والله أعلم ».هـ. وضريحها بروضة شيخها أبي الحسن المذكور، وراء ظهره. نبه على ذلك في "تحفة أهل الصديقية" . . . وغيرها.

[676- الإمام المقرئ سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي]
(ت: 1082)

ومنهم: الشيخ الإمام، الفقيه المحدث الهمام، إمام القراء وشيخ المغرب الشهير، وأستاذ الأساتيذ العالم الكبير، الحافظ الحجة الحُبُسُوبي؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الفقيه العالم العلامة النحوي أبي القاسم ابن القاضي، المكناسي الأصل، الفاسي الدار والمنشأ، عرف أهله بفاس وبمكناسة بأولاد ابن القاضي إلى الآن، ويعرفون في القديم [223] بأولاد ابن أبي العافية.

ولد - رحمه الله - سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وربي في حجْر الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وأخبر به قبل وضعه، وأوصى أهل داره بإرضاعه لِئلا يحتجب عنه، وأرضعته السيدة معزوزة الهلالية؛ زوجة ولديه سيدي أحمد الفاسي ثم أخيه سيدي العربي.

ونشأ في عفاف وصيانة، وحُبب إليه تلاوة القرآن، وحفظ طرق قراءته، وصرف العناية لذلك، إلى أن صار المرجوع إليه في ذلك الشان، والمعول عليه في أحكام القراءات، ومعرفة توجيهاتها، وحفظ مذاهب أيمتها؛ فلا تجد أستاذا بالمغرب إلا وقد روى عنه أو عن تلامذته.

وكان شيخا حافظا، وحجة محققا لافظا، مجودا إماما، وبركة هماما، شيخ الجماعة في الإقراء في وقته، ومفردا في تحقيق القراءات ووحيد نعته، زوارا للصالحين، بحاثا عن مقابرهم، لا يسأم من التطواف عليهم ليلا ونهارا.

وله تقاييد في "طبقات الصوفية"، وتآليف منها: "الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع"، وأجوبة - نظما ونثرا - في أحكام الضبط والرسم... وغير ذلك، إلى ما كان عليه من الدين المتين، والورع المبين، وصدق اللهجة، ولين الجانب للخاص والعام، وكان ينشد في طلبة الوقت:

ولعبُ الشيطان بالقراء   كلعب الصبيان بالجوزاء

أخذ عن سيدي محمد بن يوسف التاملي؛ وهو عمدته، وله إجازة منه. وعن الأستاذ البركة، الولي الصالح، الرباني الناصح؛ سيدي عبد الرحمن بن عبد الواحد العباسي، ثم السجلماسي؛ نزيل فاس ودفينها، وتقدمت ترجمته. وعن سيدي أحمد العرائشي، وعن العارف الفاسي. أورده في "بستان الأذهان" فيمن أخذ عنه، وذكر أنه: قرأ عليه وسمع منه الحديث وغيره، وحضر مجالسه المتعددة. وممن أخذ عنه هو: الشيخ أبو زيد الفاسي الصغير.

توفي - رحمه الله - صبيحة يوم الأربعاء ثاني عشر رمضان سنة اثنين وثمانين وألف، ودفن بروضة سيدي علي الصنهاجي، ملتصقا به من جهة القبلة، بعد أن صلي عليه هنالك. قال في "الصفوة": «وكانت جنازته من المشاهد التي لم ير مثلها منذ أزمان». هـ.

ترجمه فيها، وكذا في "بستان الأذهان"، و"نشر المثاني"... وغيرهما.

[677- الشريف مولاي عبد الحفيظ بن عبد الرحمن الأمراني]
(ت: 1203)

ومنهم: الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، الخير الناسك الأكمل، الذاكر القانت، الصائم القائم الصامت؛ مولاي الحفيد بن عبد الرحمن بن عمر الفلالي الأمراني الحسَني؛ من بيت الشرفاء الأمرانيين؛ وهم [224] من خيار الأشراف وفضلائهم، وكبرائهم وعظمائهم، لهم من شفوف المنزلة وإنابة المرتبة ما لا يحتاج لبيان، ومن الهمم العلية والأخلاق المرضية ما لا يُبَيِّنُ عنه لسان، وفيهم البركة والولاية والصلاح، والعلم والدين والفلاح، والشيم الطاهرة، والخصال المحمودة الباهرة، وعظمت لهم الحرمات، وظهرت على أيديهم الكرامات وخوارق العادات، ويغلب على كثير منهم الجذب.

وكان صاحب الترجمة منهم، كثير الذكر، والتلاوة بالمصحف، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في "دلائل الخيرات"، كثير الصيام والقيام، والنسك والعبادة، دينا لينا خاضعا، متواضعا متباعدا عن الخلق، بريئا من الدعوى، محبا في آل البيت وغيرهم من جميع المنتسبين، وكان من أهل الصلاح والخير، وأرباب المقامات والأحوال.

توفي - رحمه الله - يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام متم سنة ثلاث ومائتين وألف، ودفن بروضة سيدي علي الصنهاجي المذكور. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[678- سيدي بوجُبنة]

قلت: وعن يسار هذه الروضة - على ما في "التنبيه" - رجل يقال له: سيدي بوجُبْنَة. وقد أشار إليه أيضا الشيخ المدرع في منظومته قائلا بعد ذكر سيدي علي الصنهاجي:

بجنبه الأستاذ حَبْر القرآن	أعني: أبا زيد عبيد الرحمن
يُدعى ابن قاض شيخ كل مقري	بوقته أَعْظَم به من حبر
آمنة قاضية الجليلة	بظهر شيخَها لها فضيلة
واذكر أبا جبن وراء روضته	ضريحه بقرب من تغزارته

ولم أقف له على ترجمة...

[679- الشيخ العارف سيدي علي بن محمد حُمَامُوش]

ومنهم: الشيخ الصالح الشهير، الولي العارف الكبير؛ أبو الحسن سيدي علي؛ الشهير بـ: حُمَامُوشْ (بتخفيف الميم) بن محمد بن عبد الحق بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن يحيى ابن الولي الصالح أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن يوسف ابن السلطان الجليل يعقوب المنصور الموحدي. كذا نسبه غير واحد، ويعقوب هذا: كومي السلف، مُضَرِي الأصل، من قيس عيلان (بالمهملة) بن مضر، كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم، وهو الصحيح كما في "المقصد" وغيره، وقيل: إنه شريف النسب؛ من ذرية محمد بن القاسم بن إدريس.

[680- استطراد بترجمة الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيْلي المالقي الأندلسي]

(ت: 508)

ومن قال بذلك: الشيخ الشهير، القدوة الكبير، العلامة الباهر، الحافظ الماهر؛ أبو القاسم وأبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الخطيب أبي محمد عبد الله ابن الخطيب أبي عمر أحمد ابن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخَثْعَمي الضرير، الأندلسي المالقي السهيلي؛ منسوب إلى سهيل - كزبير؛ حصن بالأندلس، قريب من مَالَقة، سمي بالكوكب الذي هو: سهيل؛ لكونه لا يرى في جميع الأندلس إلا منه، وهو مؤلف "الروض الأُنُفُ" في سيرة رسول الله [225] صلى الله عليه وسلم، وكتاب "التعريف والإعلام، فيما أبهم في القرآن، من الأسماء والأعلام"، وكتاب "نتائج الفكر"، وكتاب "رؤية الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم في المنام"، وكتاب "السر في عَوَر الدَجَّال" . . . وغير ذلك.

وكان - رحمه الله - مالكي المذهب، عارفا بالفقه والعربية، واللغة والقراءة، والكلام والأصول والأدب، بارعا في ذلك، جامعا بين الرواية والدراية، عالما بالتفسير وصَنْعَة الحديث، حافظا للرجال والأنساب والتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، نبيها ذكيا، صاحب اختراعات واستنباطات، ونوادر غريبة، وبوادر في الخير عجيبة، وصلاح وفلاح.

تصدر للإقراء والتدريس، وبعُد صيته. وروى عن ابن العربي المعافري وابن طاهر وابن الطراوة. وروى عنه: أبو الحسن العمالقي وابن عربي الحاتمي. . .وخلق كثير. وكف بصره وهو ابن

سبع عشرة سنة. قال ابن دحية: «أنشدني – وقال: إنه ما سأل الله بها حاجة إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها – وهي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المُعَد لكل ما يتوقع
يا من يرجَّى للشدائد كلها	يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول: كن	أمنن؛ فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة	فبالافتقار إليك فقريَ أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة	فلئن رددت؛ فأي باب أقرع؟
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه	إن كان فضلك عن فقيرك يمنع؟
حاشى لجدك أن تقنط عاصيا	الفضل أجزل والمواهب أوسع

قال ابن خلكان: «وأشعاره كثيرة، وتصانيفه ممتعة... قال: وكان ببلده يتسوغ بالعفاف، ويتبلغ بالكفاف، حتى نما خبره إلى صاحب مراكش؛ فطلبه إليها وأحسن إليه، وأقبل بوجهه غاية الإقبال عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام. ومولده: سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي بحضرة مراكش يوم الخميس، ودفن وقت الظهر؛ وهو السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة – رحمه الله تعالى ».هـ.

وممن نقل عنه ما ذكرناه من شرف يعقوب: تلميذه الشيخ أبو القاسم الملاحي في تاريخه، قائلا أثناء كلام له حين عَرَّفَ به: «أقصاه المنصور وأبعده؛ لسقطة سقطها؛ وهي أنه: ألف كتابا في المنصور الموحدي – من ذرية عبد المومن بن علي – وجعله من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أكد معجزاته ».هـ.

قال في "مفتاح الشفا": «وقد رأيت بيد الناس نسبا ليعقوب المنصور أستحي أن أذكره؛ فإن [226] كان هو الذي وضعه له السهيلي؛ فيا عجبا! ».هـ.

قلت: جلالة السُّهَيْلي معروفة، ومرتبته – علما وعملا – لا تجهل، ولا يظن بمثله التساهل في شيء – فضلا عن الكذب فيه – والظاهر أنه: اطلع – فيما ذكر – على ما لم يطلع عليه غيره، أو غره فيه بعض شياطين الإنس ممن ظن به الصدق والتحري.

وبالجملة؛ فنسب صاحب الترجمة عربي قطعا، وأما شرفه؛ فهو مختلف فيه. ذكر في "المقصد" أنه: وقف على رسم شرف له بعلامات كثيرة؛ مرفوعا منه إلى يعقوب، ثم إلى الحسن بن علي. والله أعلم!.

[رجوع إلى ترجمة سيدي علي حَمَامُوش]

كان – رحمه الله ورضي عنه – من رجال التصرف؛ ظهرت على يديه الخوارق، وكان الناس يدعون إليه الجن؛ فيرعوي لأمره، وتواتر الخبر بأن طائفة من الجن كانت تقرأ عليه القرآن. وكان سكناه بطالعة فاس، وداره هنالك شهيرة بقرب المدرسة المتوكلية، وخلوته بها، وهي صَقْلابِيَّة لا تُسكن، ويسكن باقيها؛ فيصلح بكرائه ما تهدم منها.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ القطب أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني عن التباع عن الجزولي. وذكر في "الممتع" في ترجمة الشيخ سيدي أبي الشتاء الشاوي نقلا عن "المرآة" أنه: يقال: إن سيدي أبا الشتاء المذكور: بعد ما أخذ عن الشيخ الغزواني دخل فاسا، وخمّس على سيدي علي حماوش في حرثه خمس سنين، ثم قال له: « حاجتك عند سيدي عبد الوارث ». فذهب إليه، وخدمه حتى كان منه ما كان. لكن بحث في هذا في غير "الممتع" بأنه: بعيد؛ لكون الشيخ سيدي أبي الشتاء لما أخذ عن الغزواني؛ غيبه ومكنه، وهام على وجهه، ولم يرجع بعد ذلك لشيخه الغزواني، فكيف يرجع لغيره؟!، إلا أن يكون حصل له صحو وفتور في حاله بعد شيخه؛ فخدم الشيخين المذكورين حتى رد عليه حاله. والله أعلم.هـ.

توفي صاحب الترجمة – رحمه الله – على ما ذكره في "الدوحة": في العشرة الثالثة من القرن العاشر. وقال في "ابتهاج القلوب": « توفي سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ».هـ. قال في "الروض": « وما ذكره في "الدوحة" – أي: وكذا في "الابتهاج" – غير صحيح، بل كان في قيد الحياة أواخر ذي الحجة، متم سنة ثلاث وثلاثين من القرن العاشر. . .قال: ولم أعثر على تحقيق وفاته ».هـ.

وقال سيدي عبد المجيد المنالي في رحلته – لما تعرض لذكره، وذكر أنه: كانت بينهم وبينه مصاهرة – ما نصه: «كان في قيد الحياة أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة. قال بعض شيوخ شيوخنا: وأظنه توفي في هذه العشرة – أعني: العشرة الرابعة في القرن العاشر – وهو من تلامذة الشيخ الغزواني رضي الله عنه ».هـ.

ودفن بزاويته التي بإزاء سيدي علي الصنهاجي بهذا الخارج، وبنيت عليه قبة، وجعل على قبره بها دَرْبوز، وهو مُزار [227] متبرك به. نفعنا الله به. ترجمه في "الدوحة"، و"الممتع"، و"الروض". . . وغيرها.

[681- العالم الصالح سيدي العربي بن أحمد الفشتالي]
(ت: 1092)

ومنهم: الفقيه العلامة، المشارك الفهامة، الولي الصالح الأورع، البركة الأنفع، الهائم في الجلال، والعاكف في الجمال، الناظم الناثر، الصوفي الباهر؛ أبو محمد سيدي محمد العربي بن أحمد بن عبد الكريم الفشتالي؛ به عرف.

كان – رحمه الله – أحد أكابر الزاهدين، ومن مشاهير العلماء العاملين، ومن أهل الأحوال الواصلين، ومن أجل أهل زمانه علما وعملا وورعا، مشهورا بذلك. ويُحكى أنه: لم يمر قط بصحن المسجد الأعظم القرويين بفاس منذ أنفقت عليه امرأة مخزنية من مهر صداقها في تزليجه؛ لكونه لا يخلو من شبهة.

وفي "الإبريز" نقلا عن مولانا عبد العزيز الدباغ – رضي الله عنه – أنه: كان يقول فيه: «إنه من العارفين بالله، وممن يحضر الديوان في حياته»، وعن الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله مَعْن أنه: كان يثني عليه كثيرا، ويقول: «إنه كان من أكابر الأولياء العارفين». ويصفه بالولاية التامة، والكشف الكبير، ويحكي عنه في ذلك حكايات كثيرة. قال في "الإبريز": «وكراماته – رضي الله عنه – كثيرة، ومناقبه في الناس شهيرة». هـ.

وكان – رحمه الله – أستاذا مشاركا في الفنون، له معرفة بالتجويد والأداء، وأحكام الرسم. أخذ العلم عن أبي زيد ابن القاضي، والشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، والعلامة اليوسي... وغيرهم. والطريقة: عن الشيخ سيدي محمد ابن ناصر الدرعي، ثم عن سيدي محمد ابن مبارك؛ والتزمه. ودام على محبته إلى أن نال منه ما نال. **وأخذ عنه هو غير واحد**؛ كسيدي عبد السلام القادري.

وكان سكناه – أولا – بزنقة الرطل، ثم انتقل لرأس الجنان بقصد الإمامة في مسجده وتدريس "الرسالة" وغيرها به، وكان يقرئ هنالك الصبيان القرآن، وكان في بعض الأزمان منتصبا للشهادة بحانوت من حوانيت شهود فاس القرويين، وكان إذا كتب لأحد وثيقة وأعطاه أجرة؛ أخذ منها قدر ما تستحقه الوثيقة فقط، وإذا تناول منه ما يَكُفُّ ضرورته؛ صرف من يأتيه من المشهَدين بعد ذلك لغيره من الشهود الذين بقربه، ويقول: «إنه لم يستفتح ولم يقبض اليوم شيئا». ويحكى عنه في انتصابه للشهادة أمور عجيبة.

وكان زاهدا في الدنيا، منقبضا عن الظلمة، طالما راودوه على القضاء وغيره؛ فامتنع منه. وسئل عن خطة القضاء؛ فأجاب: « الذي يظهر لي أنه: صداع في الرأس، وسم قاتل في الجوف، وسلسلة في العنق، وسَنَّارة في الحلق. وقد علمت أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح! ».

وكان - رضي الله عنه - مع ما [228] هو عليه من الأحوال والأسرار والمواهب والكشف؛ يخفي أحواله، ويكتم أسراره. ولقد تكلم ذات يوم مع بعض طلبته؛ فقال: « أتظنون أن الكشف شيء؟، إنما هو شطارة وسرعة فهم!، وإن شككتم في هذا؛ فانظروا إلي، فإنكم تعرفوني وتعرفون أحوالي كلها، وتعرفون أني لست بولي! »، فقالوا له: « نعرفك كذلك ». فقال لواحد منهم بعينه مكاشفا: « ألست تريد أن تفعل كذا في وقت كذا؟ ». فقال الطالب: « نعم! »، فقال سيدي العربي: « هو ما قلتُ: إن الكشف شطارة »، فصدقوه وظنوا أن الأمر كذلك، وتلاهى[1] عليهم.

توفي - رحمه الله - كما ذكره سيدي عبد المجيد المنالي في رحلته؛ بالطاعون، بعد زوال الشمس من يوم الأربعاء خاتم جمادى الثانية سنة اثنين وتسعين وألف. قال: « ودفن من الغد، ضحوة الخميس، أول يوم من رجب، بمسجد سيدي علي حماوش، خارج باب الفتوح ».هـ. وهذا - والله أعلم - هو التحقيق في وفاته، ويوافقه قول صاحب "المورد الهني": « توفي في آخر جمادى الثانية عام اثنين وتسعين (بمثناة أولا) وألف، ودفن قرب سيدي علي حماوش بباب الفتوح ».هـ. خلافا لقوله في "نشرالمثاني": « توفي في حادي عشر جمادى الأولى عام اثنين وتسعين وألف، ودفن بجوار سيدي علي حماوش، تحت مصلى باب الفتوح ».هـ. ولما في "الإبريز" من أنه: توفي عام تسعين وألف. ولما في فهرسة سيدي إدريس المنجرة من أنه: توفي مهل شعبان سنة اثنين وسبعين (بتقديم السين) وألف... والله أعلم. ترجمه من نقلنا عنهم، وكذا في "الصفوة"، و"التقاط الدرر"... وغيرهما.

[682- العارف المجذوب سيدي عبد العزيز بن محمد المشاط]
(ت: 1203)

ومنهم: الشيخ المتَلَوِّن، الولي الصالح المتمكن، القائم على قدم التحقيق والإيقان، الواصل إلى الله تعالى بالإكثار من تلاوة القرآن؛ أبو فارس سيدي عبد العزيز بن محمد المشاط المنافي؛ من بني المشاط الذين هم بحضرة فاس، من بيوتاتها المشتهرين بالحضارة، وكان فيهم العلم والمروءة والصلاح، وهم منافيون؛ نسبة إلى عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

---

[1]. تلاهى عليهم: فعلها بهم.

نشأ صاحب الترجمة - رحمه الله - منهم بفاس في عفة وصيانة، ووقار وديانة، وحفظ القراءات بها، ثم خرج مع أبيه لتطوان في الغلاء الذي كان في حدود الخمسين ومائة وألف، ثم خرج منها - بعد وفاة أبيه - بها إلى الجبال الغمارية، للملازمة عندهم بالشرط في بعض المداشر لإقراء الصبيان والائتمام بالمسجد، وبقي هناك يتردد بين القبائل لذلك.

ثم رجع إلى فاس؛ فكان يؤم بمسجد عُقَيْبَة السَخْتَر، عدوة فاس القرويين، الذي فيه الولي الشهير سيدي أبو عبد الله المكي - نفع الله به - وهنالك أشرقت أنواره، وافتضحت [229] أسراره؛ فصار يصوم النهار ويقوم الليل، مستغرقا جميع أوقاته في الصلاة وتلاوة القرآن.

ولما غلبته الأحوال، وصار لا ينضبط في الأقوال والأفعال؛ اتخذ بيتا في المدرسة العطارية لسكناه؛ وهو البيت الأول يمنة الصاعد في درجها، القائم على الساباط المرور تحته لسماط الشهود، فتجرد فيه للعبادة؛ صياما وصلاة وتلاوة. . .حتى كان يختم في اليوم نحو ست ختمات وما يزيد عليها من كتاب الله عز وجل.

وفي حدود الثمانين ومائة وألف أُضر في عينيه معا؛ فصار لا يبصر شيئا، وهو - مع ذلك - في غاية القيام على العبادة، مع الزهد التام، والورع العام، لا يأخذ شيئا من أيدي ذوي الشُّبه.

كان بعض أقاربه ناظرا على أوقاف القرويين؛ فكان يأتيه في بعض الأحيان بشيء من الطعام، فإذا عرفه بباب البيت؛ لا يفتح له أبدا، مع المبالغة منه في الرغبة له عساه أن يفتح له الباب، فلا يفتحه.

وأكثر ما يأكله: بعض الفواكه في أوقاتها، وإلا؛ فالخبز واللبن، ويجتنب البطيخ وكل ما فيه إدام من سمن وزيت وغيرهما. بقي على ذلك مدة من عشرة أعوام، ثم غلب عليه الجذب، وصار تصدر منه أقوال وأفعال ينكر ظاهرها الشرع، ويتلون بأمور لا تنضبط، ويأخذ ممن يرضى حاله ومن لا، والناس معترفون مع ذلك بولايته، مستصبحون من سراج عنايته، يأتونه أفواجا للزيارة والتبرك به؛ فيعودون عنه بما أملوه.

وكان آية عظمى في قضاء الحوائج لمن قصده أو توسل به، وهو - مع ذلك - بريء من الدعوى، لا ينسب لنفسه شيئا لا في السر ولا في النجوى، إلا إذا استغضب - وهو الغالب - أو انبسط - وهو نادر - فإنه كان يصرح لنفسه بمقام عال في الولاية.

وسئل مرة: في أي مقام أنت بين الأولياء، ومن شيخك؟. فقال: «جعلوني خليفة عبد الواحد الزنبور»، وهو: الشيخ المجذوب، دفين عقيبة الفيران من عدوة فاس القرويين.

وسئل مرة أخرى في مرتبة من هو من الأولياء الأموات؟؛ فقال: «في مرتبة منصور بوحفرة». وهو: المدفون بأعلى محلة فندق اليهودي من عدوة فاس القرويين، قبالة الطالع من محجتها.

وكان لا يقبل الكذب، ويفضح المخبر به في الحال، ويخاصمه، والناس عنده سواء؛ رفيع ووضيع. ويرحم المساكين، ويرفع من شأن أهل العلم والدين الجارين على سنن المهتدين، وبحر معارفه دائما فياض بالشريعة والحقيقة، يعرف الأحكام معرفة من شاهد المقام، وهو في أحواله شاهد غائب، وسهمه في الرمية أبدا صائب.

وكان له تلامذة وأتباع، ظهرت عليهم من صحبته آثار الانتفاع، وكان يأمرهم [230] بذكر: لا إله إلا الله. لاغير. وكانت بينه وبين الولي الصالح سيدي الحاج عبد الله بزرور - دفين زقاق الرمان من عدوة فاس القرويين- منافرة في الظاهر، فكان يُعَيِّر كل واحد منهم الآخر، ويحط منه بأمر من أمور الدنيا ونحوه، وكانا إذا تلاقيا؛ لا ينفصلان بعد المخاصمة الشديدة إلا بكلفة، وربما أدى الأمر إلى المضاربة بينهما بالعصي، رضي الله عنهما.

قال في "الروضة المقصودة": «لازمته بعدما عميت عيناه من لدن سكنت بفاس ما يزيد على العشرين سنة، وأوقفني على أسرار لا يهبها الله إلا للخاصة من أوليائه، وانتفعت بإرشاده في مهمات، وبالرجوع إليه في أزمات، وطالما كنت أداعبه - مع بعد طبعه عن ذلك مع غيري - وأقدم عليه وهو في حال لا يصل إليه معها أحد مهابة. وكان آخر ما دعا إلي به: الله يجعلك نوارة بين أقرانك. ثم أعاد معناه على طريقة الإخبار، وكاشفني بأمور تحققتها عند موته وبعده، وكان لا يسميني إلا بمسعود، وربما قال: مسعود صاحبي. ومن رد عليه بأن اسمي: سليمان؛ اغتاظ، إذ لم يكن يقبل الرد والمراجعة في شيء أصلا - رضي الله عنه - وكانت وفاته - نفع الله به - سنة ثلاث ومائتين وألف، ودفن بباب الفتوح، بالقرب من سيدي علي حماوش - نفع الله به». هـ.

وقال في "سلوك الطريق الوارية": «توفي عاشر رمضان، عام ثلاث ومائتين وألف. وكنت المتولي غسله، ودفن قرب الشيخ سيدي علي حماوش خارج باب فتوح، وبنيت عليه هناك قبة». هـ.

ترجمه جماعة؛ منهم: أبو الربيع مولانا سليمان الحوات في تآليفه: المسمة بـ: "الروضة المقصودة"، والمسمى بـ: "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي"، وصاحب "سلوك الطريق الوارية"، وأورده الشيخ التاودي في فهرسته فيمن لقي من الصلحاء. وأورده العلامة سيدي الوليد العراقي في كتابه المسمى "بالدر النفيس" في جملة من لقيهم الشريف الفقيه أبو محمد سيدي هاشم بن زيان العراقي؛ قائلا: «وكالرجل الصالح الملامتي؛ أبي محمد عبد العزيز المشاط المتافي؛ كان رجلا صالحا، منفردا متجردا، غير متأهل، معروفا عند أهل فاس بالصلاح، وله كرامات ومكاشفات، ودفن - رحمه الله - خارج باب الفتوح، قرب الولي سيدي علي حماوش رضي الله عنه». هـ. قلت: وضريحه - رحمه الله -

خارج قبة سيدي علي المذكور، بمسجده الكائن عند رأسه، الذي صار مدفنا للشرفاء الشفشاونيين، يدور به اليوم سواري أربعة، أساس لقبة أريد تجديدها عليه.

[683- الشريف سيدي أبو بكر بن يحيى الشفشاوني]
(ت: 1284)

ومنهم: الإخوة الثلاثة: الفقيه الصالح البركة سيدي أبو بكر. والولي الصالح السُني السَني: أبو حفص سيدي عمر. والفقيه الصالح: أبو عبد الله سيدي محمد [231] أبناء الفقيه العلامة الولي الصالح سيدي يحيى بن المهدي الشفشاوني الحسني الإدريسي.

كان الأول منهم: فاضلا صالحا، ناسكا عابدا زاهدا، ملازما للضريح الإدريسي، وكان فقيها يحضر في أول أمره بعض مجالس العلم، وإذا سمع من عالم تقريرا غير محرر؛ يقول: فيه نظر. وإذا خرج عن الموضوع؛ يقول: تخليط. وإذا عبر بلفظ غير مستقيم؛ يقول: ركيك. وإذا حصل منه فهم لشيء على غير وجهه؛ يقول: قلب. لا يزيد على ذلك شيئا. وكان يحضر مجلس العلامة مولاي أحمد العراقي بالضريح الإدريسي. توفي في رمضان عام أربعة وثمانين ومائتين وألف. ودفن بمدفنهم المذكور.

[684- الشريف سيدي عمر بن يحيى الشفشاوني]
(ت: 1285)

وكان الثاني: من أزهد أهل وقته، وأعرضهم عن الدنيا وأهلها، منقطعا إلى عبادة الله تعالى ليلا ونهارا. ولم يتزوج قط، وكان معتكفا على مطالعة كتب الحديث والتصوف، ويأكل في الغالب قرص الشعير المختلط بالذرة، يشتريه من غلة الأصل المتخلف عن والده. توفي في رمضان – أيضا – عام خمسة وثمانين ومائتين وألف. ودفن مع أخيه المذكور بالروضة المذكورة.

[685- الشريف سيدي محمد بن يحيى الشفشاوني]
(ت: 1297)

وكان الثالث: فقيها خيرا، دينا فاضلا، زاهدا ورعا، مشتغلا بالتلاوة والذكر، والصيام والقيام، ومطالعة كتب الحديث والتفسير والتصوف... وغير ذلك، حسن السمت، طويل الصمت، يأكل من كد يمنيه، يُظفر الدوم، ويستعمل منه القفف ويبيعها، ويأكل من ثمنها. توفي يوم الخميس تاسع عشر رمضان عام سبعة وتسعين ومائتين وألف. ودفن مع أخويه المذكورين بالروضة المذكورة.

[686- الصالح سيدي علي بن علي الحداد]

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة الناصح، العارف بالله تعالى؛ أبو الحسن سيدي علي بن أبي الحسن علي؛ المعروف بالحداد.

كان - رحمه الله - بفاس، وكان شيخا عارفا مربيا، له أصحاب وتلامذة، ومن تلامذته: الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله الدراوي؛ المعروف بالحداد، ومنه اكتسب سيدي عبد الله هذا التسمية بالحداد - كما يأتي.

ووفاته رحمه الله - فيما يغلب على الظن - أواخر القرن العاشر، أو: أوائل الحادي. قال في "المقصد": « وهو دفين خارج باب الفتوح، قرب روضة الشيخ سيدي علي حماموش. . قال: ولا يعرف له سند - أي: شيخ ».هـ. وقال في "الإلماع" - أيضا - كما يأتي قريبا عنه: « لا أعرف سنده ».هـ.

[687- العارف سيدي عبد الله الدراوي الحداد]
(ت: 1040)

ومنهم: تلميذه الولي الصالح الكبير، العارف الواصل الشهير؛ أبو محمد سيدي عبد الله الدراوي المعروف بالحداد.

حلاه في "المقصد" بالشيخ الولي الخطير، ثم قال: « كان - رحمه الله - قوي الحال غزيره، ملامتيا، تصدر منه أمور لا يُفهَم ظاهرها، وكان من أهل الخطوة والطيران في الهواء، وله كرامات ومكاشفات. لقيه سيدي قاسم - يعني: الخصاصي - مرارا، وتبرك به. وكان يوما - أعني: سيدي قاسما - جالسا بحانوته بالقراقين المقابلة لباب القرويين، فرأى سيدي عبد الله مارا بجامع القرويين، فجعل ينظر إليه ويستحسنه، ويقول في نفسه: لا إله إلا الله، ذاك رجل ولي الله. أو كلمة [232] نحوها. فكاشفه بذلك، وأتى من القرويين مسرعا حتى وقف عليه بباب الحانوت، وقال له: يا أخي؛ قلبكُ مرآكَ؛ كيفَ تراني نراكَ!. توفي - رحمه الله - في أواخر العشرة الرابعة من هذا القرن - يعني: الحادي ».هـ.

وقال في "الإلماع" - أثناء عده للأشياخ الذين لقيهم الشيخ سيدي قاسم الخصاصي وتبرك بهم - ما نصه: « والشيخ أبو محمد عبد الله الدراوي؛ عرف بالحداد، دفين خارج باب الفتوح قرب روضة

الشيخ أبي الحسن علي حماوش. . .)) .هـ . وقال فيه – أيضا – ما نصه: ((وأما الشيخ أبو محمد عبد الله الحداد؛ فشيخه الأول: أبو الحسن علي بن علي الحداد؛ الذي به لقب وحوله دفن، ولا أعرف سنده، وشيخه الثاني: الشيخ أبو المحاسن الفاسي)) .هـ .

وقال في "ممتع الأسماع" في ترجمة سيدي يوسف الفاسي ما نصه: ((وكان سيدي عبد الله الدراوي – عرف بالحداد – رجلا من أهل الإغاثة والخطوة، يمشي للبلاد البعيدة ويرجع في طرفة عين، وكان صاحب ملامة، فكان مع شيخه الأول سيدي علي الحداد بفاس، ومنه اكتسب سيدي عبد الله التسمية بالحداد؛ فقال له يوما: يا عبد الله؛ إنا بايعنا . أو قال له: إن أهل الله بايعوا اليوم سيدي يوسف الفاسي، وهو إن وجدك هاهنا في هذا البلد؛ لا تفلح معه، فاذهب إليه! . فأتاه بالقصر، فلما سلم عليه ونظر إليه؛ أخرج فاسا وأمره بالخدمة في جنانه، إلى أن أكمل أربعين يوما – فيما بقي على بالي – ثم قال له: اذهب حتى آتيك. فقال له: إلى أين يا سيدي؟ . فقال له: إلى فاس. فأتى فاسا ومكث بها حتى أتى صاحب الترجمة – يعني: سيدي يوسف الفاسي– واستوطنها، فصحبه ولزمه إلى أن توفي الشيخ)) .هـ .

وقال في "نشر المثاني" ما نصه: ((ومنهم: الولي سيدي عبد الله الحداد الدراوي، دفين خارج باب الفتوح من فاس، إزاء سيدي علي حُمَامُوش، كان قوي الحال، ملامتيا ساقط التكليف، وكان من أهل الخطوة – فيما قيل – وله كرامات ومكاشفات. توفي أواخر هذه العشرة – يعني: العشرة الرابعة من القرن الحادي)) .هـ . وقال في "التقاط الدرر" – أثناء ذكره لمن توفي عام أربعين وألف – ما نصه: ((والولي سيدي عبد الله الحداد؛ دفين خارج باب الفتوح من فاس، قرب سيدي علي حماوش: من أهل الجذب والخطوة والمكاشفات)) .هـ .

وضريحه – رحمه الله – مع ضريح شيخه السابق، يقال: إنهما في مسجد سيدي علي حماوش المجاور لروضته، الذي ذكرنا أنه: صار الآن مدفنا للشرفاء الشفشاونيين. والله أعلم.

ترجمه جماعة: منهم: من نقلنا عنهم. وكذا في "الروض"، و"الزهر الباسم"، وإليه وإلى سيدي علي حماوش، وسيدي العربي الفشتالي أشار المدرع في منظومته؛ فقال:

ومنهم: الشيخ السني أبو الحسن	علي حماوشْ حباه ذو المنن [233]
إزاءه الولي عبد الله	أعني به: الحداد يا ذا الجاه
ثم الفقيه العربي الفشتالي	الزاهد الورع ذو الأحوال

[688- العارف سيدي عبد الواحد الدراوي الحداد]
(ت: 1032)

تنبيه: وقع في "الصفوة" ما نصه: « ومنهم: الشيخ الفاضل؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد الدراوي؛ المعروف بالحداد؛ لأخذه عن الشيخ سيدي عبد الله الحداد ». هـ.

« كان – رحمه الله – من أهل الخطوة والملامة. أخذ عن سيدي يوسف الفاسي، وكان يشهد له بالخصوصية، وذكر مرة للسلطان مولاي مَحمد الشيخ بن المنصور؛ فأمر بإحضاره. فقال له: قيل لي عندك الكيمياء. فقال له: نعم. فقال له: أرنيها!. فأخرج له السبحة وجعل يقول فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فغضب السلطان، وأمر به أن يصفد في الحديد بدار الهناء. ففعلوا به ذلك، فما راعهم إلا وهو طليق يذهب ويجيء، فأخبر بذلك السلطان. فقال لهم: لعلكم لم تحكموا التسمير!. فأعادوا عليه مرة ثانية، فما شعروا به إلا وهو طليق. فأخبر بذلك السلطان. فقال لهم السلطان: دعوني من تلك البلية. فتوعد السلطان؛ فما بقي إلا أياما قليلة وخرج مزعجا ». هـ.

« وكان صاحب الترجمة إذا طلب منه أحد أن يدعو له في حاجة؛ يقول له: اعطني كذا وكذا ولك حاجتك. كأنها طوع يده؛ إذا أعطاه ذلك كان. توفي – رحمه الله – سنة ثمان وثلاثين وألف ». هـ.

وقد تبعه عليه في "الدرر المرصعة"، ووقع – أيضا – في "التقاط الدرر" فيمن توفي سنة اثنين وثلاثين من القرن الحادي ما نصه: « وتوفي – أيضا – عبد الواحد الدراوي؛ المعروف بالحداد. ذكروا أنه: من أهل الخطوة – سنة اثنين وثلاثين ». هـ. ولم أدر من سيدي عبد الواحد هذا؟. هل هو تلميذ صاحب الترجمة – كما هو مفاد كلام صاحب "الصفوة" – أو هو: هو؛ انقلب عليه اسمه واسم شيخه الحداد، أو تصحف؟. والظاهر أنه: هو... فتأمل.

[689- الشريف سيدي أحمد بن محمد العمراني]
(ت: 1102)

ومنهم: الشريف الفقيه النزيه، العالم الدراكة النبيه؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الحسني الإدريسي العمراني التونسي.

قرأ على مشيخة فاس، وسمع من أبي عبد الله محمد المرابط الدلائي؛ شارح "التسهيل"، وسيدي عبد القادر الفاسي، وولده أبي عبد الله محمد . . . وغيرهم.

وكان فقيها مدرسا، عالما بأحكام الوثائق وعللها، وكان رفيق سيدي محمد ميارة الصغير في سماط عدول فاس القرويين، وفي الأخذ عن الشيوخ، وكان موصوفا بالأخلاق الحسنة، والسير المحمودة المستحسنة، وكان القاضي بردلة ينوه بقدره، ويقدمه على غيره من أبناء عصره، ويعترف له بصحة النسب، ورفعة الحسب، وربما أنابه في أحكام القضاء.

توفي – رحمه الله – رابع عشر[1] جمادى الثانية سنة اثنين [234] ومائة وألف. قال في "النشر" – في بعض نسخه: «ودفن بإزاء سيدي علي حماوش خارج باب الفتوح؛ أحد أبواب مدينة فاس الأندلس، قرب مصلى العيد ». هـ. وقال في "التقاط الدرر": « دفن قرب سيدي علي حماوش، خارج باب الفتوح من فاس ». هـ. ترجمه فيهما.

[690– الصالح سيدي مسعود بن محمد الدَّرَاوِي]
(ت: 1011)

ومنهم: الشيخ الصالح الشهير، المبارك الولي الخطير؛ أبو سرحان سيدي مسعود بن محمد الفلالي؛ ويعرف بالدراوي. قال في "المرآة": «نسبة إلى درعة؛ القطر المعروف. . قال: والعامة يقولون: دُرَارَ. وينسبون إليه كذلك ». هـ.

« شيخ من أهل الأحوال، والبركات والكرامات، وله أصحاب كثيرة، ظهرت عليهم بركته، وكان لا يفتر لسانه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بادنا، ولم يكن أكولا، وسمعته يقول: إنما بدنت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهي لي طعام وشراب!. أو كلاما هذا معناه. وكان في أول أمره قد فتح له على يد الشيخ أبي المحاسن، وكان قد بُودِهَ أول الأمر بحال عظيم، وكان ذلك في القصر، وفي حياة الشيخ أبي زيد المجذوب، فأوصله الشيخ أبو المحاسن إلى الشيخ أبي زيد قبل وفاته بنحو شهر أو أكثر بيسير، فلازمه إلى موته، وأدرك منه ما لم يدركه من لازمه سنين طويلة، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ». هـ.

---

[1] كذا في "التقاط الدرر" بخط مؤلفه. وفي "النشر" في بعض نسخه: سابع عشر مكان رابع عشر. وليحرر. مؤلف.

وكان – رحمه الله – في أول أمره حرسيا أو شرطيا؛ فتاب على يد الشيخ أبي المحاسن، وحج مرات عديدة، وكان من المشهورين بالولاية والصلاح، والبركات والخوارق. وكانت غيبته في النبي صلى الله عليه وسلم، متهلكا في محبته، شديد الشغف به، كثير الصلاة عليه، لا يكاد يفتر عنها، حتى كان يستأجر الأجراء عليها؛ فيذهب للموقف، فيخرج الخدام، فيظنون أنه عنده عمل، فإذا وصلوا منزله؛ قال لهم: « اجلسوا نصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم! ». فيستمرون على ذلك إلى العصر، ثم يقول لهم: « زيدوا ما تيسر؛ بارك الله فيكم ». على عادة صاحب البناء، ثم يعطيهم أجورهم وينصرفون، فكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة على حسب صدقه في محبته.

ويحكى أنه: جاء يوما لموقف الأجراء على عادته، فقام بعضهم وقال: دونكم هذا الأكحل[1]؛ فإنه قطع قلوبنا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم! . وكان إذا جنه الليل؛ قعد على حائط لئلا يستغرقه النوم فيفتر عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وكان يوما في عنقه سبحة؛ فإذا بها قد تقطعت وحدها بمرة من شدة امتلائه في الحين. وكانت له أحوال تخرجه عن حسه.

دخل مرة على الشيخ أبي المحاسن بداره وهو يقول: « هاهو النبي صلى الله عليه وسلم! »، ولم يزل يكررها حتى سقط إلى الأرض وأخذ يبكي. فلما أخذ في البكاء؛ أمر الشيخ أهله أن يحتجبوا [235]، ولم يأمرهم قبل ذلك بالاحتجاب إلا حين رجع للحس والشعور.

وأتاه مرة بعض الناس بثوب كان استعاره فاحترق له؛ فشكا إليه؛ فجعل الثوب تحته، واشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم أخرجه وليس به أثر حرق.

وفضائله كثيرة، وكراماته شهيرة. ولم تزل كراماته تفوح، وأنواره إلى الآن تلوح، نفعنا الله به. وانتفع به خلق كثيرون، متفرقون في البلاد، من ملازمتهم للبردة، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال في "المرآة": « توفي بفاس سنة إحدى عشرة وألف، وحضر جنازته خلق عظيم، ودفن خارج باب الفتوح، في سفح المصلى؛ حيث سيدي علي حماموش، وسيدي علي الصنهاجي وغيرهما، وبنوا عليه ». هـ. وقال في "ابتهاج القلوب": « توفي بفاس سنة إحدى عشرة وألف، ودفن خارج باب الفتوح، قريبا من روضة الشيخ سيدي أبي المحاسن، وبنيت عليه قبة هنالك في سفح

---

[1] الأكحل: الأسود.

المصلى، وقد جدد بناؤها في هذه السنين، وأبدع فيها بالنقش والتزويق، وذلك سنة ثمان وستين وألف، وطلب مني من تناول استعمال ذلك أن أضع أبياتا تكتب في مشهده؛ فكتبت له في ذلك:

هذا ضريح لديه الفوز موجود ... والسعد باطنه والفضل والجود
ما الستر فيه ولكن عند ساكنه ... مأوى الذي هو مأوى الحمد محمود
فاحضره يا طالب الخيرات تحظ بها ... والزمه تسعد فإن الشيخ مسعود
من بعد عشر وألف ضم ساكنه ... هو الدراوي الذي بالفتح مقصود)).

قال: ((وهذه الأبيات مكتوبة على ضريحه، إلا أنها مفرقة هنالك. وله أقوام ينتسبون إليه في الأخذ بواسطة، يجتمعون هنالك للذكر، وهم بنوا ذلك)).هـ.

وقبره – رحمه الله – هي: التي بإزاء قبة سيدي علي حماموش، فوقها إلى ناحية يسارها، أسفل روضة سيدي الطيب الكتاني التي بناحية المصلى. ترجمه في "المرآة"، و"الممتع"، و"الابتهاج"، و"الصفوة"، و"الروض"، و"المطمح"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الدرر المرصعة"، و"كتاب الفكر والاعتبار"... وغير ذلك.

[691– سيدي أحمد ابن دريهم]

(ت: 1044)

ومنهم: الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن دريهم. ممن أخذ عن الشيخ سيدي مسعود – المذكور – وانتفع به، توفي – رحمه الله – سنة أربع وأربعين وألف. ودفن بروضة شيخه المذكور.

[692– سيدي علي ابن الحاج]

(ت: 1049)

ومنهم: الشيخ الشهير الصالح، الولي الناسك الناصح؛ أبو الحسن سيدي علي ابن الحاج. من أصحاب سيدي مسعود – أيضا – توفي عام تسعة وأربعين وألف. ودفن بروضة شيخه أيضا.

[692– سيدي محمد بوشامة]

(ت: 1053)

ومنهم: الشيخ الشهير، الولي الصالح الكبير؛ أبو عبد الله سيدي محمد بوشامة؛ به دعي [236] البقاج الصبيحي، الفاسي الدار والمزار.

أخذ عن الشيخ سيدي مسعود الدراوي - على ما ذكره في "معتمد الراوي" - أو: عن سيدي علي ابن الحاج المتقدم - على ما ذكره في كتاب "التفكر والاعتبار" - ولعله أخذ - أولا - عن الأول، ثم بعده عن الثاني.

وله كلام رائق في طريق القوم؛ شهد له به أهل زمانه من العلماء والصوفية، ولم يزل يشهد به كل من سمعه. وقد نقل عنه في "معتمد الراوي" في مواضع، وحلاه في موضع منها بالولي الصالح. وفي موضع آخر بالسيد الصالح، ذي النور اللائح. وأفاد أنه: من الصلحاء المعاصرين لسيدي أحمد الشاوي؛ دفين الجرف، الذين كانوا يجتمعون معه، ويتبركون به ويزورنه.

توفي - رحمه الله - فاتح سنة ثلاث وخمسين وألف، ودفن بروضة سيدي مسعود المذكور.

[693- سيدي محمد العربي البَعّاج الصبيحي]
(ت: 1090)

ومنهم: الشيخ الناسك، الصوفي السالك؛ أبو عبد الله سيدي محمد العربي البعاج الصبيحي.

كان - رحمه الله - كثير الذكر والصمت، لا يتكلم إلا فيما يعنيه، ولا يجالس إلا من يعظه وينهيه، وكانت أحواله مرضية، وأخلاقه سنية.

أخذ عن الشيخ سيدي محمد بوشامة المذكور، وتوفي سنة تسعين وألف، ودفن مع شيخه بالروضة المذكورة.

[694- المجذوب سيدي أحمد المَيسُوري]
(ت: 1075)

ومنهم: الشيخ المجذوب، المقرَّب المحبوب، صاحب الأحوال السَّنية، والكرامات العجيبة البهية؛ أبو العباس سيدي أحمد الميسُوري.

كان - رحمه الله - مجذوبا بهلولا، صاحب أحوال وكرامات، والغالب أنه: من أصحاب أصحاب سيدي مسعود الدراوي. توفي سنة خمس وسبعين وألف، ودفن بباب روضة سيدي مسعود المذكور.

ترجم هؤلاء الخمسة صاحب كتاب "التفكر والاعتبار"، وأشار غيره لبعضهم.

[695- سيدي عبد الله بن موسى المطرفي]
(ت: 1080)

ومنهم: الفقيه الأجل، الخير الدين الأفضل، الصالح الناسك؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن موسى المطرفي.

قال في "النشر" - نقلا عن سيدي العربي الفشتالي: «كان رجلا خيرا، مشتغلا بما يعنيه في هذا الزمان الصعب، وهو من أصحاب سيدي محمد أبي شامة، وأدرك الناس كثيرا، وكان شيخنا سيدي محمد ابن مبارك يخبرنا عنه بأخبار يُفهَمُ منها صلاحه، وتكلمت مع سيدي محمد الفاسي في شأنه؛ فقال لي سيدي محمد ابن مبارك: لا يشُك - بالبناء للفاعل - في صلاحه - أي: صلاح سيدي عبد الله، رحمه الله ونفعنا به - وقرأت معه شطر ختمة من القرآن، وكان يدعو لي بخير، وأوصاني بشيء، وتكلمت معه يوما - فيما أظن - على الوعظ، فقال لي: قال لي سيدي فلان عند موته حيث قيل له: أوصنا . قال: أوصيكم بما أوصى به الأولون والآخرون: ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾. [النساء: 131]. انتهى كلام سيدي العربي الفشتالي منقولا من خطه ». انتهى كلام صاحب "النشر".

وذكر في صدر ترجمته نقلا عن سيدي العربي الفشتالي المذكور [237] أنه - رحمه الله - توفي سحر يوم الأحد تاسع عشر رمضان عام ثمانين وألف. .قال: « ودفن بروضة الولي الصالح سيدي مسعود الدراوي ».هـ.

[696- المجذوب سيدي محمد الخَلْطي]
(ت: 1016)

ومنهم: الشيخ الصالح، الولي الفالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد الخلطي. كان بهلولا مجذوبا، متجردا ملامتيا، وظهرت له كرامات، وبركات ومكاشفات.

وكان معاصرا لسيدي مسعود الدرَاوي، وسيدي عبد المجيد البادسي، وسيدي أحمد الشاوي، وسيدي يوسف الفاسي. . . وغيرهم. وكان سيدي قاسم الخصاصَي يعُده فيمن لقي من أهل الأحوال.

توفي يوم الأحد الموفي ثلاثين من المحرم سنة ست عشرة وألف، ودفن بجوار سيدي مسعود الدراوي في روضته. ترجمه في "المقصد"، و"الروض"، و"النشر"، و"الزهر الباسم". . . وغيرها.

وذكر صاحب "المقصد" أنه: «لا يعرف له شيخا ولا سندا». وإليه وإلى كثير ممن دفن بهذه الروضة أشار الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

وسيدي مسعود "الدرعي"	مقامه مرتفع سَني
كان محبا عاشقا معروفا	بحب سيد الورى مشغوفا
مصليا عليه سرا وجهارْ	آناء ليله وأطراف النهار
وفي مقامه رجال وَهُمْ:	محمد الخلطي حقا منهم
كذاك عبد الواحد ابن عاشور	والميسوريُّ منهمُ في المأثور
وخلفه: السيد عبد الرحمن	وابن دريهم أحمد ذو العرفان
وسيدي محمدٌ بوشامة	ثم علي ابن الحاج ذو الكرامة

[697- المجذوب سيدي محمد السباعي (زِيتِي)]
(ت: 1302)

ومنهم: المجذوب الموله، الساقط التكليف؛ أبو عبد الله سيدي محمد السباعي؛ الملقب عند بعض الناس بـ: زِيتِي (بزاي مكسورة، بعدها: ياء تحتية ساكنة، بفوقية مكسورة، فياء).

كان مجذوبا مولها، غائبا ساقط التكليف، يبول ويتغوط على ساقيه، وكان جلالي الظاهر والباطن، يخبر بمغيبات جلالية - من الغلاء ونحوه - فبعضها يكون كما أخبر، وبعضها تلوح عليه لوائح الوقوع، ثم تصحبه الألطاف الخفية. وكثير من الناس يتبركون به، ويتوسمون فيه الخير والبركة. ومنهم من ينفر عنه؛ لما يراه فيه من الجلال وتغير الحال.

توفي - رحمه الله - ليلة الأحد ثامن ربيع الثاني عام اثنين وثلاثمائة وألف، ودفن بجوار قبة سيدي مسعود الدراوي من أعلاها، رأسه لناحية القبة المذكورة، ووجهه لجهة القبلة.

وقبل موته بنحو الخمسة أيام؛ رأيت في المنام كأني في بعض طرق فاس، وإذا بجنازة رجل غريب، ومنادي ينادي: «من أراد السعادة - أو نحو هذه العبارة - فليشيع هذا الرجل [238]»، فذهبت معهم لتشعيبه إلى هذا الخارج، ووجدت مع جنازته رجلا يقال له: مولاي إدريس بن عبد الهادي. فلما فرغ الناس من دفنه؛ ذهبوا إليه للتعزية - كأنه هو وليه المعَزَّى فيه - فلما كان اليوم الذي توفي فيه؛ خرجت من الدار بقصد صلاة العصر. فسمعت في الطريق بموته، وأنهم قد ذهبوا للصلاة عليه بعد صلاة العصر بجامع الأندلس، ثم دفنه بباب الفتوح، فقلت: «لعله الرجل الغريب الذي رأيت!»؛

وذهبت معهم رجاء البركة، وحضر جنازته جم غفير، وأخبرت أنه: نودي في الناس بحضور جنازته - نفع الله به.

[698- المجذوب العارف الشريف سيدي محمد بن محمد الكتاني (الحَمْدُوشي)]
(ت: 1214)
[699- ووالده العارف الشريف سيدي مَحمد بن أحمد الكتاني]

ومنهم: الشريف المجذوب، المقرب المحبوب، ذو الأحوال الغريبة، والتصرفات العجيبة، السيد الكبير، والولي الشهير؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: الحَمْدُوشي؛ لكونه - والله أعلم - كان في أول أمره تابعا لطريقة الشيخ سيدي علي بن حَمْدُوش؛ دفين زرْهُون - وهو: ابن أبي عبد الله مَحمد (فتحا) بن أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن علي الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني.

كان - رحمه الله - أحد الصلحاء المذكورين، والكبراء المشهورين، له في وقته الصيت العظيم، والمجد الصميم، والذكر الفخيم، والسر العميم، والرسوخ في العرفان والولاية، والوضوح في المكارم والعناية.

[700- استطراد بترجمة القائد المحجوب]

ذكره صاحب "سلوك الطريق الوارية" استطرادا في ترجمة الطالب الأرضى، العارف السالك المرتضى، الحاج الأبر؛ سيدي المحجوب. المعروف بالقائد المحجوب. قائلا ما نصه: «وهو كان سبب غيبة الشريف سيدي محمد بن سيدي محمد الكتاني الحسني الحمدوشي؛ الموجود الآن. فكان الشريف المذكور يطلع عند سيدي المحجوب - صاحب الترجمة - كثيرا، حتى لقنه بعض الأسماء؛ فكان الشريف مواظبا عليها، حتى غاب غيبة بقي عليها إلى الآن، فتراه يجلس في الأسواق والدروب كيفما تيسر له الجلوس، من غير اختيار، متجردا على هذه الحالة، لا يختار موضعا، ويجلس في موضع مرة أو مرتين، وفي بعض المواضع العشرة أيام وأكثر، والعشرين في بعضها . . . وهكذا، وهو ملازم للذكر لا يفتر لسانه، وقليل كلامه مع الناس؛ وجل كلامه بالمعاني، وصار يخبر بأخبار غيبية بالإشارة لمن يفهمها . وقليل ما هم!» . هـ.

وسيدي المحجوب المذكور: كان من عبيد سيدي البخاري، وكان خفيا؛ يحمل المكحلة أمام مولاي علي بن السلطان، وحج معه الحجة الأولى راجلا. وكان عارفا سالكا، تعتريه الأحوال، وله معرفة بسلوك الطريقة والحقيقة، له فيهما اليد الطولى. وكان سلوكه من طريق الأسماء؛ وهي معتمده.

وجل أيامه الصيام، وكان مغيثا لمن يستغيث به، وكلامه لا يسقط قط. ترجمه صاحب "سلوك الطريق الوارية" المذكور.

[رجوع لترجمة سيدي محمد الكتاني (الحمدوشي)]

وكان شعار صاحب الترجمة [239] فيما بلغنا: إيقاد النيران، والاصطلاء بها، والرقاد بجانبها أو فيها، حتى كأنها له منزل وقرار، ومحل اضطجاع واستقرار.

ومن عجيب ما يحكى عنه في ذلك، وغريب ما كان يفعله هنالك: أنه كان ربما يأخذ الأحمال الأربعة أو الخمسة من الفحم، ويوقدها في بيت بداره، فإذا اتقدت؛ دخل البيت المذكور، وسده عليه، ونام فيه الأيام الثلاثة والأربعة، حتى يصير الفحم المذكور رمادا، ولا يبقى أثر للنار به، وحينئذ يفتح عليه ويخرج منه، ولا يقدر أحد من أهل بيته ولا من غيرهم أن يمنعه من ذلك، ولا يتأذى البيت ولا شيء منه. وكان لغلبة الجذب عليه؛ يدخل بعض الدور من غير إذن من أربابها، على النساء وغيرهم. ولما اعتادوا ذلك منه؛ لم يقدروا على منعه إلا بغلق الأبواب وسدها – دائما – إلا عند الحاجة، فكانوا لا يشعرون إلا وهو معهم يدور بينهم، ولا يدرون من أي محل يكون دخوله!.

ومما يحكى من كراماته: أنه كان يأخذ الأرطال من البارود ويجعلها في النار، أو يجعل النار عليها، ويحلف لها بالحرام إن قامت واشتعلت لا تقوم في شيء أبدا، فلا تقوم ولا تشتعل، والناس ينظرون.

ومما يحكى منها: أن رجلا جاء إليه وأخبره أنه قد ازداد عنده ولد، وأنه لا يجد ما يسميه به، فدفع إليه مُوزونة، وأمره بجعلها في جيبه، وبالإنفاق منها. فامتثل ما أمره به، وجعل ينفق منها ما يحتاج إليه أياما حتى مضى يوم التسمية، ونظر في الجيب، فوجد الموزونة بحالها، وانقطع – حينئذ – ما كان فيها من السر.

ومما يحكى منها أيضا: أن امرأة كان لها زوج وولد، وكانا غائبين في الحج، فلما كان يوم عيد الأضحى؛ ضحت واتخذت من لحم أضحيتها شواء، فأعجبها، وتمنت أن لو أكل منه زوجها وولدها المذكوران. فبينما هي كذلك؛ إذ دخل عليها صاحب الترجمة، وقال لها: «اعطني فطور زوجك وولدك!»، ففعلت وهي لا تعلم ما يريد أن يصنع به. فأخذه ملفوفا في فوطة، وكان خبزا وشواء. فبينما ولدها وزوجها في موسم الحج، إذ به قد فجأهما ودفعه إليهما، فأكلاه وتعجبا من ذلك، وبقيت الفوطة المذكورة تحت أيديهما حتى قدما، فجعلت المرأة المذكورة تأخذ أمتعتهما لتجعلها في محالها؛ فوجدت الفوطة، فعرفتها وقالت: «من أين لكما بها؟!»، فذكرا لها القصة، فأخبرتهما بما كان من أمره معها؛ فتعجبت وتعجبا، وأيقنوا بأنه – رضي الله عنه – من أهل الخطوة!.

وسمعت بعض من يظن به الصدق يحكي عن والد له عن مولاي الطيب الكتاني عن أخيه - صاحب الترجمة - أنه كان يقول: « من رآني إلى سبعة؛ لم تمسه النار! ». وسمعت حفيد صاحب الترجمة من بنته: الشريف الأجل سيدي المفضل بن مولاي الغالي [240] بوطالب يقول: « سمعت أخي جعفرا يقول: سمعت الحاج عبد النبي اللبار يقول: سمعت سيدي محمد الكتاني - يعني: صاحب الترجمة - يقول: أعطى الله عز وجل لجميع أهل هذا الوقت موزونة من الولاية؛ لمحمد الكتاني منها - يعني: نفسه - عشرون فلسا، والباقي - وهو أربعة أفلس - هو الذي لجميع الأولياء، والله لا يسأل الله عز وجل أحدٌ حاجة عند قبري؛ إلا وقضيت له! ».

وسمعت - أيضا - بعض الثقات يحكي عن بعض أصحاب مولاي الطيب الكتاني عنه أنه كان يقول: « في وقت أخي محمد أعطى الله عز وجل لأولياء الأرض موزونة من التصرف؛ كان لأخي محمد منها عشرون فلسا، وما بقي: هو الذي كان لغيره من الأولياء ». هـ.

وسمعت - أيضا - أنه: كان ينقل عن أخيه صاحب الترجمة أنه كان يقول: « من كانت له إلى الله تعالى حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة؛ فليأت إلي - كنت حيا أو ميتا - وليقرأ ما شاء الله، أو ليذكر ما شاء الله، وليسأل الله بي؛ فإنها تقضى له، وإن لم تقض؛ فليطالبني بين يدي الله تعالى ».

وقد أورده السيد الفقيه العلامة سيدي محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج في كتابيه المسمى "بالإشراف"، والمسمى "بنظم الدر واللآل"، وذكر فيهما أنه: لا عقب له - يعني: من الذكور - وذكر في الأول أنه: كان وليا صالحا؛ ظهرت على يديه خوارق دلت على أنه من أهل الخصوصية والتصرف، وله أتباع يعتقدونه، والغالب عليه: الجذب. وذكر في الثاني أنه: كان من الأولياء الكمل، العارفين بالله تعالى، ظهرت عليه خوارق وكرامات دلت على أنه من أهل الخصوصية والتصرف التام.

وأورده - أيضا - الشريف العلامة مولاي الزكي العلوي في كتابه المسمى "بالدرة الفائقة" وحلاه بالعارف، ثم ذكر أنه: كان من أهل الخصوصية والتصرف، وأنه كان له أتباع يعتقدونه ويجزمون بكماله، والغالب عليه الجذب، وله كرامات لا تحصى... قال: « وقد أخبرني بعض أعيان هذه الشعبة الكتانية - ممن يوثق به - أن والد سيدي محمد - أي: صاحب الترجمة - وسيدي الطيب؛ وهو: مولاي مَحمد (فتحا) بن أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن علي بن قاسم - الجد الجامع لهذه الشعبة؛ كان من الصالحين العارفين، مستجاب الدعوة ». هـ.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله ونفعنا به - سنة أربع عشرة ومائتين وألف، ودفن بالمصلى، بالروضة التي يدفن بها هناك بعض أبناء العم، وهي: التي دفن معه فيها أخوه وشقيقه مولاي الطيب ملاصقا لرجليه. وقد نبتت عند رأسه نخيلة صغيرة، وقبره مزار معظم إلى الآن، وحتى الآن.

[701- الإمام العارف الشريف مولاي الطيب بن محمد الكتاني]
(ت: 1253)

ومنهم: أخوه وشقيقه الولي الكامل، المحقق الواصل، السيد الجليل، المشهود له بالعناية والتفضيل [241]، المقطوع بولايته، المجمَع على بركته وديانته، ذو الآيات الظاهرة، والكرامات الباهرة، والسر الواضح، والنور اللامع اللائح، العارف الرباني، والقطب الصمَداني؛ أبو المواهب مولاي الطيب بن محمد الكتاني.

كان - رحمه الله - طودا شامخا، وجبلا راسخا، وعارفا كاملا، وسيدا واصلا، ونورا ساطعا، وبرقا لامعا، ونجما يُستضاء بأنواره، وعَلَماً يهتدى بمعارفه وأسراره، ظهر له من الكرامات ما لا يحصى، ومن الخوارق ما لا يعد ولا يستقصى، بل ما هو أجلى من الشمس في الوضوح، حتى لم يوجد أحد من الخاصة والعامة إلا وهو يغدو به ويروح، وتواترت به النقول، وتلقاه جميع العظماء - فضلا عن غيرهم - بالقَبول، وأذعن له - رضي الله عنه - الصغير والكبير، والمأمور والأمير، كل يقر له بالولاية، ويشهد له بكمال الرعاية، ويحكي من كراماته الكثير، ويقول: أشهدُ بالله إنه لولي كبير.

وكيف لا؛ وقد أظهر الله عز وجل على يديه من التصرفات، والخوارق والآيات، ما يقضي له بالخصوصية الكبرى، ويدل على علو رتبته ومقامه وحاله دنيا وأخرى، وانتفع بمحبته الخلق الكثير، وتلمذ له الجم الغفير؟!.

وكان في أول أمره: يخدم حرارا، ثم إنه ذهب مرة هو وسيدي حمادي الكتاني المتقدم، وجماعة من الناس لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش - رضي الله عنه - فنزلوا بـ: "بوبريح" من قبيلة بني زروال لزيارة مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، وكان إذ ذاك حيا؛ فاجتمعوا به وتبركوا، ولما أرادوا الرجوع؛ قال الشيخ مولاي العربي لمولاي الطيب: «أسيدنا؛ أنت لا تخدم لنا شيئا؟، بل اجلس بركة؛ الأكوان تخدمك، ومن رآك أو مس ثيابك لم تمسه النار، وهذا ابن عمك سيدي حمادي عنده خبزة كبيرة صافية!».

فلما قدم صاحب الترجمة فاسا؛ باع ما بيده من أمتعة الخدمة، وفاض فيه الحال، وحصل له الجذب العظيم، وبقي مدة من نحو العامين وهو ينام على التراب بباب دار بالعقبة الزرقاء من عدوة فاس القرويين، ثم بعد ذلك حصل له السلوك شيئا فشيئا، وصار يلبس الملابس الفاخرة، والثياب الرفيعة الباهرة، وحصل له ولوع بالضريح الإدريسي، وإكثار من الزيارة له، وظهر له من الكرامات ما يضاهي النجوم كثرة، والشمس وضوحا.

ومما بلغنا من كراماته: ما حدثني به الشريف العلامة أبو عبد الله سيدي محمد الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الشبيهي الزرهوني قال: «حدثني الحاج المُفَضَّل كنون - قلت: وكان ثقة أمينا - قال: دخلت مرة سوق الحايك [242] من أسواق فاس، قريبا من سوق العطارين، وإذا بسيدي الطيب الكتاني دخل السوق المذكور، ووقف عند رجل هناك من أولاد البوري، وكنت لا أعرفه في ذلك الوقت؛ فقال للرجل المذكور وهو يتحدث معه: ذنوب المسلمين كلهم في رقبتك! . وكان الناس إذ ذاك في قحط شديد وهم يستغيثون إلى الله تعالى ويستشفعون له في نزول المطر، ثم ذهب لحاله. . . ».

قال: «فقلت للرجل المذكور: من هذا، وما شأنه؟ . فقال لي: هذا مولاي الطيب الكتاني، وهو يقول لي: إنه لا ينزل المطر حتى تشتري لي حانكا، وأن ذنوب الخلائق في رقبتك إن لم تفعل! . قال: فقلت له: اذهب إليه وقل له يرجع، فأنا أشتريه له. فذهب ورجع معه؛ فاشتريت له حانكا بشهوته وكانت السماء مصحية غاية الصحو، فما جاء الليل حتى رحم الله العباد، وجاء المطر الغزير ببركته. . . ».

ومنها: ما حدثني به رجل ثقة قال: «جاء المحتسب السيد علال الشامي في زمن حسبته إلى رجل من أصحاب مولاي الطيب الكتاني وطلب منه أن يستشفع له عنده في نزول المطر، وكان الناس في وقفة عظيمة، فذكر ذلك الرجل المذكور لمولاي الطيب؛ فقال له - وكان صائما هو وإياه، والوقت وقت الغروب والإفطار: لا نفطر الليلة إلا إذا نزل المطر! . قال: فرمقت السماء؛ فوجدتها في غاية الصحو. فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ أتعبت الشريف المذكور، وتسببت لي وله في الجوع. قال: فنام ساعة ونمت معه، فما أيقظنا إلا حسّ المطر، فقمنا فوجدنا المطر الغزير؛ فأفطر حينئذ وأفطرنا معه ».

ومنها: ما حدثني به بعض أبناء عمنا عن رجل سوسي الأصل من أرباب الشرطة؛ قال: «كانت لي بغلة هي عندي أعز من عيني؛ فسُرقت ولم أدر سارقها ولا محلها، وتحيرت في أمري، وفعلت كل ما أمكنني فعله من الطلب لها؛ فلم أجد لها خبرا. فأمرني بعض الناس بالذهاب لمولاي الطيب الكتاني. فذهبت إليه وتضرعت بين يديه؛ فقال لي رضي الله عنه: تأتيك بغلتك بشرط أن تشتري لي طابقا من اللحم المعلوف. فقال: فقلت له: سمعا وطاعة. وذهبت ألتمس لحم المعلوف، فدُللت عليه بفندق بالنخالين، فذهبت إليه، فبينما أنا أتكلم مع رب اللحم؛ إذ سمعت بغلتي صوتي وكانت هناك في بيت وهو مقفول عليها، فعرفتني وجعلت تحنحن وتضرب برأسها في الباب؛ فعرفت صوتها أيضا، وذهبت إليها؛ فوجدتها بغلتي. وما خرجت من هناك حتى ركبت عليها وذهبت بها ومعي طابق اللحم، حتى وصلت إلى مولاي الطيب؛ فدفعته إليه، وأخبرته الخبر، وعلمت أنه إنما أرسلني لأخذ البغلة لا لشراء الطابق المذكور، نفعنا الله به [243] ».

ومنها: ما حدثني به الفقيه الأجل، المدرس الأمثل؛ صاحبنا أبو العباس سيدي أحمد ابن المهدي المعروف بابن العباس، عن والده المذكور قال: «كنت في حال الشباب ذا نخوة وعجب في نفسي، وكنت لا أباشر شيئا من السوق بنفسي. فلقيني مرة مولاي الطيب الكتاني وقال لي: اشترِ لي كذا وكذا من القرع. قال: فما وجدت بُدا من امتثال أمره، وفعلت؛ فذهب عني كل ما كنت أجده في نفسي من ذلك الوقت ببركته، وعلمت أنه إنما أراد مداواتي».

ومنها: ما حدثني به غير واحد من الأخيار؛ أن صاحب الترجمة دفع مرة شيئا من الشمع لبعض أصحابه ليلا، وأمره أن يذهب به في ذلك الوقت لسلطان الوقت مولانا عبد الرحمن بن هشام، فلم يمكنه أن يوصله له فيه؛ لمكان الليل، فلما كان الصباح؛ صعد به إليه، فقال له: «ما شأنه؟»، فقال له: «إن سيدي الطيب الكتاني أمرني أن آتي سيدنا به في وقت كذا وكذا من الليل، ولم يمكني ذلك في ذلك الوقت». فقال له السلطان المذكور: «سبحان الله؛ والله لقد قمت في تلك الساعة واحتجت لشيء من الشمع، وفتشت عليه؛ فما وجدته، فهذا مولاي الطيب يقول لنا: إنك بأعيننا ولا يخفى علينا شيء من أمرك!».

ومنها: أن بعض أصحابه - وهو: الحاج محمد القباب - أراد مرة الحج، وتكارى مع الجمَّال؛ فلما أراد الخروج؛ أرسل إليه صاحب الترجمة يأمره بالرجوع، ويترك الحج في تلك السنة، فامتثل ورجع، وفسخ العقدة التي كانت بينه وبين الجمال. ولما لقي صاحب الترجمة؛ قال له: «إن طبية تريد أن تمر عليك قريبا، ونريد أن تكون في بلدك مع أهلك»، فبعد أشهر يسيرة؛ مرضت عيناه وآل أمرهما إلى الذهاب، وصار لا يبصر بهما شيئا. فذهب مرة لطبيب يطبه؛ فقال له: «هذه العين - وأشار لإحدى عينيه - صارت حفرة، والأخرى طلع عليها الماء الأزرق؛ فلا دواء لك»، فحصل له بذلك غم عظيم، ثم إنه بدا له يوما في الذهاب لزيارة مولانا إدريس - رضي الله عنه - فبينما هو في أثناء الطريق؛ إذا بصاحب الترجمة، فقال له: «أين تريد؟»، فقال: «يا سيدي؛ زيارة مولانا إدريس، أطلب منه الشفاء لعيني»، وقص عليه قصته مع الطبيب. فقال له: «إن أعطيتني الوعدة؛ شفى الله عينيك»، فقال: «يا سيدي؛ أنا كلي لك!»، فوضع يده على عينيه وقرأ ما تيسر، ثم مسح بها على وجهه، ورمى من يده بشيء أسود على هيئة الذبابة، فأبصر في الحين، وذهب لزيارة مولانا إدريس - رضي الله عنه - مبصرا كأن لم يكن به شيء.

قلت: فكان في هذه الحكاية كرامتان عظيمتان:

الأولى: أمره بالرجوع، وإخباره بما سيقع له.

الثانية: رد بصره عليه بعد اليأس منه في الحال، من غير استعمال دواء [244] ولا مضي زمن يمكن فيه التداوي، فسبحان القادر على كل شيء!.

ومنها: أن بعض الشرفاء من أبناء عمنا ازدادت عنده بنت ولم يجد ما يسميها به، فذهب إليه وطلب منه أن ينظر له في شيء من الدراهم. فذهب به إلى مسجد القرويين وأجلسه معه هناك بباب الصومعة، ثم نظر إليه وقال: «أنا أنظر لك فيما تسمي به هذه البنت، ولكن: أشترط عليك أن تعطيها لي وأنا أسكنها هاهنا بجامع القرويين!»، فقال له: «هي لك»، فنظر له في شيء من الدراهم؛ فأخذه وذهب لحاله. ولما كبرت البنت المذكورة؛ تزوجها بعض من كان مؤقتا بمنار المسجد المذكور وأسكنها معه هناك.

ومنها: أن بعض أصحابه كانت له أروى يربط فيها دابة، وكان قد كثر فيها الفيران؛ فجعل لهم في بعض أماكنها شيئا من الرهج ظنا منه أن الدابة لا تصل إليه؛ لكونها مربوطة، فحل رباطها مرة، وذهب بها لتشرب، فشربت وردها، فدخلت إلى الأروى، ووقف هو ببابها يتكلم مع بعض الناس، فما فرغ من الكلام ودخل الأروى بقصد رباطها حتى وجدها قد أكلت جميع الرهج المذكور؛ فحصل له من الحزن بسبب ذلك ما لا يكيف، وأيقن بهلاكها.

ثم جاء إلى صاحب الترجمة في الحال، وأخبره بذلك؛ فقال له: «إن أخي سيدي محمد ذهب مرة إلى رجلين لكل واحد منهما دابة، وذلك في محل لهما يدرسان فيه الزرع، والدابتان قائمتان، فقال لهما: ليعطني كل واحد منكما مثقالا من الذهب الآن. فأما أحدهما؛ فأعطاه له في الحال، وأما الآخر؛ فلم يفعل. فلما كان من الغد؛ أصبحت دابة الذي دفع المثقال سالمة، والذي لم يدفع له شيئا ميتة. فتفطن الصاحب المذكور لما أشار له به؛ فقال له: يا سيدي؛ ها مثقالي الآن. فأخذه منه وجعل يقلبه بيده، ثم رجع الصاحب إلى الأروى لينظر ما فعلت الدابة؟، فوجدها قائمة ليس بها بأس. ثم إن صاحبا له من أهل البادية قدم إليه؛ فدفعها له؛ فخرج بها ومكثت عنده هناك مدة، فرمت شعر جسدها بتمامه، وخلف لها شعر آخر أحسن من الأول، ثم قدم بها إليه أحسن مما كانت بكثير، فباعها بأربعين مثقالا، ولا يكاد يسمع في ذلك الوقت أن دابة تصل إلى هذا الثمن.

ومنها: أن رجلا من أولاد التُّوَيْمي ابن جَلُّون – وكان من أصحابه – أصابه مرة شبه حزازة[1] في شفته السفلى، واستمر به، وصار يرعى شفته، فحصل له من ذلك غم كثير، وعزم على استعمال العشبة، واشتراها وذهب بها قاصدا زيارة مولانا إدريس، فبينما هو في أثناء الطريق قريبا من ضريحه؛ إذا بصاحب الترجمة آت من ناحيته؛ فقال له: «أين تريد؟»، فقص عليه [245] قصته، فقال له: «الناس يأخذون شيئا من الريق ويدهنون به الحَزَازة»، ثم أخذ شيئا من ريقه

---

[1] الحزازة: الحكة والطفح الجلدي.

ودهنها بـه. قـال: «ويقولون: يا حُزازا يا مُزازا، أمك مشت للجنازة، فلم تجد أين تجلس ثم تيبس، ثم تيبس، ثم تيبس»، ثم أمره برد العشبة، وقال له: «لا تستعملها ولا بأس عليك». قال صاحب القصة: «فوالله ما مضت ثلاثة أيام حتى لم يبق لها أثر!».

ومنها: أن رجلا شرب الحيوان المسمى بـ: "المدّ" مع الماء، وعظم في بطنه، وضاق به الأمر، فجاء إليه وتضرع بين يديه. فقال له: «إن شريفا من أهل وازان أتاه مرة رجل يشكي له بمثل ما تشكي به، فرفع يده وأشار إلى بطنه هكذا وهكذا - يعني: طولا وعرضا - فمات المد في بطنه وتقطع أطرافا، ونرجو الله أن يكون هذا كذلك». فما قام الرجل عنه حتى دارت بطنه؛ فذهب إلى الخلاء؛ فرماه كذلك قطعة قطعة.

ومنها: أنه دعا مرة لمنزله جماعة كثيرة من الفقراء من أصحابه وغيرهم، حتى عمرت الدار والباب، ولم يجد آخرهم محلا للجلوس، فدخل بعض خاصة أصحابه إلى المطبخة لينظر إلى الطعام الذي يصنع للناس؛ فوجد شيئا يسيرا من الكسكس لا يكاد يكفي عشرة من الناس، فذهب إليه وقال له: «يا سيدي؛ إن هذا الطعام الذي يطبخ قليل جدا». فقال له: «يكفي». فرجع ونظر إليه ثم عاد، وقال له مثل ذلك؛ فقال له: «يكفي، يكفي. . .». وجعلت ذاته تعظم وتطول حتى كاد رأسه أن يصل في عين المتكلم معه إلى حلقة الدار. فسكت عنه حينئذ وعادت ذاته إلى ما كانت عليه قبل.

ولما أراد الناس الأكل؛ أعطاه خرقة من كتاب أو نحوه، وقال له: «اجعلها على الطعام، وخذ من تحتها، ولا تكشفها»، ففعل ما أمره به، وجعل يملأ الأواني، والناس يأكلون، حتى أكلوا عن آخرهم، وجعل المنادي ينادي: «يا من يأكل طعام الله؛ لله؟». فلما فرغ الناس من أكلهم؛ كشف عن الطعام؛ فوجده بحاله كأنه لم يؤخذ منه شيء!.

ولو رُمْتُ تتبع كراماته، وما يتحدث به الناس من باهر آياته؛ لملأتُ منها كل واسع، على أن الحصر فيها يقصُر عنه طمع الطامع:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل؟!

وقد سمعت بعض الأخيار يحكي عن بعض من لقيه من المباركين قال: «*آخر أولياء هذه الحضرة الذين أذن الله تعالى لهم في قضاء الحوائج، وكانوا يتصرفون جهرة، ويبيعون ويشترون مع الناس ولا يبالون؛ هو: مولاي الطيب الكتاني رضي الله عنه*».

ورأيت [246] بخط سيدنا الوالد - أبقاه الله ونفع به - وصفه بالقطبانية، وكنت قد توقفت عن وصفه بها مدة، ثم سمعت عنه من الحكايات والأخبار ما أيقنت معه باتصافه بها، وعلمت به أنه صاحب الوقت في زمانه، وسلطان أولياء عصره وأوانه. . من ذلك:

أن الحاج الطيب ابن سليمان - وكان من أصحابه - حج مرة وزار قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل اتصاله به، فلما كان تجاه القبر الشريف؛ طلب من الله تعالى أن يدله على رجل من آل البيت يوصله إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فلما رجع بعد ذلك لفاس، بينما هو يوما يخدم في طرازه على العادة؛ إذ دخل عليه صاحب الترجمة وقال له: «قم معي!»، فأبى من ذلك في نفسه، ثم إنه استحيا وقام معه، فعلم صاحب الترجمة أنه إنما قام معه حياء. فقال له: «أيليق برجل طلب من الله تعالى تجاه قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يدله على رجل من آل البيت يوصله إليه، فجاء الرجل الذي طلب إليه وأمره بالقيام معه أن يمتنع؟!». فلما قال له القول المذكور؛ أيقن بخصوصيته، وبأنه الرجل المطلوب؛ فانقاد إليه، وقال له: «يا سيدي؛ السمع والطاعة».

فذهبا إلى أن خرجا على باب الفتوح، ووصلا لضريح سيدي علي بن حرزهم؛ فجلسا هنالك، ثم إن صاحب الترجمة قام وتركه، وذهب متوجها قبل الطريق، فلقي رجلا مقبلا من ناحية القبلة عليه درابيل[1]، فتكلم معه ساعة ثم رجع؛ فقال له المحدث عنه: «يا سيدي؛ من هذا الرجل الذي كنت تكلم؟». فقال له: «هذا رجل من بغداد؛ طلب من رجال بلده أن يدلوه على صاحب الوقت، فقصدوه بنا؛ فجاءنا، وقد تعرضنا له وأمرناه بالدخول لزيارة مولانا إدريس رضي الله عنه آمنا». قال: «فقلت له: ولماذا يا سيدي لم تخبرني به حتى أزوره؟». قال: فقال لي: «يا بابا أخيي - وكان هذا القول كثيرا ما يجري على لسانه في مخاطباته - ***كل أحد إنما ينفعه صلاح بلده***». فقد صرح - رضي الله عنه - في هذه الحكاية بأنه صاحب الوقت في عصره، وذلك مما يدل على قطبانيته.

ومما يدل عليها أيضا: ما حدثني به بعضهم عن والد له؛ وكان من أصحاب صاحب الترجمة قال: «سمعت مولاي الطيب الكتاني يقول: قدمي على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عند جدي صلى الله عليه وسلم أعز مني». قال: «وسمعته أيضا يقول: من مس ثوبه ثوبي لم تمسه النار».

---

[1]. الدرابيل: ج: دربالة. وهي قطع قماش ولباس ممزق وغير منتظم، على هيئة اللباس. وهو بالعامية المغربية.

ويدل عليها أيضا: ما حدثني به بعض أبناء العم عن التاجر الأرضى المحب الخير الدين الحاج البرنْسي التويمي – وكان من خواص أصحاب صاحب الترجمة، وقبره بباب روضته [247] – قال: «قلت مرة لمولاي الطيب الكتاني: يا سيدي؛ من أكثر صلاحا، أنت أو أخوك سيدي محمد؟. قال: فقال لي: أنا جمعت المثقال كله بتمامه، وأخي جمع منه تسعة أواق إلا ربع». يشير إلى أنه: أتى على جميع المقامات وحصلها؛ كما هو شأن القطب، وأخوه سيدي محمد لم يأت على جميعها، بل بقي له شيء منها.

ويدل عليها أيضا: ما حدثني به الشريف البركة الثقة سيدي عمر بن طاهر الكتاني قال: «رأيت مرة في المنام سيدي العربي السَّكْتَاوتي، وسيدي أحمد العيدوني – وكلاهما كان من الأولياء بهذه الحضرة – دخلا علي بدارنا التي برأس الجنان، وإذا بسيدي العربي أمر سيدي أحمد بشقّ صدري، فشقه وأخرج من قلبي جوهرة من نور، فقال له سيدي العربي: انظر هل هناك طابع؟. فنظر؛ ثم قال له: نعم!. فقال له سيدي العربي: انظر في الجهة الأخرى. فقال: نعم؛ هي مطبوعة أيضا». قال صاحب الرؤيا: «فاستيقظت وصرت بعد ذلك أفكر في هذه الرؤيا، وفي معنى الطابع المذكور. فجلست مرة مع سيدي العيدوني وأنا أفكر في ذلك، فكاشفني وقال لي: ذلك طابع السلطان!. فقلت في نفسي: من هذا السلطان؟. فكاشفني أيضا وقال لي: هو مولاي الطيب الكتاني!. قال: فعلمت إذ ذاك أنه سلطان الأولياء في وقته».

ويدل عليها أيضا: ما حدثني به بعض أبناء العم عن بعض أولاد الشريف الصالح البركة سيدي محمد الدباغ – المدعو: بوطربوش – عنه. قال المحدث المذكور: «وسمعت ذلك منه أيضا». قال: «كنت مرة في ابتداء أمري ملازما لضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، لا أخرج منه ليلا ولا نهارا، فأتاني رجل من أرباب المخزن بدراهم، وقال لي: أطلب منك أن ترغب في مولانا إدريس ليقضي لي حاجة كذا وكذا. قال: ففعلت وقُضيت حاجته. فدخل علي الشريف مولاي الطيب الكتاني وأنا بالحرم الإدريسي، وقال لي: أهذا سوقك؟[1]، وهل حسبت أن المكان خال؟. وعاتبني في ذلك، ثم انصرف. فأتاني بعده جماعة من الأولياء وقالوا لي: إن السلطان – أو قال: قالوا لي: إن القطب – مولاي الطيب الكتاني يأمرك بالخروج من هذه البلدة في هذه الساعة وإلا تُسْلَب. قال: فقلت لهم: أمهلوني، فقالوا: ليس عندنا إذن بالإمهال. فخرجت في الحين مع قافلة وجدتها مسافرة للزاوية الحمزاوية، ومكثت هناك نحوا من عامين وأنا أستعطف مولاي الطيب المذكور، وأطلب رضاه والرجوع لوطني، حتى أذن لي بعد ذلك في الرجوع؛ فرجعت...».

---

[1] سوقك: دخلك.

وحكايات الناس عنه – فيما يدل على علو مقامه – كثيرة، رضي الله عنه ونفعنا به، وقد سمعت بعض الأشراف من السادات الأمرانيين يحكي قال: «سمعت الناس يحكون [248] عن مولاي الطيب الكتاني أنه كان يقول: إني أتصرف بعد الممات أكثر مما أتصرف في حال الحياة».

قلت: وهذا مما يدل على علو مقامه؛ لأنه لا يتصرف بعد الموت إلا الأكابر؛ كالشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش وأضرابهما[1].

وحدثني – أيضا – بعض الأشراف ممن أدرك صاحب الترجمة عن بعض أصحابه قال: «ذهب مرة جماعة من أصحاب مولاي الطيب الكتاني لزيارة مولانا إدريس الأكبر بزرهون، بأمر منه لهم بذلك، ثم مروا بمكناسة الزيتون، فذهبوا لزيارة سيدي قدُّور العلمي بها، فلما جلسوا بين يديه؛ قال لهم: «أصحاب من أنتم؟». قالوا له: «أصحاب مولاي الطيب الكتاني». فقال لهم: «ما هو الورد الذي أعطاكم؟». فحصل لهم منه حياء وخجل، وقالوا له: «يا سيدي؛ ما أعطانا شيئا، ولا يعطي لأحد شيئا».

فلما رجعوا؛ قالوا: «لا بد لنا من طلب الورد منه»، فطلبوا منه ذلك، وقالوا له: «يا سيدي؛ قد قال لنا سيدي قدور كذا وكذا»، فقال لهم: «هلا جاوبتموه؟». فقالوا له: «وبم نجاوبه؟». قال: «هلا قلتم له: صاحبنا يغني أصحابه بالنظرة، ولا يحتاجون إلى ورد؟!». فحصل لهم سرور بذلك وسكتوا.

وأخبرت أن الشريف الصالح المجذوب سيدي العابد الكتاني – المتقدم الذكر – كان أخذ في أول أمره عن الشريف الولي الكبير سيدي المهدي العراقي، وكان يتردد إليه، فلقيه مرة صاحب الترجمة وقال له: «تتركون الماء الجاري وتتبعون الماء المحكن!». أي: الراكد. ثم قال: «نحن – يعني: معاشر الشرفاء الكتانيين – إدامنا فينا؛ فلا نحتاج لإدام عراقي ولا صقلي!»، ثم ضربه على كتفيه، وقال له: «اذهب!». فحصل له من ذلك الوقت ما حصل من الجذب.

قلت: ولعل سيدي المهدي المذكور في ذلك الوقت لم يكن قد ظفر بما ظفر به من الفتح الكبير، ثم أشرقت بعد ذلك شموسه، وفاضت أنواره، واتسعت أسراره، إلى أن صار من كبار الأولياء. ويقال: إنه تقطب. رضي الله عن الجميع، ونفعنا بهم... آمين.

---

[1] وذكر ابن عمة المؤلف الإمام العارف الشريف أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "الكمال المتلالي" ص82. عن المترجم له بأن: "قطبانيته تشاكل قطبانية الإمام الشاذلي".

وسمعت بعض أبناء عمنا – وهو عدل ثقة – يحكي عن والده – وكان أيضا عدلا ثقة قال: «سمعت مولاي الطيب الكتاني يقول: لا يموت واحد من هذه الشعبة الكتانية إلا ويحضر لوفاته رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول أيضا: نحن – معاشر الكتانيين – كلنا بإدامنا، من ليس له فينا رطل له نصفه».

قلت: وهذا يؤيد ما شاع وذاع، عند غير واحد ممن له اعتلاء وارتفاع؛ من أن الكتانيين في الأدارسة بمنزلة الأمرانيين في العلويين. يريدون أنه: لا تخلو البركة من واحد منهم. نفعنا الله بهم.

وقد أورد صاحبَ الترجمة وأخاه السابق: أبو [249] عبد الله سيدي محمد الطالب ابن الحاج في كتابه المسمى "بالإشراف"، وذكر أنهما لم يعقبا، وقال: «كلاهما كان وليا صالحا، ظهرت على أيديهما خوارق، دلت على أنهما من أهل الخصوصية والتصرف، ولكليهما أتباع يعتقدونهما؛ والغالب على سيدي محمد الجذب، وسيدي الطيب السلوك. وقد أدركنا الأخير منهما، وشاهدنا له من الكرامات ما لا يحصى. قال لي: إذا همك أمر؛ فقل: استغثت بك يا مولاي رسول الله؛ فأغثني صلى الله عليك وسلم. فما فعلت ذلك في هم إلا فرج عني. توفي سيدي محمد سنة أربع عشرة ومائتين وألف، وسيدي الطيب ثالث جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف، ودفنا بمقبرتهم بالمصلى خارج باب الفتوح». هـ.

وأوردهما – أيضا – في "نظم الدر واللآل"، وقال: «كان الأخوان سيدي محمد وسيدي الطيب ولدا سيدي محمد من الأولياء الكمل، العارفين بالله تعالى، ظهرت على كل منهما خوارق وكرامات دلت على أنهما من أهل الخصوصية والتصرف التام. وتوفي سيدي محمد بن محمد سنة أربع عشرة ومائتين وألف. وتوفي سيدي الطيب صبيحة يوم الاثنين ثالث جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف. ودفنا بمقبرتهم بمصلى باب الفتوح». هـ.

وأوردهما – أيضا – صاحب كتاب "الدرة الفائقة" في ترجمة رهطهما الكتانيين قائلا ما نصه: «ومن أعيان هذه الشعبة الكتانية: الشريفان الأخوان العارفان سيدي محمد؛ المتوفى سنة أربع عشرة ومائتين وألف، ومولاي الطيب؛ المتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف. وكلاهما – رضي الله عنهما – كان من أهل الخصوصية والتصرف، ولكليهما أتباع يعتقدونهما ويجزمون بكمالهما، والغالب على سيدي محمد الجذب. وشقيقه مولاي الطيب السلوك. وقد أدركنا – والحمد لله – مولاي الطيب، والتمسنا منه الخير، واستفدنا منه أن: من أهمه أمر – كيفما كان – فليتوضأ ويصل ركعتين بالفاتحة وشيء من القرآن، ثم ينادي ويقول: استغثت بك يا مولاي يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك. ثلاث مرات. فإن الله تبارك وتعالى يقضي حاجته، ويفرج عنه همه، بفضل الله، وجاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذين الشريفين كرامات لا تحصى». هـ.

ولما قربت وفاة صاحب الترجمة؛ مرض مرضا خفيفا، فكان الناس يعودونه ويصفون له أمورا من الأدوية؛ فيأمر بشرائها وتهيئتها على الحالة التي وصفت له، فإذا أحضرت له؛ أمر بتنحيتها عنه، ولا يستعمل منها شيئا البتة. ثم إنه أرسل عمامته للشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن، وأرسل له معها ريالا، وطلب منه أن يخرج له فيها العين؛ ففعل، وأرسل يقول له: «غدا [250] إن شاء الله بُعيد صلاة الفجر يحصل الفرج». فلما كان بعيد طلوع الفجر من الغد - وكان يوم الاثنين - طلب القيام لقضاء الحاجة؛ فأقاموه، فلما رجع ووصل إلى الفراش؛ سقط فيه قائلا: «الله معك يا بابا أخَيي»، يعني: نفسه، فنظروا إليه؛ فإذا به قد مات رحمه الله، وذلك عند الإسفار، وقت صلاة الناس الصبح بالقرويين، بالدار التي سكنها أخيرا بزنقة حجامة من عُدوة فاس القرويين، وحضر جنازته العام والخاص من الناس، ودفن بالمصلى بإزاء أخيه أسفل منه، يتصل رأسه برجليه، وأدير عليهما حوش بناء متسع يقابل المدينة، وهو معروف مشهور، وهما مزاران متبرك بهما - نفعنا الله بهما وبأمثالهما... آمين.

[702- الشريف العارف مولاي الطائع بن هاشم الكتاني]

(ت: 1268)

ومنهم: الشريف الفقيه، البركة النزيه، السيد الحفيل، الماجد الأصيل، الأنزه الأرضى، الأنوه الأصعد الأحظى؛ مولاي الطائع ابن الطالب الأنجب، الفاضل الحيي الأحسب؛ مولاي هاشم ابن الطالب الأسعد، الأريب الوجيه الأمجد؛ مولاي إدريس بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد الحسني الإدريسي؛ الشهير بالكتاني.

قال في "الإشراف": «فقيه نزيه ناسك»، وقال في "نظم الدر واللآل": «من أهل الفضل والخير والدين، طاهر الساحة من كل ما يَشين، ظاهر التوفيق واليقين، علامة النجاح في غرته، وأنوار البركات في طلعته». هـ.

وقال في "الدرة الفائقة" في ترجمة الكتانيين - عند عده لبعض أعيانهم - ما نصه: «ومنهم: الشريف الوجيه، الفقيه النبيه؛ مولاي الطائع بن هاشم بن إدريس بن عبد الرحمن. كان من أهل النسك والأذكار، له همة عالية، لا تجده إلا وهو في مسجد القرويين يذكر الله، وخصوصا: طرفي النهار». هـ. وأخبرت أنه كان يسمى بـ: "حمامة المسجد"؛ لطول ملازمته له.

توفي - رحمه الله - يوم الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الأولى عام ثمانية وستين ومائتين وألف، ودفن بداخل حوش سيدي الطيب الكتاني، وراءه، بينه وبينه قبر واحد؛ وهو: قبر زوجته السيدة حبيبة الحلوة.

[703– الشريف العارف المجذوب سيدي الوليد بن هاشم الكتاني]

ومنهم: الولي الصالح المشهور، والسيد الجليل المشكور، ذو الكرامات العديدة، والمناقب الحميدة، الشريف الأرضى المجذوب؛ سيدي الوليد بن هاشم الكتاني.

كان – رحمه الله – من أهل الكرامات الظاهرة، والخوارق المتكاثرة الباهرة، ممن تجل مناقبه عن الإحصاء، ويعجز عن استيفاء بعضها قلم الإنشاء. وكان في ابتداء أمره يخدم حرارا، ثم إنه رأى ما رأى؛ فحصل له الجذب من حينه، وترك الصنعة.

وكان من خواص أصحابه اللاتذين بأعتابه: جد والدنا مولاي الطايع الكتاني، وكان يشاهد له من الكرامات [251]، والعجائب والآيات؛ ما يجل عن الحصر، فكان لذلك يعظمه غاية التعظيم، ويحبه غاية المحبة، ويثني عليه غاية الثناء، وينشر فضائله، ويذكرها بين أولاده وأحفاده وسائر أصحابه، ويعتقده اعتقادا عظيما، ويشير إلى أنه ذو مقام عال في الولاية.

ومما وقع له معه: أنه أخبره بغلاء عام سبعين أوقية قبل حلوله، وأمره بشراء ما يحتاج إليه من الزرع؛ لكونه كان ذا عيال.. .في قضية طويلة، تضمنت كرامة أخرى.

وكان معه مرة بباب الحمراء، ومعهما ثالث كان ينكر بقلبه على صاحب الترجمة؛ فإذا بصاحب الترجمة قال لهما: « تعالوا بنا إلى المصلى »، ثم إنه شق حائط باب الحمراء، وخرج منه، فتبعه الجد المذكور وخرج، وتبعهما الرجل الذي كان معهما، فانحبس عليه الحائط، فجعل يستغيث ويتوب إلى الله تعالى، فأشار صاحب الترجمة إلى الحائط؛ فانحل عنه، وخرج معهما، حتى وصلوا إلى المصلى؛ فجلسوا هناك، وإذا بصاحب الترجمة أخرج لهما من تحته قبضة من الزرع في سنابلها، وعُرْجُونا من عراجين التمر الجديد، وشيئا من الفقوس بزغبه، فتعجبوا من ذلك منه وانصرفوا.

وكان الجد المذكور معه مرة أخرى في قباب بني مرين، خارج باب الجيسة، فطلب منه أن يريه كرامة؛ فقال له: « أو في شك أنت؟! ». فقال له: « أنا على يقين فيكم؛ ولكن أردت الفُرجة! ». فأشار صاحب الترجمة بيده إلى الأرض؛ فانفتحت عن كنوزها، ورأى من أكداس الذهب والفضة وغيرهما ما أذهله، ثم قال له: « كيف جاءك[1] هذا الذي ترى؟ ». فقال له جدنا: « مثل مزابل الغُبار[2] »، فضحك صاحب الترجمة وقال له: « عرفت كيف تمثله ».

---

[1] أي: كيف وجدت.

[2] الغبار: السماد.

وكان لجدنا المذكور ولد اسمه: إسماعيل، وبنت أخرى معه. فجاءه صاحب الترجمة يوما لباب الدار، وقال له: «اعطني خُبزة وخَليعَتَيْن». فقال له الجد المذكور؛ وقد فهم إشارته، وأنه يشير لموت ابنين من أبنائه: «أنا بالله وَبالشرع معك؛ لا أعطيك الخليعتين، وأعطيك ما شئت من غيرهما!»، فقال له: «لا بد؛ ولا أذهب إلا بهما!»، فدفعهما إليه داخل خبزة ودموعه تسيل على خديه. فما مضى إلا زمن يسير، ومات له الولد المذكور وأخته المذكورة.

ثم إن صاحب الترجمة لما علم بموتهما؛ جاء إليه بشاشيتين مما يُجعل في الرأس، وقال له: «*ها هما عوض ما أخذنا لك؛ فخذهما وهما عالم وولي يكونان في نسلك إلى يوم القيامة*». ففرح الجد المذكور بهما غاية، وأخذهما منه وجعلهما في صندوق متبركا بهما، وظهر بعد ذلك مصداق ما أخبره به من وجود العلم وظهور آثار الولاية في عقبه.

وكان من عادة الجد المذكور إذا أهمه أمر وأراد [252] سؤال صاحب الترجمة عنه: اكتفى باستحضاره في نفسه إذا حضر بين يديه؛ فيبينه له صاحب الترجمة وينبئه بمآله وبالمخرج منه، فيكتفي معه باستحضار الحال عن السؤال.

توفي – رحمه الله – فيما يغلب على الظن: أوائل العشرة الخامسة من القرن الثالث بعد الألف، ودفن بمصلى هذا الخارج، خارج حوش سيدي الطيب الكتاني، قريبا منه بنحو الأربعة أذرع مما يلي جهة رأسه، وقبره عار ليس به بناء، إلا أنه مزدج. واشتهر عنه أنه كان يقول: «لا يصل قبري من هو شقي...».

[704– الناظر الشريف سيدي عبد الواحد بن عمر الكتاني]

(ت: القرن الثالث عشر)

ومنهم: الشريف البركة الأوحد، الناظر الصالح الأرفد؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد ابن الفقيه النزيه أبي حفص سيدي عمر بن إدريس بن أحمد بن علي بن قاسم الكتاني.

نشأ – رحمه الله – في عفاف وصيانة، وعلو همة وديانة، مقبلا على ما يعنيه، طالبا لما يقربه من الله ويدنيه، متجرا في الجلاليب[1] المتخذة من الصوف التي يلبسها أهل المغرب، ويتعاطى شيئا من الفلاحة، وله معرفة بالعلم وصحبة لأهله. وقد قرأ "الرسالة" و"الحكم" وصحيح مسلم على الشيخ سيدي محمد جَسّوس، وصحب الشيخ التاودي ابن سودة المري، ورافقه في زيارته لمولانا عبد السلام

[1] ج جلابة: البرنس المغربي.

بن مشيش وغيره، وولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله أوقاف الضعفاء والمساكين في شركة بعض الأشراف؛ فقام بذلك أحسن قيام، وسلك فيه المسلك الشرعي، لا يخاف في الله لومة لائم.

توفي - رحمه الله - ودفن قريبا من رأس سيدي الوليد المذكور، وبُني عليه شاهد كبير وجهه لجهة المصلى.

[705- الشريف سيدي أحمد بن عبد الواحد الكتاني]

(ت: 1244)

[706- الشريف سيدي عبد الوهاب بن عبد الواحد الكتاني]

ومنهم ولداه: الشريف الجليل الأكمل، البركة الصالح الأمثل؛ سيدي عبد الوهاب. والفقيه الصالح، البركة الناصح؛ أبو العباس سيدي أحمد.

أوردهما في "نظم الدر واللآل" عقب ذكره لجدهما سيدي عمر؛ فقال: «وأما أبو حفص عمر: فقد خلف ولده الشريف الأكمل، الوجيه النزيه الأفضل، ناظر المارستان في حينه؛ مولاي عبد الواحد، وهو قد خلف ولدين: الفقيه الأجل؛ إمام مسجد سيدي عمران بأعلى قنة عقبة ابن صوال أبا العباس أحمد. والمؤذن الأكمل أبا محمد عبد الوهاب، وكلاهما كان من أهل الكشف والصلاح، والدين المتين والجري على سنن السلف في اتباع السنة وترك الشبهات». هـ.

وقد وقفت على عدة ورثة مولاي أحمد؛ وهي: مؤرخة بربيع الثاني عام أربعة وأربعين ومائتين وألف؛ فتكون وفاته لهذا العهد، ولم أقف الآن لأخيه مولاي عبد الوهاب على وفاة، وضريحاهما قريبان من رأس ضريح والدهما المذكور، وعلى سيدي عبد الوهاب شاهد كبير وجهه لجهة روضة مولاي [253] الطيب، وكان مكتوبا فيه تاريخ وفاته؛ فقلع ذلك بعض من لا يخاف الله.

[707- الشريف العارف المجذوب سيدي محمد الزمزمي بن إبراهيم الكتاني]

(ت: 1295)

ومنهم: خالنا الشريف، البركة العفيف، المجذوب السائح، الولي الصالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد؛ الملقب بالزمزمي بن إبراهيم بن محمد الزمزمي الحسني الإدريسي؛ الشهير بالكتاني.

تقدمت ترجمة والده أبي إسحاق إبراهيم. وكان هو في أول أمره يخدم حرارا، وكان شديد الحياء والمروءة، ثم إنه زار مرة ضريح القطب مولانا إدريس الأكبر، فلما رجع من الزيارة؛ أتى معه

بخبزة من القمح دفعها له بعض من يتبرك به هناك، وقال له: « إذا وصلت فاسا؛ فكلها باللبن والحليب. فلما وصل؛ فعل ذلك؛ فحصل له حينئذ ما حصل، وظهرت عليه أحوال الجذب، وصار يذهب في الأزقة والطرقات وهو يسف الريح ويفعل أفعالا لا يفعلها إلا أهل الجذب.

من ذلك: أنه كان يأخذ ناعورة ويذهب في الطرقات وهو يديرها، وصار يخبر ببعض المغيبات؛ منها ما يقع ومنها ما لا، وظهرت له كرامات:

منها: ما سمعناه شائعا من أنه كان بمكناسة الزيتون، ثم إنه خرج منها راجعا إلى فاس. مع جماعة من الأعيان، فجعل يأمرهم بالإسراع في المشي، ويقول لهم: «أسرعوا وجُدوا قبل أن يُسَد باب الدرب»، وإذا أرادوا النزول للاستراحة؛ لا يتركهم. حتى قربوا من فاس؛ فخرج بعدهم في ذلك اليوم من مكناسة آخرون يريدون فاسا أيضا، فخرج فيهم البرابر ونهبوهم، وقطعوا الطريق عن كل من يريد الذهاب بها بعد ذلك أياما عديدة، والسلطان إذ ذاك – وهو: مولانا الحسن رحمه الله – بمكناسة الزيتون، وكان ذلك في أول نصره.

ومنها – وهي: من أعظم كراماته التي شاعت وذاعت: أنه في يوم من الأيام، ذهب إلى القطانين من فاس القرويين، ووقف بباب فندقها الجديد، وجعل يدلل دارا وعرصة لبعض الرؤساء ممن له شوكة، ويقول: « الدار التي في محل كذا، والعرصة التي في محل كذا على الله »، يطلب بذلك من يشتريها منه، فلما لم تجد مشتريا؛ قال: « هاهما باطل! ». يعني: بلا شيء. وأخذ ديكا مبعوجا وجعل ينتف ما عليه من الريش وهو حي، فلامه بعض الناس على ذلك وقال له: «لو فعلت هذا بعد ذبحه لكان أبعد عن تعذيبه! ». فقال له: « هو طغى وتجبر!! »، فأعاد عليه القول؛ فقال له: «ليس هذا سوقك ». فما مضى بعد ذلك إلا يوم أو يومان أو نحوهما؛ ونهبت الدار والعرصة المذكورتان، وهدمتا، وحل بهما أمر فظيع في أسرع وقت، وكان اتفاق ذلك من العجب!.

ومنها: أن امرأة قريبة منه [254] كانت متزوجة ببعض أبناء عمها، فكان يقول لها: «ليس هو بزوج لك، وإنما هو زوج لغيرك ». فطلقها بعد ذلك الزوج وتزوج غيرها.

ومنها: أنه كان يظهر زوجته التي كان متزوجا بها لبعض من كان ملازما له ولخدمته من أصحابه، فإذا قيل له في ذلك يقول: «الزوجة زوجته والأولاد أولاده! ». فلما مات؛ تولى ذلك الصاحب أمر أولاده من بعده، وتزوج بزوجته المذكورة، ولا زالت في عصمته إلى الآن.

ومنها: ما أخبرني به بعض الثقات، قال: « ذهبت معه زائرا لمولانا إدريس الأكبر بزرهون، فبينما أنا هناك جالس معه مرة؛ إذ خاطبني بعض الناس ممن يتبرك به هناك، وناداني: آلأمين!. فقال له صاحب الترجمة: آمين صفرو. وجعل يمد عليها ويضحك. قال: فما قدمنا فاسا وأقمنا بها شهرين

أو ثلاثا حتى جاء الأمر من السلطان بذهابي لمدينة صفرو أمينا؛ فذهبت إليها، وتعجبت من ذلك!)).

ودخل – رحمه الله – يوما قبيل موته بنحو الشهر دار والده التي كان ساكنا بها بدرب سيدي حكيم، من حومة العيون، وأخذ سجادة هناك يصلي عليها، وسرحها ومد نفسه عليها، وقال: ((ما أحسن هذه المَدّة في مُصلى باب الفتوح، قريبا من مولاي الطيب الكتاني!)). فقيل له: ((لا تتفاءل علينا بهذا!)). فتنهّد وقام وأعاد السجادة لمحلها وانصرف. ثم إنه بعد ذلك بقريب؛ مرض مرض موته بعصريته التي ابتناها بدرب سيدي العواد، ولما كان اليوم الذي توفي بأول الليلة التي بعده؛ قال لمن معه: ((لا أبقى هاهنا أصلا)). ثم إنه اتكأ على رجلين وذهب لبيته الذي كان به من دار والده المذكورة، وقال لمن بها: ((أردت أن لا أموت إلا في دار أبي، ولا أغتسل إلا بمائها!))، وأقام هناك في ذلك اليوم.

ولما قرب الغروب؛ قال لهم: ((إن الحال قد ضاق، فدقوا لي رداء يسترني))؛ ففعلوا. ولما كان بين العشاءين؛ قال لأخ له أكبر منه يقال له: مولاي عبد القادر: ((يا أخي؛ نحبك أن لا تتكل على أحد، وخذ الفحم وأطلق العافية[1]، وسخن لي الماء، وبمجرد خروج روحي؛ طهرني)). فأخذ أخوه المذكور في تسخين الماء، فما سخن حتى خرجت روحه؛ فطهره به.

وكانت وفاته – رحمه الله – أواسط العشرة العاشرة في عام خمسة وتسعين – فيما أظن – من القرن الثالث بعد الألف، ودفن في هذا الخارج، بالروضة الجديدة المقابلة لروضة مولاي الطيب الكتاني، من جهة رأسه، وقبره بها متصل بالركن الموالي لجهة المصلى، بأقصاها عن يمين الداخل. ورأته امرأة من نسبه بعد موته، وسألته عن حاله؛ فأخبرها أنه: لما خرجت روحه ذهبوا به إلى سيدنا الحسن، فبقي في ضيافته سبعة أيام![255])).

[708– المجذوب الشريف سيدي المهدي بن عبد الحفيظ الكتاني]
(ت: 128؟)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب المهيم السائح؛ أبو عيسى سيدي المهدي بن الحفيد بن أحمد الكتاني.

كان – رحمه الله – قوي الحال، موصوفا بالجلال، مجذوبا ملامتيا، تصدر منه أفعال ظاهرها خراب وباطنها صواب.

---

[1]: العافية: النار.

من ذلك: ما حدثني به بعض أبناء عمنا من أنه أخذ مرة سكينا وجعل يزف[1] بها على الناس، فاجتمعوا عليه؛ فصار يقاتلهم وهم يحتالون على قبضه، فبلغ الخبر بذلك مولاي الطيب الكتاني؛ فقال: «إنه لا يقاتلهم هم، ولكنه يقاتل الروم الذين يريدون دخول الجزائر، وانظروا ما يؤول إليه حاله مع هؤلاء الذين يريدون القبض عليه؛ فإن غلبهم وفلت منهم؛ فإنها لا تدخل، وإن غلبوه وقبضوا عليه؛ دخلت!». فاتفق من قدر الله قبضهم له، فلما أخبر بذلك الشيخ مولاي الطيب؛ قال لجلسائه: «عظم الله أجركم في الجزائر»، فكان كذلك، وجاء الخبر بعد ذلك بدخولها وأخذ الروم لها.

ومن ذلك – أيضا – وفيه كرامة له: أنه طلب مرة من امرأة دخلت عليه لتأخذ ماء؛ أن تأتي إليه ليقبلها، وذلك بواسطة زوجته، وكانت زوجته تعلم حاله وجذبه، ولا تستطيع مخالفته. فأنفت المرأة المذكورة من ذلك، فحلف لئن لم تفعل لترين في خديها ما لا تطيقه!. فلم تفعل وخرجت مسرعة. فأكلها خداها، فحكتهما، فاحمرتا وانتفختا، فجاءت إليه تطلب منه أن يفعل ما يريد. فقال لزوجته: «قولي لها تذهب لحالها، لا حاجة لي بها». فذهبت كئيبة حزينة، وآل أمرها بعد ذلك إلى أن تمزق خدها حتى بدت منها أسنانها – نسأل الله السلامة والعافية.

وأمور الأولياء خارجة عن مدارك العقول، ومن لم يفهم؛ فالتسليم له أسلم، لا سيما لمن كان منهم ساقط التكليف، أو كان ممن يغلب عليه الحال.

ومن كراماته رضي الله عنه: ما كانت تحدث به زوجته المرة بعد المرة، من أنه مرة قطع عنها وعن نفسه اللحم مدة، فاشتاقت هي إلى اللحم، فأمرت جارة لها أن تشتري لها لحما، ففعلت. قالت: «فجعلته في قدر ووضعت عليه سمنا، وأوقدت النار تحته زمنا يتلاشى فيه اللحم بحسب العادة، فوالله ما أثرت النار فيه شيئا، ولا ذاب السمن». ثم إن زوجها المذكور – صاحب الترجمة – دخل عليها وقال لها: «ما هذا الذي عندك؟». فأخبرته بالواقع، فحلف لا ماتت الجارة المذكورة مشترية اللحم إلا مذبوحة!. فاتفق من قدر الله أن رجلا أحمق أخذ مرة سكينا، فوجد الدار التي هي بها مفتوحة، فدخلها ووجدها جالسة تمشط؛ فأخذها من قرون شعرها وذبحها. نسأل الله السلامة.

ومنها:[256] ما يحكى أنه ذهب مرة لزيارة مولانا إدريس الأكبر، فأراد أن يبيت بالقبة؛ فمنعوه من ذلك وأخرجوه، فلما أصبحوا وفتحوها؛ وجدوه بداخلها، ولم يعلموا من أين دخل؟. فسلموا له حينئذ حاله.

وكراماته – رحمه الله – كثيرة، وأحواله في الجذب والخراب وقوة الحال شهيرة.

([1]) يزف: يهدد.

توفي –رحمه الله – في العشرة التاسعة من القرن الثالث بعد الألف، ودفن بإزاء مولاي الطيب الكتاني، خارج حوشه الذي يدور به، متصلا به من جهة المصلى، وبني عليه بناء خفيف للتخفيف.

[709– شيخ الإسلام سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي] (ت: 991)

ومنهم: الشيخ الإمام، علم الأعلام، حسنة الليالي والأيام، حامل لواء المحبة والمراقبة والشهود والعيان، القائم في مقاماتها بميزان القسط على ما عرف من أكابر هذا الشان، سراج العارفين، وشمس المريدين، محيي رسوم الطريقة الشاذلية بعد اندراس آثارها، ومطلع شموسها وبدورها في آفاق الحنيفية السمحة بعد خبو أنوارها، القائم لله بحجته في عباده وبلاده، البالغ من النصح للشريعة المحمدية غير خائف في الله لومة لائم أقصى مراده، السيد الولي الصالح، القدوة الحجة الناصح، الورع الزاهد العالم العامل، الوارث الكامل الموصل الواصل، المحدث الصوفي المتفق على علمه وصلاحه ودينه، المجمع على ورعه وزهده ويقينه؛ أبو النعيم وأبو الرضى سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي ثم الفاسي دارا وولادة ومنشأ ووفاة.

أصله – رحمه الله – من جنْوة؛ مدينة من مدن الروم بأقصى مشرق الأندلس، مجاورة للبحر. قدم منها والده في حدود التسعين وثمانمائة أو ما يقرب منها، وكان نصرانيا؛ فأسلم وحسن إسلامه. وكانت أمه – أيضا – إسلامية من يهود جاؤوا من بر النصارى؛ فأسلمت وحسن إسلامها، وتزوجها والده؛ فولدت له أولادا عدة، منهم: صاحب الترجمة. فكان لهذا يقول عن نفسه: «خرجت من بين فَرْث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين!»، ويقال: إن أباه رأى في نومه أنه بال يا قوتة؛ فعبرت رؤياه بأنه يلد ولدا صالحا؛ فكان كذلك، وكان الولد هو: صاحب الترجمة.

وكانت ولادته بفاس سنة اثنتي عشرة وتسعمائة، وبها نشأ، ولقي الشيخ أبا محمد الغزواني في صغره؛ فرَشَّه بغَرفة من ماء وجده يتوضأ منه، وذلك بزاوية بباب القْليعة؛ فزرَعت فيه الخير، وأنبتت فيه خصال البر، وله في هذه الرُّشيشة أمداح.

ثم إن الغزواني [257] انتقل إلى مراكش؛ فبقي صاحب الترجمة متشوقا إلى رؤيته، متطلعا إلى صحبته، متشوفا إلى زيارته. فلما كبر؛ تهيأ له ذلك في رفقة من زواره، فذهب إليه، وانجمع بهمته عليه، وكان لا يرى غيره، ولا يؤمل إلا خيره، خالي السر من كل شيء سواه، مشغوفا بمحبته وهواه، وقدمه الشيخ للصلاة به، وبقي معه على ذلك نحو الأربعة أشهر.

ثم قضى الشيخ نحبه، وبلغ أجله؛ فبقي بعده بمراكش نحو العام، يقرأ ويطلب العلم، ثم عاد إلى فاس؛ فوجد الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد الطالب قد اجتمع عليه الفقراء بزاوية شيخه الغزواني بباب القليعة، على مقربة من ضريح سيدي أبي غالب، فصحبه ولازمه، وأقامه في الصحبة مقام شيخه زمنا طويلا، وفي ملازمته له كانت شدة مجاهدته وخدمته.

ثم اشتغل بالقراءة وطلب العلم على شيخه أبي محمد عبد الرحمن سُقَّيْن، ولما رآه سقين يقصد زاوية سيدي محمد الطالب مع الفقراء؛ قال له: «قد أفسدت نفسك وضيعت العلم!». فأجابه بقوله: ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾. [البقرة: 220]. وفي خلال هذه المدة زار الشيخ الحاج أبا عبد الله محمد بن علي الأندلسي البُرجي؛ الشهير بالشُطَيْبي، بموضعه بتَازغَدْرة من بلاد بني زَرْوَال، وأخذ عنه. وكان إذا ذكره؛ يعظم أمره، ويجل قدره، ويكتب فيه: شيخنا. وطلبه في النصيحة عند إرادة الانصراف عنه؛ فقال له: «الله الله في الله».

[710- استطراد بترجمة الشيخ سيدي محمد بن علي الشُطَيْبي]
(ت: 963)

والشطيبي هذا: كان واسع العلم والمعرفة، شهير الذكر، وهو صاحب التآليف المشهورة؛ أخذ عن زروق عن تلميذه الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي. وكانت ولادته سنة اثنين وثمانين وثمانمائة، وتوفي بموضعه المذكور في ربيع الثاني سنة ثلاث وستين وتسعمائة.

[رجوع لترجمة الإمام الجنوي]

وأخذ - أيضا - صاحب الترجمة عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي؛ شارح "الصلاة المشيشية"، نزيل الجزائر ودفين خارجها سنة ثلاث وستين وتسعمائة، وكان يكاتبه بأسئلة في التصوف فيجيبه عنها، وزار الشيخ أبا عبد الله محمد؛ المعروف بالكبير بن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن محمد ابن بكار بموضعه بالجبل المسمى بجبل وبلان.

ثم انتهت إليه الرياسة بعد ذلك في تربية السالكين، وتهذيب المريدين، وكشف مشكلاتهم، وتفصيل أحوالهم، وظهرت بركته وخيره على كثير ممن صحبه وأخذ عنه.

وكان - رحمه الله - إمام أهل الزهد والورع، والعلم والعمل على سنن السلف الصالح، حافظا للحديث، راوية له في وقته، ولم يشتهر من أصحاب الشيخ الغزواني الفاسيين غيره، وكان شديد الخشوع والخشية، كثير البكاء [258]، حتى كان شيخه أبو محمد عبد الرحمن سقين يسميه برضوان

البكاء، وكانت تصدر منه في بعض الأوقات - إذا كان في القراءة أو غيرها - صيحة تكاد القلوب تنفطر من عظمها؛ لغلبة الوجد عليه، وصفتها:"آه". ثم لا يُرى بعدها تغيرٌ في بشريته؛ كأنه على حاله.

وكان إذا رأيته في مجلسه؛ قلت: إنه شبه النائم. مما هو فيه من السكينة والوقار والهيبة، ومع ذلك لا ترقد منه شعرة، حتى إنه لو غير أحد من أصحابه حرفا أو حركة تفطن له من حينه، وتكلم عليه.

وكان شريف الأخلاق، لطيف الصفات، كامل الأدب، جليل القدر، وافر العقل، دائم البشر، مخفوض الجناح، كثير التواضع، شديد الحياء، متيقظا في دينه، لا يغفل ولا يفتر، مراعيا لأوقاته، شديد الورع في تصرفاته وأحواله، شديد الإتباع لأحكام الشرع وآداب السنة، محافظا على استعمال الأذكار والدعوات المختلفة باختلاف الأحوال، معمور الأوقات بالذكر والصلاة والتلاوة والمطالعة، ويقول: «أوقاتنا كلها عامرة، لو قيل: غدا تموت؛ لم أجد مُسْتَزادا!».

وكان محبا لأهل الصلاح والفضل، مكرما لأهل العلم، شديد التحرز من الغيبة، لا يذكر غائبا ولا يذكر بحضرته إلا بما اقتضاه العلم، بعيدا من الرخص، مقبلا على الجد، مدبرا عن الدنيا وأهلها، زاهدا فيها منزويا عنها، غير متوسع فيها، ظاهر الهداية، مقبول الولاية، بريئا من الدعوى، لا يترك أحدا يقبل يده، ويقول: «ما يمد يده للتقبيل إلا أحد ثلاثة: مأذون، أو مجنون، أو طَرْمُون، ولست بواحد منهم».

ويتبرأ من دعوى الشيخوخة، ويقول لأصحابه: «إنما نتعاون على الدين فقط، ولست لكم بشيخ»، ويقول: «يا أصحاب، ويا إخوان». قال المرابي في "التحفة": «ولقد سمعته غير مرة يقول للفقراء: إياكم أن يظن أحد في أني صالح أو أني شيخ، فلا والله؛ ما أنا بصالح ولا بشيخ، إنما أنا رجل مسلم». قال المرابي: «ووالله إنه لشيخ؛ ولكن المؤمن يهضم نفسه. ولعَمْري؛ إن لم يكن هو شيخا فمن يكون الشيخ؟!!».هـ.

وكان - رحمه الله - صادقا في أحواله كلها، إذا فعل فعلا أو قال قولا فلم يظهر لأصحابه وجهه؛ سألوه فأخبرهم. لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح.

وكان يقول: «لو مُثلت لي الشريعة بين يدي كأنها دار أو حصن وقيل لي: اختر لنفسك يا رضوان إما أن تهتك هذا الحصن وإما أن يُجزَّ عنقك. لقلت: يجز عنقي ولا أسقط منه مقدار ذرة من التراب!». ووُجد بخطه في بعض مسوداته: «الله الله لا تنساه. الناس الناس اهرب منهم!».

وأجمع العلماء والصلحاء على تعظيمه وتوقيره وحسن الثناء عليه. قال في "الممتع": «وصدق الشيخ أبو عبد الله القصّار – رحمه الله – [259] حيث قال: سيدي رضوان الرجل الصالح؛ لو أدركه أبو نُعيم لجعله صدر حليته. أو قال: مع أويس القرني!» .هـ.

وقال المُرابي في "التحفة": «كان – رضي الله عنه – من القائمين بالليل، الصائمين بالنهار، القائمين بحدود الله، الناظرين للشريعة بنور الله، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. ولقد كان جنيذ هذه الأمة. وقد صدق الفقيه العالم، صاحب الأخلاق المرضية، والمكارم السنية؛ أبو عبد الله محمد بن القاسم القصار حيث قال: سيدي رضوان الرجل الصالح؛ لو أدركه أبو نعيم لجعله في صدر حليته».

وقال فيها – أيضا – في محل آخر: «وأما خاتمتهم – يعني: خاتمة أصحاب الغزواني – فشيخنا وإمامنا ووسيلتنا إلى ربنا: أبو النعيم سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي، الذي يقول فيه بعض علماء العصر: هو من الذين لم ترعينه مثله. وصدق في قوله – رضي الله عنه – فقد كان أعجوبة الزمان، وخلاصة الحقائق والعرفان». هـ.

وفيها – أيضا – في محل آخر عن بعض علماء عصره أنه كان يقول في حقه: «إنه ممن لم يسمح الزمان بمثله من عهد ابن عباد إلى وقتنا هذا. قال: وقد صدق – رضي الله عنه – فيما قال؛ فقد كان أعجوبة الزمان، وخُلاصة العلم والعرفان». هـ.

وفيها – أيضا – ما نصه: «ولقد وجدت بخط الولي الصالح، الورع الزاهد؛ سيدي أبي الحجاج يوسف الشريف، المقيم بخندق الزيتون، ما نصه: كنت مرة بفاس أقرأ بالمدرسة، فاشتقت أنا وبعض الفقراء زيارة الولي الصالح سيدي يوسف الذي كان بالحارة من باب الجيسة، فقصدناه والتقينا به؛ فكان مما حصل عندنا من كلامه بعد أن قال: كيف تزوروننا ولسنا أهلا لذلك؟!: لو تعلمون بالرجل الذي يظهر بعدنا؛ لما كانت قلوبكم تطمئن إلا به!. فسألناه عنه؛ فقال: اسمه رضوان، لو أقسم على الله لأبره!» .هـ. وللمُرابي في "التحفة" من قصيدة يمدحه بها:

أكرم بـه حـاز المعالي كلـها	طوبـى لعبـد قـد رآه بمقلتـه
قطـب الزمـان وغـوثه وإمامـه	كهـف الأنـام وملجـأ لرعيتـه
أقسمـت ما شامت عيوني نظيـره	في الناس لا بل ما رأيت كطلعته
راقـت محاسنـه وعـز قرينـه	إن القلـوب تحبـه من صبوتـه
في وصفـه تعـيا العقـول فكلـه	نـور على نـور يُرى في جلسته
شيخ التقى بحر الندى علم الهدى	بـدر بـدا يسبـي العقول بخلقته

وبالجملة؛ فمناقبه جمة لا تحصى، وأوصافه كثيرة لا تستقصى، وشهرته في العلم والصلاح تغني عن التعرف به. قال في "المطمح": « وقد وضـع الناس في مناقبه وكرامـاته [260] وأحواله المجلدات ». هـ.

ومن ألف فيه: تلميذه الشيخ الصالح الفقيه أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الأندلسي، المتوفى عام أربعة وثلاثين وألف، وسماه "تحفة الإخوان، ومواهب الامتنان، في مناقب سيدي رضوان". وهو في مجلدين، وبمطالعته تتعرف أحواله ومناقبه رضي الله عنه.

وقد ترجمه في "الجذوة"؛ فقال: « رضوان بن عبد الله الجنوي: الشيخ الورع، الصالح المحدث، أورع أهل زمانه، وواحد وقته وأوانه، أخذ عن أبي زيد عبد الرحمن بن علي سُقّين، عن القلقشندي عن ابن حجر العسقلاني الحافظ. توفي بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنة، وكانت جنازته مشهودة، حضرها الجم الغفير من أهل فاس. ومناقبه في الورع والدين لا تحصى. رحمة الله تعالى عليه ». هـ.

وترجمه – أيضا – في "دُرة الحجال" فقال: « رضوان بن عبد الله الجنوي: الولي الصالح، المحدث المكثر الرواية، رحلة أهل زمانه، وواحد وقته وأوانه، آخر المحدثين الصالحين بمدينة فاس. أخذ عن أبي زيد عبد الرحمن سقين عن زكرياء، والقَلْقَشَنْدي، وعبد العزيز ابن فهد، والسَخاوي كلهم عن ابن حجر، وأخذ عنه خلق كثير، وألف كتابا في الفقه، وله نظم وتقييدات لا يُحصى عددها . . . ». ثم ذكر ولادته ووفاته وشيئا من نظمه. فراجعه.

وقد كانت وفاته – رحمه الله – بمنزله من زنقة العُنوز من عدوة الأندلس من فاس، عند العشاء – أو قربها – من ليلة الخميس الثالث عشر – أو الرابع عشر – من ربيع الأول، سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس، صلى عليه: الفقيه سيدي محمد المرابط بن الشيخ سيدي محمد بن جلال التلمساني، ودفن بجنان بهذا الخارج بأعلى مطرح الجنة، عن يسار مصلى العيد، أسفل منها، وحضر جنازته أهل فاس البالي والجديد، رجالا ونساء، وأمير الوقت، ولم يدفن إلا بعد صلاة العصر بعد مشقة عظيمة من الازدحام، ولم يرجع جل الناس من جنازته إلى أن غاب القرص. وبني عليه بيت، وجعل على قبره به مقبرية من حجر، منقوش بجانبها اسمه؛ وهو: رضوان. وعلى قبره هيبة، والدعاء عنده مستجاب.

وقد جدد لهذا العهد بناءه بعد خرابه: السلطان الأمجد، والهمام الأصعد الأنجد؛ أبو علي مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمن العلوي جدد الله عليه سحائب الرحمات. وعند تجديده له أزيلت المقبرية المذكورة من قبره رضي الله عنه ونفعنا به.

ثم بعد دفنه بالجنان المذكور؛ اتّخذ مقبرة لدفن الأموات، ودفن معه فيه بعده بعض أصحابه.
وقد [261] قال المرابي في "التحفة": «وقفت يوما على قبره فقلت:

هذا الذي كان في الدنيا على حذر	هـذا الـذي نـومَـه قـد بـاع بالسهر
هـذا الذي طـاع مـولاه وقـام على	ساق التهجـد في الظلمـاء والسحَر
هـذا الذي كـان ذا زهـد وذا ورع	وذا انقبـاض وذا خـوف وذا حـذر
هذا الذي فـاق أهل العصر قاطبـة	علما وحالا وحلـى القلب بالفـكـر
هـذا الـتـقـي أبـو الخيرات سيدنا	رضوان قدوتـنا مـن فاز بالظـفـر
الله يـرحـمـه الله يـكـرمـه	الله يسكنـه مـع خـيرة البشـر
صلـى عليه إله العرش ما هطلت	سُحْبٌ وما غنت الأطيار في الشجر

ولم يخلف – رضي الله عنه – ولدا ذكرا إلا ابنة لها عقب بفاس يعرفون بأولاد ابن مبارك، وكان له في حياته وبعد وفاته أتباع، ولم يتخذ هو زاوية ليجتمع معه فيها أصحابه، بل كانوا يجتمعون معه في غير زاوية، ثم اشترى بعد وفاته أصحابه موضعا اتخذوه زاوية يتلون فيها أوراده، وهي التي بزنقة الجياد من حومة البليدة بفاس القرويين. وقد أشار لها صاحب "النشر" في ترجمة الشيخ القصار – أحد تلاميذ صاحب الترجمة – فقال: « وأما الزاوية التي تنسب له – يعني: لسيدي رضوان – اليوم، بجوار حمام الجياد من حومة البليدة وفندق اليهودي من عدوة فاس القرويين؛ فالذي سمعته من بعض أشياخنا الثقات: أنها اشتريت معها بقعتها، وجعلت زاوية بعد موت سيدي رضوان؛ لأنه – رضي الله عنه – لم يترك من مخلفه بعد تجهيزه إلا الحصيرة التي كان يصلي عليها، والخيط الذي كان يشمر به أكمامه للوضوء؛ لشدة زهده وورعه، فبيع ذلك بثمن غال يزيد على السبعين مثقالا ونحو ذلك، فرفع ذلك لابنة تركها ولم يترك عاصبا معها؛ فامتنعت من قبضه، وقالت: إن الحصيرة والخيط لا يبلغان هذا السوم! . فاشتريت به البقعة المذكورة، وجعلت زاوية، وبنيت كما هي الآن. . . ». هـ.

قال في "النشر": « ولتلميذ سيدي رضوان أبي العباس المرابي كتاب سماه: "تحفة الإخوان، ومواهب الامتنان، في مناقب سيدي رضوان"؛ بسع سفرين، هو الآن موجود بتلك الزاوية بخط مؤلفه المذكور ». هـ. وقد انقرض أصحابه في هذه الأزمان، وتهدمت الزاوية المذكورة، وهي خراب الآن، والبقاء لله وحده.

ومن ترجمه: صاحب "الممتع"، و"الابتهاج"، و"الصفوة"، و"الروض" . . . وغيرهم. رضي الله عنه، ونفعنا به، وحشرنا في زمرته. . . آمين.

[711- المجذوب سيدي أبو يحيى الخلطي الدخيسي]
(ت: 1010)

ومنهم: الشيخ الصالح الشهير [262]، الولي المجذوب الخطير؛ سيدي أبو يحيى الخَلْطي الدَّخيسي، من أهل الأحوال والاستغراق في الحقيقة والشهود، بهلولا غائبا في التوحيد، مغلوبا عليه، ساقط التكليف.

أخذ عن الشيخ الشهير، الولي الكبير؛ أبي عمران سيدي موسى بن علي الزرهوني؛ المعروف بذي الصخرة. دفين جبل زرهون، المتوفى أواسط العشرة التاسعة من القرن العاشر عن القطب سيدي عبد الله الخياط.

وظهرت على يديه كرامات ومكاشفات:

منها: أنه ضرب بحجر خابية لبائع اللبن بحانوته؛ فتكسرت وأريق اللبن. فإذا بالخابية حية عظيمة سقطت في اللبن ولم يشعر بها صاحبه، ووقى الله الناس شر ذلك ببركته.

ومنها: أن الفقيه العلامة أبا عبد الله محمد بن جلال التلمساني مر عليه يوما وهو يصنع شيئا؛ فأنكر عليه في نفسه، وقال: «لو كنت مفتيا؛ لأفتيت بتعزيره!»، فكاشفه الشيخ وقال له: «سوف تولى الفتوى!»، فتاب ابن جلال من الإنكار عليه، وولي الفتوى بفاس بعد ذلك.

توفي - رحمه الله ونفعنا به - سنة عشر وألف. قال في "الصفوة": «ودفن مع سيدي رضوان في بيت واحد». هـ. وقال في "التقاط الدرر" بعد ذكره: «وقبره خارج باب الفتوح، ضجيع سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي». هـ.

وقال في "الروض": «روضته ملاصقة لروضة سيدي رضوان، يدور بهما حوش واحد. قال: مر على ضريحهما يوما بعض العلماء ممن له بعض معرفة بطريق القوم، ومخالطة لأهلها؛ فقال: إن هاذين الرجلين لو اجتمعا في رجل واحد؛ لكان شيخا كاملا - يعني: وليا جامعا لشروط المشيخة - لأن هذا - يريد: سيدي أبا يحيى - حقيقة كله، وهذا - يريد: سيدي رضوان - شريعة كله، والكامل هو الجامع بينهما».

«ثم مر - أيضا - يوما على ضريحهما الشيخ العالم الولي الكبير أبو محمد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي - رضي الله عنه - فتذكر قول ذلك العالم فيهما، وقد كان بلغه قبل، فقال: «صدق فلان في قوله ذلك فيهما. فهذه شهادة من هذا العارف الكبير، لهذا السيد الجليل، بالغيبة في الحقيقة، والتمكن فيها، وكفى بذلك شرفا له وفخرا». هـ.

وفي "الصفوة" ما نصه: « وذُكر أن الفقيه سيدي أحمد بن أبي المحاسن الفاسي وقف على ضريحهما؛ فقال إن هذين الرجلين لو اجتمعا في رجل واحد؛ كان شيخا كاملا. لأن صاحب الترجمة كان كله حقيقة، وسيدي رضوان كله شريعة، والكامل هو الجامع بينهما! ». هـ.

ترجمه فيها، وفي "الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"... وإليه وإلى سيدي رضوان المذكور قبله يشير الشيخ المدرع في منظومته بقوله [263]:

والشيخ رضوان الإمام الأورع	المتواضع الأبر الأنفع
ضريحه إن جئته مهاب	كذا الدعاء عنده مجاب
ضجيعه بحوشه المجذوب	أعني: أبا يحيى هو المحبوب

[712- النحوي المشارك سيدي محمد الصُّغير بن محمد العافية]
(ت: 1074)

ومنهم: الشيخ العلامة الفقيه، الأستاذ البركة النزيه، المشارك المتفنن، النحوي المجود المتقن؛ أبو عبد الله سيدي محمد الصُغير (بضم الصاد) ابن محمد؛ الشهير بالعافية الأندلسي، من فقهاء فاس.

كان - رحمه الله - نحويا كبيرا، مشاركا دراكا شهيرا، أحد شهود فاس وعدولها الموثقين، وعلمائها العاملين المحققين، وكان إماما بمسجد رأس الجنان الأعلى من عدوة فاس القرويين، ويحسن الأداء ومخارج الحروف جدا.

أخذ عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي وغيره من أهل عصره. وأخذ عنه هو جماعة من الفضلاء؛ منهم: العلامة أبو محمد سيدي عبد السلام بن الطيب القادري؛ حفظ عليه الأمهات المسماة بالكراريس، وأخوه سيدي العربي؛ سمع منه المقدمة الجرومية.

ولد عام تسعة وعشرين وألف، وتوفي بالزاوية البكرية بعد صلاة الجمعة تاسع عشر المحرم عام أربعة وسبعين وألف، وحمل منها في تابوت إلى حضرة فاس، ودفن بروضة سيدي رضوان الجنوي نفعنا الله به. ترجمه في "المورد الهني" و"النشر"... وغيرهما.

[713- العلامة المفتي المؤقت سيدي علي بن محمد قَصَّارة الحميري]
(ت: 1185)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العلامة المدرس الهمام، المفتي النوازلي، الموقت بمنار القرويين؛ أبو الحسن سيدي علي بن محمد قصارة الحِمْيَري.

كان – رحمه الله – فقيها نحويا عالما، وكان إماما بمسجد الأبارين بعد سيدي عبد المجيد المنالي. وكان يُدرس "الألفية"، و"الجرومية"، وخليلا . . .وغير ذلك.

أخذ عن أبي العباس ابن مبارك، وأبي العباس الوَجَّاري، وأبي عبد الله جَسُّوس، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بَنَّاني. . . وغيرهم.

وكان ينوب في القضاء عن قاضي فاس سيدي عبد القادر بوخُريص، وله أُخُوَّة وصحبة مع الشيخ العارف العلامة القطب الرباني سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي؛ دفين تادلة، وكان ينتسب في الطريق إليه. وحصلت له ضرارة في آخر عمره؛ فكان لا يبصر بعينيه.

توفي – رحمه الله – بفاس ثامن المحرم فاتح عام خمسة وثمانين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن داخل الحوش المحتوي على الجنان الموقوف على دفن أصحاب شيخ الزهد والورع؛ سيدي رضوان الجنوي، ملتصقا بالروضة المحتوية على ضريح الشيخ المذكور، من جهة الجنوب[1] [264] منها . خارج باب الفتوح من فاس الأندلس ».هـ. وقبره معروف إلى الآن، عليه شاهد صغير، مستند إلى جدار قبة الشيخ المذكور من ناحية رجليه، وبوسطه كتابة نصها: « الحمد لله؛ ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾. [آل عمران: 185]. هذا ضريح الفقيه العالم سيدي علي قصارة، توفي يوم الثامن من المحرم عام خمسة وثمانين ومائة وألف ».هـ.

ترجمه في "النشر" – على ما في بعض نسخه – وفي "سلوك الطريق الوارية" .

[714- العلامة اللغوي سيدي علي بن إدريس قَصَّارة]
(ت: 1259)

ومنهم: حفيده الشيخ العلامة الإمام، الفقيه النحوي الهمام، المنطقي الحسابي المشارك؛ أبو الحسن سيدي علي بن إدريس بن علي قصارة الحميري.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج، وسيدي الطيب ابن كيران، وسيدي محمد ابن منصور. . .وغيرهم من أهل طبقتهم، وكان عارفا بالنحو والتصريف، والحساب والعروض، واللغة والمنطق. . . وغير ذلك.

وانتفع به جماعة من الأعيان؛ منهم: سيدي المهدي بن الطالب ابن سودة المري؛ قرأ عليه النحو والحساب والعروض من عام أربعة وثلاثين إلى عام تسعة وثلاثين.

---

[1] كذا. الشمال. مؤلف.

وله - رحمه الله - حاشية على "الموضح"، وأخرى على شرح بناني على "السُلم"، وأخرى على "باخْرَاق" الصغير.

وتوفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب عام تسعة وخمسين ومائتين وألف، ودفن قريبا من جده المذكور، أمامه، وبني عليه شاهد صغير، متصل - أيضا - بجدار القبة المذكورة.

[715- السيدة رقية السبعية]

(ت: القرن الحادي عشر)

ومنهم: الولية الصالحة، ذات الأنوار اللائحة، والكرامات الواضحة، والأسرار الوهبية، والفتوحات الغيبية؛ السيدة رقية السَبْعية.

كانت - رضي الله عنها - خرساء لا تنطق ولا تستطيع أن تتكلم، ولكنها تشير بما يفهم عنها، وكل ما تشير إليه يقع كذلك لا محالة.

أوردها في "النشر"، وفي "التقاط الدرر" فيمن لم يقف له على وفاة وهو من أهل القرن الحادي. قال في "النشر": «دفنت بجوار سيدي رضوان، قرب مُصَلى باب الفتوح من فاس». هـ. وأشار إليها الشيخ المُدَرع في منظومته بعد سيدي رضوان وضجيعه أبي يحيى الدخيسي؛ فقال:

بقربـــه رقيـــة السَـبْـعـيّـــة ذات كـرامـــات بـدت سَنيّـة

[716- السياسي سيدي محمد بن يحيى ابن بكار (الأصغر)]

(ت: 975)

ومنهم: الشيخ الفاضل، الفقيه النزيه الكامل، ذو الأخلاق السنية، والسياسة الدينية والدنيوية؛ أبو عبد الله سيدي محمد الأصغر - به عرف - ابن الشيخ الصالح الكبير، الزاهد الورع الشهير؛ أبي زكرياء سيدي يحيى بن عبد الله بن محمد بن بكار. من جبل وبلان بموضع يقال له: العرى. على مرحلة أو مرحلتين من فاس.

قال [265] في "الدوحة": «كان - رحمه الله - آية الدهر وبرهانه، وعناية العصر وعنوانه، فضلا وسؤددا، ومعقلا للمحاسن وموردا، منشرح الصدر، بعيد الغضب، متفسح الأخلاق، واضح البشاشة، زكي الأفعال، حسن السياسة، وسع الناس كلهم بأخلاقه، وعظمت وطأته عند ملوك عصره، وأخذ بمجامع قلوبهم بحسن نيته وسياسته، فأقاموه واسطة بينهم وبين الرعايا في المهمات من المسائل الدينية والدنيوية، وله في ذلك العجيب المبين».

«ومن خاصيته: أنه لا يغضب. عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له: أوصني وأوجز. فقال له: لا تغضب!. ولقد سألت الشيخ سيدي أبا محمد عبد الله الهبطي - رحمه الله - عن سبب تلك الخاصية في شأنه؛ فقال: قلبه مائل إلى ظهره؛ فلذلك بعُد غضبه».

«وحبل دينه مع ذلك متين، وهو من الدين والمعرفة بالمكان المبين، وله علم دراك، وفهم غواص على المدارك وما أدراك، وكانت بيني وبينه مودة مؤكدة، وخلة متحدة، انتفعت به وكأن الدهر كان به بخيلا، وتفجعت بموته وفقده دهرا طويلا، فيالله من دهر طبعه الإساءة والغيار، وإن أحسَنَ مرة؛ استرجع إحسانه من غير ملاطفة ولا اختيار، هذا شأنه والكلام في الرد عليه بشيع، والتمضمض بالعتب لديه شنيع، وكم استعتبته الأوائل والأواخر فلم يستعتب، واستمر على حكمه وتصريفه من غير علة ولا سبب، فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله».

«توفي - رحمه الله - في أول سنة خمس وسبعين من القرن - يعني: العاشر - ودفن بفاس، ويقال: إنه مات مسموما». وفي "ابتهاج القلوب" أنه: دفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنة.

وقال في "التنبيه" عند عده لأولياء هذا الخارج ما نصه: «ومنهم: سيدي محمد بن بكار، بروضة تقابل باب روضة سيدي رضوان الأولى، ضريحه عليه حجر منقوش محفوفا به».هـ. وفي منظومة المدرع عقب ذكره لسيدي رضوان وبعض من هو معه بقربه:

كذا ابن بكار بقرب نخلته   فنكتفي عن وصفه بشهرته

ترجمه في "الدوحة" وفي "ابتهاج القلوب".

[717- الفقيه سيدي محمد بن يحيى ابن بكار (الكبير)]

(ت: 963)

وترجما أيضا أخاه: أبا عبد الله سيدي محمد بن يحيى بن بكار؛ المعروف بالكبير.

وكان - كما في "الدوحة": «فقيها ناسكا، متواضعا زاهدا، متقشفا منقطعا عن الدنيا وعن أهلها، على سنن أبيه وهديه... قال: وكان كثير التبري من حظوظ النفس على طريقة أبيه. توفي في حدود ثلاثة وستين وتسعمائة».هـ.

[718- الشيخ سيدي يحيى بن بكار]

وترجما أيضا والدهما: أبا زكرياء يحيى؛ المدفون هو وولده المذكور بزاويتهم المعروفة [266] لهم بالموضع المسمى بالعري.

قال في "الدوحة": ((كان من كبار الأولياء فقها ومعرفة، وزهدا وتواضعا لله ولعباده، وكان شديد المحبة في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يملك معهم مالا ولا متاعا، وكان يمد أهل الثغور بالخيل والعدة، ويبذل نفسه في صلاح الأمة، وظهرت على يديه الكرامات الباهرات، واستقر تعظيمه في نفوس الخاصة والعامة، وكان مجاب الدعوة، وهو مع ذلك لا يرى لنفسه مزية على أحد من المؤمنين، وكان الناس يقصدونه بصدقاتهم من جميع الآفاق، ليفرقها على يده في وجوه البر، وأكثرها في الجهاد في سبيل الله، وفكاك أسارى المسلمين، ولا يخص نفسه منها بشيء)).

((وبالجملة؛ ففضائله أكثر من أن تحصى، ومآثره أجل من أن تستقصى. توفي - رحمه الله - في أول العشرة السادسة - يعني: من القرن العاشر - ودفن بزاويته بالعري مع سلفه رضوان الله عليهم)). هـ.

وذكر في صدر ترجمته أن سلسلته وسلسلة سلفه سلسلة الفضل والصلاح، من زمن الشيخ أبي مدين إلى زماننا هذا... فانظره.

[719- القاضي سيدي محمد بن الحسن الصالحي]
[الشهير بابن عَرْضُون]
(ت: 1012)

ومنهم: الشيخ الإمام، العالم المحقق الهمام، العلامة الأشهر، الجهبذ الأكبر؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن يحيى بن عمر الصالحي الزجلي (باللام)، الشفشاوني. الشهير بابن عرضون.

كان - رحمه الله - من أهل الفضل والصلاح، عالما متبحرا، مشاركا في عدة فنون من فقه وعربية وتوثيق وعروض، وأصلين ومنطق وبيان...وغير ذلك. وولي قضاء بلده شفشاون؛ فحسنت سيرته، ومدح الناس حالته.

قال في "المرآة": ((وكان من قضاة العدل والعلم، مشهودا له بالتحصيل وجودة الفهم، منظورا إليه بعين الإجلال والتعظيم)). هـ. وكان له قيام حسن بألفية ابن مالك، وبعلم التوثيق معرفة تامة، وله شعر رائق.

أخذ عن المنجور وابن مجبر المساري، وأبي محمد عبد الله الهبطي، وأبي راشد البدري... وغيرهم.

وله تآليف حسنة؛ منها: شرح عقيدة السنوسي؛ المسماة "بالحفيدة"، وهو حسن جيد، و"شرح الرسالة"، و"الممتع المحتاج في آداب الأزواج".

أخذ عنه جماعة من الأئمة؛ منهم: رفيقه العلامة أبو العباس أحمد بن علي الشريف الشفشاوني؛ وأجازه بخطه، والشيخ قاسم ابن القاضي. .وغيرهما.

ولد - كما ذكره في "درة الحجال"، وكذا في "الجذوة" على ما في بعض نسخها - بعد الخمسين وتسعمائة، وانتقل في آخر عمره إلى فاس، وبها توفي قرب عصر يوم الثلاثاء الحادي عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة وألف. قال في "المرآة" [267]: «ودفن خارج باب الفتوح، في روضة الفضلاء أبناء بكار».هـ. قال في "النشر": «دفن أعلى روضة الأنوار خارج باب الفتوح بفاس».هـ. ووقع في "المطمح" بخط مؤلفه أنه: «دفن داخل باب الفتوح في روضة أبناء بكار». وهو سبق قلم.

ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"المرآة"، و"المطمح"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"... وغير ذلك.

[720- القاضي سيدي أحمد بن الحسن ابن عرضون]
(ت: 992)

وله أخ اسمه: أحمد. ولي القضاء أيضا، وكان فقيها عالما، له كتاب "اللائق في الوثائق"، وهو كتاب حسن في بابه، وكتاب آخر في "أحكام الأنكحة" في مجلد ضخم.

توفي في عاشر رجب سنة اثنين وتسعين وتسعمائة. وهما ولدا أخت أبي القاسم بن خجو؛ الفقيه المشهور.

[721- الفقيه سيدي الحسن بن يوسف ابن عرضون]

ووالدهما: الشيخ أبو علي الحسن كان - أيضا - عالما فاضلا، له أجوبة في الفقه، تؤذن باتساعه في العلم.

[722- العلامة القاضي النحوي سيدي محمد بن مسعود الطرنباطي]
(ت: 1214)

ومنهم: الشيخ الفقيه الأديب، اللغوي النحوي الأريب، العالم العلامة، المشارك المحقق الفهامة، البركة النفاع، الذي له في سماء المعالي علو وارتفاع؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود بن أحمد الطرنباطي - به دعي - الأموي العثماني نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا وقرارا.

كان - رحمه الله - علامة متيقظا نحريرا، حافظا أديبا بليغا، مشاركا في عدة فنون، ومهر في علم النحو، وكان له ولوع بألفية ابن مالك، وبالتقييد عليها، وله شرح على خطبتها، وآخر على بقيتها؛ وهو عجيب نفيس مشتمل على فوائد غريبة، ونكت بديعة عجيبة، وهو الآن بيد الطلبة يطالعونه وينتفعون به.

ومن تآليفه أيضا: "بلوغ أقصى المرام، في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام"؛ اقتطفه - على ما قيل - من "القانون" لأبي علي اليوسي، و"تقييد في نوني التوكيد"، و"تأليف في البسملة والحمدلة"؛ اختصره من "الفوائد المسجلة"، وتأليف في "الخنثى المشكل"، وشرح على توحيد رسالة ابن أبي زيد...

وكان - رحمه الله - ذا نية صالحة في تعليم العلم وبثه، مع المروءة التامة، مقبلا على شأنه، مشتغلا بما يعنيه، مليح الدعابة، ذا دين متين، وتقى مستبين.

حج سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، ولقي جماعة من الأبرار، وكتب له الشيخ مرتضى الحسيني على شرحه على "الألفية".

وأخذ بفاس عن عدة من الشيوخ؛ منهم: سيدي محمد جسوس؛ أخذ عنه الحديث والتصوف، وسيدي محمد بن الحسن بناني؛ محشى الزرقاني؛ أخذ عنه الفقه والحديث، وسيدي عبد الكريم اليازغي؛ أخذ عنه الفقه وغيره، وسيدي عبد الرحمن المنجرة؛ أخذ عنه التفسير وصحيح البخاري، وأبو حفص الفاسي؛ أخذ عنه البيان والأصول والمنطق، وسيدي محمد بن طاهر الفاسي [268]؛ أخذ عنه النحو، وسيدي محمد بن محمد الخياط ابن إبراهيم الدكالي؛ أخذ عنه "الألفية"، و"الرسالة"، والحديث.

وأخذ عنه هو جماعة من الأعيان؛ كالعلامة أبي محمد سيدي عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن، والسلطان الأرشد العالم الأوحد مولانا سليمان بن محمد العلوي؛ أخذ عنه العربية والأدب والفقه لما كان قاضيا بسجلماسة، والعلامة المشارك أبي حامد سيدي العربي بن محمد الدمناتي.

وتولى القضاء آخر الدولة المحمدية؛ مرة بسجلماسة، ومرة أخرى بالحضرة الإدريسية، ووليه - أيضا - بثغر الصويرة مدة من ستة أشهر. ومن نظمه:

اعتقد فيَّ جميلا ... فاعتقاد السوء ظلمُ
جاء في القرآن يتلى ... إن بعض الظن إثمُ

توفي - رحمه الله - بفاس شهيدا بالطاعون عند إسفار يوم الاثنين سادس المحرم فاتح سنة أربعة عشرة ومائتين وألف[1]. قال العلامة سيدي الطالب بن حمدون ابن الحاج فيما رأيته بخطه في كناش له: «ودفن بمقبرة المنجريين قرب روضة سيدي رضوان، خارج باب الفتوح» .هـ. وهو بأسفل قبة الشيخ الحسيني، بإزائها، وبني عليه قوس صغير، كتب بوسطه في زليج ما نصه: «الحمد لله وحده؛ هذا ضريح الفقيه العلامة النبيه سيدي محمد الطرنباطي، توفي - رحمه الله ورضي عنه - في الخامس من المحرم فاتح عام أربعة عشر ومائتين وألف» .هـ.

[723- العلامة سيدي إدريس بن محمد الطرنباطي]
(ت: 1276)

وخلف ولده: الفقيه الحسيب، البركة الأريب المسن؛ أبا العلاء سيدي إدريس.

توفي - رحمه الله - بفاس خامس عشر رجب الفرد الحرام عام ستة وسبعين ومائتين وألف، ودفن بأعلى مطرح الجنة أيضا، قريبا من والده، قبلة منه، أسفل من روضة أولاد ابن عمرو، وبني عليه شاهد كبير، وكتب بوسطه في زليج ما نصه: «الحمد لله؛ هذا ضريح الفقيه العلامة المسن البركة سيدي إدريس بن سيدي محمد الطرنباطي. توفي في خامس عشر من رجب عام ستة وسبعين ومائتين وألف، رحمه الله ونفعنا به. . .».

[724- الصالح سيدي محمد الحسيني: شيخ ركب الحجاج]

ومنهم: الولي الصالح، الحاج الأبر الناصح، شيخ ركب الحجاج في وقته؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) الحسيني. بالسين وبالتصغير.

---

[1] كذا بخط غير واحد عن الأئمة؛ منهم: سيدي الطالب ابن الحاج. مؤلف.

كان – رحمه الله – من أهل الولاية والصلاح، والخير والبركة والنجاح، مشهورا عند الناس بذلك، متبركا به هنالك، وكانت له كرامات عديدة، ومناقب جمة حميدة؛ منها: ما يقال: إنه كان مرة في طريق الحجاز، فاحتاج الناس إلى الماء فلم يجدوه؛ فضرب بعكازه الأرض؛ فخرجت هناك عين ماء انتفع الناس [269] بها كثيرا، حتى إنه بني عليها بعد ذلك وصارت تنسب إليه، فيقال لها: "سقاية الحسيني".

توفي – رحمه الله – أوائل القرن الثاني بعد الألف، ودفن قريبا من المصلى بروضة الشرفاء المنجريين، وبنيت عليه هنالك قبة مشهورة عند الناس بقبة الشيخ الحسيني، نفعنا الله به.

وهو الذي أورده الفقيه العلامة سيدي أحمد بن عبد القادر القادري الحسني في رحلته المسماة "بنسمة الآس"، عقب ما ذكره فيها من أنهم: لما قفلوا من الحج والزيارة سنة واحد ومائة وألف، ونزلوا بطرابلس رابع وعشري شعبان مع الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي؛ لقوا هناك الركب القادم من فاس مشرقا، ومعهم العلامة اليوسي، وابن السلطان مولاي إسماعيل؛ وهو: مولاي المعتصم، قائلا ما نصه: «وكان للركب أميران؛ أحدهما: مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي. والآخر: الحاج محمد الحسيني. كان الله لهما وأعانهما». هـ.

[725– الإمام المقرئ الشريف سيدي عبد الرحمن بن إدريس المنجرة]
(ت: 1179)

ومنهم: شيخ جماعة القراء بفاس، وإمام الحرم الإدريسي وخطيبه؛ الإمام العلامة المتفنن، الأستاذ المجود العشري المتقن، الولي الصالح، المهتدى بهديه الواضح؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن العلامة الجامع، شيخ جماعة القراء في وقته أيضا؛ سيدي إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الحسني الإدريسي التلمساني، ثم الفاسي؛ أحد الشرفاء المنجريين بفاس، قدموا لها من تلمسان، أواسط المائة التاسعة واستوطنوها. ذكرهم الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري في تقييده على "الدر السني"، وأبو الفضل الشامي؛ وأثنى عليهم ووصفهم بالعلم والصلاح، وذكرهم أيضا الشريف المؤرخ أبو عبد الله سيدي محمد الزبادي في فهرسته... وغيرهم. ونسبهم مرفوع إلى عبد الله بن إدريس باني فاس رضي الله عنهما.

ولد صاحب الترجمة منهم بحومة المخفية من عدوة فاس الأندلس، يوم الأحد الحادي والعشرين من شوال عام أحد عشر ومائة وألف.

وكان شيخ المغرب كله في علوم القراءات، وأحكام الروايات، إليه المرجع فيها في وقته، ماهرا فيها، عارفا بطرقها وعللها وتوجيهاتها، يحفظ قراءة العشر، متفننا في غيرها من لغة وعربية وبيان، وأصول ومنطق وفقه، وتفسير وحديث وتصوف. . .

وتولى الإمامة والخطابة والتدريس بمسجد الشرفاء عام أربعة وستين ومائة وألف، وبقي به نحو الخمسة عشر عاما إلى أن توفي، وكان مشتغلا بتدريس العلم، صابرا على الإقراء، يستغرق فيه الأوقات؛ فيجلس أول النهار بعد صلاة الصبح بقبة مولانا إدريس لتدريس البخاري [270] والتفسير، ثم يجلس خفيفا بعد طلوع الشمس لقراءة "المختصر"، ثم يجلس بعد ذلك بعَنَزَة مسجد القرويين لإقراء القراء وسماع القرآن. وكانت الأكابر تقصده لتجويد القراءة، وكان يقرأ معهم كتب ذلك الفن في الخميس والجمعة بقبة المدرسة الرشيدية.

أخذ العلوم الشرعية عن العلامة المسناوي وغيره، والقراءة عن والده؛ وأجازه فيها بخط يده، وفتح عليه حتى فاق والده فيها. ولما جلس للإقراء؛ رحل إليه الناس وقصدوه من كل جانب، وانتفعوا به غاية النفع.

ومن أجل من أخذ عنه وانتفع به: الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام بن مَحمد بن عبد السلام الفاسي، والأستاذ الأشهر الشريف أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن التادلاوي الحسني العمراني، والأستاذ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الهبطي، والأستاذ العارف مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي؛ وقد عده في رسائله من جملة شيوخه الذين قرأ عليهم القرآن وانتفع بهم، وحدث عنه فيها بكرامات.

وله – رحمه الله – تآليف عديدة؛ كحاشية الجعبري الكبيرة، وأخرى صغيرة على "فتح المنان"، وشرح "الدالية"، وحاشية على المرادي، وفهرسة تعرض فيها لشيوخه؛ قال فيها: « وقد أدركت سيدي أحمد ابن عبد الله، ودعا لي مرارا، وناولني طعاما حلوا بيده مرارا، ودخلت عليه منزله مرارا؛ لأن زوجته التي توفي عنها كانت من محارمي من قِبَل الأم، وكان عمري حين توفي نحو عشر سنين ». هـ.

وكان – رضي الله عنه – مع ما حازه من العلوم؛ من أهل الصلاح والكشف، وأرباب الكرامات. ومن كراماته: أن الإنسان إذا كان محموما ثم زار قبره؛ برئ من حينه. ذكر ذلك تلميذه مولاي العربي في رسائله. قال: « وقد جربته أنا وغيري؛ لأني مرضت مرض الحمى الثلثية ستة أشهر، فقال لي يوما الأستاذ القيدي: أوما علمت أن الشيخ مولاي عبد الرحمن كان يتصرف فيها ؟! . فزرت قبره؛ فذهبت عني، ولم تعد إلي من ذلك اليوم قط ». هـ.

ومنها: أنه لما مات؛ أراد الناس أن يدفنوه في يومه؛ لكونه مات في أول النهار، فامتنعت امرأة من أهله من ذلك وأغلقت عليه بيته، فلاطفها الناس فلم تقبل، فبعد هنيئة؛ سُمع الدق في دفة الباب من داخله، في المرة الأولى والثانية والثالثة، وفي كل مرة يفتحونه فلا يجدون فيه أحدا، فاعتبر كل من شاهد ذلك، وقالوا: لعله أراد أن يخرج. ولم تعتبر هي؛ فدخلوا عليه حينئذ وبادروا لتجهيزه ودفنه من يومه - رحمه الله ورضي عنه.

وكانت وفاته بعدما مرض يوما وليلة أو نحوهما بداره بحمام القلعة من عدوة فاس القرويين، ضحوة يوم الأربعاء خامس ذي الحجة الحرام مكمل عام تسعة [271] وسبعين ومائة وألف، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بمسجد القرويين، وكان الإمام إذ ذاك: العلامة سيدي أبا مدين الفاسي، وكانت جنازته شبيهة بجنازة أبي عمرو الدالي.

قال في "سلوك الطريق الوارية": «ودفن بعد صلاة عصر ذلك اليوم، في جوار والده وجوار الإمام سيدي عبد الواحد ابن عاشر والشيخ الحسيني، قرب مصلى خارج باب فتوح - أحد أبواب فاس».هـ. ومن خط بعض الأفاضل من العلماء ما نصه: «توفي الفقيه الأجل، النزيه العلامة الأفضل، الأستاذ البركة الأمثل؛ مولاي عبد الرحمن بن مولاي إدريس المنجرة، يوم الأربعاء خامس الحجة الحرام مكمل عام تسع وسبعين ومائة وألف، ودفن بالقباب قريبا من ضريح الإمام ابن عاشر، بالروضة التي بها قبة الشيخ الحسيني، بجوار قبر والده».هـ.

وقد بني عليه شاهد كبير، ظهره لناحية المصلى، ووجهه لجهة المقابر، وكتب في وسطه تاريخ وفاته؛ فقلعه لهذا العهد بعض من تجرأ على قلع مثله من القبور، واستنادا لبعض من أنكره من علماء العصر، ولم يدر لجهله أن إنكاره إنما هو على ما يُقصد به من ذلك الفخر والرياسة وحب الجاه، دون ما يقصد به التمييز والتعريف بكون صاحبه ذا علم أو صلاح ليغتنم الناس زيارته وبركته؛ فإنه لا بأس به، بل ربما كان مطلوبا، ومازال الناس يفعلون ذلك لهذا القصد شرقا وغربا بقبور العلماء والصالحين من غير نكير. والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

[726- الإمام المقرئ الشريف سيدي إدريس بن محمد المنجرة]
(ت: 1137)

ومنهم: والده الفقيه العلامة، الأستاذ المحقق الفهامة، الشيخ الحجة البركة الرحال، المرجوع إليه في علم القراءة وأحكامها بلا مجال، شيخ الجماعة بالمغرب؛ أبو العلاء سيدي إدريس بن محمد بن أحمد الحسني الإدريسي. المعروف بالمنجرة.

كان – رحمه الله – عالما ماهرا في علوم القراءات، وشيخ المقرئين بفاس وبالمغرب كله، إليه المرجع في ذلك، وتخرج على يده فيه كثير من القراء، بل لا ترى من سوس الأقصى إلى طرابلس ونواحيها إلا من قرأ عليه أو على أحد من تلامذته، حتى إن من لم يقرأ عليه وبطريقته لا يعد قارئا، وكان يجلس للقراءة عليه بعنزة القرويين من طلوع الشمس إلى ضحوة النهار كما كان يفعل ولده بعده.

وله تآليف شتى، وتقاييد في علم القراءة نظما ونثرا، مع مشاركة في سائر العلوم الشرعية، وكان ذا همة عالية، وهيبة وجد. وحج واعتمر وجاهد، وكان كثير الزيارة لصلحاء المغرب؛ كأبي يعزى وغيره، كثير التهجد بالليل حضرا [272] وسفرا، كثير الذكر، لا يفتر لسانه عن قراءة القرآن، والذكر والتدريس والتعليم. وكان فصيحا كثير الفصاحة، جيد التلاوة، محبا للمساكين وأهل الخير والعلماء، معظما لجانب الرب، وجانب الرسول صلى الله عليه وسلم، قويا في ذات الله، معظما لكتابه وشريعته، وسنة نبيه، لا تأخذه في الله لومة لائم، قويا على الظلمة والمبتدعة.

أخذ عن الأستاذ المعمر، المجود الحافظ البركة المحقق؛ أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله السرغيني؛ الشهير بالهواري عن أبي زيد سيدي عبد الرحمن ابن القاضي عن أبي زيد سيدي عبد الرحمن السجلماسي، عن أبي عبد الله سيدي محمد بن علي المربي الحسني التلمساني، عن أبي القاسم الدكالي، عن ابن غازي بسنده. وتبرك بالأحمدين[1].

وأخذ العهد والورد عن الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي، وناوله السبحة، وصافحه وشابكه ولقنه. ولقي أيضا أشياخا جلة في القطر المغربي والمشرقي وانتفع بهم، وهم مسطرون في فهرسته التي سماها "بعذب الموارد في رفع الأسانيد".

ولد أواسط ذي القعدة عام ست وسبعين وألف، وتوفي بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من محرم الحرام فاتح عام سبعة وثلاثين ومائة وألف.

قال في "سلوك الطريق الوارية": « وأوصى أن لا يطعم في جنازته إلا الخبز والعسل ». قال: « ودفن بجوار سيدي عبد الواحد ابن عاشر، قرب المصلى ». هـ. وكان دفنه بعد صلاة الظهر من غد يوم وفاته، وازدحم خاصة الناس وعامتهم على جنازته، وبني عليه شاهد كبير. ترجمه ولده في فهرسته، وصاحب "سلوك الطريق الوارية". .وغيرهما.

---

[1] أي: أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، وأحمد ابن ناصر الدرعي.

[727- الشريف مولاي محمد بن إدريس المنجرة]

وقد خلف - رضي الله عنه - خمسة أولاد؛ أكبرهم: مولاي محمد سمي جده. كان في آخر عمره يجلس بسماط العدول. ويليه في السن: مولاي عبد الرحمن المتقدم.

[728- الأستاذ الشريف مولاي العربي بن إدريس المنجرة]

ويليهما: مولاي العربي؛ كان أستاذا، وخرج عام خمسين ومائة وألف، وشارط بآسفي، وبقي هناك سنين حتى توفي.

[729- الشريف مولاي أحمد بن إدريس المنجرة]
(ت: 1142)

ويليهم: مولاي أحمد؛ توفي عام اثنين وأربعين ومائة وألف في شر من شرور فاس.

[730- المقرىء الشريف مولاي عبد الله بن إدريس المنجرة]
(ت: 1175)

والخامس - وهو أصغرهم - اسمه مولاي عبد الله؛ كان في ابتداء أمره يخدم حرارا، ويكتب لوح القرآن حتى حفظه، ثم اشتغل بالقراءات على أخيه مولاي عبد الرحمن، وبقراءة النحو، والفقه والحديث... وغير ذلك، ولما فتح الله عليه في ذلك؛ انتقل لمراكش واشتغل فيها بقراءة العلم، وولي بها إمامة مسجد المواسين، فكان يؤم به ويدرس إلى أن توفي عام خمسة وسبعين ومائة وألف. انظر "سلوك الطريق الوارية".

[731- الشريف سيدي محمد بن أحمد المنجرة]
(ت: 1116)

ومنهم: والده الشريف الأسعد، البركة الأمجد، الولي الصالح، الحاج [273] الأبر؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن أحمد بن محمد الحسني الإدريسي؛ المدعو: المنجرة. مَفعَلة من النجر، مصدر أو مكان على حذف مضاف. أي: ذو المنجرة؛ نسبة لمكان النجر. وهي: نسبة غير قياسية، والقياس: منجري؛ لقب بذلك بعض أجداده لاحترافه بصنعة النجارة في دار من رباع أحباس القرويين، تسمى بالمنجرة: مكان لفعل النجر، وهي بأعلى رأس الشراطين.

كان – رحمه الله – من أهل الجد والاجتهاد، كثير التلاوة والذكر والصوم والتهجد، يحيي من الليل أكثره، ويصل بالعطايا خفية غاية، وكانت له أوراد كثيرة؛ من قرآن و"دلائل الخيرات"، و"تنبيه الأنام"، وأحزاب شاذلية. . . وغيرها .

وحج سنة إحدى وثمانين وألف، وكان ذا وجاهة عظيمة عند الخاص والعام، مشهورا بالصلاح والخير، ملازما لصيام الخميس والاثنين، ورجب وشعبان ورمضان، ويعتكف هذه الأشهر الثلاثة في جامع الأندلس، وظهرت له عجائب وكرامات يطول تتبعها .

وفي فهرسة ولده أبي العلاء أن: خديم الروضة الإدريسية في زمانه؛ وهو: المسن سيدي المهدي بردلة، رأى في المنام مولانا إدريس رضي الله عنه، وعليه حلة خضراء، فأعطاه قنديلا من الصفر، وقال له: « احمله واتبعني به »، إلى أن وصلا لباب دار صاحب الترجمة بالمخفية من عدوة فاس الأندلس، فدق مولانا إدريس رضي الله عنه الباب؛ فخرج إليه صاحب الترجمة، فرفع له القنديل، وقال له: « يا محمد، لا أجوزك[1] ولا أولادك! » .

قال في الفهرسة المذكورة: « وكانت همته الذكر، لا تراه إلا ذاكرا، ويتردد لضريح مولانا إدريس في كل يوم مرارا عديدة، وكل من استشاره في أمر، أو ألم به مرض؛ يشير عليه بزيارة مولانا إدريس، وكان يحدث عنه بأمور تقع له وكثيرا ما يسترها، ولا أذكر ما في الحفظ منها اقتداء به في ذلك، ولما قرب أوان موته؛ أخبر بذلك تلويحا » . هـ .

توفي – رحمه الله – ليلة الخميس رابع شعبان عام ستة عشر ومائة وألف، ودفن بروضتهم المذكورة التي دفن بعده فيها ولده وحفيده المذكوران بإزائه، وبني عليه شاهد كبير أكبر من شاهدهما، يقابل شاهد العلامة ابن عاشر . ترجمه ولده وحفيده في فهرستيهما .

[732– شيخ الجماعة سيدي عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر الأنصاري]
(ت: 1040)

ومنهم: الشيخ الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، الحجة المشارك، الورع الناسك، الخطيب المقرئ المجاهد، الحاج الأبر الزاهد، شيخ الجماعة بفاس ونواحيها؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا .

[1] أي: لا أهملكم وأغفل عنكم.

كان – رحمه الله – ممن له التبحر في العلوم، [274] والمشاركة في الفنون، عالما عاملا، عابدا ورعا زاهدا، يأكل من كد يمينه، يضرب في الأرض على طلب الحلال، متواضعا حسن الأخلاق، نزيه النفس، ينزل إلى من دونه ليأخذ عنه، ويتولى في الأسواق مآربه بيده، ويباشر أسبابه بنفسه، وكان مثابرا على التعليم، كثير الإنصاف في المباحثة.

وله اليد الطولى في علوم القراءة، يبحث مع الجعبري؛ وله حاشية عليه، وانفرد في عصره بعلم الرسم، وله شرح عجيب على "مورد الظمآن"؛ سماه "بفتح المنان"، وأدرج فيه تأليفا آخر سماه: "الإعلان بتكميل مورد الظمآن" في كيفية رسم قراءة غير نافع من بقية السبعة، في نحو خمسين بيتا، وشرحه، وله أيضا الباع الطويل في النحو والصرف والتفسير، والفقه والتصوف والأصلين، والمنطق والبيان والعروض، والطب والتوقيت والتعديل، والحساب والفرائض. . .وغير ذلك. وحج سنة ثمان وألف، وجاهد مرات، واعتكف، وكان يقوم من الليل ما شاء.

قرأ القرآن على الأستاذ أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي وعلى غيره. وأخذ قراءات الأئمة السبعة على الأستاذ أبي العباس الكفيف، ثم على أبي عبد الله محمد الشريف المري التلمساني وغيرهما، قال الشيخ ميارة في "معين القاري" وفي كبيره على "المرشد": «ولا شك أنه فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليلات» .هـ.

وأخذ الفقه وغيره عن جماعة؛ كأبي العباس ابن القاضي، وابن عمه أبي القاسم، وابن أبي النعيم الغساني، وأبي الحسن علي ابن عمران، وأبي عبد الله الهواري، والشيخ القصار. . . وغيرهم. وأخذ بالمشرق عن سالم السنهوري، وأبي عبد الله الغزي. . .وغيرهما.

وفي "المطمح": «إنه لما حج، والتقى مع الشيخ عبد الله الدنوشري، وسأله عن أشياخه، وذكر له منهم القصار؛ أنشده الدنوشري لنفسه:

قد حاك شقة العلوم أيمة	وكسوا بها بالفضل من هو عار
رقمت حواشيها ورق طرازها	لكنها تحتاج للقصار

وأخذ طريقة التصوف عن شيخه سيدي محمد التجيبي؛ الشهير بابن عزيز، دفين الدرب الطويل، وقيد عنه كرامات، وكان يحدث بها، وعلى يديه فتح عليه بسعة العلم والعمل.

وألف – رحمه الله – تآليف عديدة في غاية التحرير والإتقان؛ منها: نظمه المشهور في قواعد الإسلام الخمس ومبادئ التصوف؛ وهو المسمى "بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، ابتدأ نظمه حين أحرم بالحج؛ فنظم أفعال الحج مرتبة من قوله: وإن ترد ترتيب حجك. . . إلى آخره. ثم لما انفصل عن حجه؛ كمل ما يتعلق بالقواعد [275] الخمس.

ومنها: طرره التي قيدها على حاشية نسخته من شرح الإمام التاني الصغير؛ المسمى "بجواهر الدرر على مختصر خليل". قال الشيخ ميارة في شرحه لنظمه "لتكميل المنهج": «وهي طرر جيدة؛ بعضها يتعلق بكلام الشرح المذكور، وبعضها بكلام خليل، حل فيها مشكلات، ورفع بها إبهامات؛ فجزاه الله عن المسلمين خيرا، وأعظم له بذلك أجرا... قال: وقد أمر بتخريج تلك الطرر العالم العلامة، الولي الصالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي بكر - رحمه الله ونفع به، وأبقى الخير والبركة في عقبه - فأخرجت في أكثر من عشرين كراسا من القالب الكبير، وانتفع بها الناس، وانتشرت في البلدان» . هـ. وذكر في "معين القاري" أنها أخرجت في نحو أربعين كراسا.

وابتدأ - رحمه الله - شرحا على خليل، التزم فيه نقل لفظ ابن الحاجب، ثم لفظ "التوضيح"، وأضاف إلى ذلك فوائد عجيبة، ونكتا غريبة، جلها من بنات أفكاره؛ كتب منه من قوله في النكاح: «والكفاءة: الدين والحال». إلى باب السلم... إلى غير ذلك من تآليفه.

وكان إذا مات له قريب لا يصطنع الحزابين على عادة الناس، فنسب من أجل ذلك للبخل، فلما مات أخوه وحضر الجنازة؛ قام عند انصراف الناس فقال: «يا أيها الناس؛ إنما منعني من اصطناع الحزابين أنهم يفسدون القراءة». فلم ينته الحزابون لقوله، ولا الناس عن اصطناعهم. وكان يقول: «قراءة الحزابين عذر في التخلف عن الجنائز». نقل ذلك عنه في "بذل المناصحة".

أصيب - رحمه الله - بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة[1]. ضحى يوم الخميس ثالث الحجة الحرام سنة أربعين وألف. ومات عند الاصفرار من ذلك اليوم، وهو ابن خمسين سنة - كما وجد بخط سيدي المهدي الفاسي - فيكون مولده سنة تسعين وتسعمائة. ودفن من الغد بأعلى مطرح الجنة، بقرب المصلى، وبني عليه قوس. قال في "التنبيه": «وقوسه في غربي روضة سيدي يوسف الفاسي معروف». هـ.

ولازال معروفا إلى الآن بجوار السادات المنجرين المذكورين، يقابل بوجهه جهة روضة سيدي يوسف، وهو مزار متبرك به، نفعنا الله به. ترجمه تلميذه ميارة في أول شرحه على "المرشد المعين"، وفي أول حاشيته على البخاري، وصاحب "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"... وغيرهم.

---

[1] وهو داء عصبي يبتدئ بثقل حركة اللسان والأطراف، ثم الشلل الكلي، ثم شلل الأعضاء الداخلية؛ خاصة الرئتين، فالوفاة... والعياذ بالله تعالى.

[733 – الشيخ المربي سيدي أحمد بن محمد ابن عاشر السلوي]

(ت: 764، أو 765)

تنبيه: ابن عاشر هذا غير ابن عاشر السلوي؛ وهو: الشيخ الكبير، الولي الصالح الشهير، الورع الزاهد، المنقبض العابد، الحاج الأبر الناسك، المسلك السالك؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عمر ابن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، السلوي نزولا ومحلا [276].

أصله – رحمه الله – من "شمنية" من بلاد الأندلس، وبها خلق ونشأ، إلى أن حفظ القرآن وقرأ العلم واجتهد في الطاعات والعبادات، وانقطع لسبيل الأعمال الصالحات، ثم انتقل منها إلى الجزيرة الخضراء، وأقام بها زمانا مشتغلا بتعليم كتاب الله تعالى؛ فلقي بها الأكابر من أهل المقامات، فأنس بهم، ولاذ بمرافقتهم؛ منهم: الشيخ أبو سرحان مسعود الأبله.

ثم رحل عنها للحج والزيارة؛ فحج وزار، وآب إلى المغرب، ودخل مدينة فاس، وأقام بها مدة، ثم رحل إلى مكناسة الزيتون، واستوطنها مدة، وكانت بها إحدى أختيه، والثانية بقيت بشمنية.

ثم انتقل إلى سلا؛ فنزل من رباط الفتح بزاوية الشيخ الكبير الشان، صاحب الكرامات والحالات الحسان؛ أبي عبد الله اليابوري، وهو معروف القدر، معلوم الحال، أحد شيوخ التربية والمنتخبين الأعلام، فأقام معه على بر واستحسان من الشيخ لحاله، وكان يسميه بـ: الشاب الأسعد الصالح. وكان يأمر بإيناسه والنظر في مصالحه، وأسكنه خلوة في الزاوية المذكورة، وتسبب له في إقراء الأولاد القرآن، لكونه كان يختار ألا يأكل إلا من كسبه أو ما علم وجه كسبه.

ثم انتقل للعدوة الأخرى من سلا؛ فنزل منها بزاوية الشيخ أبي زكرياء الكائنة بقرب الجامع الأعظم، وبدار المقدم عليها – إذ ذلك – الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى؛ تلميذ الشيخ أبي زكرياء المذكور، وكل ذلك بعد وفاة الشيخ اليابوري.

وكان اكتسابه في هذه المدة من نسخ كتاب "العمدة" في الحديث، وكان معجبا به، مؤثرا لحفظه وفهمه، وربما أقرأه تفهما لبعض أصحابه، ينسخ منه ثلاث نسخ في السنة غالبا، وكان يبيعه ممن يعرف طيب كسبه، ولا يأخذ إلا قيمته. ومن ذلك توفر له ما اشترى به داره التي توفي بها، وفي هذه الدار اشتهر أمره، وانتشر في الناس ذكره، واجتمع إليه الأصحاب، وانضاف إليه المريدون. وكان قبل يزور إخوانه من الصالحين ويأنس برؤيتهم، فصار بعد سكناه بهذه الدار قليلا ما يظهر، وناء ما يبدو للعيون وينصر.

ومن جملة من أخذ عنه هناك وصحبه: الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد شارح "الحكم"، وكان ابن عباد هذا يثني عليه كثيرا، ويقول فيه: « لو فتش اليوم على مثله بالفتيلة والقنديل؛ لم يوجد ! ».

وكان – رحمه الله – سباقا للخير، منقطع القرين في الزهد، شديد المراقبة، عالي الهمة والشرف، جليل المقام، ذاكرا لعلم الحلال والحرام، متمكنا في مقام الورع، لا يُشق فيه غباره، ولا تجهل آثاره. وكانت له كرامات ظاهرة، وأحوال عجيبة باهرة. ومناقبه كثيرة.

توفي – رحمه الله – في رجب سنة أربع – على ما في "السلسل العذب" – أو خمس [277] – على ما في "أنس الفقير" لابن الخطيب – وستين وسبعمائة، ودفن بداخل سلا، بالموضع المعروف بوراء الجامع، وقبره مشهور معظم، مزار إلى الآن، والدعاء عنده مستجاب. وقد كان دفن بمقربة من ذلك الموضع الذي دفن فيه جماعة من أصحابه ممن مات قبله – رحمهم الله أجمعين – ترجمه في "السلسل العذب" مصدرا به، وكذا في "أنس الفقير"، وفي "الجذوة" . . . وغير ذلك[1] .

[734– الصالح الشريف سيدي عمرو بن محمد العلمي]

(ت: القرن العاشر)

ومنهم: الشيخ الناصح، الولي الصالح؛ سيدي عَمْرو (بفتح العين وسكون الميم) ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن عيسى الشريف الحسني الإدريسي العلمي.

جد الشرفاء القاطنين اليوم بالعقبة الزرقاء من فاس القرويين، المعروفين بأولاد ابن عمرو، وهو أول قادم منهم على فاس أول المائة العاشرة من جبال العلم، وبفاس توفي، ودفن بعرصة له بهذا الخارج قرب المصلى، بإزاء روضة الإمام سيدي رضوان الجنوي، وروضة الشيخ سيدي يوسف الفاسي بينهما . ولم أقف له على ترجمة، سوى ما وجدته في بعض الكتب وبعض الشجرات من تحليته بالولاية والصلاح.

---

[1] وكذا ألف فيه سميه الفقيه السيد الحاج بنعاشر الحافي كتابه: "تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي الحاج أحمد ابن عاشر"، رحم الله الجميع بمنه وكرمه. . . آمين. وكتبه عبد ربه محمد المهدي [بن الشيخ محمد بن عبد الكبير] الكتاني.

[735- الشريف سيدي محمد بن أحمد ابن عمرو]
(ت: 1203)

ومنهم: حفيده الشريف الأجل، الخامل الأفضل، المسن البركة الأمثل؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الشريف الأرضى سيدي أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن الولي الصالح سيدي عمرو المذكور.

كان - رحمه الله - في أول أمره تاجرا من جملة التجار الذين يتجرون حضرا وسفرا، وجاور للتجارة بقاهرة مصر مدة، ثم إنه رجع لفاس، واشتغل بغرس الأجنة؛ فغرس جنانا بدار ابن عمرو، ثم آخر بلمطة، ثم إنه لازم داره ما ينيف على أربعة أعوام؛ فكان لا يخرج منها إلا قليلا، واعتكف على قراءة المصحف الكريم، وقرب وفاته بنحو أربعة أشهر؛ صار لا يخرج منها بالكلية حتى خرج ميتا.

وفي مدة لزومه لداره؛ كثر كلامه، وكثرت إشاراته، وصار يخبر ببعض المغيبات، ولم يكن قبل ذلك يخبر بشيء، بل كان يتستر، ودعى حينئذ بعض أولاده؛ وهو: مولاي أحمد، وقال له: «إنه لم يبق إلا ملاقاة الله عز وجل، وإن الله تعالى أعطاني السر، وطلبت منه أن لا يفضحني، وكنت أكتم ذلك، والآن لم يبق إلا ملاقاة الله تعالى. . .»، ثم دعا له، وغاب ثم أفاق، وجعل يوصيه بأمور من الخير، وبزيارة مولانا إدريس رضي الله عنه كل يوم؛ وقال: «إن الله عز وجل أعطاني ما أعطاني على يده؛ لأني كنت صاحبه، وهو الذي بعث من ورائي أصحابه وخدامه، وقال لي: اشرب. فشربت، ثم قال: اشرب. فشربت، ثم قال: اشرب. فشربت، ثم قال في المرة الرابعة: اشرب. فقلت لا أقدر على الزيادة. ولو زدت؛ لافتضحت. فقال لي: لا بد لك من شرب نصيبك؛ فشربت، وقيل لي: أعطاك [278] الله السر والستر. وكان ذلك عزمي وقصدي!».

وأخبر عند موته بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر والصحابة وغيرهم من الأولياء والصالحين إليه، وقال لولده المذكور: «لا تبرم أمرا دنيويا كان أو أخرويا إلا عن مشورة؛ فإني معكم إن شاء الله أكثر مما أنا عليه اليوم، فإذا هممت بأمر؛ فتوضأ واقدم إلى القبر أو الروضة، وسلم، وصل ركعتين، واعمل الاستخارة النبوية، واهبط؛ فإنه لا يكون إلا ما فيه الخير بإذن الله تعالى».

ثم توفي - رحمه الله - بعد صلاة الصبح من يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة متم سنة ثلاث ومائتين وألف، وباشر غسله العلامة الأستاذ سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي وغيره من بعض

الشرفاء، وكانت له جنازة عظيمة حفيلة، وصلى عليه العلامة سيدي التاودي ابن سودة المري بمسجد الأندلس، ودفن قرب المصلى بعرصة جده المذكور، وبنيت عليه هناك روضة، وهي ذات الحوش المرتفع أسفل من ضريح الإمام ابن عاشر بقريب، وتقرب - أيضا - من حوش سيدي يوسف الفاسي. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" وأطال في ترجمته. فانظره.

[736- العارف سيدي الحسن الجزولي]

(ت: 992)

ومنهم: الشيخ الولي الكبير، العارف الشهير؛ أبو محمد وأبو علي سيدي الحسن بن عيسى - على ما عند المرابي في "التحفة"، وتبعه في "المقصد"... وغيره، وصدر به في "تحفة أهل الصديقية" - أو: ابن عبد الله - على ما عند صاحب "الدوحة" وحكاه في "تحفة أهل الصديقية" بـ: قيل - الجزولي؛ نزيل فاس.

ترجمه في "الدوحة"؛ فقال: «ومنهم: الشيخ الفاضل الزاهد، المنقطع إلى جانب الله، المتجرد عن الدنيا إلى عبادة الله؛ أبو علي الحسن بن عبد الله الجزولي؛ من أصحاب الشيخ أبي فارس عبدالعزيز التباع، ولقي عدة من المشايخ، وكان رجلا صالحا؛ من أهل الصلاح والولاية الخاصة، لقيته بفاس غير ما مرة، وانتفعت به، وكان متخليا عن الدنيا وصحبة أهلها. توفي في العشرة السادسة - يعني: من القرن العاشر - بفاس. رحمة الله تعالى عليه». هـ.

وقال المرابي في "التحفة" أثناء عده لبعض أصحاب الشيخ الغزواني ما نصه: «والشيخ الصالح المعاصر لنا، المقيم بين أظهرنا؛ سيدي أبو محمد الحسن بن عيسى الجزولي؛ إمام أيمة وقته. ثم قال: كان راعي دواب الشيخ - يعني: الغزواني - فيما أخبرنا بنفسه». هـ.

وعلى كونه من أصحاب الغزواني؛ جرى في "المقصد"، و"الطرفة"... وغيرهما. وبه صدر في "تحفة أهل الصديقية"، ثم قال: «وذكره بعضهم في أصحاب الشيخ التباع». وقال في "الممتع" بعد أن نقل عن المرابي أنه: من أصحاب الغزواني. وعن "الدوحة" أنه: من أصحاب التباع. ما نصه [279]: «ولعله أخطأ في قوله: إنه من أصحاب التباع. أما كونه من أصحاب الغزواني؛ فلا شك فيه». وقال في "الروض": «يحتمل أن يكون أخذ عن الشيخين معا: التباع والغزواني». هـ.

وفي "التحفة" للمرابي أيضا ما نصه: «وجدت بخط أبي القاسم المخلوفي - رضي الله عنه - ما نصه: حدثنا الشيخ الصالح أبو محمد الحسن بن عيسى الجزولي - إمام أيمة وقته - أنه قال: كتب

الشيخ ناصر الدين اللقاني من الديار المصرية إلى الإمام أبي محمد الغزواني يسأله تفسير الفاتحة على طريقة القوم؛ فكتب إليه بشيء من ذلك، فلما انتهى إليه ما كتبه؛ أعجب به وأعاد الكتب إليه بالاعتراف به، وقال لحاضريه: هذا صاحب الوقت، فمن أراد لقاءه فليتوجه إليه !)) . هـ .

وفيها أيضا: ((إن صاحب الترجمة جاء مرة إلى سيدي رضوان الجنوي؛ فقام إليه إكراما له، وأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه للمصافحة، ولما أراد صاحب الترجمة أن يحل يده من يد سيدي رضوان؛ قبلها سيدي رضوان وقال: مرحبا بصاحبي وصاحب سيدي)) . قال في "التحفة": ((يعني به: شيخهما سيدي عبد الله الغزواني نفع الله به)) . انتهى.

والتحقيق في وفاته: ما في "الممتع" نقلا عن بعض الفقهاء، وفي "تحفة أهل الصديقية" وغيرهما أنه: توفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنين وتسعين - بالمثناة فوق - وتسعمائة، وقد جاوز المائة. قال في "الممتع": ((وذكر وفاته في "الدوحة" في العشرة السادسة من القرن العاشر؛ فأخطأ فيها كما يقع له ذلك كثيرا، فلهذا أترك نقل تاريخه في كثير من تراجمه)) .هـ .

وضريحه - رحمه الله - بهذا الخارج - قال بعضهم: بأعلى مطرح الجنة - وفي "المطمح" في ترجمة سيدي أحمد حبيب أن سيدي أحمد هذا: قريب من حوش سيدي الحسن الجزولي - يعني: صاحب الترجمة - وفي كتاب "الفكر والاعتبار" لسيدي أحمد بن عطية السلوي الأندلسي ما نصه: ((ومنهم: الشيخ الشهير أبو محمد سيدي الحسن الجزولي؛ دفين خارج باب الفتوح قريبا من روضة سيدي رضوان، توفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر شوال سنة اثنين وتسعين وتسعمائة، وكان ممن أخذ عنه: أبو الحسن سيدي علي الحيري)) . هـ .

وفي "المرآة": أن أبا المحاسن دفن في جهة القبلة من جميع ما بباب الفتوح من ترب الصالحين وروضاتهم، في السفح الذي فيه سيدي علي حماوش، وسيدي علي الصنهاجي، وسيدي محمد بن بكار، وسيدي رضوان، وسيدي الحسن الجزولي. . . وغيرهم. وفي منظومة الشيخ المدرع في صلحاء فاس، عند عده لأولياء خارج باب الفتوح:

ومنهم: الشيخ الجزولي الحسن   بروضة تحت الجنان قد سكن

[280] **يعني بالجنان:** جنان سيدي أحمد ابن عبد الله الموقوف على دفن أصحابه، وهو بأعلى موضع روضة سيدي يوسف الفاسي، وسيدي محمد ابن عبد الله. وبعض الناس اليوم يذكر أنه صاحب القبة التي بجانب حوش سيدي يوسف الفاسي، بأعلاه، غربا منه، المعروفة بقبة ابن ودة، وانظر هل يصح ذلك أم لا ؟ .

[737- القائد سيدي علي ابن ودة]

وأما ابن ودة الذي تنسب إليه: فهو القائد على ابن ودة. قال في "ابتهاج القلوب": «كان من أهل محبة الشيخ أبي المحاسن وخدمته».هـ. وانظر هل تنسب إليه لدفنه بها أو لبنائه لها أو لغير ذلك؟.

وقد جدد بناءها في هذا الوقت بعد إشرافها على السقوط، بل وسقوط بعضها: السلطان الأسعد، الهمام الأنجد الأعضد؛ مولانا الحسن بن مولانا محمد العلوي - جدد الله عليه سوابغ آلائه، ونفعنا وإياه بسائر أوليائه... آمين.

[738- الإمام النحوي المقرئ سيدي أحمد بن قاسم القدومي]
(ت: 992)

ومنهم: الشيخ الإمام، الأستاذ النحوي الهمام، شيخ النحاة والمقرئين؛ أبو عبد الله سيدي أحمد بن قاسم بن علي الغساني الأصل، الفاسي المنشأ، الشهير بالقدومي.

كان - رحمه الله - من الأساتيذ المعتبرين، ممن يعول عليهم في تحقيق علوم القراءات، وحفظ المذاهب فيها والترجيحات. وكان ماهرا في علم النحو، عليه المدار فيه بفاس، وانتهت إليه رياسته في عصره، وكانت له نية صالحة في التعليم، دؤوبا على ما يعنيه من طلب العلم ونشره. وكان إماما بمسجد الشرفاء الذي به ضريح مولانا إدريس رضي الله عنه.

أخذ عن جماعة؛ منهم: أبو القاسم ابن إبراهيم الدكالي، وأبو عبد الله محمد ابن مجبر المساري.
وأخذ عنه هو: العارف الفاسي، وولدا أخيه: سيدي أحمد وسيدي العربي، وأبو الطيب الزباتي... وغيرهم.

وله تقييد على المرادي؛ سماه "بالهادي في حل ألفاظ المرادي"، في نحو الأربع مجلدات.

توفي - رحمه الله - بفاس بعد عصر يوم الأربعاء الخامس عشر من شعبان عام اثنين وتسعين وتسعمائة. قال في "المطمح": «ودفن من الغد عند صلاة الظهر خارج باب الفتوح بمطرح الجنة، وكانت جنازته مشهودة، وقرئ عليه يوم موته وثلاث ليال بعده: مائة وخمس وثلاثون ختمة من القرآن العزيز، وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وتسعمائة».هـ. وقال في "الجذوة" ما نصه: «دفن خارج باب الفتوح بمطرح الأجلة من أعلاه، وكانت جنازته مشهودة، حضرها جل أهل فاس - رحمة الله تعالى عليه».هـ. ترجمه فيها، وفي "الدرة"، وفي "نيل الابتهاج"... وغير ذلك.

[739- سيدي السهيلي بن الصادقي]
(ت: 1198)

ومنهم: الفقير المرابط الأجل، الخير الناسك الأفضل، المحب الصادق الكامل، المتجرد المتقشف الخامل؛ سيدي السَّهْلي ابن الولي الصالح سيدي الحاج العَرُوسي ابن الشيخ الولي الكفيف سيدي بُوزِيَّان ابن الشيخ الكامل [281] سيدي أحمد بن عبد الصادق السجلماسي الرُّتْبي.

كان - رحمه الله - فقيرا محبا، متجردا عن الدنيا متقشفا، صابرا متنزها عن كل قيل وقال، ذاكرا الله تعالى في كل حال، ولا تراه يشكو من شيء قط؛ لا من غلاء ولا من رخاء، ولا من برد ولا من حرارة، ولا ينطق بقلة الشيء وإن كان في غاية الاحتياج؛ من كثرة صبره وصمته، وحيائه، ورفع همته عن الخلق حتى لا يكون جوابه لسائله عن حاله إلا: بخير وعلى خير. هذه حالته دائما وأبدا إلى أن توفي عليها سنة ثمان وتسعين ومائة وألف.

قال في "سلوك الطريق الوارية": «ودفن بمطرح الجنة قرب القباب، خارج باب فتوح - أحد أبواب فاس - وكانت له جنازة عظيمة، حضرها كل طوائف الفقراء، والعلماء، والخصوص والعموم من الناس، وكان - رحمه الله - عازبا يأوي في بيت من المدرسة الرشيدية - رحمة الله عليه». هـ.

[740- الشيخ المربي سيدي قاسم بن قاسم الخَصَاصي]
(ت: 1083)

ومنهم: الشيخ الإمام، العارف الهمام، منبع التوحيد، ومعدن التجريد والتفريد، بحر المعرفة الزخار، وغيث المدد الوابل المدرار، الواصل الكامل المحقق، المجذوب المقرَّب المستغرق، ذو الإشارات العلية، والحقائق السَّنية، والمواجد الربانية، والإشراقات العرفانية، الملامتي؛ أبو الفضل سيدي قاسم بن الحاج قاسم بن قاسم الخصاصي (بفتح الخاء المعجمة، وتخفيف الصاد). به عرف. الأندلسي أصلا، الفاسي دارا ومولدا ومنشأ وضريحا.

وقولنا: الخصاصي. نسبة إلى: خَصَاصَة. مدينة على شاطئ البحر بجبل قلعية، ذات مياه وأجنة، لا عمارة بها الآن. كان بها سلفه، وكان لهم بها شهرة في الولاية، ولبعضهم بها - وهو: سيدي مسعود الخصاصي - مزارة، ثم انتقلوا عنها بعد خلائها إلى الجبل المذكور، ثم إلى فاس. وحكي عنه أنه قال: «نحن من الأندلس؛ كان سلفنا هناك قبل ورودهم على قلعية».

ولد – رحمه الله – في حدود واحد – أو اثنين – وألف، وربي يتيما في حجر أمه، لأن والده توفي وتركه في بطن أمه، فربي كذلك إلى أن شب وبلغ الحلم، فكانت له صبوة وخلطة مع أتراب له من أهل حومته وغيرهم، كان هو يذكرها ويذكر ما صدر عنه من الأفاعيل بسببها، يعرف الناس بذلك فضل الله وإحسانه.

ثم هبت عليه عواطف التوبة؛ فألجأته إلى ضريح الشيخ أبي المحاسن الفاسي من غير قصد له به، إذ كان لا يعرفه ولا يعرف اسمه، فناداه: «يا صاحب هذا القبر؛ إن كنت وليا لله حقا، فنطلب منك أن يجمعني الله بشيخ نخدمه لله لا يخدمه معي أحد غيري». فجمعه الله بعد ذلك بشيخه الأول؛ وهو: سيدي مُبارك بن عَبَابو الكوش؛ دفين خارج باب الجيسة. فصحبه مدة إلى وفاته، ثم صحب بعده العارف الفاسي [282]، ولازمه، وسلب له الإرادة، وفتح له على يديه الفتح العظيم، وبقي في صحبته نحوا من عشر سنين، وكان يقول له: «أنت لي ولست لأحد غيري»، يشير – والله أعلم – بذلك أن فتحه كان على يده دون غيره، وكان يقول له أيضا: «أنت غريب؛ ليس لك أخ». يشير – والله أعلم – إلى أنه: غريب في طريقه وعرفانه وتحقيقه.

ثم بعد وفاته؛ صحب خليفته ووارثه سيدي مَحمد بن عبد الله مَعْن الأندلسي، وبقي في صحبته ستة وعشرين سنة. وهؤلاء الثلاثة الأشياخ هم عمدته وإليهم سلب الإرادة؛ كما ذكره هو عن نفسه واحدا بعد واحد.

وكان يقول: إنه لقي ستة وعشرين شيخا، أو نحوهم، وهو – رضي الله عنه – الوارث لشيخه الأخير؛ وهو: سيدي مَحمد بن عبد الله، أخبر بذلك تلميذه وولد شيخه المذكور: سيدي أحمد ابن عبد الله. وفي "المقصد": «إنه جلس يوما أصحاب سيدي مَحمد بعد موته يتحدثون متحيرين؛ كيف السبيل إلى معرفة وارثه؟!، وسيدي قاسم معهم. فقال لهم: ها هو السبع في وسطكم ولكن أين من يستخرجه ويتفطن له؟!».

وكان – رحمه الله – من أهل العناية الربانية، والأحوال النورانية، والغيبة في التوحيد، والاستغراق في بحر التحقيق، قوي الحال، فائض النور، فياض المدد، تغلب عليه الغيبة وتعتاده زيادتها في نحو خمسة أيام من كل شهر، فلا يعرف فيها الأرض من السماء، ولا يأكل ولا يشرب، إلا أنه يسأل عن أوقات الصلاة في كل ساعة، وقد يسأل عن صلاة نهارية بالليل. وكان إذا وقع له ذلك؛ لا يخرج من داره. وكانت طريقته: المحبوبية والفناء في التوحيد. لا يشير في كلامه إلا إليهما، ولا يُعرج إلا عليهما، وينهض بالناس إلى الله من طريقهما، ولا يلوي على طريق الخوف ولا يشير إليه، ولا يحب من يقف مع الخوف وشهود مساويه؛ مخافة أن يقصر به ذلك عن النهوض إلى الله.

وكان يحركه السماع، وينهض قائما يتواجد من غير رقص، ولكن يقف ويقرب من أهل السماع، وكان شديد الحزم في الدين، واتباع السنة، رفيع الهمة جدا، منقطعا عن الدنيا وأهلها، في غاية من الزهد والورع، وقلة ذات اليد، يأكل من عمل يده، ويتسبب في حانوته، ولا يقبل من أحد شيئا ولو من أصحابه، ما عدى سيدي أحمد ابن عبد الله. وكان محبا لآل البيت، معظما لهم جدا.

وله كرامات كثيرة، ومكاشفات غزيرة، وتصرفات كبيرة، ذكر بعضها في "المقصد" وغيره، ورأى الخضر – عليه السلام – وأخبر به، وكانت له مع ذلك ملامات وشطحات ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها ولم يشاركه في حاله. ﴿*وما يعقلها إلا العالمون*﴾. [العنكبوت: 43].

ومن شطحاته وكراماته: ما حدثوا عنه أنه كان يوما جالسا بحانوته يخرز وهو مطأطئ الرأس على عادته، فنزل مطر عظيم، فانتظر الناس انقطاعه في الوقت؛ فاسترسل [283]؛ فرفع أبو الفضل رأسه للسماء قائما وقال بقلق: «ما يكفاناشي من هذا الشتا[1]!»، بحالة من يخاطب قرينه، فانحبس المطر في الحين كأن لم يكن، فرجع إلى حسه مستغفرا مما صدر منه – رضي الله عنه ونفعنا به.

وأحواله ومقاماته كثيرة، وكراماته عظيمة شهيرة، ويكفي في سمو قدره وعلو فخره تَخَرُّج سيدي أحمد ابن عبد الله به، وتربيته وتهذيبه به.

قال في "المقصد": «وقد شرعت لهذا العهد في تأليف مستقل في أخباره؛ من كرامات وغيرها، نويت تسميته عند إتمامه "بالزهر الباسم في أخبار الشيخ سيدي قاسم"، يسر الله في إكماله بمنه وأفضاله».هـ. ولم تساعده بإكماله الأقدار، ولا سمح له بإتمامه الزمان والقرار، فانتدب حفيده العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري لذكر مآثره وأحواله في مؤلف في سفر وسط؛ سماه "بالزهر الباسم"، أو "العَرْف الناسم، في مناقب الشيخ سيدي قاسم، ومآثر من له من الأشياخ والأتباع أهل المكارم"، ولخص القول فيه في ثمانية أبواب؛ فليطالعه من أراده.

توفي – رحمه الله ورضي عنه – في وسط ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وألف عن نحو اثنين وثمانين سنة، ودفن بروضة أشياخه أعلى مطرح الجنة، إزاء قبة الشيخ سيدي مَحمد بن عبد الله، وراءه، وبني عليه بيت؛ بناه تلميذه سيدي أحمد ابن عبد الله، وقبره به معروف إلى الآن، عليه دُربوز يزار ويتبرك به. ترجمه في "المقصد"، وفي "الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع"، و"الصفوة"، و"الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"... وغير ذلك.

[1] أي: يكفينا من هذا المطر.

[741- الشيخ المربي الإمام سيدي مَحمد بن مَحمد بن عبد الله مَعَن]
(ت: 1062)

ومنهم: الشيخ الإمام، الحبر البحر الهمام، كهف الإسلام، وملاذ الأنام، وملجأ الخاص والعام، الولي الكبير، الصّديق الخطير، العارف الكامل، المحقق الواصل، المتحقق بالأحدية، وذو الشهود للذات العلية، المتمكن الراسخ، الطود الشامخ، الكامل في الحقيقة والشريعة غاية الكمال، البالغ فيهما مبلغ كبراء فحول الرجال، ذو الهمة العلية، والمفاخر السنية، مقيم السنة، وناصر الملة، المحظوظ من العلم والمعرفة، المشحون بالأسرار التي لا تعبر عنها بنت شفة، مجدد الدين، الناصح لعباد الله المومنين، الدائم الشهود، المتحقق بالوجود، المقيم في التوحيد منذ نشأته ووجوده، القائم بمقام لا يتوارى عنه حاله ولا يغيب عن مشهوده، حجة المريدين، ومحجة المسترشدين، الوارث الرباني، والفرد الصمداني؛ أبو عبد الله وأبو النصائح سيدي مَحمد (فتحا) ابن محمد بن عبد الله بن مَعْن الأندلسي، يعرف قديما بمعن، (بفتح فسكون، أو بفتحتين)، والآن بابن [284] عبد الله، وهو من ذرية يعقوب المنصور الموحدي، ويعقوب هذا كومي السلف، مُضري الأصل، من قيس عيلان؛ (بالمهملة)، ابن مضر، كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم، وهو الصحيح.

وذكر بعض الأعلام من المؤرخين - وهو: الشيخ أبو القاسم السهيلي - أنه شريف النسب حسني إدريسي، من أبناء محمد بن القاسم بن إدريس، وكان الشيخ - صاحب الترجمة - يوصي أولاده أن لا يذكروا القول بالشرف، بل يدخرونه للآخرة إن كان، وهم على حفظ الوصية - جزاهم الله خيرا - وذكر في "المقصد" عن سيدي المهدي الفاسي أن سيدي أحمد ابن عبد الله - ولد صاحب الترجمة - قال له يوما وهو في حالة فيض: «قيل لي - يعني: غيبا - ما نسبك؟. فقلت: عربي. والله أعلم». هـ.

ولد صاحب الترجمة - رضي الله عنه - تقريبا سنة ثمان وسبعين وتسعمائة، ونشأ في عفاف وأمانة، وحفظ وصيانة، وجود القرآن بروايتي[1] نافع على الشيخ سيدي الحسن بن محمد الدرَاوي - دفين هذا الخارج - وعلى غيره من أساتيذ وقته، وأخذ في طلب العلم زمانا حتى حصل منه النصيب الأوفر، وكان قارئ شيخه العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي، ثم اشتغل بالتكسب، وحُبب إليه العبادة؛ فكان يأتي من الطاعة جهد طاقته.

---

[1] أي: قراءتيْ ورش وقالون.

وعلق بزيارة سيدي أبي عبد الله التاودي؛ دفين خارج باب الجيسة، حتى إذا بلغ الأشد وبلغ حدود الثلاثين؛ جمعه الله بالشيخ أبي المحاسن؛ فسلب له الإرادة، وألقى إليه قياده، فصرف أبو المحاسن عَنان عنايته إليه، إلى أن فُتح له على يديه، وانتفع به انتفاعا قويا، وشرب منه مشربا رويا، وعلى يديه كانت له الولادة، وكثير من التربية والإفادة. وكانت صحبته له أربع سنين – أو ما يقرب منها – من السنة التي توفي فيها سيدي إبراهيم الصياد إلى أن توفي سيدي يوسف...

فأخذ بعده عن أخيه ووارث حاله: العارف بالله سيدي عبد الرحمن؛ فبقي في صحبته له ثلاثا وعشرين سنة، مدة ما بين وفاة سيدي يوسف وسيدي عبد الرحمن، وهو عمدته وعليه عول، وبه تهذب وتكمل، وكان يخدمه بنفسه وماله، وكان العارف المذكور يعظم أمره، ويجل ذكره، ويظهر جلالته وفخره، ويقول: «إنه من أرباب القلوب»، وتارة: «إنه لا يوجد مثله في المشرق ولا في المغرب»، وتارة أخرى: «إنه ليس تحت قرص السماء مثله»، وتارة أخرى: «ما احتزم أحد بحزامه»، وقال فيه مرة عندما أساء بعض الناس إليه: «إنه كالشوكة في الطين»، يعني: أنه تصيب سهامه أهل الإذاية، كما تصيب الشوكة في الطين واطئها وليس له بها دراية.

ولما توفي [285] العارف المذكور؛ أحاط صاحب الترجمة بميراثه وميراث شيخه من قبله سيدي يوسف، إلا أنه بقي بداره مدة لم يؤذن له في الانتصاب لدلالة الخلق على الله. ثم إنه زار الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش – رضي الله عنه – فوقع له الإذن هناك – كما أخبر به عن نفسه – فلما رجع؛ جلس في زاوية شيخه سيدي يوسف الفاسي؛ لقربها منه، وكان يسكن بالمخفية، فأتاه الناس من كل جهة، وقال لهم: «اركبوا هذه الرقبة؛ فقد هددت بالسلب إن لم أخرج إليكم!». وتغرغرت عيناه بالدموع. وتصدى – حينئذ – لإرشاد المومنين، وتربية المريدين. وكان يشير لخدمة الجن إياه، وحضورهم بمجلسه، ويقول: «أول من يخدم المخصوص: الجن؛ لأنه أكيس من الآدمي».

وبقي في زاوية شيخه نحو ستة أشهر، ثم بنى زاويته التي بأعلى المخفية على ضفة وادي الزيتون سنة ثمان وثلاثين وألف، فانتقل إليها بأصحابه، يدل على الله، وينصح لعباد الله، وينصر سنة رسول الله، ويحيي أمور الدين وقلوب المؤمنين بما منحه الله من المعارف والأسرار، والبركات والأنوار؛ فأحيى الله به البلاد والعباد، ونفع به الحاضر والباد، وانتشرت على يديه أمور السنة بالمدينة، وأشرقت بها آياته المبينة.

وكان – رضي الله عنه – كامل الأنوار والمحاسن، قوي الظاهر والباطن، عارفا راسخا، وطودا شامخا، مقيما للسنة، قائما بمصالح الأمة، مجددا للدين، محبا في أبناء سيدي المرسلين، واسع المعرفة، علي المقام، قوي الحال، متصفا بكمال الإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ على حالة سيدي يوسف الفاسي، ونسخة منه في الكمال والتمكين.

وكان يُضرب به وبداره المثل في اتباع السنة، وإحياء الدين، لا يمشي إلا وحده أو مع واحد فقط، ولا يتخذ في المسجد موضعا معلوما، ويُسرع في مشيه، ويُدمن غُسل الجمعة... إلى غير ذلك من أحواله الموافقة للسنة. فكان جديرا لأجل ذلك أن يلقب بمحيي الدين. رضي الله عنه.

وكان مواظبا على الأوراد والذكر والتلاوة ولو في المرض، وينهى عن أسماء الله لتحصيل الدنيا، ويقول: «إن ذلك يعود على صاحبه بالخسارة»، ويحض على ذكر الله، ويعيّنُ: لا إله إلا الله، والصلاة على النبي، والاستغفار، ويرجح في الاستغفار لطلب التوبة من الله: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»، على: «أستغفر الله وأتوب إليه». وكان يقول: «ينبغي الإكثار من الاستغفار، لا سيما في هذا الزمان»، يعني: لكثرة الخطايا والفتن. ويحض على الورد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كالخمسمائة [286]، وعلى الإكثار من: لا إله إلا الله. بغير عدد؛ بل قائما وقاعدا وراقدا.

وكان ينهى كثيرا – وهو معظم نصيحته ووصيته – عن مخالطة الخلق عموما، ومتفقرة الزمان خصوصا؛ لقلة الصادقين الناصحين، الدالين على الله بأقوالهم وأفعالهم، ويكثر من قوله: «الخير بالخلطة، والشر بالخلطة»، وكذا كان ينهى عن مخالطة أبناء الدنيا والرؤساء. فتكلم يوما مع بعض الناس في ذلك، فكأنه فهم من ذلك الإنسان أنه يقول: فمالك أنت تجالسهم وتتكلم معهم إذا آتوك؟. فقال له: «هذا الذي ترى ويتكلم معك كالحجر الأصم؛ دَرْدِبْهُ كيف شئت؛ يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه!»، وكان يقول: «الذي يخالطنا؛ إن لم يحصل له شيء من إرث الحقيقة؛ حصل له صلاح دينه وزوال الغرة منه».

وكان صاحب وقته، وفريد عصره ومصره، تُصرف مصالح المسلمين على يده، ويتصرف فيها بإذن من ربه، ويُذعن له أهل الوقت من الولاة والقضاة وغيرهم، وله كرامات عديدة يطول ذكرها.

وكان يقول لأصحابه: «إذا عرضت لأحدكم الحاجة؛ فليجلس أمامي مُضمرا لها في نفسه، ولا يحتاج أن يذكرها لي»، وكم قُضيت لهم ولغيرهم على يده من المآرب، وصرف الله ببركاته عن قاصديه من المضايق والمصائب، وكان يشير لانطواء الكون في قبضته في حالة الفناء، ويذكر الآية: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾. [الزمر: 67]، ثم يقول: «ومن سلك هذا يعرفه». ويذكر في ذلك قول الشيخ سيدي عبد القادر: «وهي في قبضتي كفرخ الحمام»، ويشير كثيرا لمقام البقاء، ويقول: «الشريعة ظاهرا، والحقيقة باطنا». ويقول: «الشريعة حتى إلى الماء والرمل، والحقيقة حتى إلى الماء والرمل». يشير بذلك كله لنفسه، وأنه برزخ بين بحرين؛ بحر التشريع، وبحر التحقيق. وفي بعض كلامه ما يشير لمجاوزته حال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه، وأعظم بها شهادة؛ إذ هي شهادة العارف لنفسه، ولا أقوى منها. وكان إذا قال له أحد: إني أحبك. يقول له: «أحمد الله».

وسأله يوما بعض الموالين له، وقال له: «يا سيدي؛ هل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم؟». فقال له: «نعم؛ رأيته ومسح بيده على وجهي، ولذلك كل من رآني أحبني»، وكان يقول: «قلت مرة لسيدي عبد الرحمن: إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يغيب عني إلى أين؟. فقال لي: ما الذي تشاهد؛ روحانيته أو جسمانيته؟. فقلت: بل روحانيته. فسكت عني. قال: ثم بعد أيام سألني: هل ذلك باق؟. فقلت له: نعم يا سيدي؛ الصفة لا تفارق الموصوف. قال: فسُر بذلك، وظهر البشر في وجهه».

وكان يخبر عن ثمار الجنة وأحوالها خبر من عاينها، فيتكلم في ذلك بما لم يُسمع [287] من غيره، ومما كان يذكر من ذلك: أن المقروض - وهو: طعام معروف يُتخذ من لباب القمح بالسمن والعسل والزيت - في الجنة بالشجر.

وأحواله وأوصافه ومعارفه وكراماته أجل من أن تحصر، وقد أفردها بالتأليف الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وكذلك أفردها بجزء الشيخ سيدي المهدي الفاسي، وسماه: "عوارف المنة، في مناقب سيدي محمد ابن عبد الله محيي السنة"، وترجمه في "المقصد" ترجمة واسعة، وقال بعدها: «وترجمته أوسع من هذا، ولعلنا نتعرض له في غير هذا الكتاب». هـ. وترجمه - أيضا - في "الممتع" وأطال فيه بنحو الكراسة، وكذا ترجمه في "الصفوة"، و"الروض"، و"النشر"، و"الزهر الباسم"... وغير ذلك.

وكانت وفاته - رحمه الله - بعد طلوع الشمس بنحو ساعة من يوم الأحد الثالث من جمادى الثانية سنة اثنين وستين وألف، ودفن عند الزوال بالقباب أعلى مطرح الجنة، قريبا من قبة سيدي يوسف الفاسي، عن يمينها، وبنيت على قبره قبة على شكل قبته، وقبره بها مشهور معروف، عليه دُربوز يزار به. قال في "الممتع": «وبقيت الدار مسدودة أياما حتى جازت أيام التعزية، ليلا يجتمع الناس أو يبكي أحد بصوت؛ صنعوا كما كان يصنع». هـ. وفي "المقصد" عن سيدي أحمد ابن عبد الله ولد صاحب الترجمة: «إنه كان إذا زار والده المذكور بعد وفاته؛ يغيب عن حسه، ثم يرجع بالقرب»، رضي الله عنهما، ونفعنا بهما... آمين.

[742- العارف المربي الإمام سيدي أحمد بن محمد ابن عبد الله معن]
(ت: 1120)

ومنهم: ولده الإمام، الحبر الهمام، العالم بالله، والناصر لسنة رسول الله، ذو السيرة النبوية، والأخلاق المصطفوية، بحر التحقيق والعرفان، ومعدن الكمال والتمكين والإيقان، ذو التعرف والتصريف والكرامات الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد، والكشف الصريح والبصيرة النافذة الغزيرة التي

لا تتناهى ولا تحد، والهمة الخافضة الرافعة، والقوة الجالبة الدافعة. المربي النفاع، الكريم الأخلاق والطباع، الفتى الذي ما مثله فتى، والرجل الذي ما مثله في وقته أتى، مصباح الزمان، وفريد العصر والأوان، صدر الصدور، الشهير البركة والحكمة والنور، شيخ الطريقة، وفارس الحقيقة، العلم الأوحد، الحجة القدوة الأعمد، العارف بالله تعالى؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن عبد الله معن، الأندلسي المحتد، الفاسي الآباء والمولد، القاطن بالمخفية من عُدوة فاس الأندلس، وبها وُلد ونشأ.

كان – رحمه الله – من أعيان الطريقة، وأكابر أهل الحقيقة، على قدم السلف الصالح، والمنهج القويم الواضح، آية في السخاء والجود، وكرم الأخلاق [288]، والزهد والعبادة، والتعطف على الضعفاء والمساكين، ومحبة آل البيت والعلماء والصلحاء. وكان على قدم التجريد، صارما في الحق، نصوحا لعباد الله، لا يداهن أحدا، وحصل له من الحُظوة عند أرباب الدولة وسماع الكلمة ما لم يكن لغيره.

وكان علماء الوقت يقصدون زيارته، ويسلمون له ظاهرا وباطنا، ويجلسون بين يديه كجلوس المتعلم بين يدي معلمه. وانتفع على يديه خلق كثير، وظهر له تصرف عظيم، ومهابة كبرى، فلا تراه إلا رأيت أسدا من أُسْد الله، قد عوفي من خوف الخلق، وكُفي أمر هَمّ الرزق، وأوتي من علم القلوب ما يشهد له بالذوق الواضح، والحال الراجح؛ فلا تخوض معه في فن من فنونه إلا أمتعك فيه، وله من قوة اليقين والدين ما لاحت ثمراته على كل من عاشره أو أوى إلى زاويته.

وله – رضي الله عنه – كلام في الطريق نفيس، قال في "الصفوة": «ولم يكن يلقن الأوراد، ولا يسلم لمن يلقنها، ويأنف أن يسمى شيخا، ويرى أن ما يفعله أهل الوقت من التساهل في ذلك باعتبار الملقن والملقَّن أمر بعيد عن قانون الشرع، ثم هو – مع خروجه عن السنة – لا يجدي ولا يفيد، وإنما غرض المتصدين له ترويج باطلهم، وتكثير سوادهم وأشياعهم، ووقع بينه وبين الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي في ذلك كلام طويل أضربنا عنه روما للاختصار، وإنما كان حال من أتاه يطلب منه المشيخة: أن يأمره بملازمة الأحزاب والوظائف مع الإخوان بالزاوية، لا يزيد له على ذلك شيئا» هـ.

والزاوية التي كان اجتماعه بها مع أصحابه: هي زاوية أبيه التي على ضفة وادي الزيتون، بأقصى حومة المخفية، عدوة فاس الأندلس، ثم جدد بناءها هو – رضي الله عنه – فصارت لذلك تنسب إليه، وكان قد سخر الله له أسباب المال، واستفاد منه كثيرا من عمله بالازدراع والغرس والنحل – بالحاء المهملة – فما برح عن طريقة السلف بسببه قدما واحدا، بل تسلط عليه بالإنفاق في جانب الله؛ فلم يبق منه إلا ما به تقوم الأسباب بمقتضى الشرع، ولم يكن فيه موضع ترغيب إلا سلكه.

ومما انفرد به في زمانه: أنه كان لا يدخل بذمته شيء من متاع الغير قل أو جل، على أي وجه كان، وإن قصده أحد بهدية وغلبه الحياء عن ردها له؛ كافاه عليها بأضعاف مضاعفة، وصرفها لغيره في الحين.

وكان شديد الاتباع للسنة في نفسه وأهله، ولا يرتكب في داره أمرا لم ترد به، بل قطع عنهم جميع العوائد، والتكلفات والزوائد، في أعراسهم ولباسهم وسائر [289] أيامهم، كما كان عليه والده رحمه الله، وأمره بذلك واضح، وتفصيله يطول.

وأخذ عن والده تبركا وتأدبا واستفادة، ثم بعد وفاته عن الشيخ سيدي قاسم الخصاصي وسلب له الإرادة، ولازمه من سنة أربع وستين وألف إلى موته سنة ثلاث وثمانين، وخدمه خدمة لم يسمع بمثلها، وهو عمدته في الطريق، وإليه ينتسب على التحقيق. وكان شيخه سيدي قاسم يشهد بخصوصيته، ويشير إلى أنه الوارث له، وقال له يوما: «أنا عبدك». وكان يوما آخر غائبا في حاله؛ فجعل يقول له: «تعال خذ متاعك عني»، يشير إلى وراثته لحاله، وأنه هو الذي يأخذ ما عنده. وقال يوما: «إن هذا الذي بهذه الزاوية لا يوجد في بلاد»، كأنه يعنيه، وأشار إلى أنه المقصود من الناس المجتمعين عليه، وقال: «لولا سيدي أحمد؛ لم يجد أحد إلى سبيلا».

وبعد وفاة شيخه المذكور؛ صحب العارف بالله سيدي أحمد بن محمد اليمني، وكان بينهما قرب أكيد، واتصال قوي شديد، وكان صاحب الترجمة يصله بأنواع المواصلات، ويواسيه أعظم المواساة. وذكر أبو العباس ابن عجيبة في فهرسته أن صاحب الترجمة أخذ عنه؛ لكون شيخه سيدي قاسم تركه لم يرشد، وقال له: «يأتيك من يكملك»، فكمل به صاحب الترجمة، وأنفق عليه نفقة كبيرة في حكاية طويلة.

وقال في "التقاط الدرر": «لم يدر المحققون الخادم منهما من المخدوم، ولا الشيخ من التلميذ، وكل من أقدم على ذلك فبمجرد التخمين والظن». هـ.

وكانت له – رضي الله عنه – فراسة تامة وكشف عظيم، وظهرت على يديه كرامات، وأخبر بمغيبات يطول شرحها، ويؤدي إلى الملل تتبعها، وأوتي مقام الخلافة الباطنية وخطة التصرف؛ فكان يجلب ويدفع، ويضر وينفع، وينقص ويوفي، ويعزل ويولي على حسب ما صرفه فيه مولاه، ومكنه منه وأولاه، وقد صرح الشيخ سيدي أحمد اليمني بأنه – أعني: صاحب الترجمة – أعظم من شيخه ووالده، قد فاقهما وزاد عليهما. قال في "الإلماع": «ولم يكن رأى واحدا منهما في عالم الحس، وإنما قال ذلك عما شهده ببصيرته وكشفه ونور ربه». هـ. قال في "المقصد": «وناهيك بها من مثل هذا العارف شهادة، وبهذا الوصف العظيم والقدر الجسيم كرامة وسعادة». هـ.

وكان سيدي أحمد المذكور إذا ذكر صاحب الترجمة، أو ذُكر بحضرته؛ أثنى عليه أحسن الثناء، وشهد له بالخصوصية التامة، وأعظم شأنه، وعرف بحقه، وكان كثيرا ما يصفه بالمجذوب، ويقول فيه: «إنه أبو يزيد البسطامي»؛ وقال فيه يوما: «قدمه على رقبتي»، ونقل بعضهم عنه قال: «كنت يوما جالسا [290] مع شيخي سيدي عبد الله البرناوي ببلاد برنو؛ فسمعت صوت دندنة، فقلت له: ما هذا يا سيدي؟!. فقال لي: إنسان بالمغرب يقال له: أحمد ابن عبد الله؛ ما تحت أديم السماء أفضل منه!».

وذكر في "نسمة الآس" أن صاحب الترجمة: لما قفل من الحج والزيارة، ومر طرابلس؛ لقي بحوزها رجلا من الصالحين شهد له صاحب الترجمة بأنه من الأكابر ومن الأقوياء الفحول، وجعل يتعجب من قوته؛ قال: «ولما وقع بصر هذا الرجل على سيدنا أحمد - يعني: صاحب الترجمة - استعظمه جدا، وقال: لا إله إلا الله؛ ما أعظم صلحاء هذه الأمة!. وقال بعد ذلك: لما أبصرته أولا؛ رأيته كأنه الشمس طالعة... قال صاحب "نسمة الآس": وشهد هذا الشيخ - أيضا - لسيدنا أحمد، بعد ما انفصل عنه، بأنه: من أهل الخصوصية الكبرى، وأنه من الأقوياء الفحول، ومن الأكابر، وأخبر بمقامه الخاص به بما لم نعرف نحن التعبير عنه، وقال: إن مقامه [.......][1]. وقال: إن أصحاب سيدنا ينتفعون به أكثر مما ينتفع أصحاب غيره بغيره. وجعل يقول لبعض الفقهاء من أصحاب سيدنا بعدما شهد له بما تقدم، وكان أمامه: عليك به، عليك به!. وقال فيه آخر مرة: أرجو الله أن يكون قطب زماننا. وأثنى على سيدي أحمد اليمني أيضا، وشهد له بالخصوصية الكبرى، وذكر مقامه الخاص به، وقال: إن مقامه عيسوي؛ حكيم يضع الأشياء مواضعها. ثم قال فيهما - أي: فيه وفي سيدنا أحمد - إنه ليس في المغرب مثلهما!». هـ.

وفي فهرسة سيدي إدريس المنجرة في ترجمة الشيخ الصوفي، الفقيه الرباني المكاشف؛ أبي عبد الله سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي؛ أنه قال لبعض أصحاب صاحب الترجمة؛ وهو: الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمن الصَّوْمَعي الهروي، حين لقيه ببلده بقصد زيارته: «أحمد ابن عبد الله في مقام موسى، وأحمد اليمني في مقام عيسى، وأحمد ابن ناصر كان من الأبدال»[2]. هـ.

ولصاحب "نسمة الآس" المتقدم قصيدة تعرض فيها لمدح صاحب الترجمة، ووصفه فيها بـ: غوث الزمان، وكهف الأنام وكعبة القصاد، وعرفات جميع الفضائل كلها، وشمس المعارف والمعاني بأسرها. وذكر فيها أنه: مجدد الدين بعد ذهابه على رأس القرن الحادي، وبأنه حاز سير الأكابر والأفاضل، وشمائل الأبدال والأوتاد وعلومهم. فانظرها فيه إن شئت. ووصفه - أيضا - بعضهم بالقطب الواضح، والإمام الناصح.

---

[1] كذا هذا البياض في الأصل المنقول منه. مؤلف.

[2] المقصود هنا ليس مقام النبوة، فقد انقطعت؛ ولكن المقصود هو: المشرب.

وأخباره وأحواله ومعارفه وكراماته وتصرفاته كثيرة جدا، استوفى بعضها تلامذته وغيرهم في تصانيفهم، وألف فيه بالخصوص جماعة؛ كالشيخ أبي محمد سيدي عبد السلام بن الطيب القادري [291]؛ فإنه ألف في مناقبه مؤلفا في مجلد سماه: "المقصد [الأحمد]، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد"، وقد أتى فيه مما يتعلق بصاحب الترجمة بما لا مزيد عليه، مع فصاحة اللفظ، ونهاية التحقيق في العبارة. وفرغ منه قبل موت المؤلف فيه بأزيد من عشرين عاما. وكالفقيه الصوفي أبي العباس أحمد ابن عبد الوهاب الوزير الغساني؛ فإنه ألف فيه مؤلفا سماه: "المقباس، في فضائل أبي العباس". وله - أيضا - مقصورة في مدحه وشرحها في سفرين، وكالشيخ الإمام العلامة الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد المهدي الفاسي؛ فإنه ألف فيه تأليفا سماه: "الإلماع، بمن لم يذكر في ممتع الأسماع"، وقيل في مدحه أشعار كثيرة، ولسيدي عبد السلام القادري ديوان مستقل في مدحه.

ولد - رحمه الله - أواخر سنة اثنين، أو أوائل سنة ثلاث وأربعين وألف، وتوفي ضحوة يوم الاثنين ثالث جمادى الثانية سنة عشرين ومائة وألف، وارتجت المدينة لموته ارتجاجا، ودفن بقبة والده؛ رأسُهُ عند رجليه، وجُعل عليه دربوز كدربوزه، وهو مشهور إلى الآن يزار ويتبرك به، نفعنا الله به.

وممن ترجمه: الشيخ أبو العباس الولالي في "مباحث الأنوار"؛ أورده فيمن لقي، وصاحب "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"، ولم يترجمه في "الروض"؛ لكونه كان حيا في وقته. وإليه وإلى والده قبله وشيخه الخصاصي أشار الشيخ المدرَّع في منظومته بقوله:

والعارف الشيخ الجليل الواصل	محيي الطريقة الإمام الكامل
محمد هو ابن عبد الله	شيخ المشايخ عظيم الجاه
ولده الشيخ أبو العباس	الطيبُ الأخلاق والأنفاس
أحمدُ البحر الهمام الحجة	مجدد السنة والمحجة
العارف المحقق المجذوبُ	الواصل المقرَّب المحبوبُ
بيت الولاية وبيت السر	منشأ كل مدد وخير
وشيخه: أعني الإمام قاسم	يُكنى الخصاصيَّ المحب الهائم

[743- السيدة عائشة بنت شقرون الفخار]
(ت: 1057)

ومنهم: أمه السيدة الفاضلة، الزكية الكاملة، الطيبة الطاهرة المطهرة، الخيرة المنورة، ذات البركات الواضحة، والأنوار اللائحة، والأعمال الصالحة، والمتاجر الرابحة، والأخلاق الكريمة، والسيرة الحميدة

المستقيمة؛ أم أحمد عائشة بنت السيد الأثيل، الولي الجليل، ذي البركات الغزيرة والأنوار؛ سيدي شقرون الفخار [292]. وزوجة سيدي محمد ابن عبد الله مَعَن.

كانت – رحمة الله عليها – من الصالحات القانتات، القائمات الحازمات، المطيعات لله، المتابعات لسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لها من الصلاح مكانة علية، ومرتبة سنية، وكانت البركات مصحوبة معها في أمورها، وكافة شؤونها، لها برمة صغيرة تطبخ فيها دائما، ويأكل منها أهل الدار والأضياف إن أتوا، لا تزيد على مقدارها، ولا تبدلها بغيرها، وتتناول ذلك بيدها، ولا تدع من يناوله معها؛ فيكفيهم ذلك كائنين ما كانوا.

وقال لها مرة زوجها: «إني أرى امرأة تعينك وتصنع معك ما تصنعه»، وكانت لا تحتكر شيئا ولا تدخره، بل تصرف ما يأتي من فوره على العيال والأقارب، فلما ماتت وتزوج الشيخ سيدي محمد امرأة أخرى؛ لم يبق الأمر على ما كان عليه، وظهر أثر ذلك.

وكانت شديدة البرور والإحسان بوالدها، وكان هو يحبها ويعظمها، ويكرمها ويهش إليها، شديدة البرور – أيضا – بزوجها؛ تعامله معاملة المريد مع الشيخ مدة حياتها كلها، وتحبه جدا، وتجله وتعظمه وتحترمه، ولا تخالفه في شيء، وتسارع في امتثال أمره، إذا ناداها؛ جاءته كأنما الأرض تُطوى لها سرعة، وتقوم معه بالليل تشعل له المصباح وتعمل له ما يحتاج إليه وتصلي معه.

وكانت كثيرة الصدقة من مغزلها، محبة معظمة لأصحاب زوجها المنتسبين إليه، وتواسي فقيرهم، وترفد ضائعهم، مقبلة على شأنها، آخذة فيما يعنيها، لا تتكلم بغير صواب وحق أو نصيحة، سمحة هينة لينة من غير هدادة[1] ولا مداهنة. وكان زوجها المذكور يقول: «إنها من اللاتي يُزرْن»، ويقول: «إنه كان لا يفتر لسانها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم»، وترجمتها واسعة.

قال في "المقصد": «توفيت في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وألف، ودفنت وراء بعلها الشيخ سيدي محمد في داخل القبة». هـ. ترجمها فيه، وفي "الإلماع"، و"النشر"، و"الروض". . وغير ذلك.

[744– العارفة السيدة رقية بنت محمد ابن عبد الله معن]
(ت: 1087)

ومنهم: بنتها السيدة الولية، الكاملة العلية، الجليلة القدر، العظيمة الخطر، الزاهدة الورعة، الناصحة المتبعة، ذات المقام المكين، والمعرفة والتمكين، والحال القوي، والمدد الروي، والبصيرة الصحيحة، والمكاشفات الصريحة، والنور السني، والسير السُني؛ أم البنين رقية بنت سيدي محمد ابن عبد الله معن الأندلسي.

---

[1] أي: جُبن. مؤلف.

كانت – رحمة الله عليها – من السابقين، وكمل الصادقين، منقطعة عن الدنيا كل الانقطاع، متبعة للطريقة المحمدية كل الاتباع، آية من آيات الله في المعارف ورفع الهمة، والزهد والحزم في الطريق والجد. قوية اليقين، ذات رسوخ [293] فيه وتمكين. ومناقبها كثيرة، وأوصافها جلية شهيرة، وهي شقيقة سيدي أحمد ابن عبد الله وأسن منه، وممن فُتح له على يديه، وعول في أخذ الطريق عليه، وكانت مقاسمته في خدمة شيخه سيدي قاسم فيما يرجع على أمور الدار؛ مساعدة له على ذلك آناء الليل والنهار.

وكان يحبها كثيرا ويعظمها، ويذكر فضلها، وأثنى عليها كثيرا بعد وفاتها. وقال: «كنت أتوسل بها إلى الله»، وشهد لها بمثابة الدين، والاشتغال بما يعنيها، والزهد ورفع الهمة، والتعفف عما في أيدي الخلق، والرضى والاستسلام، والسكون تحت مجاري الأحكام، وبأنها كانت في مرض موتها فرحة مسرورة بالموت ولقاء الله عز وجل. وقال: «كانت تخبرنا بأمور لا يجدها المتصبون للمشيخة»، وكان يحكي عنها في حياتها حكايات من المكاشفات وغيرها. وأخبرت – رضي الله عنها – بالشيخ سيدي أحمد اليمني قبل قدومه باثني عشر عاما، وذكرت أنها كانت تراه بزاوية أبيها، ووصفته له؛ ثم وقع كذلك.

وزوجها: هو السيد أبو الحسن علي بن محمد المغـنا، من جلة أصحاب والدها وخاصتهم، وكان لها منه أولاد، وسنذكر ترجمته قريبا إن شاء الله تعالى.

وُلدت سنة إحدى وثلاثين وألف، وتوفيت بعيد زوال يوم السبت حادي عشر ذي القعدة سنة سبع وثمانين وألف، وكانت تسأل عن وقت الظهر؛ فلما قيل لها: إن مؤذن الزوال قد أذن؛ صلت الظهر وماتت. قال في "الإلماع": «ودفنت في قبة أبيها تحت رجلي أمها». هـ. قال في "المقصد": «وأخبرني السيد الصالح الحاج الأبر، الخير الأنور، ذو الحال؛ سيدي أحمد ابن قاسم بَنّير؛ دُعيَ به، الأندلسي. وهو من جلة أصحاب سيدنا أحمد والشيخين قبله؛ أنه: لما كان واقفا بإزاء قبرها عند دفنها؛ شم رائحة طيبة خرجت من قبرها لا تشابهها روائح الطيب ولا تقاربها!». هـ. ترجمها فيه، وفي "الإلماع"، و"الروض"، و"النشر".

[745– الصالحة السيدة عائشة بنت محمد ابن عبد الله معن] (ت: 1070)

ومنهم: أختها السيدة الفاضلة، الجليلة الكاملة، المباركة العلية، الصالحة الولية، ذات الجذب

القائم، والقلب الهائم، والسيرة السرية، والشيمة المرضية، والزهد التام، والإحسان العام؛ أم عبد الله عائشة بنت سيدي محمد ابن عبد الله. سمية أمها، وشقيقة أخيها سيدي أحمد، وزوجة أبي عبد الله سيدي محمد عاصم الأندلسي؛ من أصحاب أبيها.

كانت - رحمة الله عليها - من أهل الهيام والجذبة، والحال القوي والمحبة، والنور الغزير، والزهد الكبير، فتح لها على يد أخيها المذكور سنة ست وستين وألف، وهي أول من فتح له على يده، وبعد فتحها [294] بشهرين أو ثلاثة فتح لأختها السابق ذكرها؛ وهي: السيدة رقية. وكانت شديدة المحبة له، لا تقدر أن تحبس نفسها عن رؤيته، وتميل إلى العزلة والانفراد عن الخلق لا تأنس بهم، ولا تركن إليهم، ولا تعرف ما النساء عليه، ولا ما هي فيه، وخرجت من مالها كله وأنفقته في سبيل الله. وفضائلها ومآثرها جمة.

ولدت - رضي الله عنها - في حدود عام سبعة وثلاثين وألف، وتوفيت بوجع النفاس ولم تلد - حينئذ - وقت صلاة الجمعة سابع رجب عام سبعين وألف. قال في "الإلماع": «ودفنت بعد صلاة المغرب من يومها، وراء قبر أمها، وأمها وراء قبر زوجها سيدي مَحمد - رضي الله عنهم أجمعين». هـ. ترجمها فيه، وفي "المقصد"، و"الروض"، و"النشر".

[746- السيدة صفية بنت سيدي محمد ابن عبد الله معن]
(ت: 1092)

ومنهم: أخت اللتين قبلها؛ السيدة الفاضلة، المسنة الكاملة؛ صفية بنت سيدي محمد ابن عبد الله أيضا، وشقيقة ولده سيدي أحمد.

كانت - رحمة الله عليها - على سَنَن من الحزم في الصون والعفاف والمروءة، تاركة للعوائد المألوفة عند الناس في أعراسهم ونفاسهم. ومما اتفق لها يوما: أن مرت بموضع من دارها؛ فرفعت رأسها، فأبصرت رجلا أجنبيا ينظر إليها؛ فدعت عليه بالعمى؛ فعمي - والعياذ بالله - العماء الأكحل بعد أيام قلائل، فكان ذلك معدودا من كراماتها.

توفيت سنة اثنين وتسعين وألف. قال في "المقصد": «ودفنت عند رجل أبيها، داخل القبة، وهي آخر بناته موتا. وكانت عند السيد الخير المسن أبي عبد الله محمد بن عبد الرفيع الأندلسي؛ من أصحاب والدها، وهو الآن في قيد الحياة، لها منه أولاد». هـ. ترجمها فيه، ولم يذكرها في "الروض".

[747، 748، 749، 750- السيدات: آمنة وفاطمة وعائشة وصفية بنات سيدي محمد ابن عبد الله معن]

ومنهم: بقية بنات سيدي محمد ابن عبد الله؛ وهن: السيدة آمنة، والسيدة فاطمة، والسيدة عائشة، والسيدة صفية أخوات سيدي أحمد ابن عبد الله لأبيه، قال في "المقصد": «لكلهن حظ من الخير والصلاح. قال: وكلهن مدفونون[1] بروضة سيدي يوسف مع والدهم، وكذا سائر أولاد سيدي محمد وأحفاده» .هـ.

[751- العارف سيدي مَحمد بن أحمد ابن عبد الله معن (الحفيد)] (ت: 1134)

ومنهم: السيد الزكي، الفاضل الذكي، ذو الهمة العلية، والشيم المرضية، والأوصاف السَنية، والآداب السُنية، والمناقب العديدة، والمكارم المفيدة، الولي الصالح، العارف الناصح، سمي جده؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن سيدنا أحمد ابن عبد الله مَعَنْ الأندلسي.

ولد - رحمه الله - أواخر ربيع الثاني سنة ثمان وسبعين وألف، ونشأ أحسن نشأة، وربي على أكمل تربية، مقتصرا على الدار والزاوية، لا يعرف سواهما، يؤدبه والده على ما هو عليه من المروءة والأدب [295] والسماح والحياء، وعلو الهمة. وقد أخبر بشأنه وما يؤول إليه أمره من الصلاح العارف بالله سيدي أحمد اليمني أول ما رآه وهو ابن سبع سنين؛ فقال: «إنه يكون رجلا صالحا». يعني: من أهل الخصوصية. وتكرر منه الإخبار بذلك غير ما مرة في قضايا متعددة، وكان والده يقول فيه: «إن فيه الخير»، وربما قال: «إنه مسكين»، والمسكنة عندهم: كناية عن الصلاح. قال في "المقصد": «بل صرح فيه هو وسيدي أحمد اليمني بما هو أعظم من هذا وأخص، طوينا ذكره لغرض» .هـ.

وكان - رحمه الله - من السادات الكاملين، وأهل الطريقة الواصلين. وليا صالحا، بركة واضحا، خَيّرا دَينا ناصحا، متجردا للعبادة، مُدْمنا للطهارة، غاية في كمال العقل، ونهاية الفضل، آية في السخاء والنجدة، والعبادة والزهد والورع، واتباع السنة، والمعارف والآداب. . .إلى غير ذلك مما لا يحصى.

---

[1] كذا في الحجرية، ولعل الصواب: مدفونات.

وقام بزاوية أبيه وجده أحسن قيام، واقتبس من أنواره ومعارفه الخاص والعام، وكان يتصدق بجميع ما يحصل له من غلة أصوله، ولما مات؛ استغرقت أصوله كلها في ديون تركها بذمته مما أنفق في سبل الخير؛ فكان كل ما تحصل بيده من متاع الدنيا يجعله لله. قال في "النشر": «وقد سمعت من يحكي عن والده أنه قال فيه يوما: ولدي محمد ما هو في الشرق ولا في الغرب». هـ.

أخذ عن والده المذكور، وبه تربى وتأدب، وتكمل وتهذب، وظهرت على يديه كرامات، وأخبر بمغيبات؛ منها: أنه لما قربت موته بنحو الثمانية أيام وهو في حال صحة؛ أنزل لهم من مكان عال له وعاء فيه معجون مفرّن كان يعالج به نفسه، وقال: «كلوه؛ فإن هذا الجسد - يعني: جسد نفسه - لم يبق له إلا التراب!». ثم دخل عليه ولده وأتى من عند طبيب؛ فقال له: «إن الطبيب يقول لك: لا بأس عليك، إنما بك ريح قليل». فقال له: «إن الريح هو الذي يحمل السفن!»، واستمر به المرض إلى أن مات بعد ثمانية أيام - رحمه الله، ونفعنا ببركاته...

وكانت وفاته يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة الحرام عام أربعة وثلاثين ومائة وألف. قال في "النشر": «ودفن بباب قبة جده، بالركن الجنوبي[1]، بينه وبين جده موضع قبر». هـ. وقال في "التقاط الدرر": «دفن حذاء جده سيدنا محمد ابن عبد الله، بينه وبينه نحو محل قبر واحد». هـ. ترجمه فيهما، وتعرض لذكره - أيضا - في "المقصد"، وفي "الزهر الباسم".

[752- العارف سيدي العربي بن أحمد ابن عبد الله معن]
(ت: 1166)

ومنهم: أخوه وشقيقه الولي الصالح، الناسك الناصح، العارف الكامل، المحقق الواصل، المسن البركة المربي؛ أبو حامد وأبو عبد الله سيدي محمد المدعو: العربي [296] بن سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي.

ولد - رحمه الله - ضحوة يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وألف، ونشأ في شيم شريفة، وأوصاف منيفة، وآداب لطيفة، متحليا بقراءة القرآن، متجليا في مظاهر العرفان، وأخبر عن شأنه وما يؤول إليه أمره الشيخ العارف أبو العباس أحمد اليمني؛ فقال فيه كما في "المقصد": «إن فيه الخير، وسيكون من الصالحين».

---

[1]. منسوب إلى الجنوب؛ وهي: الريح المقابلة للشمال. مؤلف.

ولقد صدّق الله خبره فيه؛ فقد كان - رضي الله عنه - صاحب أحوال ربانية، ومواجد عرفانية، واقفا عند حده، جاريا على طريقة أبيه وجده، لابسا أثواب الخمول، طالعا في سماء الوصول، ملازما لداره لا يخرج إلا للزاوية، وشهود مشاهد المسلمين الحاجية، يحب السماع، ويتأثر طبعه بالطبوع في الانطباع، عظيم الصمت؛ لا يتكلم إلا فيما فيه فائدة دينية أو دنيوية، ولا يحب اللغو في الأقوال، ولا اللهو في الأفعال، مهابا معظما عند سائر الناس، ولا يركن إلا إلى السُفليات، ولا يحب العُلْويات، ويجنح إلى الخراب وإلى أهل المسكنة والضعف.

وله كلام عجيب في الطريق، وإشارات لطيفة مذكورة في كتابه وكذا في كتب أصحابه وأصحابهم؛ منها: قوله: «إياك أن تغفل عن التشريف والتعظيم لمن ظهر لك بعض الفتح على يده؛ لأن في التشريف والتعظيم للحُرمة مفتاحا عظيما لزيادة الإمدادات والخيرات والأسرار والأنوار، لا تغفل عن هذا الباب؛ لا بد وإياك!»، ومنها: «ما بلغْنا الوصال، إلا بجدّ النصال»، ومنها: «لا تكن عاشقا لأحد، لا تكن إلا معشوقا، وإن لم تجد بُدا؛ لا تعشق إلا من يعشقك». ومنها: «لا تطعم طعام حكمتك إلا لمن تجده في غاية الاحتياج إليه، وإلا؛ فَدُسه ولازم الجحود، قال تعالى: ﴿ *إنما الصدقات للفقراء والمساكين* ﴾. [التوبة: 60]».

أخذ - رحمه الله - عن والده أبي العباس؛ وعليه اعتمد وبه تربى، وأخذ - أيضا - عن الشيخ سيدي أحمد اليمني. ذكر ذلك تلميذه سيدي علي الجمل في مواضع من كتابه، وذكر الشيخ أبو العباس ابن عجيبة في فهرسته أنه: أخذ عنه الطريقة الجيلانية، وعن أبيه الشاذلية. قال: «وفيه التقى البحران: بحر الشاذلي، وبحر الجيلاني» .هـ.

وكان له - رحمه الله - أتباع، وتلامذة صالحون وأشياع؛ منهم: ولده الصالح أبو محمد عبد الله، والمحمدان: أبو عبد الله آمزّاج، وأبو عبد الله البُوعْصَامي، والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن يونس الشريف السريفي ثم الفاسي، والعارف بالله أبو الحسن سيدي علي الجمل؛ وهو من أجل تلامذته وأصحابه؛ صحبه نحوا من ستة عشر سنة، وسمع منه ورأى من الأسرار والمعارف [297]، والحكم واللطائف ما لا يكاد ينحصر. قال سيدي علي هذا: «سمعته يقول: قال بعض العارفين: لو أتاني عربي بدوي يبول على ساقيه؛ لوصلته إلى الله من حينه، وأنا أقول: لو أتاني يهودي أو نصراني؛ لوصلته إلى الله من حينه. قال: سمعت هذا منه في حال عظيم ورد عليه».

ومن لقيه بفاس وتبرك به: الشيخ أبو العباس سيدي أحمد التجاني - رضي الله عنه - ذكر ذلك في "جواهر المعاني"، والشيخ أبو عبد الله سيدي محمد التاودي ابن سودة المري؛ وقد أورده في فهرسته فيمن لقي من صلحاء فاس قائلا ما نصه: « ومنهم: الشيخ المهاب، اللائح عليه آثار

التخصيص والاقتراب؛ أبو محمد سيدي العربي ابن عبد الله؛ نجل الولي الشهير سيدي أحمد ابن عبد الله صاحب المخفية، لقيته غير ما مرة متبركا به، ودعا لي بخير، وكان له أصحاب وأتباع خيار، وإن لم يكثروا؛ منهم: سيدي محمد بن يونس، والشريف سيدي علي الجمل. .وغيرهما، توفي سنة نيف وستين ومائة وألف)). هـ.

وذكر غيره أن وفاته: سنة ست وستين ومائة وألف. وكانت له جنازة حفيلة حضرها أعيان فاس من علمائها وفقرائها ورؤسائها، وصلي عليه بقبره في روضة أبيه وجده المذكورين، وقبره بها معروف إلى الآن، خارج قبتهما، بالمباح المتصل بها من ناحية القبة اليوسفية، وهو مزار متبرك به. ترجمه في "الروضة المقصودة"، و"سلوك الطريق الوارية". . . وغيرهما.

[753- العارف سيدي محمد بن محمد الدّريج الأندلسي]
(ت: 1126)

ومنهم: الفقيه النزيه، المبارك النبيه، الولي الصالح، الأستاذ الناصح، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج محمد الدُّريج الأندلسي التطاوني. ينتسب أهله إلى الفقيه القاضي الخطيب، الولي الصالح المحدث؛ أبي عبد الله الدراج الأنصاري، المترجم في صلحاء أهل سبتة. ترجمه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه المسمى "بالكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعُبّاد". قال في "النشر": ((رأيت بخط عم والدنا أن الدراج المذكور: من ذرية عُبادة بن الصامت)). هـ.

كان - رحمه الله - من حملة القرآن العاملين به، ومن الصلحاء الكاملين، والعارفين بالله الفاضلين، غاية في العبادة والزهد والورع، واتباع السنة وتأديب نفسه.

صحب سيدي أحمد ابن عبد الله، وحج معه لما حج سنة مائة وألف، وصحب - أيضا - سيدي أحمد اليمني؛ وانتفع بهما غاية الانتفاع.

وكان من أهل الجد والاجتهاد في عبادة ربه، وفتح له في الطريقة، وارتسم بالحقيقة؛ فذاق عذب عباراتها، واتصف بإشاراتها. وقد قال فيه في "الزهر [298] الباسم" حين استطرد ذكره فيه: ((هو من أهل التحقيق والعرفان، والعدالة والتثبت والإتقان، ومن أفاضل المجودين حملة القرآن، صوّاما قوّاما، ذاكرا مجتهدا متبتلا، صابرا عارفا واصلا، محققا منورا فاضلا. . .وله صحبة مع السيدين الأحمدين معتبرة، وخلطة متصلة مقررة، تحقق بقربهما، وروى من معين حبهما، ولاحت عليه أنوار الطريقة، واتضح مقامه في الحقيقة)). هـ. وكان - رحمه الله - يجيد نظم الشعر.

وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة وألف. ودفن بالساحة المتصلة بقبة سيدي محمد ابن عبد الله، متصلا بالقبة عند الباب الأيمن من البابين الصغيرين، وجعل عليه في الزليج مقبرية من رخام تمييزا له، إلا أنها أزيلت في هذه الأزمان. ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر"... وغيرهما. وأثنى عليه تلميذه أبو عبد الله المُدَرَّع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

ومنهم: المبرور شمس الأمة ... محمد الدريح عالي الهمة
كان جوادا فاضلا ذاتيه ... حالته زكية مرضية
من الفحول المتمكنينا ... الواصلين المتحققينا
قربَ ضريح شيخه قد ألحدا ... وشيخه أعني: الإمام أحمدا

[754- الأديب سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني]
[إمام الأحمدين]
(ت: 1146)

ومنهم: الفقيه العالم الأثير، الصوفي الأديب الشهير، ذو الفيض النوراني، والفتح الرباني؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغساني التجار، الأندلسي الفاسي الدار.

كانت له - رحمه الله - مشاركة ومعرفة بعلوم الحديث والسير، والتاريخ والأنساب، وطريقة الصوفية، أعجوبة الزمان في صنعة الإنشاء والترسيل، وممن عليه فيها المدار والتعويل.

أخذ عن الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله ولازمه، وكان يؤدب الصبيان بزاويته، ويؤم الناس بها في الصلاة، وفيهم شيخه المذكور وسيدي أحمد اليمني، فلهذا كان يُدعى بـ: "إمام الأحمدين"، وذلك مما يشهد بصلاحه، وأدرك - رحمه الله - جماعة من الأشياخ وأخذ عنهم، وكان منتصبا لتحمل الشهادة بسماط شهود فاس، بارع القلم في الوثائق والرسائل والخطب والتآليف.

وله تآليف جامعة مفيدة؛ منها: حاشية على الكلاعي، وشرح "الهمزية"، و"البردة" للبوصيري، و"جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي"، ومقصورة طويلة جدا أنشأها في مدح سيدي أحمد ابن عبد الله، وشرحها في سفرين كبيرين، ولامية من بحر السريع يذكر فيها [299] مشايخ سيدي أحمد المذكور، وشرحها أيضا، وتأليف آخر سماه: "المقباس في محاسن سيدنا أبي العباس"، وشرح "الحزب الكبير" لأبي الحسن الشاذلي، وشرح صلاة مولانا عبد السلام بن مشيش، و"عوارف المنة فيمن شُهد له بالجنة"، وتقييد في التعريف بسيدي عبد السلام القادري؛ استوفى فيه أشياخه ومقرواته، وتقييد - أيضا - في التعريف بالشيخ المسناوي، وقصيدة في المدح النبوي تنيف على مائة بيت، وشرحها، وله أنظام ورسائل...

ولد في أول يوم من رمضان سنة ثلاث وستين وألف. وتوفي ثاني ربيع الأول سنة ست وأربعين ومائة وألف، ودفن بالساحة المتصلة بقبة سيدي محمد ابن عبد الله. ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر"، وفي "الزهر الباسم"... وغيرها.

[755- العلامة سيدي يوسف الجلدي]
(ت: 1148)

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، الدراكة المحصل الفهامة؛ أبو الحجاج. سيدي يوسف الجلدي. كان يقوم على مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد، وكان حافظا فصيحا، حسن الإلقاء محصلا.

أخذ عن الإمام سيدي الحسن بن رَحّال المَعْدَاني وغيره من الشيوخ، وأخذ عنه جماعة؛ منهم: صاحب "النشر"؛ سمع عليه "الرسالة" مرتين.

توفي - رحمه الله - في حدود عام ثمانية وأربعين ومائة وألف. قال في "التقاط الدرر" آخر ترجمته: «ودفن بجوار سيدي أحمد ابن عبد الله، خارج باب الفتوح، لأن تدريسه "الرسالة" المذكور كان بزاويته». هـ.

[756- سيدي علي بن محمد المَقَّنَا الأندلسي]
(ت: 1064)

ومنهم: الرجل الصالح الفاضل، الخير الدين الكامل؛ أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن إبراهيم ابن يحيى المقنا. بوزن: مَعْنَى. به دعي، الأندلسي المري. زوج السيدة رقية بنت العارف بالله سيدي محمد ابن عبد الله المتقدمة الذكر.

قال في "المقصد": «من جلة أصحاب والدها وخاصتهم، ولها منه أولاد، وكان خيرا صدوقا، صادق اللهجة، حسن الأخلاق، ذا دين متين، ونهج قويم، أمره كله جد. وكان مرضيا عند شيخه الشيخ سيدي محمد - رضي الله عنه - ساكنا عنده بداره، ينفق عليه في جملة عياله إلى أن مات سنة أربع وستين وألف». هـ.

وقوله: إلى أن مات. غاية للسكنى لا للإنفاق؛ لأن شيخه المنفق مات قبله سنة اثنين وستين وألف كما تقدم، وذكر في "الممتع" أنه: كان الذي يؤم شيخه المذكور في مرضه الذي توفي فيه، وذلك مما يشهد بصلاحه ودينه. وضريحه - رحمه الله - كما يأتي نقلا عن "الطرفة" بروضة شيخه. والله أعلم.

[757- سيدي أحمد بن عَيَّاد الصبان]
[758- سيدي محمد غوَيزي]
[759- سيدي طاهر بن محمد عاصم الأندلسي]

ومنهم: السيد أبو العباس أحمد بن عياد الصبان، والسيد أبو عبد الله محمد غويزي، والسيد أبو الجمال طاهر بن محمد عاصم الأندلسي. الثلاثة من أصحاب الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله معن [300] الأندلسي. والثاني منهم؛ قال فيه شيخه المذكور: «إن قلبه صادق مع الله»، وأثنى عليه بعد موته، وقال: «كذلك ينبغي أن يكون الصاحب!». وقد أوردهم مع صاحب الترجمة قبلهم صاحب "الطرفة في اختصار التحفة" في عداد من أخذ عن الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله، وقال عقب ذكرهم ما نصه: «كل هؤلاء الأربعة دفين روضة شيخهم».

[760- سيدي أحمد بن محمد رَبيع]
(ت: 1303)

ومنهم: الفقير الذاكر، الخير الديّن الشاكر، البركة المحب: أبو العباس سيدي أحمد ابن الحاج محمد ربيع. من أولاد رَبيع المعروفين بفاس.

كان - رحمه الله - من أهل الذكر والمذاكرة؛ والجمع على الله والدلالة عليه، مشتغلا بما يعنيه، محبا للفقراء والعلماء وآل البيت، منسوبا لجانب الله تعالى، مُتبَرّكا به.

أخذ عن الشيخ سيدي محمد أيوب؛ دفين زاويته بحومة زنقة الرطل من فاس، وبعده عن تلميذه سيدي عبد الواحد بناني، وتولى بعد وفاته تقديم الزاوية المذكورة، وصار يجتمع عليه الفقراء بها وبغيرها، ويعاملونه معاملة الشيخ المربي. وكان ينصحهم ويعظهم ويذكرهم.

ومن أخذ عنه بها بعد سيدي عبد الواحد المذكور: شيخنا العلامة الصوفي أبو العباس سيدي أحمد ابن الخياط، ورفيقه الصالح البركة سيدي محمد ابن إبراهيم. .وغيرهما.

ومما يدل على صلاحه وكشفه: ما أخبرني به رحمه الله - وكان صادقا - من أنه: خرج مرة لجنازة بعض الفقراء؛ قال: «فبعد دفنه وتسوية التراب عليه؛ كشف لي عنه حتى صرت أراه، فجعلت أغمض عيني كي يحتجب عني؛ فلم يحتجب!».

ولما مرض مرض موته؛ كنت أتعوده بالزيارة فأجده في غاية الثبات واليقين، وأنفاسه متصاعدة بالذكر، ودخلت مرة عليه بعدما سقط لسانه؛ فصار يشير بسبابتيه كأنه يقول: لا إله إلا الله.

وأخبرني شيخنا سيدي أحمد ابن الخياط المذكور أنه: دخل عليه مرة يعوده - وذلك قرب موته - فأخبره أنه: أتاه أربعة من الأشراف - يعني: من طريق الغيب - على شكل واحد، وصورة واحدة لهم أنوار خارقة. قال: فملؤوا بيتي نورا، وقالوا لي: جئناك للزيارة، ولنطلب منك صالح الدعاء»، قال: «واسم أحدهم: مولاي الطيب بن الطيب».

وكان - رحمه الله - فقيرا من الدنيا، وكان يحترف بصنعة اللجُم؛ يصنعها ويبيعها، ويأكل من ذلك. ويتصدق، وينفق على الفقراء. وكانت له أخلاق حسنة، وأوصاف حميدة مستحسنة.

توفي صبيحة يوم الأحد تاسع شهر الله المحرم، سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، ودفن ظهر يومه بعد الصلاة بجامع الأندلس بهذا الخارج، قريبا من روضة سيدي محمد ابن عبد الله، وبني عليه بناء خفيف للتمييز [301].

[ذكر أصحاب القبة المعروفة بقبة سبعة رجال]
[مع التعرض لذكر بعض أخبار وقعة وادي المخازن سنة 986 هجرية]

ومنهم: أصحاب القبة المعروفة بقبة سبعة رجال؛ وهي: القبة الكبيرة التي بإزاء قبة سيدي يوسف الفاسي، أسفل منها بيسير، عن يمين الداخل إليها. ولم أقف لهم على خبر ولا على ذكر في كلام أحد ممن يعتمد، ولم يذكرهم ابن عيشون في "الروض"، ولا في "التنبيه"، وكذا لم يذكرهم الشيخ المدرع في منظومته.

ورأيت بعضهم - ممن أدركته - ذكر في كلام جمعه أنهم: رجال سبعة. قال: «وقيل: عشرة؛ شهداء أتوا لفاس جرحى من حضورهم قتال النصارى مع الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، في الوقعة المشهورة بوقعة وادي المخازن» اهـ.

قلت: وكانت يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة، وهي من الغزوات العظيمة التي لم يتقدم مثلها بالمغرب، ورزق الله فيها النصر العظيم للمسلمين، وقتل كبير النصارى؛ وهو: سبَسْتيان ملك برتغال في ذلك اليوم، واستولى المسلمون على جميع ما معه، وحصلوا على غنيمة عظيمة، وما نجا من النصارى إلا قليل.

وهذا الذي ذكره هذا البعض في رجال هذه القبة؛ مشهور على ألسنة الناس من غير تعيين اسم لأحد منهم، وربما يقول القائل: لو كان ما ذكر صحيحا؛ لم يغفلهم هؤلاء الذين ألفوا في الشيخ سيدي يوسف الفاسي وأصحابه، ولتعرضوا لذكرهم وبيان أمرهم... والله أعلم بحقيقة الحال.

[761- الخطيب سيدي علال بن عبد الله الفاسي الفهري]
(ت: 1314)

[762- ووالده الخطيب سيدي عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري]
(ت: 1271)

وممن دفن قريبا من هذه القبة: الفقيه الخطيب، البليغ الأريب، الصارف لاقتناء الكتب وتقييد الفوائد وجه العناية، الساعي في تحصيل الضبط والدراية؛ أبو الحسن سيدي علال ابن الفقيه الخطيب أبي محمد سيدي عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري.

توفي - رحمه الله - زوال يوم الجمعة ثاني وعشري جمادى الأولى عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف.

وتوفي والده المذكور بالطاعون آخر شوال سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية جده سيدي عبد القادر الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من عدوة فاس القرويين.

[763- الإمام العارف سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري]
[العارف الفاسي]
(ت: 1036)

ومنهم: الشيخ الإمام، الصوفي الهمام، الولي الكامل، المحبوب المقرب الواصل، العارف الراسخ الكبير، العالم المحقق الشهير، المقدم في كل فن من علوم الشرع، والمحظوظ من جميع الأسرار في جمع الجمع، سلطان العُشاق، وحجة هذه الآفاق، المأخوذ عن وجوده بمرة، المحرك بعناية الحق إلى الحضرة، القطب الإلهي، الذائق المتناهي، أخو أبي المحاسن لأبيه، ووارث حاله من بعده؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن ولي الله سيدي يوسف بن عبد الرحمن؛ القادم على فاس بن أبي بكر محمد بن عبد الملك [302] بن أبي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري الكناني النسب، المالقي الأندلسي الأصل، القصري الولادة والمنشأ، الفاسي اللقب والدار والوفاة.

كان جده سيدي يوسف بن عبد الرحمن يتردد من فاس إلى القصر للتجارة؛ فلقب عند أهل القصر بالفاسي، وبقي هذا اللقب في أولاده إلى الآن، وهم من بني الجد الذين هم كبراء مالقة، وبنو الجد من بني فهر الذي هو من متحد الأنساب؛ فلا يعرف إلا في قريش، وهو: فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وفهر هذا: هو قريش؛ على أحد الأقوال فيهم تبلغ عشرين قولا، وهذا هو الذي صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما، وعُزي للأكثر. ثم هم من بني عدي، ثم من بني سعيد بن زيد؛ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

ولد صاحب الترجمة - رحمه الله - بالقصر الكبير يوم الأحد تاسع عشر محرم عام اثنين وسبعين وتسعمائة، ومات والده وهو في سن الفطام أو أزيد قليلا، وربي في حجر أخيه أبي المحاسن، وكان هو وولد أخيه المذكور؛ وهو: أبو العباس أحمد رضيعي لبان، وقريبي سن ومكان، ودخلا المكتب معا، وقرآ القرآن وما يتعلق برسمه وضبطه وأدائه من الأراجيز، وما يتبع ذلك مما جرت العادة به من كتب النحو والفقه. . وغيرهما.

ثم بعثهما أبو المحاسن لحضرة فاس؛ بقصد قراءة العلم بها سنة ست وثمانين، وكان إذ ذاك العلماء متوافرين بها؛ كأبي زكرياء يحيى السراج، وأبي محمد عبد الواحد الحميدي، وأبي العباس المنجور، وأبي العباس القدومي. . . وغيرهم، فلازماهم، وأخذا عنهم علوما جمة من الفنون المختلفة، وأخذ صاحب الترجمة عن جماعة آخرين؛ كالقصار وغيره، ولازمه ملازمة كبيرة، وقرأ عليه عدة من المصنفات، وأجازه إجازة عامة، وكان القصار ينوه به ويشهد له، ويحيل في كثير من المسائل عليه، وانتفع صاحب الترجمة به كثيرا، وتضلع بالعلوم، ودرس في أنواعها وأفاد، وصنف وقيد ونفع العباد.

ولازم أخاه أبا المحاسن سنين كثيرة، واقتصر - بعد تضلعه من العلوم - على الأخذ عنه، والحضور لمجلسه، والسلوك على يديه؛ فأخذ عنه كثيرا من التفسير والحديث والتصوف. . . وغير ذلك، وفتح له على يديه، فطلع له فجر الحقيقة طلوع الفجر المبين، وتحقق بمقامات اليقين، وتفجرت ينابيع المعرفة من قلبه على لسانه بفجر الماء المعين، وعطل أكثر علومه بعد التبريز فيها، واشتغل بعلوم الصوفية يستوفيها؛ فتكلم فيها بالذوق والوجدان أحسن كلام، وقام بشرح ما أشكل من الكتاب والسنة أحسن قيام؛ فرجع إليه في ذلك العام [303] والخاص، وظهر به في التصوف مقام الاختصاص.

وقد قال فيه ولد أخيه في "المرآة" عندما عرف به فيها: «كان إماما عالما متبحرا نظارا، جامعا لأدوات الاجتهاد، مائلا إليه، محققا في جميع العلوم، عارفا بالنحو واللغة والفقه، والأصول والكلام، والمنطق والبيان. . . وغير ذلك، إماما في جميع ذلك، متوسعا في الأصلين، لا يدرك فيها شأوه، جيد الفهم، مصيب السهم، شهد له بذلك شيوخه، واعترف له به أهل عصره. وأما مقاري القرآن والحديث والتصوف المؤيد بالكتاب والسنة؛ فلا يجارى في شيء من ذلك؛ يورده استحضارا، مستحضرا لحديث الصحيحين وأكثر مشارق القاضي عياض، وما عورض به بين الآيات والأحاديث، وما قيل في ذلك، وما أجيب به. . ويصحح ويرجح، ويضعف ويزيف. متين الدين، صلبا في الحق، قوالا به، حسن الأخلاق، كريم النفس، عالي الهمة، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، حسن العبارة، سهل التعليم، زاهدا في الدنيا، لم يتعاط قط أسبابها ولا رغب فيها، وإنما كان يتعاطى القيام لما بيده منها غيره، ثم مضى ذلك ولم يتأثر به. ميسر الرزق غير مهتم به، متوكلا على الله، حسن اللباس، لا يرى عليه أثر فاقة ولا حاجة، ظاهر الغنى، غنيا بالله تعالى». هـ.

وكان - رضي الله عنه - يقول: «لا أحتاج في قراءة البخاري ومسلم و"الموطأ" إلى مطالعة شيء سوى "المشارق" لعياض، وأماما يتعلق بمعنى الحديث؛ فلا أحتاج فيه لأحد!».

وكان ملازما بفاس لتدريس التفسير والصحيح، **وكان قارئه أولا**: سيدي محمد ابن عبد الله معن، وبعده حفيد أخيه: سيدي عبد القادر الفاسي. وكانت العلوم كلها طوع يده، يكشف المعضلات ويوضح المشكلات.

وله تآليف حسنة مفيدة جدا: كحاشية البخاري، وحاشية "الجلالين"، وحاشيتي شرح "الصغرى" للسنوسي، وحاشية "المختصر"، وحاشية "دلائل الخيرات"، وحاشية "الحزب الكبير" للشاذلي، و"تفسير الفاتحة" على طريق الإشارة. وله أجوبة وتقاييد كثيرة في أنواع العلوم.

وأدرك - رضي الله عنه - في صغره الشيخ المجذوب وأجلسه على فخده، وأعطاه قطعة لحم، وأخذ - أيضا - عن الشيخ سيدي رضوان الجنوي، ولما توفي أخوه وشيخه أبو المحاسن؛ كان هو الوارث له، والمحيط بأسراره؛ كما ذكر ذلك غير واحد، وصرح به الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله معن لأصحابه مرارا، وتأهل من حينئذ للمشيخة، وانتصب لها داعيا إلى الله تعالى، وانتفع به ناس كثيرون، وظهر ظهورا عظيما، ولم يذكر معه أحد لا في علم الشريعة [304] ولا في الطريقة، وظهرت له الخوارق العظيمة، والكرامات الجسيمة...

وفي صبيحة تسعة وعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف؛ ابتدئ قراءة الأحزاب المرتبة عنده مساء وصباحا، بالمسجد المعلق حول داره؛ التي بأول حومة القلقليين من فاس القرويين. وفي سنة سبع وعشرين وألف؛ بنى زاويته التي بإزاء داره، وانتقل إليها بأصحابه، وهي: التي تصدى للتدريس بها حفيد أخيه سيدي عبد القادر الفاسي وأقبر بها أيضا، وزيد له فيها على عهد السلطان مولانا إسماعيل، وحكي عن جماعة ممن كانوا يحضرون الحزب بزاويته أنهم: كانوا يقرؤون الحزب بحضرته؛ فيرون فراشا أخضر ينشر فوقهم في الفضاء وعليه الخضر عليه السلام.

وفي "الصفوة": «إنه كان يوما يتكلم على الصالحين؛ فقام رجل وقال له: يا سيدي؛ وأين هم الآن؟». فقال له: «يا ولدي؛ ها أنا ذا منهم، قال الله تعالى: ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾. [الأعراف: 197]... قال: وكان يقول: لو كشف بعض أسرارنا للخلق؛ لم تسعنا هذه النواحي، ولضاقت الأرض بما رحبت على الواردين!... وكان يقول: الفقير كالمسك؛ كلما سترته فاحت رائحته. وكان يقول: إني لأرى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم واليقظة. وكان يقول كقول شيخه: ما بيننا وبين تونس خال»، يعني: من شيخ مثله.

ولما دخل العلامة الحافظ أبو العباس المقري مصر؛ سئل عن أعيان فاس؛ فذكرهم، ثم قال: «وفيها سيدي عبد الرحمن الفاسي؛ هو الجُنيد ظهر في وقته!». هـ.

وذكرت عنده - رضي الله عنه - يوما المكاشفات؛ فقال: «لو كنا نقاولهم بها؛ ما دخل علينا أحد من ذلك الباب!». وأشار إلى باب مصلاه. وكان يقول: إنه وشيخه أبا المحاسن خُلقا كرة واحدة من نور؛ فقسمت بينهما. ويقول: «شيخي أمكن مني؛ أنا شَرْوَلَتْني الحقيقة!». يعني: لأن الغالب عليه الغيبة والاستغراق في التوحيد.

وكان شيخه المذكور يقول فيه أنه: «لولا أنه وَجَد الشيخ - أو قال: المعلم؛ يعني: نفسه - لكان ممن يبول على رجليه»، يعني: من قوة ما نزل به. وكان يقول فيه أيضا: «عبد الرحمن أخي له يد مع الله - أو: عند الله - إلا أن الوقت غمنا وغمه؛ أجرنا وأجره على الله». ويقول فيه أيضا: «إنه حكيم!».

وكان الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله معن يقول: إنه كلما رأى سيدي يوسف في الغيب؛ ظهر له في ثاني حال أنه: سيدي عبد الرحمن. أو رأى سيدي عبد الرحمن؛ عاد سيدي يوسف؛ لاتحادهما معنى. ودخل صاحب الترجمة يوما على أخيه وشيخه أبي المحاسن وهو جالس وحده؛ فقال له: «هكذا دخلت أنا يوما على سيدي عبد الرحمن - يعني: المجذوب - فقال لي: أنت خمّلت[1] بيري للقاع!». [305].

ومناقبه وأوصافه وأحواله - رضي الله عنه - كثيرة، استوفى بعضها أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي في كتابه "أزهار البستان في أخبار سيدي عبد الرحمن".

توفي - رضي الله عنه - آخر ليلة الأربعاء سابع وعشري ربيع الأول سنة ست وثلاثين وألف، وعمره أربع وستون سنة. قال في "المرآة": «ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن، قريبا من القبة في شماليها، وبني عليه بناء حسن في صورة البيت». هـ. وضريحه معروف معظم، مزار إلى الآن، عن يمين داخل قبة أخيه أبي المحاسن، عليه دربوز، ومما هو مكتوب عند رأسه في زليج:

أقول: باسم الإله والصلاة على	من بالصلاة عليه طابت افواهُ
هاذي أماكن سر الله أودعها	في خلقه من على الطاعات قواه
هاذي مشاهد أهل الله من سعدوا	دنيا وأخرى بحبه وتقواه

---

[1]. خملت: بتشديد الميم؛ جمعت ونظفت.

هذا ضريح إمام العارفين ومن … أحيى رسوم العلوم فيضُ جدواه

هذا أبو زيد الفاسي من ظفرت … زواره بالذي ترجوا و تهواه

بجقه سل تنل ما شئت من أمل … ولذ به فهو كهف الفضل مأواه

رموز تاريخه المرسوم أربعة … بثامن النظم لاح صدق دعواه

حل بمغناه في جوار خالقه … فبان من: حظه الجنة مثواه

قال في "بستان الأذهان": « وقبره يُشم منه رائحة الطيب دائما، كل ما فتح الباب؛ عَبَقَت، وكلما استنشقت أرضه؛ فاحت ».هـ. وفي "المقصد" عن سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي أنه: أخبر عنه أنه: قوي، وأنه: رجل جمالي. وقال: « إني إذا جلست أمامه – يعني: لزيارته – لا أحب أن أقوم من عنده! »، قال في "المقصد": « وسأله بعض الناس عن حال أخيه وشيخه سيدي يوسف الفاسي؛ فقال: إن سيدي يوسف عنده ذاك الشيء الكبير! ».

ترجمه في "المرآة"، و"الممتع"، و"المقصد"، و"الروض"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم". . . . وغير ذلك.

[764- شيخ الشيوخ سيدي يوسف بن محمد الفاسي الفهري]
(ت: 1013)

ومنهم أخوه وشيخه: الشيخ الإمام، القدوة الهمام، شيخ الإسلام، وشمس الأولياء الكرام، العالم العلم العلامة، الحبر البحر الفهامة، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السَنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، إمام الطريقة الشاذلية، ومحيي رسومها بالبلاد المغربية، قدوة السالكين، وعلم المهتدين، وقبلة همم المريدين، والحامل في وقته [306] لواء العارفين، والمقيم فيه دولة علوم المحققين، ورموز أسرار الواصلين، القطب النوراني، والمجدد على رأس الألف الثاني، أوحد عصره، وإمام وقته ودهره؛ أبو يعقوب وأبو المحاسن سيدي يوسف بن محمد بن يوسف الفهري نسبا، الأندلسي أصلا، القصْري ولادة ومنشأ ودارا، الفاسي لقبا ورحلة ومزارا.

ولد – رحمة الله – بالقصر الكبير؛ مأوى أبيه وجده، ليلة الخميس لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع أو ثمان وثلاثين وتسعمائة، وبه نشأ، آخذا بما يعنيه، واقفا على قدم الجد في كل ما من الله يدنيه.

وقرأ كتاب الله العزيز هنالك، وأحكم قراءته بحرف نافع ورسمه وضبطه على الشيخ الصالح أبي الحسن سيدي علي العربي بمسجده المعروف به بطرف القطانين، ثم قرأ عليه المعلم ختمة تبركا به؛ لما كان يتوسم فيه من الخير؛ بسبب ما كان يسمعه من كلام شيخه المجذوب فيه.

وكـان – رحمه الله – لا يعرف الفقر ولا ما هو؛ فقيض الله له الشيخ الولي الكامل، العارف الواصل، قطب زمانه في الأحوال، ومد فحول الرجال؛ أبا محمد وأبا زيد سيدي عبد الرحمن ابن ولي الله أبي السرور عَيَّاد بن يعقوب بن سلامة بن خشان الصنهاجي ثم الفرجي، المعروف بالمجذوب؛ دفين خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون. فكان يطلبه ويحوم عليه، ويراقبه. فكان يأتيه للمكتب، ويذكر بعض ما يؤول إليه أمره من الخير، ويخبر عن انتقاله إلى حضرة فاس، وما يكون له هنالك، وقال لهم: «سبقت إليه قبل أن يأتيه غيري!». وجاءه يوما بالمكتب، ومسح على رأسه، وقال: «علمك الله علم الظاهر والباطن»، ثلاثا. ثم التفت للمعلم، وقال: «لابد نوّارة هذا تفتح، وإذا أحياك الله ترى!»، وكان قبل ذلك يأتي الحومة ويقول: «بدار الفاسي نوارة لا بد أن تفتح».

فلما كان في أوان البلوغ وهو مازال في المكتب؛ أتاه الحال منه، وأشرق باطنه بنور التوحيد، واضمحلال ما سوى الله تعالى، وانخرط في سلك الشيخ؛ فصحبه ولزمه، وسلب له الإرادة، وانتسب إليه، وعول في أموره كلها عليه، وبقي مع ذلك على قراءته؛ فقرأ على أهل بلده ما كتب له، وجود القرآن على بلديه الشيخ الصالح الفقيه الأستاذ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الخباز القصري، وقرأ عليه غير ذلك من أنواع العلوم؛ من فقه ونحو. .وغيرهما.

ثم ارتحل مع والده إلى فاس للقراءة على مشايخها قبل سنة ستين؛ فأدرك بها جماعة من المشايخ الأكابر؛ منهم: اليَسَيْتْنِي، وأبو محمد عبد الوهاب الزقاق، وأبو زيد عبد الرحمن ابن إبراهيم الدكالي. . . وغيرهم من المشايخ. فأخذ عنهم. ولم تطل إقامته بفاس، وعاد إلى القصر سنة ستين [307].

ثم عاد إلى فاس سنة اثنتين وستين؛ فتلافى الأخذ عمن بقي بها من المشايخ، وكان بها جماعة؛ منهم: خرُّوف التونسي، وابن جلال التلمساني، وأبو العباس المنجور. . . وغيرهم، فأخذ عنهم. ولازم ابن جَلَّال كثيرا، وقرأ عليه التفسير وغيره، وأخذ – أيضا – عن أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مجبر المساري، وسيدي علي بن مبارك التارَخْتي المصْمودي السُوسي.

وعاد إلى القصر بعلم غزير، وعقد مجالس لأنواع العلوم، تنافس الناس في حضورها، والإكباب عليها، وانتفع به فيها الخاص والعام، وظهرت بركته على أهل القصر وغيرهم، وتخرج به كثير من أهل الطلب. فاستقل في ذلك القطر برياسة العلم والدين، منفردا في ذلك، إماما متبوعا مسموعا، وهو في ذلك ملازم لشيخه، وخادم له، وكان كثيرا ما يجيئه طالبُ الإرادة؛ فيرده إلى الشيخ، إلى أن توفي – رحمة الله عليه – وكانت مدة صحبته إياه منذ سلب له الإرادة، تزيد على عشرين سنة، وشيخه في جميع ذلك ينوه باسمه، ويشيد بذكره ويعرف بحقه، ويفتخر به؛ فكان يقول: «عندي ابن الفاسي؛ نلقى به الغرب»، وتارة يقول: «نلقى به الشرق والغرب».

وكان كثيرا إذا رآه يقول فيه: «مصباح الأمة»، ويقول: «إنه يكون إماما في العلمين: الظاهر والباطن»، ويقول: «إنه لابد أن يكون في مقام الغزالي»، وتارة يقول فيه: «غزالي عصره»، ويقول فيه: «لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش!»، ويقول: «إنه كالملح؛ لا يستغني عنه أحد»، ويقول: «من مَسسَ طعامُه؛ فليذهب إليه يملـحُه له». وكان يصرح كثيرا بأنه المقصود من بين أصحابه، ويقول فيه: «إنه الذي حمل بيره حتى للقاع»، ويقول له: «أخذت مطموريتي بأطواقها». قال في "المقصد": «يريد بذلك: وراثة حاله وكل ماله من الأنوار والمعارف. قال: بل صرح لأصحابه بأنه الخليفة، وأوصاهم به».هـ. ويقول: «من أحب أن ينظر قلبي؛ فلينظر ابن الفاسي!»، يشير بذلك إلى أنه نسخة منه. وكان يدعو له ويقول: «الله يجعل منك الزَرْعَ والزَّرِيعَة؛ فالزرع: أنت، والزريعة: أولادك»، وقال في آخر أمره: «سيدي يوسف كنت أنا شيخه، واليوم هو شيخي!».

وكان صاحب الترجمة خلال صحبته لشيخه المذكور؛ يلقى مشايخ الطريق في عصره، ويأخذ عنهم، لكن لا على سبيل التحكيم في نفسه وسلب الإرادة؛ بل على سبيل التبرك بهم والاستفادة، فكان ممن لقي: الشيخ أبو سالم إبراهيم الزَوَّاري التونسي؛ دفين خارج باب الجيسة، والشيخ الولي العارف المتجرد أبو العباس أحمد ابن منصور الحيحي؛ مستوطن القصر الكبير ودفينه بالموضع المعروف بالزاوية، والشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطـاعي؛ من أولاد مُطاع؛ قبيلة من العرب بالمغرب معروفة، والشيخ [308] أبو محمد عبد الله الهبْطي؛ دفين حوز شفشاون، بإزاء زاويته بموضع يقال له: معاتب، وسماه هو: مواهب. والشيخ أبو محمد الحسن بن عيسى المصباحي؛ دفين الدعداعة على وادي مضى من عمل القصر.

والشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف الضرِسي؛ دفين بوشدفان من بلاد ضَرِسَة، ببلاد الهبْط، عمل القصر الكبير، والشيخ أبو النجاء سالم العمَّاري؛ ولقنه ذكرا كان يذكره أدبار الصلوات عن شيخه سيدي عبد الرحمن ابن ريسُون عن الشيخ الغزواني، والشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطالب؛ دفين رأس القليعة من داخل باب الفتوح من فاس، والشيخ الولي العارف الكبير، الكامل الراسخ الشهير؛ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي؛ دفين خارج مكناسة الزيتون، والشيخ الكبير، الولي الصالح الشهير؛ أبو محمد عبد الله بن ساسي البوسبَعي؛ دفين زاويته التي على ضفة وادي تانسيفت بمقربة من مراكش، وقبره مزارة مشهورة هنالك. . .وغيرهم من المشايخ ممن لا يحصى ولا يُعرَف شهادة وغيبا.

وأخذ شيخه أبو زيد عبد الرحمن المجذوب عن الشيخ المجذوب العظيم، ذي المدد الجسيم؛ أبي الحسن علي بن أحمد الصنهاجي؛ المعروف بالدوار، المتقدم الذكر، وهو عن الشيخ أبي إسحاق

إبراهيم الزَّرْهُوني؛ المعروف بآفخَّام؛ دفين جبل زرهون، وهو فُتّح له أولا على يد النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث رآه في النوم، ثم انضاف إلى العارف بالله القطب الغوث أبي العباس أحمد البرنسي المعروف بزَرُّوق؛ دفين مَسْراته ذات الرمال من أطراف بَرْقة، وسنده مشهور معروف.

[765- استطراد بترجمة الشيخ المربي الشريف سيدي عبد الله بن الحسين الأمغاري] (ت: 977)

ولما توفي الشيخ المجذوب؛ انتقل حاله للشيخ الشهير، العارف الكبير، أعجوبة الدهر، ويتيمة العصر، ذي المناقب التي لا تحصى، والكرامات العديدة التي لا تُستقصى؛ أبي محمد وأبي أحمد عبد الله بن حُسَيْن الشريف الحسني الأمغاري؛ من شرفاء بني أمغار أهل عين الفطر، المصلوحي؛ دفين قرية تامصلوحت، على قدر نصف مرحلة مراكش، المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة.

[عود إلى صاحب الترجمة أبي المحاسن الفاسي]:

ثم بعد وفاته؛ انتقل لصاحب الترجمة بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة؛ فأقاموه في الوقت مقامه.

فمن ثم فاضت أنواره، وطار في الآفاق ذكره واشتهاره، وسارع نحوه أرباب الإرادات، وأقبل عليه أهل الفوز والفلاح من العلماء والأولياء والسادات، وكان أول مقبل عليه: أصحاب شيخه المجذوب. وتأهل - رضي الله عنه - للمشيخة في علمي الظاهر والباطن، وتخرج به مشايخ لا يحصون، ونشأ على يده رجال كبار لا يستقصون، وظهرت على يديه الخوارق العظام، والكرامات الجسام، وبقي على ما تقدم بالقصر نحو الإحدى عشرة سنة.

ثم حرك الله قلبه للانتقال إلى فاس، وكان عنده من ذلك [309] ذكر من شيخه المذكور وغيره من المشايخ، فخرج في صورة الزيارة بأهله، ثامن عشر ربيع النبوي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، فاستقر بفاس ونزل في حومة العيون، ثم انتقل في عامه ذلك إلى المخفية؛ فسكن بها بالدار المشهورة بإزاء مسجده الذي بناه بها، واشتهر أمره، وطار في البلاد صيته، وأقبل الناس عليه، وكثر الجمع لديه، وأتاه الناس على طبقاتهم؛ علماء وعباد وزهاد ومريدون ومشايخ. . .وأذعن له الكافة من العامة والخاصة، وانقاد إليه الملوك والرؤساء، وانضاف إليه القواد والوزراء وغيرهم من أبناء الدنيا، وخدموه، ولم يستغن عنه أحد، وظهر بذلك مصداق قول شيخه: « إنه كالملح لا يستغني عنه أحد ». وبقي بفاس خمسا وعشرين سنة كما حد له الشيخ سيدي علي الحنشي.

وكان - رضي الله عنه - جبلا راسخا في الارتسام بالسنة واتباعها، وغاية في الارتسام بالحقيقة وأنواعها، أحد صدور المقربين، وعظماء الصالحين، وأصحاب الحقائق والمعارف والتصريف، وخرق العوائد والتمكين والتعريف. وقد كان الشيخ سيدي مَحمد ابن عبد الله يثني عليه بالشيخوخة والتربية والحكم، ويقول غير مرة: «آخر الشيوخ بالمغرب: سيدي يوسف»، ويقول: «كانوا يقولون فيه: إنه غريب في وقته؛ لانفراده به». وكان يَسمُه بالقطبانية، كما كان غيره من الشيوخ يسمه بها.

وفي "المنح الصافية" لولده أبي العباس أحمد وصفه بـ: قطب الزمان، وعنصر العرفان. وفي محل آخر: بـ: قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان. ووصفه في "ابتهاج القلوب" بـ: القطب الجامع، والغيث الهامع. ثم قال بعد ذلك ما نصه: «وأما مقام القطبانية؛ فقد وصفه به كثير من تلامذته، وكبار أهل وقته من أهل الأذواق العالية، والمنازلات العيانية، كما شاهدت ذلك بخطوطهم في كتب شتى، وبعضها كتب عليه في ظهره جوابه بخط يده المباركة، مطلعا على ذلك، غير منكر له ولا مغير. وممن وصفه بذلك ولده الشيخ أبو العباس في كتبه وتراجمه؛ وكان من أعرف الناس به وبطريق القوم واصطلاحهم». هـ.

وممن وصفه بها أيضا: سيدي المهدي الفاسي في "الجواهر الصفية" وغيرها، والسيد أبو القاسم الفاسي في "تحفة الوارد والصادر"، وصاحب "عناية أولي المجد"... وغير واحد.

وكان - رضي الله عنه - يقول: «لا أحط راسي - وفي لفظ: لا أمد هذه الرقبة - إلا للجبل الراسخ؛ سيدي عبد السلام بن مشيش، سائر الأولياء يقولون، وأنا أقول»، ويقول أيضا: «ما في زائد إلا أن قلبي عين صافية».

وفي "الابتهاج" نقلا عن خط أخيه العارف بالله [310] سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي أنه: هو المجدد على رأس الألف، وفي "الصفوة" في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري الشهير بـ: "بَنْيُعْ"، المتوفى بتنبكتُ سنة اثنين وألف؛ أن الشيخ سيدي أحمد بابا السوداني قال: «ولا يبعد عندي أن يكون هو المبعوث على رأس هذا القرن العاشر؛ لما اشتمل عليه من العلم». هـ. وذكر الشيخ القصار في أبيات كتب بها في رسالة للسلطان أبي العباس المنصور الذهبي أن المجدد على رأس هذا القرن هو السلطان المذكور.

قلت: ولا منافاة بين هذه الأقوال؛ لقول الحافظ في "الفتح": «نبه بعض الأئمة على أنه: لا يلزم أن يكون في رأس كل قرن واحدٌ فقط؛ بل الأمر كما ذكر النووي في حديث: لا تزال طائفة. أنه: يجوز أن تكون جماعة متعددة من أنواع المؤمنين؛ ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد . . .قال: ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وتفرقهم في الأقطار، وأن يكونوا في بعض دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأولا، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا؛ أتى أمر الله)) . هـ .

والمشهور أنه: لا يشترط في المجدد أن يكون مجتهدا؛ خلافا لبعضهم، ولا أن يكون هاشميا؛ خلافا لمن اشترط ذلك أيضا، وللحافظ السيوطي قصيدة سماها: "تحفة المجتهدين بأسماء المجددين". فراجعها.

ولصاحب الترجمة – رحمه الله ورضي عنه – كلام عال في الحقائق، وإشارات صوفية استنبطها من كتاب الله، وأجوبة نفيسة في التصوف وغيره. . . نفع الله به.

وأحواله ومعارفه لا تخفى ولا تنكر، ومقاماته أجل من أن يعرّف بها أو تذكر، وقد أفرد ترجمته بالتصنيف غير واحد: كولده أبي حامد سيدي محمد العربي؛ فإنه ألف فيه كتابه المعروف "بمرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن"، وولده أبي العباس أحمد؛ فإنه ألف فيه: "المنح الصافية في الأسانيد اليوسفية"، وكولد حفيده أبي عيسى سيدي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف؛ فإنه ألف فيه: "الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية"، و"روضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية"، وكولد حفيده – أيضا – أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي؛ فإنه ألف فيه: "ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"، وكالشيخ الإمام العلامة، المتقن الفهامة؛ أبي عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني؛ فإنه أفرد ترجمته في منظومة حسنة رائقة؛ سماها "بفريدة الدر الصفي في وصف [ما أبدى] الجمال اليوسفي"، وتعرض فيها لذكر فروعه وبعض أحوالهم [311] ووفياتهم وما يتبع ذلك. وعدة أبياتها: ثلاثمائة وثلاثة عشر بيتا.

وللسلطان الأمجد، العالم الأسعد؛ أبي الربيع مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل ابن الشريف الحسني العلوي تأليف مستقل في رهط صاحب الترجمة؛ سماه: "عناية أولي المجد، بذكر آل الفاسي ابن الجد"، وهو تأليف حسن مفيد، جزاه الله خيرا. وفي هذه الكتب وغيرها من أحواله ومناقبه وكراماته ما يغني عن التطويل.

توفي – رحمه الله – بفاس، آخر الثلث الأول من ليلة الأحد الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وألف، عن خمسة أو ستة وسبعين سنة، نصفها كان خادما ونصفها كان مخدوما:

جناك على مقدار ما قد غرسته فدونك فاختر عَوْسَجا أو بَنَفْسَجا

ولما توفي؛ سطعت منه غرة بيضاء شاهدها كل من حضر، وغسله من الغد صاحباه: سيدي علي البيطار، وسيدي الحاج إبراهيم بن قاسم، وحمل إلى جامع الأندلس، فصلي عليه بها إثر صلاة الظهر، ودفن بهذا الخارج بروضته الشهيرة به. قال في "المرآة": «تحت مصلى العيدين الجديد من شماليه الشرقي، وفي جهة القبلة من جميع ما هنالك من ترب الصالحين وروضاتهم، في ذلك السفح الذي فيه الشيخ أبو الحسن علي حماوش، والشيخ أبو الحسن علي الصنهاجي، والشيخ أبو عبد الله بن بكار، والشيخ أبو النعيم رضوان، والشيخ أبو محمد الحسن الجزولي. . .وغيرهم، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين». هـ.

وعلى روضته إلى الآن حوش بناء يدور بها، وقد اشتملت على عارفين، ومجذوبين، وسالكين، وناسكين، ومن له قدم في الطريق، أو نسبة صحيحة من أصحابه، الذين ماتوا زمن الوباء الواقع في حياته؛ سنة ست وألف، والذين ماتوا بعد ذلك، وأصحاب أصحابه، وأتباعهم. . .وهم كثيرون، كما اشتملت - أيضا - على جماعة من أولاده وأحفاده وأحفادهم. . .إلى هلم جرا. وسنذكر على الإثر جماعة منهم ومن أصحابه.

وكان - رحمه الله - قد أوصى بقرب موته أن لا يبنى عليه؛ فوقع التأويل في وصيته، وأخذ في البناء حتى رفعت أركان الروضة، ثم صُرفوا عنها إلى سنة إحدى وأربعين وألف؛ فانتدب لبنائها تلميذه العارف بالله سيدي محمد ابن عبد الله، وحضر على بنائها وأنفق عليها من ماله، وبذل المعلمون مجهودهم في الإتقان بها وهم يستشيرونه في ذلك، إلى أن تمت في إتقان صنع، ولم يكن في قباب فاس في ذلك الوقت ما يوازيها رفعة وبهجة وسعة. ومما كتب بعد ذلك في نصف دائرتها من جهة رأسه [312] في زليج: هذه الأبيات، وهي موجودة هناك إلى الآن، من نظم الفقيه الأديب الصوفي أبي عبد الله محمد الطيب بن مسعود المريني رحمه الله:

بشراك بالبركات والإمداد   وتزايد الخيرات والإرشاد
يا زائرا هذا الضريح فإنه   قبر به سر النبيّ الهادي
هذا مقام أبي المحاسن يوسف الفاسي المبارك شَامخ الأطواد
شيخ المشايخ قطب دائرة الرجال العارفين مناهل القصّاد
الله عظّمَ قدره واختاره   لبساطه في سائر الإيجاد
ما زاره إلا سعيد يا له   من زائر قد فاز بالإسعاد
فاخضع له متأدبا تنل المنا   وسل الكريم بفضله المعتاد
إن القساوة لا دواء لضرها   إلا زيارة ساكن الألحاد
والخيرُ أعمال العباد جلوسهم   عند الولي هنيئة للصادي

وِلِرِبِ زورة عارف أربى الفتى ... منها على العُبَّاد والزهاد
فلكمْ أنال أبو المحاسن نفحة ... قدسية من رائح أوغاد
حتى توفاه الإله لجنة الفردوس في **جيش**[1] كريم ناد
صلى الإله على الرسول محمد ... خير الوجود وسيد الأسياد

وقبره إلى الآن مزارة عظيمة، عليه دربوز، وهو مشهور معروف عند الخاصة والعامة، يزورنه ويتبركون به – رضي الله عنه ونفعنا به. وممن ترجمه: صاحب "الممتع"، و"المطمح"، و"الصفوة"، و"الروض"، و"النشر". .وغير واحد.

[766– شيخ الإسلام سيدي محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري]
(ت: 1052)

ومنهم: ولده الشيخ الإمام الأوحد، وقدوة الأنام الأعمد، بحر العلم الزاخر، وأعجوبة العصر الآخر، نادرة الزمان حفظا وفهما وإتقانا، ووحيد الدهر ذكاء وفطنة ومعرفة وإيقانا، شيخ الإسلام، وعالم الأعلام؛ أبو عبد الله وأبو حامد سيدي محمد العربي ابن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي الفهري.

ولد – رحمه الله – كما ذكره في "المرآة": بحومة العيون من عدوة القرويين من فاس، في ضحى يوم الاثنين السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وتسعمائة. وقرأ القرآن، وأخذ في تعلم العلم؛ فأخذ عن والده وعمه العارف، وشقيقه أبي العباس، والشيخ القصار، وأبي الطيب [313] الزياتي، وأبي العباس أحمد الزياتي، والقاضي أبي مالك الحميدي، وأبي زكرياء يحيى السراج، وأبي الحسن علي ابن عمران، وأبي عبد الله المري، وأبي الحسن أغراب. . .وغيرهم ممن اشتمل عليه كتابه: "مرآة المحاسن".

ولقي جماعة من الصوفية وتبرك بهم. وكان عالما عاملا، حافظا محققا، دراكا للعلوم، غواصا على الدقائق والفهوم، رأسا في التفقه والضبط، وهو آخر علماء المغرب في تحقيق المسائل الغامضة، وإيضاح الأبحاث المشكلة.

وقد كان يوما يتكلم في مسألة كلامية؛ فنُقل كلامه لعمه العارف مع كلام السنوسي فيها؛ فقال: «هو أعلم من السنوسي بالفن!».

---

[1]. أشار بلفظة (جيش) إلى سنة وفاته، وذلك بحروف الجمّل كما أشار إلى ذلك المؤلف – رضي الله عنه – ج: 3، ي: 10، ش: 1000 = 1013.

ولما ورد تأليفه المسمى "بسهم الإصابة في حكم طابة" على فاس، وهو إذ ذاك بتطوان؛ تصفحه الإمام ابن عاشر؛ فقال: « سبحان الله؛ الناس يدورُون على العلم، والعلم يدور على سيدي العربي الفاسي! ».

وكان والده أبو المحاسن يشير في صغره إلى ما يؤول إليه أمره، وأوصى مؤدبه أن يتركه إذا أراد المشي للدار، أو الوضوء، ولا يمنعه إلا من اللعب؛ فإنه سيقرأ. فكان كذلك؛ حصل من العلوم ما طبّق الآفاق، وملأ الآذان، واشتهر علمه في المشرق أكثر من المغرب، وشهد له علماء عصره بالبراعة في العلوم كلها.

وكان له - رحمه الله - من الاعتناء بتقييد شوارد الفوائد ما لم يكن لغيره؛ حتى إنه يكون راكبا في السفر؛ فيتذكر مسألة، فيظهر له فيها شيء، فيوقف فرسه حتى يقيد ما ظهر له في الوقت، ثم يجدّ السير...

وأما فصاحة القلم، وجودة الخط، وبراعة الشعر؛ فهو سَحْبَان عصره، وابن مُقْلة زمانه، ونابغة وقته، حتى كان يقول: « والله ما بيني وبين القصيدة إلا البسملة والحمدلة - أي: أن أكتب: باسم الله، أو الحمد لله - أو أحبس القلم في يدي »...

وفي آخر شرح "البردة" الكبير للشيخ أبي العباس الوزير ما نصه: « وسيدي العربي الفاسي كان له من مكانة العلم، والتحقيق فيه، وثقته وضبطه، ما لا يعبر عنه قلم ولا يستوفيه، وله زيادة محبة في آل البيت الكريم، والجناب العظيم، إرثا من والده الشيخ الإمام أبي المحاسن - رضي الله عنه - ﴿ *إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون* ﴾. [الزخرف: 22]. وله فيهم - أعني: أهل البيت - قصائد... ».هـ.

وقد أخذ عنه - رحمه الله - جماعات من فاس وغيرها من سائر أقطار المغرب؛ منهم: بنوه الأربعة: أبو نصر عبد الوهاب، وأبو الحجاج يوسف، وأبو فارس عبد العزيز، وأبو محمد عبد السلام، وابن أخيه سيدي عبد القادر الفاسي.

وألف تآليف عديدة؛ منها: نظم "مراصد المعتمد، في مقاصد المعتقد"، ومنظومة: "تلقيح [314] الأذهان بتنقيح البرهان"، و"الطالع المشرق من أفق المنطق"، ومنظومة حاذى بها مقدمة ابن آجروم، ومنظومتان في ألقاب الحديث، ومنظومة في الزكاة، وتأليف في أحكام اللنيف...وغير ذلك.
وله قصائد كثيرة، ومقطعات في أمداح نبوية وغيرها.

وشرع في عدة كتب مات قبل إتمامها؛ منها: "مرآة المحاسن"، وشرح قصيدة كعب بن زهير، وشرح "الشفا"، وشرح "دلائل الخيرات" للجزولي.

وكان – رضي الله عنه – قد خرج من فاس فارا من فتنة العرائش، فجال في المغرب إلى أن أدركه الحمام بثغر تطوان، فتوفي به قرب الضحى من يوم السبت رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنين وخمسين وألف، ودفن هنالك، ثم نقل منه بعد عامين – وذلك سنة أربع وخمسين – في تابوت إلى فاس، فوُجد دمه طريا، وتعاون جماعة على حمله؛ فوجدوه ثقيلا، لم يروا أثقل منه، وذلك يدل على أنه من الشهداء! . ودُفن متصلا بقبر أبيه من جهة القبلة. ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"عناية أولي المجد" . . . وغير ذلك.

[767– العلامة المشارك سيدي أحمد بن علي الفاسي الفهري]
(ت: 1062)

ومنهم: ولد أخيه الشيخ الإمام، الفقيه الهمام، العالم العلامة، المشارك القدوة الفهامة، الحافظ المدرس النفاع، الكريم الأخلاق والطباع، البصير بالمذهب وفروعه؛ أبو العباس سيدي أحمد بن علي بن يوسف الفاسي.

كان – رحمه الله – أحد الأئمة المعتبرين، والأعلام المشتهرين، شارك في عدة علوم، ما بين منقول ومفهوم، وكان مشهورا بحسن الإلقاء والتعليم، متسع العارضة في الحفظ والفهم، ورزق الحظوة في التدريس والإقبال؛ فانتفع به خلائق.

وكان خيرا دينا، ناصحا أمينا، صالحا مكينا، محبّبا إلى العامة، لهم فيه اعتقاد عظيم.

أدرك جده أبا المحاسن، ونال من بركته، وأخذ بالقصر عن والده الشيخ أبي الحسن، وأخيه الشيخ أبي عسرية. . .وغيرهما.

ثم رحل إلى فاس؛ فأخذ بها عن عم أبيه العارف الفاسي، وعن عميه سيدي العربي وشقيقه أبي العباس ولدي أبي المحاسن، وعن أبي العباس وأبي القاسم ابني القاضي، وأبي الطيب الزياتي، وأبي الحسن علي الدشيش. . . وغيرهم.

ورجع إلى القصر بعلم عزيز، وبحر خطير؛ فدرس به وأفاد، ونفع الله به العباد . وممن أخذ عنه: ولداه سيدي المهدي، وأبو عبد الله العربي، وابن أخيه أبو العباس أحمد الخضر بن الشيخ أبي عسرية. . . وغيرهم.

واستوطن مكناسة الزيتون مدة، ثم استوطن آخر عمره فاسا إلى أن سافر للقصر زائرا؛ فأدركته منيته به إثر طلوع الشمس من يوم الجمعة ثالث عشر شعبان سنة اثنين وستين وألف، فحمل إلى فاس

ودفن بها ضحوة الاثنين الثالث والعشرين [315] من الشهر، بتربة جده أبي المحاسن، قريبا من قبره، وهو: القبر الركني، بيسرة الداخل لقبة الشيخ، من بابها الشرقي. وكانت ولادته بالقصر زوال يوم الجمعة رابع صفر سنة سبع وتسعين وتسعمائة. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"عناية أولي المجد"... وغير ذلك. وتعرض لذكره - أيضا - في "الابتهاج"، و"أزهار البستان".

[768- الإمام العلامة المحقق سيدي المهدي بن أحمد الفاسي الفهري]
(ت: 1109)

ومنهم: ولده الشيخ الإمام الأشهر، الحافظ الحجة الأكبر، الضابط المتقن، اللافظ المشارك المتفنن، العلامة المحقق، الصوفي المدقق، ذو التآليف والمجالس المفيدة، والبركات المتوافرة المزيدة، البالغ في التحرير والإتقان، ما يكل عن حصره اللسان؛ أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي لقبا، القصري مولدا.

ولد - رحمه الله - بالقطانين منه[1] آخر ليلة السبت، آخر يوم من رجب سنة ثلاث وثلاثين وألف. ونشأ به في حجر أبيه في عفاف وصيانة، وقرأ القرآن وأحكم أداءه ورسمه في سنين قليلة.

واشتغل بقراءة العلم؛ فقرأ على أبيه سنين في المعقول والمنقول، وعلى خاله أبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي تسهيل ابن مالك، وتلخيص البغوي لقواعد القرافي... وغير ذلك.

ثم ارتحل لفاس؛ فسمع من أبي العباس ابن جلال، وأبي العباس الزموري، ومن عمه أبي محمد عبد القادر الفاسي، وسيدي حمدون المزوار... وغيرهم ممن يطول ذكره.

وكان رأسا في العربية والفقه والعقائد، وأما التفسير والحديث، والسير والتاريخ والأنساب؛ فلا يدرك له فيها شأو في وقته، مع الضبط والإتقان، والإمامة في العلم والعمل، والورع والزهد على قدم أهل التجريد، متحريا في أموره كلها، متابعا للسنة في أقواله وأفعاله، مجتهدا في العبادة، كثير الأذكار، يقوم من الليل فيصلي بعشرة أحزاب، ذلك دأبه أبدا؛ إلى أن كبرت سنه، وضعفت قوته؛ فصار يصلي بخمسة أحزاب!.

وكان - إذا كان في الصلاة - استغرق فيها، وغاب عن حسه، وأكثر قراءته فيها بسورة الإخلاص، وربما اعتراه خشوع وهو فيها؛ فيسمع وشيجه من بعيد. وكان لا يأكل إلا من عمل يده بالنسخ، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة، ولا يقبض أجرته مجموعة، بل يقبضها على حسب ما يكتب.

---

[1] أي: من القصر الكبير.

ومن ورعه: أن السلطان – نصره الله – بعث له بخمسين دينارا لما ذُكر له من صلاحه وفضله؛ فأبى أن يقبضها، وطالما حاوله الذي جاءه بها أن يمسها بيده؛ فما فعل.

وكان محبا لأخبار الصالحين، لهجا بذكر كراماتهم، معتنيا بجمع محاسنهم، غواصا على دقائق علم التصوف، مبينا لما [316] أشكل منه.

أخذ علم الطريقة عن الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله الأندلسي، وكان مفرطا في إطرائه، شديد المحبة له، ملازما لزاويته، مواظبا على قراءة الأحزاب بها.

وبعد وفاته؛ أخذ عن تلميذه سيدي قاسم الخصاصي، وبعده عن سيدي أحمد ابن عبد الله معن إلى أن مات؛ فزخر بأسرارهم بحرُه، وظهر بآفاقهم بدره، فكان الإمام الكبير الشان، الجامع بين العلم والعرفان، متضلعا بالشريعة والحقيقة، سالكا بهما على مُثلى الطريقة، واسع العارضة في الحفظ والتحصيل، لا يجاريه في التحقيق محقق ولا نبيل.

وكان متجردا – دائما – لتدريس العلم، والتأليف والتقييد، والإفادة والاستفادة، وألف تآليف كثيرة مشهورة؛ منها: شروحه الثلاثة على "دلائل الخيرات": كبير وصغير ووسط، و"ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع، وما لهما من الأتباع"، و"الإلماع، ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع"، و"تحفة أهل الصديقية؛ بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية"، و"الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية"، و"روضة المحاسن الزهية، بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية"، و"داعي الطرب، باختصار أنساب العرب"، و"الرصاصة المطفية، في جوف من رد على أهل المخفية"؛ رد به على بعض طلبة فاس لما حصل له منه إنكار واعتراض على حال سيدي قاسم الخصاصي، و"العقد المنضد، من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد"، و"سمط الجوهر الفاخر، من مفاخر النبي الأول والآخر".

و"كفاية المحتاج، من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج"، و"شفاء الغُلة وانقشاع السحابة، عن حكم الشكر أول الملة وتنزيه الصحابة"، وتأليف في وقف القرآن؛ سماه: "الدرة الغراء، في وقف القراء"، وتأليفان في مناسك الحج؛ سمى أحدهما: "معونة الناسك، بالضروري في المناسك"، والآخر: "تحفة الناسك، بالمهم من المناسك"، و"اللمعة الخطيرة، في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة". وخطه حسن وفي غاية الإتقان؛ إذا كتب شيئا؛ لم يغادر به ما يصلحه من بعده.

وأخذ عنه جماعة من العلماء الجهابذة: كسيدي الطيب بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي، وسيدي محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وسيدي محمد بن محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي... وغيرهم.

وترجمته واسعة جدا، وأخباره كثيرة، وقد ألف فيها بالخصوص: الفقيه المؤرخ أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني؛ وسماه: "جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي".

توفي – رحمه الله – عند أذان العشاء الأخيرة [317] من ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة تسع ومائة وألف، ودفن بداخل قبة جد والده سيدي يوسف الفاسي، أعلاه، قريبا منه، خلف ظهره. ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"، و"عناية أولي المجد". . . وغير ذلك.

[769– الإمام المقرئ اللغوي سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري] *(ت: 1214)*

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، الأستاذ المحقق الجود الفهامة، المنفرد بتحقيق الأحكام القرآنية، وصاحب الملكة التي ليست لأشياخه فضلا عمن دونهم في العلوم العربية؛ أبو عبد الله سيدي مُحمد (ضما) ابن عبد السلام بن مَحمد (فتحا) بن عبد السلام بن العربي بن يوسف الفاسي.

ولد – رحمه الله – بفاس وبها نشأ، وكان حافظا جامعا؛ راسخ الملكة في أكثر الفنون؛ كالنحو والتصرف، واللغة والحساب، والعروض والتاريخ، وأنساب العرب وأيامهم، والبيان والمنطق، والكلام والأصلين، والفقه والحديث والتفسير، وعلوم القراءات وأحكام الروايات.

واعتمد في ذلك على جماعة من العلماء النحارير يطول ذكرهم؛ كالشيخ أبي حفص الفاسي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن طاهر النسب[1]، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسين الجندوز المصمودي، والشيخ أبي السعد عبد المجيد بن علي الزبادي، والشيخ أبي العباس بن مبارك، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، والشيخ أبي محمد عبد الكبير السرغيني، والشيخ أبي عبد الله جسوس، والشيخ أبي محمد عبد الهادي بن محمد العراقي، والشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الجليل الشرايبي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجري الحسني.

وكان قوي العارضة، نافذ البصيرة، كثير التحصيل، بحاثا نظارا، قادرا على الاستنباط، بصيرا في كل فن، ظاهر الزهد والورع، قامع الفتن والبدع، يلبس الخشن، ويمشي في الأسواق، ويقول الحق من غير تصنع ولا نفاق.

---

[1]. أي: الفاسي كذلك.

وكان ممن لقي عدة من أكابر الأولياء ممن في وقته، وانتفع بهم، وعادت بركتهم عليه. وألف تآليف منها: شرح "لامية الأفعال" لابن مالك في سفر ضخم، وحاشية على شرح الجعبري "لحرز الأماني"، وحاشية على شرح الجاربردي لشافية ابن الحاجب التصريفية، و"طبقات المقرئين"، وفهرسة أشياخه المعتبرين. . . وغير ذلك من التآليف والتقاييد والأجوبة.

وكانت له القدم الراسخة في العبادة؛ من صلاة وصوم، وتعليم ومطالعة وتلاوة، وفي محبة آل البيت وحفظ أنسابهم. وابتلي بذهاب إحدى عينيه؛ فصبر، وعد ذلك من جملة نعم الله عليه؛ فشكر.

والناس في الأخذ عنه أربعة أصناف: صنف أخذوا عنه قراءة [318] القرآن بمجرد المدارسة أو السماع فقط، وصنف أخذوها عنه بالروايات مع تحقيق أحكامها في مجالس الدرس؛ وهؤلاء لا ينحصرون بالعد، ولا يوقف لهم على حد. وصنف أخذوا عنه ما سوى القراءات وأحكامها من أنواع العلوم؛ كالشيخ سيدي عبد القادر ابن شقرون، والشيخ سيدي محمد بن أحمد بنيس، والشيخ سيدي علي بن اويس الحصيني، والأخوين: سيدي العربي وسيدي عبد السلام ابني الولي الصالح سيدي المعطي بن الصالح الشرقي العمري. . . وصنف أخذوا عنه كلا من القراءة بأحكامها وغير ذلك من العلوم، وهم كثيرون؛ منهم: السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي، وسيدي محمد بن قاسم الميدوني، وسيدي محمد بن علي اللجائي. . . وغيرهم. وترجمته واسعة جدا، وقد أطال فيها في "عناية أولى المجد"، وأتى فيها بما لا مزيد عليه.

توفي – رحمه الله – بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء ثاني عشر رجب الفرد الحرام عام أربعة عشر ومائتين وألف عن نحو خمس وثمانين سنة، ودفن في جوار جده أبي المحاسن، داخل القبة، عند رأس ضريحه.

[770– السيدة معزوزة بنت محمد الهلالية]
(ت: 1069)

ومنهم: المرأة الصالحة الزكية، ذات الأخلاق المرضية، والمحاسن البهية؛ السيدة معزوزة بنت محمد بن أحمد الهلالية. من بني هلال من عرب دكالة، وهم عرب من بني سليم؛ إحدى القبيلتين اللتين دخلتا المغرب على عهد بني مرين.

كانت – رحمة الله عليها – من الصالحات؛ كثيرة الأذكار، حتى كانت تضيق من دخول الخلاء، وإذا نامت؛ بقي حال الحركة في عروق عنقها على حاله في التسبيح والذكر، وكانت رضي الله عنها أولا تحت سيدي أحمد بن يوسف الفاسي، زوجه إياها والده، ثم لما توفي سيدي أحمد المذكور وتوفيت أختها التي كانت تحت أخيه سيدي العربي؛ تزوجها سيدي العربي، وكان لها منه ولدان: سيدي عبد العزيز وسيدي عبد السلام، وكلاهما كان من أهل العلم، وكانت عنايتها بالثاني أكثر من عنايتها بالأول، وفيه لها كرامة؛ وهي: أنها كانت تسأل عمن يخالطه من أترابه، فكلما سمعت بمن لا ترضيه؛ دعته إلى الله والرسول والصالحين؛ فيهلك! . إلا رجلا دعت عليه مرة، ثم إن ولدها مرض يوما؛ فجاء الرجل يعوده، فسمعته يقول: «وددت لو حملت عنك هذا المرض وشفيت أنت منه»، فرقت له. وكان الرجل عازما على السفر لقتال مع أهل البلد، فقالت لما سمعته يقول ذلك: «قولوا له: لا بأس عليك في سفرك، ترجع سالما إن شاء الله لا يضرك شيء!» .هـ. فهلك الذين مشوا معه وسلم هو.

وكانت شديدة التعظيم لأبناء أبي المحاسن؛ بحيث لا تقبل أن يجلس أحد منهم عند رجليها [319]. وكان أبو المحاسن يقول فيها: «إنها مولاة الدار[1]».

توفيت – رحمة الله عليها – سنة تسع وستين وألف. قال في "الصفوة": «ودفنت في السهوة الشرقية من روضة أبي المحاسن». والسهوة عندهم: كالسقيفة تكون بين يدي البيوت.

[771– القاضي المفتي سيدي محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي] (ت: 1084)

ومنهم: الإمام الجليل، العلامة النبيل، الفقيه الحافظ، الأستاذ اللافظ، المدرس الخطيب، المشارك اللبيب، المفتي القاضي؛ أبو عبد الله وأبو القاسم سيدي محمد (فتحا) ابن الحافظ الضابط الثقة، الذي كانت تصحح نسخ البخاري ومسلم من حفظه؛ أبي العباس سيدي أحمد بن أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي.

كان – رحمه الله – متضلعا في جميع العلوم، خائضا بفلك ذهنه بحار الفهوم، إماما حجة، سالكا واضح المحجة، قائما بتدريس الفنون قيام محقق ضابط، محصل محرر. وكان آية من آيات الله في

---

[1] أي: صاحبة الدار.

الحفظ واستحضار المسائل؛ يستظهر تسهيل ابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الأصلي. . وغير ذلك، لا يجارى في ذلك في سائر الفنون، وكان فصيح العبارة، رائق الإشارة، قوي الفهم، حسن الأخلاق، لين الجانب، مقبلا على الصغير والكبير بالبشاشة والإكرام، سريع الدمعة.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة؛ فحمدت سيرته، وتواطأت الألسن على مدحه، إلى أن نقله السلطان الرشيد – رحمه الله – لفاس، سنة سبع وسبعين وألف، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، ثم أخر عن ذلك؛ فلازم القراءة والتقييد، والإفادة للخاص والعام.

أخذ – رحمه الله – عن ابن عاشر، وابن أبي النعيم، وعمه سيدي العربي، وعم أبيه سيدي عبد الرحمن؛ لازم القراءة عليه والأخذ عنه سنين، وأجازه، وأخذ – أيضا – عن أبي الحسن ابن الزبير السجلماسي، وأبي الحسن البطوئي، وبالإجازة عن الشيخ القصار.

ولما تصدر بفاس للتدريس؛ اشتهر في البلاد صيته، وشاع ذكره، وأخذ عنه جماعة؛ منهم: أبو محمد سيدي عبد السلام القادري، وسيدي محمد وسيدي عبد الرحمن ابنا شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي، والقاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المَجَاصي، وقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد العربي بُرْدُلَّة. . . وغيرهم ممن لا يحصى.

واعتنى في آخر أمره بالقراءات السبع؛ فأخذها عن أبي زيد ابن القاضي، وقرأ عليه ختمتين؛ فبرع في ذلك.

وألف تآليف؛ منها: شرحه لمختصر خليل بشرح لطيف ممزوج في سفر، وشرحان على "نظم المراصد" لعمه سيدي العربي، وشرح لنظمه – أيضا – في المنطق. . . وغير ذلك.

قال الشيخ أبو زيد الفاسي في "أزهار البستان" عندما عده فيه [320] ممن أخذ عن العارف: «مولده: ضحى يوم الخميس؛ تاسع محرم سنة تسع وألف بفاس، وبها توفي في آخر ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وألف». هـ. قال في "المورد الهني": «ودفن بروضة جده الشيخ أبي المحاسن – نفعنا الله به – من جهة القبلة، خارج القبة». هـ. ترجمه فيه، وفي "الصفوة"، وفي "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"عناية أولي المجد". . . وغير ذلك. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته بقوله:

وسيدي محمد بن أحمد | سليل يوسف الإمام الأمجد
بخارج القبة حوشه اشتهر | من جهة القبلة بان وظهر

[772- الإمام الحافظ سيدي أحمد بن يوسف الفاسي الفهري]
(ت: 1021)

وأما والده أبو العباس - وهو شارح رائية الشريشي في السلوك، و"عمدة الأحكام" لعبد الغنى، وصاحب التآليف العديدة غير ذلك - فلم يدفن في هذه الحضرة؛ لكونه خرج منها فارا من الفتنة في قضية العرائش، لما أراد ملك الوقت أن يمكنها للنصارى، فأقام بجبل أبي زيري؛ منزل سيدي عبد الرحمن المجذوب، ففاجأته هنالك أحوال عظيمة لم يقو عليها؛ فتوفي بسببها أوائل ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين وألف، ودفن بروضة سيدي محمد السبع - ولد سيدي عبد الرحمن المجذوب - وانظر ترجمته في "الصفوة"، و"النشر"، و"عناية أولي المجد" . . . وغير ذلك.

[773- العلامة سيدي عبد الله بن عمر الفاسي الفهري]
(ت: 1146)

ومنهم: الشيخ الإمام، حسنة الليالي والأيام، العالم الفاضل، السيد الكامل، الصالح البركة، الموفق في السكون والحركة؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي؛ والد الشيخ أبي حفص عمر الفاسي؛ دفين زاوية جده بالمخفية.

ولد - رحمه الله - بحضرة فاس، وبها نشأ في حجر أبيه نشأة نزاهة وصيانة، وقرأ القرآن العظيم، وأخذ في العلوم؛ فأدرك منها ما التحق به بالأعيان، وكانت قراءته على عدة من المشايخ؛ منهم: سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي، والقاضي بردلة، والشيخ المسناوي. . . ثم اتصل بالأحمدين، وأخذ عنهما، واغترف من بحرهما.

وكان بدرا يستضاء به في المدلهمات، وحصنا يستند إليه في المهمات، مجتهدا في العبادة، ممتطيا متن السيادة، صالحا مكينا، ناصحا أمينا، ظهر في سماء التحصيل بدره، وتحصن بسر المعرفة نوره.

توفي - رحمه الله - شهيدا بالطاعون في جمادى الأولى سنة ست وأربعين ومائة وألف، ودفن في جوار جده الشيخ أبي المحاسن، ورثاه الشيخ أبو العباس الهلالي بأبيات بعث بها لابنه الشيخ أبي حفص. ترجمه في "عناية أولي المجد".

[774- سيدي محمد طاهر بن يوسف الفاسي الفهري]

ومنهم [321]: الفقيه النزيه، المشارك النبيه؛ أبو عبد الله وأبو الجمال سيدي محمد؛ المدعو: طاهر بن يوسف بن أبي عسرية بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي.

أورده في "عناية أولي المجد" فيمن لم يقف لهم على أكثر من بعض التحليات التي تؤذن بانخراطهم في سلك من ذكرهم من أهل العلم والصلاح، محليا له بالفقيه المشارك، وذكر قبل ذلك أنه: أخذ عنه جملة من أوليات التعليم ولداه: أبو عبد الله مَحمد (فتحا)، وأبو عيسى المهدي. وضريحه - رحمه الله - بروضة جده المذكورة.

[775- العلامة اللغوي سيدي مَحمد بن محمد طاهر الفاسي الفهري]
(ت: 1177)

ومنهم: ولده الشيخ الإمام العلامة، الضابط المحقق الفهامة، سيبويه زمانه، ومصباح أوانه؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن طاهر الفاسي.

ولد بالقصر، ونشأ به في حجر أبيه، وقرأ القرآن وحفظه، وأخذ في حفظ المتون العلمية في أكثر الفنون وتشقيقها على أبيه، وعلى القاضي أبي محمد عبد الله بن بوعسرية بن أحمد بن يوسف الفاسي. . . وغيرهما.

ثم ارتحل لفاس واستوطنها، وأكثر العناية بالعلوم العربية على شيوخها في وقته؛ كالشيخ أبي عبد الله محمد بن إدريس العراقي، والشيخ أبي العباس الوجَّاري، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسين الجندوز المصمودي. وأخذ غير العربية - بل والعربية أيضا - على أبي عبد الله ابن عبد السلام البناني، وأبي العباس ابن مبارك، وأبي عبد الله المسناوي، وأبي عبد الله جسُّوس. . . وغيرهم.

حتى برع في العربية وانفرد بتحقيقها، وانتهت إليه الرياسة فيها، مشاركا في غيرها من الفنون؛ بيانا وأصولا ومنطقا، آخذا بطرق من التحصيل في الفقه، والحديث، والتفسير، والأنساب، والتاريخ وأيام الناس.

وكان مجلسه في العربية غاصا بنجباء الوقت، كثير الحفظ والضبط، حسن العبارة والخط، سالم الإدراك، عالي الهمة، كريم النفس، كثير المروءة، متين الدين، ظاهر الخيرات، في وقار وأحسن سمت، وأسنى صدق، محققا مدققا، كثير المطالعة والتقييد، ينقل في مجالسه ما يبهر العقول، وتقف دون منتهاه الفحول.

أخذ عنه جماعة وافرة من علماء الوقت؛ كسيدي محمد بن عبد السلام الفاسي، وسيدي زيان بن هاشم العراقي، وسيدي عبد الكريم اليازغي، وصاحب "النشر"، والقاضي سيدي أبي عزة بن عبد الواحد الأودي، وسيدي عبد الله السوسي، وسيدي عبد الرحمن بنيس. . . وغيرهم.
ودرس الرسالة للعوام بمسجد جزاء بن عامر من هذه الحضرة؛ فانتفعوا به.

توفي - رحمه الله - سنة سبع وسبعين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن في الجنان المدفون فيه جده [322] سيدي يوسف بن محمد الفاسي خارج باب الفتوح ».هـ. وهو صاحب الضريح الكائن عن يسار داخل الفناء الذي هو بباب قبة أبي المحاسن ملتصقا بالحائط هناك، وعند رأسه تاريخه كما ذكر - رحمة الله تعالى عليه. ترجمه في "النشر" في بعض نسخه، وكذا في "عناية أولي المجد".

[776- العلامة الموقت سيدي عبد الرحمن بن يوسف الفاسي الفهري]

(ت: 1213)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العالم العلامة النبيه، رئيس الموقتين، وعمدة المحصلين، الزاهد الورع الصوفي؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد بفاس سنة أربع وخمسين ومائة وألف، وبها نشأ؛ فقرأ كتاب الله تعالى وحفظه وجوده رسما وأداء، وقرأ من العلم ما قدر له على أشياخ الوقت؛ فقها وحديثا، وتفسيرا وتصوفا وسيرا.

وكانت له اليد الطولى في علم التوقيت وإحكام آلاته، لا يقاومه فيه أحد، مع الدين المتين، والاغتراف من عين اليقين، وكثرة الصيام والقيام، والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والعبادة والزهد، والصبر والصمت، والورع والشكر، وتحري الحلال ما أمكن، والإعراض عن الدنيا وأهلها، والنفور عن الخلق. . .إلى غير ذلك.

ولقي كثيرا من الأولياء وتردد إليهم وانتفع بهم؛ كالشيخ السالك المتمكن الجوال أبي الحسن علي طورة التونسي ثم الفاسي؛ دفين طالعة فاس، وغيره.

ورحل للمشرق؛ فحج وزار، ولقي جماعة من العلماء الأخيار وانتفع بهم.

وبقي مجتهدا في العبادة إلى أن توفي بالطاعون مهل ذي الحجة الحرام متم سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف. قال في "عناية أولي المجد": « ودفن في مقابر أسلافه بالقباب، وبني عليه بناء محكم - رحمة الله عليه ».هـ.

[777- الصالح سيدي عبد السلام بن أحمد الفاسي الفهري]

(ت: 1281)

ومنهم: السيد الفقيه، الصالح البركة النزيه، ذو الكرامات العديدة، والأوصاف الحسنة الحميدة؛ أبو محمد سيدي عبد السلام ابن الفقيه المدرس أبي العباس سيدي أحمد بن العربي بن عبد المجيد بن الجيلاني بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي.

كان – رحمه الله – ذا دين متين، وصلاح مبين، ومحبة في النبي الأمين، وذريته الأكرمين، وكان يؤم الناس بمسجد درب ابن مشيش من عدوة فاس القرويين، ويكثر من زيارة مولانا إدريس الفاسي[1] رضي الله عنه، وكثيرا ما كان يزوره من باب الطبالين؛ الكائنة فوق باب الحفا، ولا يدخل الضريح ولا الجامع أدبا، وكان الناس يتبركون به، وينسبونه للصلاح، والخصوصية الكبيرة والفلاح، وظهرت له كرامات، وخوارق عادات.

توفي – رحمه الله – بعد صلاة العصر من يوم [323] الثلاثاء خامس عشر صفر سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف، ودفن خارج البناء الذي جعل دائرا بجده أبي المحاسن، في جهة القبلة منه، وبني عليه بناء خفيف للتمييز.

[778- سيدي أحمد بن العربي الفاسي الفهري]

وقريبا منه مما يلي رأسه: قبر والده الفقيه أبي العباس أحمد. عليه شاهد كبير، وقد ذكره في "عناية أولي المجد"، وذكر أنه كان من أهل الصيانة والدين والمروءة، يشارك في العلم ويدرس أحيانا.

[779- الأديب القاضي سيدي عبد الوهاب بن العربي الفاسي الفهري]
(ت: 1078، أو 1079)

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، المشارك الضابط الفهامة، اللوذعي الأديب، الذكي النجيب؛ أبو نصر سيدي عبد الوهاب ابن الإمام سيدي العربي بن الشيخ سيدي يوسف الفاسي.

كان – رحمه الله – أعجوبة في الفهم، وشعلة من شعل الذكاء، يغوص على الدقائق، ويستخرج الأمور العجيبة الغريبة، آية كبرى في سرعة الإدراك، وحدة الذهن، وسهولة الاستنباط، وسلامة القريحة، ونزاهة النفس، ولين الجانب، وحسن المعاشرة.

وكانت له اليد الطولى في الأدب وغيره؛ من فقه وحديث، وتفسير وأصلين، ومنطق وبيان، وعروض وحساب، وفرائض وتوقيت، وهندسة وهيئة، وجدول ومساحة... وغير ذلك.

ولد بفاس ضحوة يوم السبت ثالث عشرين من ذي القعدة الحرام عام تسعة بعد الألف، وبها نشأ، ثم كان يذهب مع أبيه حيثما ذهب، متعلقا منه في طلب العلم بأوثق سبب، بعد ما حفظ القرآن العظيم، وجمع من أدوات الطلب الحادث والقديم، فأخذ عنه علوما جليلة.

---

[1] أي: الإمام إدريس الأزهر باني فاس. رضي الله عنه.

كما أخذ عن عمه الحافظ أبي العباس، وعم أبيه العارف الفاسي، ولازم ابن عمه أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي مدة، وأجازه القصار في صغره إجازة واحدة مع ابن عمه المذكور، وأخذ الحساب والفرائض والتوقيت عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن القاضي، وبسببه وضع "البرق الوامض، في الحساب والفرائض"، وأجازه في ذلك.

واستوطن بعد وفاة أبيه بفاس، واشتغل فيها بالتدريس والإفادة، على طريق الأشياخ من أهل الإجادة، ولازمه نقاد الجهابذة من طلبة فاس؛ فانتفعوا به في حل المشكلات، وفهم المعضلات.

وممن أخذ عنه: الشيخ أبو محمد عبد السلام القادري، وسيوطى زمانه أبو زيد عبد الرحمن الفاسي... وغيرهما.

وله - رحمه الله - أشعار كثيرة، ومقطعات لا تحصر، وتآليف في أغراض مهمة، ومن عجائب إبداعه: أن جعل علم العروض كله مرسوما في جدول شرح به "الخزرجية"، بحيث من نظر فيه؛ لا يغيب عنه أصل من أصول علم العروض، وفي ذلك يقول الأستاذ العلامة أبو عبد الله سيدي محمد الشرقي بن محمد بن أبي بكر الدلائي [324] مثنيا عليه، ومعجبا بما أشار إليه:

يا عابد الوهاب يا من به	غَرْسُ نبات الفكر قد أورقا
سقيت روض الشعر بعد الظما	بجدول زاد به رونقا

واستخرج - أيضا - جدولا في المنطق، وكان لا يستغني عنه أحد من أهل عصره في العلوم التعاليمية؛ لانفراده بها.

وولي نظارة أحباس القرويين نحوا من عشر سنين، ثم تخلى عنها صونا لمروءته. وولي القضاء بتطوان مدة، ثم رجع إلى فاس، وناب عن خطيب القرويين بها.

وتوفي بها بكرة يوم الجمعة الخامس من المحرم سنة تسع؛ وقيل: ثمان وسبعين وألف. قال في "المورد الهني": « ودفن بروضة جده الشيخ أبي المحاسن - رضي الله عنه - خارج القبة، من جهة رأسه ». هـ. ترجمه فيه وفي "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"عناية أولي المجد"... وغير ذلك. وأورده في "أزهار البستان" فيمن أخذ عن العارف.

[780- المحدث المشارك سيدي يوسف بن العربي الفاسي الفهري]
(ت: 1089، أو 1090)

ومنهم: أخوه وشقيقه الشيخ الفقيه، المحدث الناسك النزيه؛ أبو الحجاج وأبو عمر سيدي يوسف بن أبي حامد العربي بن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي.

ولد – رحمه الله – آخر الربع الأول من ليلة الخميس ثاني رجب سنة ثمان عشرة وألف، وقرأ القرآن وأحكم أداءه، وأجازه الأستاذ ابن يوسف أن يرويه عنه، ولازم أباه الشيخ أبا حامد؛ يسير معه أينما سار، وهو يقتبس من أنوار علومه، ويغترف من بحار فهومه، حتى اتصل بكل فضيلة، وحصل منها كل دقيقة وجليلة، وعكف على الحديث وحفظ رجاله، وأخبار من علم السيَر والسيَر في مجاله؛ فحفظ ما يعجز عنه الوصف من ذلك، مع ما يتعلق به من نسب وتاريخ وتقدمَ وتأخر في تلك المسالك، وأجازه أبوه في ذلك وغيره.

وكان وقورا سمحا، مفضالا مباركا دينا، سالم الصدر هينا لينا، صالحا ناسكا، عَلَما واضحا على سبيل الحق سالكا.

وكانت وفاته بفاس سنة تسع وثمانين وألف؛ كذا في "عناية أولي المجد"، وقال في كتاب "التفكر والاعتبار" بعد ما ذكر وفاة أخيه المترجم قبله ما نصه: «وتوفي شقيقه سيدي يوسف الفاسي سنة تسعين وألف، ودفن مع أخيه بروضة جده».هـ.

[781- سيدي إبراهيم الصياد]
(ت: 1008)

ومنهم: السيد الأحفل، المتخلق بأخلاق الكُمل، ذو الكرامات العديدة، والمآثر الحميدة؛ أبو سالم سيدي إبراهيم بن علي – على ما في "الممتع" وغيره، وهو الذي في خط سيدي العربي الفاسي كما في "النشر" – وابن عبد الرحمن – على ما في "الابتهاج" و"المطمح" بخط مؤلفيهما – القصري السَريفي؛ المعروف بالصياد.

أصله – رحمه الله – من جبل سريف من أحواز القصر، ودخل في الطريق [325] على يد الشيخ أبي المحاسن، وكان سبب اتصاله به: أنه كان يخدم في جملة من متعلمي البناء بدار أبي المحاسن من القصر؛ فأعجبته حلقة بباب الدار، فبينما هو يعالجها لتنقلع خفية؛ إذ خرج عليه الشيخ؛ فاختطفه عن حسه، وغيبه عن شهود يومه وأمسه؛ فسلب له الإرادة من يومئذ، ولازمه إلى وفاته.

وكانت له زوجتان، فأمره الشيخ بتطليقهما؛ فقال له مباسطا: «إن كانت هذه السكرة تدوم؛ طلقتهما ولا أبالي!»، فقال له: «هي كثمار الجنة؛ لا مقطوعة ولا ممنوعة»؛ ففعل.

وكان – رضي الله عنه – من السُباق، ومن أهل الإغاثة في البر والبحر، وذوي الأحوال العجيبة، والأسرار الغريبة، والجذب القائم، والقلب الهائم، والبركات الظاهرة، والكرامات الباهرة، وكان بريد شيخه أبي المحاسن في تبليغ الغيوب، والإتيان بأخبار الملكوت.

وفي "الدر النفيس": «إنه كان الواسطة بينه وبين مولانا إدريس باني فاس رضي الله عنه، يأتيه بالأمر والنهي منه». هـ.

وكان – رضي الله عنه – آية عظمى في الكشف وخرق العادة، فيتعجب الناس من حاله كثيرا، فيقول: «إنما أنا ريشة من جناح الشيخ!»، وكان أجهر العينين، ضعيف البصر بالنهار، فقال يوما بعض الناس لشيخه أبي المحاسن: «يا سيدي؛ إنه قد ورد طبيب، فلعله يداوي عيني سيدي إبراهيم!»، فقال له الشيخ: «إنه يبصر ملكوت السماوات والأرض، ويخبر بأخبار ذلك كله، ويأتي بأخبار ذلك كله، ويأتي بأخبار السماوات فضلا عن الأرض!!!». . .

وخرج مرة في ركب مع شيخه لزيارة؛ فسُرق لهم ليلا ثوب ولم يعرفوا للسارق أثرا، فجعل الشيخ يوبخه ويقول له: «أتكون ها هنا ويأتي السارق ولا تعرف مكانه؟!». فقام ومشى مستقيما إلى موضع خفي؛ فوجد فيه السارق يغسل الثوب؛ فأخذه منه وقال له: «أربابه يحتاجونه بلا غسل!».

واشتهر – رضي الله عنه – بقضاء الحوائج عند الله تعالى، فكان الناس يتعلقون به كثيرا لذلك، وكان شيخه المذكور إذا أتاه أحد لحاجة ربما دله عليه. وكان إذا طلب عنده أحد حاجة؛ نظر؛ فإن كانت لا تقضى؛ صرفه عنه، وإن رآها تقضى؛ قال له: «اعط كَيْت وكَيْت»، فيعطيه ذلك؛ فتقضى حاجته بإذن الله. وكان أهل دار الشيخ إذا طلبوا عنده حاجة؛ فعل معهم ما يفعل مع غيرهم. ومناقبه – رضي الله عنه – لا تحصى كثرة، وقد ذكر منها في "ابتهاج القلوب" جملة وافرة.

ولما دنت وفاته؛ قال للفقراء: «هذا آخر يوم بقي لي معكم، فإني أرى الروح متعلقة كالمصباح؛ وكأنها خرجت».

ولما كانت الليلة التي مات بآخرها؛ جلس في فراشه عند النوم، ونظر [326] في يديه وجلده، وقال: «ما بقي في هذه الجثة إلا حظ التراب». وكان قد أصابته حكة؛ فجعل لها دواء، وقصد حمام القلعة من آخر الليل ليغتسل؛ فلقيه برأس العقبة الزرقاء لصوص، فاجتذبوا كساءه، فاستنثره منهم، فضربه أحدهم بسيفه، فقطع أحد ودجيه، يقال: إنه الأيمن. وسقط بإزاء حائط هنالك. ولما عرفه اللصوص؛ تركوه بجوائجه؛ لم يأخذوا له شيئا، وذهبوا. فمر به إمام المسجد الذي هنالك لصلاة الصبح؛ وهو: السيد أبو لقاسم المشاط. فسمعه يقول: «أنت قضيت وأنا رضيت!»، ثم حمل لدار شيخه ميتا، فتألم الشيخ عليه كثيرا وقال: «ما أشد انقطاع ظهري فيك يا إبراهيم يا ولدي!».

ودخل عليه وهو ميت، فبقي معه في البيت مدة والناس يسمعون كلامهما، ولم يدخل عليهما أحد. ثم رفع الشيخ الحجاب، فخرج وهو يضحك، ولما كفن؛ أمر بحل الكفن؛ فقبله بين عينيه وقال: «رحمك الله؛ هذا بعد صحبة عشرين عاما».

وكان سيدي عبد الرحمن الفاسي إذا مر بذلك الموضع من العقبة الزرقاء قال: «هنا مات حبيبنا على الله: سيدي إبراهيم الصياد». وأسرع في مشيه، وظهرت منه كراهية لذلك. وكان عشيرا له ومواخيا ومجالسا.

وكانت وفاته - رحمه الله - يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة ثمان وألف. قال في "التقاط الدرر": «ودفن بأعلى قبة سيدي يوسف الفاسي، قريبا منها، خارج باب الفتوح من فاس». وقال في "ابتهاج القلوب": «كانت روضة الشيخ أبي المحاسن في ملكه منذ زمن الوباء، فدفن بها قبله مع أناس من أصحابه وقرابته كانوا قد دفنوا بها إذ ذاك، وجعلت على ضريحه قبة من عود، لم تزل قائمة إلى أن سقطت بحجر نزل من السماء مع ريح وأهوال عظيمة في السماء، حتى أسقط أوراق الأشجار والثمار، في ثامن عشر جمادى الثانية من سنة إحدى وخمسين وألف. وبني بعد ذلك عليه حوش صغير دائر بقبره، عند رأس قبة شيخه، خارجا منها، نفعنا الله به وبأمثاله. . .وكان من أدركناه من المشايخ - كالشيخ سيدي مَحمد ابن عبد الله وغيره - لا يترك زيارته بعد زيارة الشيخ أبي المحاسن وأخيه، ثم يزوره، ثم يدعو لسائر من هنالك - رحمهم الله».هـ.

وقبره - رحمه الله - شهير يزار ويتبرك به. وممن ترجمه: صاحب "الممتع"، و"المطمح"، و"الصفوة"، و"الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر" . . . وغيرهم.

[782- العارف سيدي محمد الأكحل]
(ت: 1014)

ومنهم: الشيخ الجليل، البركة الحفيل، العارف بالله تعالى، الحجة العمدة؛ أبو عبد الله سيدي محمد؛ الملقب بالأكحل[1]، ولم يكن أكحل، وإنما لقب بذلك فقط.

كان - رحمه الله - من أهل [327] الذوق السليم، والمعرفة الواسعة، والحال الصادق. وكان من جلة أصحاب الشيخ أبي المحاسن وفضلائهم، وكان أول أمره عارفا بالكيمياء؛ فأمره الشيخ بترك ذلك. وطلب منه أن يعلمها أولاده؛ فلم يأذن له. ولزم خدمته وصحبته إلى أن توفي الشيخ، وبقي بعده معتزلا بنفسه إلى أن مات.

[1] أي: الأسود.

وكان الشيخ سيدي مَحمد ابن عبد الله ينقل من كلامه في الطريق ويحتج به. ومما كان يحكي عنه: أنه قال له: «طريقنا هذه: ما لك شيء. ما لك شيء. ما لك شيء. وطريقة هؤلاء المبطلين: لي. لي. لي. كأهل الزمن». يعني: إن طريقتهم مبنية على الفناء والغيبة عن الوجود الحسي، وطريق المبطلين على إثبات الوجود ورؤية النفس.

توفي - رحمه الله - في حدود سنة أربع عشرة وألف. قال في "الممتع" و"تحفة أهل الصديقية": «ودفن بروضة شيخه، خلف ضريح سيدي إبراهيم الصباد، بينه وبينه قبران». هـ. وفي منظومة المدرع:

محمد الأكحل حيث يكنى ... ذو سيرة ورحمة ومعنى
ملاصقا للصالح المبرور ... إبراهيم الصباد في المأثور

ترجمه في "الممتع"، و"الابتهاج"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"الروض"... وغير ذلك.

[783- سيدي علي بن يوسف المدجن البيطار] (ت: 1014)

ومنهم: الشيخ الصالح الصابر، الذي لا يرفع لغير ربه شكوى، القوال للحق من غير مرايات ولا سمعة ولا دعوى، ذو الحال العجيب، والوصف الغريب؛ أبو الحسن سيدي علي بن يوسف الأندلسي المُدَجَّن؛ المعروف بالبيطار.

كان - رحمه الله - من أهل الله المقربين، والصلحاء الكاملين، قوالا للحق، صلبا في الدين، عظيم الصدق والرضى بالقضاء، والصبر على البلاء، كثير الذكر والعبادة.

صحب الشيخ سيدي أبا عمر المراكشي بمراكش سنين، وانتفع به كثيرا، وبعد موته؛ صحب الشيخ أبا المحاسن ولازمه، مقيما عنده أكثر نهاره، مرافقا له في ذهابه لصلاة الجمعة وغيرها.

توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وألف. قال في "الابتهاج": «ودفن داخل سور روضة شيخه أبي المحاسن، أمام سيدي إبراهيم الصباد». هـ. وقال في "تحفة أهل الصديقية": «دفن بروضة شيخه، مجاورا لرفيقه سيدي حمادي، بينه وبين سيدي إبراهيم الصباد، قدامه». هـ. ترجمه في "الابتهاج" وغيره. وأورده في "الروض" في ترجمة صاحب الترجمة قبله.

[784- سيدي حمادي]
(ت: 1014)

ومنهم: الشيخ الفاضل، الخيِّر المتواضع، المعمر في طاعة الله الخاشع، سيدي حَمَّادي، (بتشديد الميم، وكسر الدال) . من أصحاب الشيخ أبي المحاسن أيضا، وخَدَمَه.

كان - رحمه الله [328] - كثير الفكرة، متواصل الأحزان، خامل الهيئة، وكان يسكن بدار شيخه المذكور؛ لعزته ووفاء عهده. وكان شيخه يقول فيه: « زال من حمادي كل وصف إلا المشية ». وكأنه سبقت له خدمة لأهل الدنيا؛ فنزع منه الشيخ جميع الأوصاف الذميمة، وعسر زوال المشية، كما يؤثر عن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - أنه: « كانت له مشية حسنة؛ فسئل عنها وقيل له: إنها لا تناسب زهدك في زينة الدنيا . فقال: إني ضُربت عليها في كل عضو! ».

توفي - رحمه الله - بعد عصر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وألف، ودفن - كما في "الروض" وغيره - قُدَّام - أي: أمام - رفيقه سيدي علي البيطار. ترجمه في "الابتهاج"، و"الصفوة" . وأشار إليه في "الروض" في ترجمة سيدي محمد الأكحل.

[785- العارف العالم سيدي عبد الله بن عبد الرزاق العثماني]
(ت: 1027)

ومنهم: الشيخ العلامة الفقيه، الصوفي الأنور النزيه، المؤلف المحقق، العارف المدقق؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثماني. نسبة إلى العثامنة؛ بطن من مختار. منهم: ابن غازي.

ولد - تقريبا - في حدود خمسة وأربعين وتسعمائة بالبادية، ثم استوطن فاسا قريبا من الألف، فكان يعلم الصبيان بمكتب سيدي دراس بن إسماعيل بمصمودة من عدوة فاس الأندلس. وكان نساخا؛ نسخ بيده ما ينيف على سبعين مصحفا، وكان حافظا للقرآن فقط، لا يحسن شيئا من العلوم. . .

ثم إنه اتصل بالشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي؛ فصحبه، وذلك في عام خمسة وألف لسبب استوفاه في "ابتهاج القلوب" . وكان يوم صحبه ابن خمسين سنة؛ ففتح عليه حينئذ بفتح عظيم، وتفجر بالدقائق الربانية، والرقائق العرفانية.

وألف كتابا سماه: "سلاح أهل الإيمان، لمحاربة الشيطان، في الصلاة وتلاوة القرآن"، ونظما في بداية السلوك، وشرحه بشرحين جليلين، وله - أيضا - "تنبيه الغافل، إلى مرتبة العاقل".

توفي - رحمه الله - عصر يوم الاثنين خامس ربيع الأول سنة سبع وعشرين وألف، ودفن بروضة شيخه المذكور. ترجمه في "الابتهاج"، و"الصفوة"، و"النشر"... وغيرها. وأورده في "التقاط الدرر" أيضا فيمن توفي في السنة المذكورة. قائلا ما نصه: «والصوفي المنور المفتوح عليه: عبد الله بن عبد الرزاق العثماني؛ مؤلف: "الانتباه في صدق وعبودية العبد إلى مولاه"؛ شرح نظمه المسمى: "بداية السلوك إلى بساط ملك الملوك"، وكان يعلم الصبيان بمكتب سيدي دراس بن إسماعيل من عدوة فاس الأندلس، وكتب ما ينيف على سبعين مصحفا، وفتح له على يد سدي يوسف الفاسي، وبقرب ضريحه مدفنه». هـ.

[786- سيدي الحاج البيطار]
(ت: 1009)

ومنهم: الشيخ الفاضل، الخير الكامل؛ سيدي الحاج [329] البيطار. من أصحاب سيدي يوسف الفاسي أيضا. وكان خديم زاويته.

قال في "تحفة أهل الصديقية": «توفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع النبوي عام تسعة وألف، ودفن بروضة شيخه». هـ.

[787- سيدي عمر الفخار]
(ت: 1013)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الصالح النزيه؛ أبو حفص سيدي عمر الفخار؛ من أصحاب الشيخ أبي المحاسن - أيضا - الآخذين عنه.

توفي سنة ثلاث عشرة وألف، وعمره نحو المائة، ودفن بروضة شيخه. ذكره في "الابتهاج".

[788- سيدي شقرون الفخار]
(ت: 1028)

ومنهم: السيد الأثيل، الولي الصالح الجليل، ذو السيرة المرضية، والأخلاق الحسنة المهدية، والدين المتين، والغيبة والتمكين، والنور الباهر، والرحمة والحنان الظاهر، المحب الصادق، المتوكل على مولاه

الرازق؛ أبو العباس سيدي أحمد - كذا في "المقصد" و"الإلماع"، و"تحفة أهل الصديقية"، و"النشر"، و"الروض". . . وغيرها - وفي "الابتهاج" بخط مؤلفه أنه: أبو عبد الله محمد شقرون؛ به دعي، الفخار الأندلسي الأصل، الفاسي المنشا والفصل.

كان - رحمه الله - من أهل الأحوال الصادقة، والطريقة المستقيمة، وأحد المعتبرين من أصحاب الشيخ أبي المحاسن وأجلائهم. وقد وصفه في "المقصد" بالشيخ الولي المكين العلي، ذي النور اللائح، والجذب الواضح، والمحبة الصادقة، والهمة السابقة، والتوكل على الله، والرضى عن الله، والنهج القويم، والخلق الكريم، المعمر المبرور، الغزير البركة والحكمة والنور. . .ثم قال: «كان - رضي الله عنه - من جلة أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي، ومشاهيرهم، وذوي الأحوال منهم، وممن فتح له على يديه. ثم استخلف بعده أخاه الشيخ أبا محمد عبد الرحمن، وسلب له الإرادة. ولازمه. قال له الشيخ أبو المحاسن يوما: يا ولدي؛ أتصبر لله؟. فقال: نعم؛ يا سيدي. فقال: أتصبر في الله؟. فقال: نعم. فقال: أتصبر عن الله؟. فقال: لا؛ وصاح صيحة. فقال له: هنا صاح قبلك فلان وفلان، وسمى بعض الأكابر» .هـ.

وربما كان يظهر عليه الوجد، ويلوح عليه أثر الفيضان. وغلب عليه الوجد يوما وهو بمولاي إدريس - نفعنا الله به - فصعد الدرج التي بباب الودع وعكازه بيده، ثم توجه للزائرين المجتمعين خارج الباب وقال: «أقول لكم؟». فقالوا له: «تكلم يا سيدي». فقال: «ما: رأينا قط من كان صادقا مع الله وضيعه الله!». قال الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله لما حكى عنه هذا الكلام: «إنما قال ذلك لأنه كان هنالك من هو محتاج إليه».

وجاء يوما دار الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله لزيارة ابنته، فلما خرج من عندها؛ رأى يهوديا مارا بالطريق، فاعتراه حال، فوقف واستند إلى حائط وتعوذ بالله، وغطى وجهه، ثم جعل يقول: «حسبي الله»، ويكررها [330] ويجهر بها، حتى كاد يغشى عليه، ثم سري عنه. وورد عليه وارد آخر؛ فجعل يقول: «الحمد لله»، ويكررها مادا بها صوته، وظهر عليه أثر الوجد والطرب، والفرح بالله عز وجل.

وكان ذا رتبة عليا في الرضى والتوكل والزهد في الدنيا. وله في ذلك حكايات وبركات، ومآثر وآيات.

وكان - رضي الله عنه - أول أمره قد لقي الشيخ الإمام العارف الكامل سيدي عبد الله بن حسين الشريف؛ وفد عليه ووالده بتامصلوحت، وزاره بها، ولما جلس بين يديه؛ نظر إليه الشيخ، فدعا ببطيخ، وكان سيدي شقرون لا يأكله ولا يقدر أن يشم رائحته، ويكرهه كراهة طبيعية لا

يستطيع الانفكاك عنها، فتحير - إذ ذاك - في أمره حيرة عظيمة، مخافة أن يحمله على أكله فلا تمكنه مخالفته، فعندما وضع البطيخ بين يديه؛ أمره بالأكل؛ فانفجر من أنفه دفعة واحدة دم قوي. فقال الشيخ: «ذلك شيطانه انفقس - يعني: انفطر - قلبه وهلك»، ثم أكل منه امتثالا لأمر الشيخ. فمن يومئذ أطلق عليه أكله، ولم تبق معه تلك النفرة الطبيعية البتة.

وكان - رضي الله عنه - شديد المحبة والاتباع للسنة، رفيع الهمة، مائلا عن زخرف الدنيا، عظيم البركة، كثير الكرامات، وكثيرا ما كان الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي يذكره بما يقتضي الثناء عليه في خصوصيته، ويحكي عنه في الطريق حكايات وآدابا حسنة.

وزوج - رضي الله عنه - ابنته - وهي: السيدة عائشة المتقدمة - من الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله معن الأندلس بربع دينار، عن أمر شيخهما؛ وهو: الشيخ سيدي عبد الرحمن الفاسي. ثم بقرب انعقاد النكاح بينهما؛ بينما الشيخ سيدي محمد بمنزله لم يستعد للزفاف، ولا تواعدوا عليه؛ إذا بصاحب الترجمة يدق عليه الباب وابنته معه؛ فمكنه منها وانصرف.

توفي - رحمه الله - في حدود سنة ثمان وعشرين وألف. ولم يكن له عقب إلا من البنات. ودفن بروضة الشيخ أبي المحاسن، عند رأس قبر الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله، وراء حائط قبته. وزاره مرة الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله؛ فاستعظم أمره، وقال: «سبحان الله؛ ما أحن هذا الرجل!». يشير بذلك إلى وصف حاله وما هو الغالب عليه، مخبرا عن كشفه وبصيرته - رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم آمين - ترجمه في "المقصد"، و"الصفوة"، و"الابتهاج"، و"الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"... وغير ذلك.

[789- سيدي محمد بن محمد أكرام]
(ت: 1045)

ومنهم: السيد الفقيه، الأستاذ النبيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد أكرام السوسي؛ من أولاد أكرام السوسيين؛ وهم - على ما ذكره الفقيه [331] سيدي محمد بن محمد البوعقيلي - من ذرية القاضي أبي بكر بن العربي المعافري الأندلسي؛ دفين خارج باب المحروق من فاس، لكن استغرب ذلك صاحب "الصفوة"؛ فذكره بلفظ: "غريبة".

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - بفاس منقطعا للقراءة على أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، ملازما لدرسه إلى أن توفي بفاس عام خمسة وأربعين وألف. قال في "الصفوة": «ودفن بضريح أبي المحاسن». هـ.

[790- العارف الشريف مولاي إدريس ناصح]
(ت: 1189)

ومنهم: الشريف المسن البركة الفاضل، الناسك المتجرد المتقشف الخامل، الخاشع الخاضع، الدال على الله المتواضع؛ أبو العلاء مولاي إدريس ناصح.

كان - رحمه الله - ذا أخلاق كريمة، وأوصاف حسنة مستقيمة، وهمة عالية، ونفس آبية، متجردا متقشفا متنسكا، كثير الذكر، ملازما للخلوة، لا يخرج كثيرا إلا من الجمعة إلى الجمعة، كثير الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان ممن يرجع إليه في كتب القوم، وفهم كلامهم، وحل رموزهم، لا سيما كتب الجيلي والبوني، وله صلاة شهيرة، ونظم ونثر يدلان على طول يده، وعلو همته، وسعة صدره في كلام القوم.

وكان في أول أمره مولعا بالموسيقى وأهلها، ويحبهم ويحب الاجتماع معهم، قوالا؛ وكثيرا في الملحون، وله فيه قصائد معلومة، عند الناس مشهورة، ثم فتح عليه، واشتغل بعلم القوم. وكان من المداحين بالقريحة نظما ونثرا وملحونا، وجل عمره عازبا، حتى توفي كذلك، عفيفا؛ لا يتشوف لما في أيدي الناس، ولا يشكو من قلة الشيء، ولا من كثرته.

وهو شيخ الشيخ الشهير سيدي إدريس بن علال الدباغ - دفين قرافات مصر - في الطريق النقشبندية، وجده من قبل الأم أيضا.

توفي - رحمه الله - عند طلوع فجر يوم الجمعة سادس جمادى الثانية عام تسعة وثمانين ومائة وألف، ودفن بداخل حوش الشيخ أبي المحاسن. ترجمه بعض تلاميذ تلامذته. وكذا صاحب "سلوك الطريق الوارية"، إلا أنه ذكر أنه: توفي عام أربعة وتسعين ومائة وألف. والله أعلم.

[791- الشريف سيدي الطيب بن محمد المنجرة السعدي]
(بوسوارت)
(ت: 1277)

ومنهم: الولي الصالح، ذو الهدي الواضح؛ أبو محمد سيدي الطيب بن محمد؛ المدعو: المنجرة الحسني السعدي. من ذرية السلطان أبي العباس المنصور السعدي؛ وهو: ممن يرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية؛ ولد عبد الله الكامل؛ كما ذكره غير واحد. وليس صاحب الترجمة من أولاد المنجرة الحسنيين الإدريسيين كما قد يتوهم.

كان – رحمه الله – من أهل الأحوال الصادقة، والكرامات الخارقة، كثير الصيام والقيام، والتلاوة والذكر، جيد حفظ القرآن. وكان له بيت بمدرسة العطارين يسكن به، وأخبر بعض مجاوريه [332] من الطلبة أنه: كان يحيي الليل كله بالقرآن، وأن ورده في كل ليلة: سلكة تامة يقوم بها الليل دائما وأبدا. وكان أحمر الخدين كأنهما وردتان، ويلبس في رأسه قلنسوة بلا عمامة، ويرتدي بحائك من الصوف يتركه عليه إلى أن يتسخ جدا، ثم يبدله بغيره ولا يغسله. وكانت له سواريت[1] من حديد يربطها في طرف شملة حائكه، ويجعلها مع الشملة على كتفه، حتى صار يعرف بها، فيقال له: «سيدي الطيب المنجرة بوسوارت».

ومن كراماته: أنه كان متى رآه الناس يكنس قرب القرويين أو بباب الفتوح؛ علموا أن المطر ينزل؛ لما جربوه منه في ذلك.

توفي – رحمه الله – يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى عام سبعة وسبعين ومائتين وألف، ودفن داخل حوش أبي المحاسن. قريبا من سيدي إبراهيم الصياد ومن ذكر معه.

[792– العالم اللغوي الشريف سيدي محمد بن عبد القادر الگلالي الكردودي] (ت: 1268)

ومنهم: الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، المشارك الأحفل، البركة الأمثل، المدرس الأبهر، والهمام الأشهر؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر بن أحمد الگلالي الحسني الإدريسي؛ الشهير بالكَرْدُودي.

كان – رحمه الله – فقيها نحويا، أديبا لغويا، بيانيا محققا، مشاركا مدققا. أخذ عن عدة أشياخ جمعهم في فهرسة له؛ منهم: الشيخ أبو الفتح سيدي محمد التهامي بن حمادي الحمادي المكناسي، والشيخ أبو الحامد سيدي الحاج العربي الدمناتي، والشيخ أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن. وإياه مع الفقيه العلامة سيدي الطالب ابن الحاج أجاز سيدي عبد القادر المذكور بفهرسته المشهورة. وذكر فيها أنه: گلالي حسني إدريسي. وأثنى عليه. وقد ولي – رحمه الله – خطة القضاء مرة بثغر طنجة.

---

[1] سواريت: مفاتيح.

وألف تآليف؛ منها: شرح على "اصطلاح القاموس"، وشرح على خطبة "الألفية" لابن مالك، وتاريخ في الدولة العلوية.

ومن خط بعض تلامذته ما نصه: « توفي شيخنا علامة الزمان، وفريد العصر والأوان، المحقق المدقق، اللغوي الأديب المُفْلق؛ أبو عبد الله سيد محمد الكردودي، عند العصر من يوم الثلاثاء حادي عشر رمضان المعظم عام ثمانية وستين ومائتين وألف، ودفن قرب الولي سيدي يوسف الفاسي، تحت الكرمة التي فوقه. وكان مرضه بالمرض المسمى بالشهدة - أعاذنا الله منه بمحض فضله ». هـ.

[793- المفتي سيدي محمد بن محمد ابن إبراهيم المشنزائي]
(ت: 1241)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العالم العلامة النبيه، مفتي فاس ونواحيها في عصره، وحامل لواء المذهب المالكي على عاتقه في دهره؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن العالم العلامة المحصل المشارك أبي عبد الله سيدي محمد بن مَحمد الخياط بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن محمد ثلاث مرات [333] بن إبراهيم بن أبي عمران موسى الدكالي المشنزائي. من أولاد ابن إبراهيم الدكاليين بفاس. وتقدم أن بيتهم بها: بيت علم وصلاح.

كان - رحمه الله - فقيها علامة، دراكة مفتيا بفاس، عليه المدار في الفتوى بها وما يليها في وقته. وولي القضاء بها بعد عزل القاضي سيدي العباس ابن سودة ثامن ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف، وأخر عنه بعد صلاة الجمعة عاشر جمادى الأولى عام أربعين، وكان عارفا بالفقه والنوازل، بصيرا بها، خبيرا بطرقها.

أخذ عن والده وعن الشيخ أبي الحسن علي زين العابدين العراقي الحسيني - وغيرهما من أهل عصرهما.

وكانت ولادته ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وستين ومائة وألف. وتوفي ليلة الجمعة ثامن - أو عاشر - رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف، ودفن قريبا من ضريح أبي المحاسن المذكور، وبني عليه شاهد كبير.

[794- الإمام العارف المربي الشريف سيدي أحمد بن محمد اليمني]
(ت: 1113)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، الحبر الهمام، المدرس النفاع، الذي حصل له من كل فن باع، العالم العامل، الراسخ الكامل، الصدّيق الشهير، العارف الكبير، الآية العظمى في زمانه، والريحانة الكبرى في أوانه، ذو الآيات الظاهرة، والكرامات الباهرة، والمناقب العديدة، والأوصاف العظيمة الحميدة، القطب الجامع، والنور اللامع؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن الولي الجليل أبي عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الولي الكبير، العارف الشهير؛ أبي العلاء إدريس الشريف الحسني القادري اليمني المالكي.

قومه - رحمه الله - من إقليم اليمن، وأصله هو: من قرية مَعَلّق (بفتحات وتشديد اللام)؛ وهي: قرية بين أريجي وسُنَّر، وهما: مدينتان بالصحراء على طرف النيل، بين صعيد مصر وأرض الحبشة، ولجده بأرضه مزارة كبيرة شهيرة. ولأبيه وأخيه ولاية.

وكانت ولادته هو في حدود الأربعين وألف، وقرأ بقرية مَعَلّق وبما والاها من البلاد، وكان لأهله ملك وإمارة في بلادهم، فلما فتح عليه؛ رفض بها أهله ومالهم من الوجاهة، وساح في الدنيا كما وقع لإبراهيم بن أدهم.

وكان خروجه من بلاده - حسبما أخبر هو - سنة خمس وسبعين وألف بقصد الحج، وطلب العلم، والأخذ من مشايخ الصوفية؛ فطاف في البلاد، وجال في الأقطار، وحج بيت الله الحرام، ودخل بلاد السودان، وأطال فيها التردد، ثم مر على بلاد الصحراء إلى أن وصل بلاد سجلماسة؛ فأقام بها مدة مكرما.

ثم انصرف إلى فاس؛ فدخلها - على ما في "المقصد" وغيره - في الثامن والعشرين [334] من جمادى الأخيرة سنة تسع (بتقديم المثناة) وسبعين (بتقديم السين) وألف. وفي "التقاط الدرر" بخط مؤلفه أنه: «كان دخوله لها: يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الثانية عام أربعة وثمانين وألف». هـ. وما يأتي من أنه: أدرك بفاس الشيخ سيدي قاسما الخصاصي ورآه؛ يرده؛ لأن وفاة سيدي قاسم - كما تقدم - كانت في رمضان سنة ثلاث وثمانين وألف. .والله أعلم.

وبات تلك الليلة بجامع القرويين، ومن الغد نزل بعلية مسجد السراج؛ المعروف بمسجد الأبارين، بجارة قيس، من عدوة فاس القرويين، وهي: العلية التي يشرف منها على الصحن. أنزله بها: القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي من غير أن يطلب ذلك منه. وبقي - رحمه الله - بها نحو السنتين وهو على هيئة الزي البدوي في اللباس، ثم تحول عنه.

ولم يزل على أهبة عظيمة في العبادة، وتشمير كبير فيها، والناس يقصدونه في بعض المهمات، ويتعاهدونه بالزيارة إلى أن تمكنت المعرفة بينه وبين الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي؛ فزوجه بنت الصالح البركة أبي مروان عبد المالك بن محمد الغمري، ونقله إلى المخفية، وأسكنه بها بدار بين داره وزاويته، وذلك في ذي القعدة سنة تسعين وألف. وأجرى عليه ما يقوم به وبسائر ما يحتاج إليه؛ فاشتهر – حينئذ – أمره، وشاع بين الناس ذكره، وتزاحموا على زيارته، وتلمذ له من تلمذ، وصار له أصحاب، وعرفه الولاة ورؤساء الدولة المخزنية، وتقربوا إليه بالهدايا والمواصلات، واستحرموا داره.

وكان – رضي الله عنه – قد لقي عددا كثيرا من المشايخ العظام بالمشرق والمغرب وبلاد السودان، وانتفع بهم نفعا تاما ظاهرا لا يخفى؛ منهم: الشيخ أبو العباس أحمد؛ المدعو: بالصادق – لقبا له – ابن الشيخ أبي محمد أويس بن عبد القادر التاركي (بالقاف المعقودة)، اللمتوني نسبا، المالكي مذهبا، السُهْرَوَرْدي طريقة. الذي كان قاطنا بمدينة آدكر من طرف بلاد السودان، والشيخ أبو النجدة فارس السناسن(بالنون بعد السين الأولى والثانية)، الحنفي المذهب. والسناسن: اسم طعام لهم كان هذا الشيخ يطعمه الواردين عليه ولا يطعمهم غيره؛ فأضيف إليه. وهو القائل: «إن طرق الصوفية الموجودة في هذا الزمان محصورة في أربع لا خامس لها، كالمذاهب الأربعة؛ وهي: الغزالية، والقادرية، والرفاعية، والشاذلية»، ومنه تعلم صاحب الترجمة اسم الله العظيم الأعظم.

والشيخ العالم العارف المتمكن: سيدي دفع الله بن الشيخ سيدي محمد الغزالي الهوازني النسب، المالكي المذهب؛ وهو: عمدته، وعلى يده فتح له، وإليه ينتسب [335]. وهو: من مدينة أربجي، وأخذه عن والده الشيخ محمد عن عمه الشيخ عبد الله عن الشيخ حبيب الله العجمي بالسند المتصل إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني. فطريقته قادرية.

والشيخ العالم العارف، المجذوب الشهير، صاحب وقته، وأعجوبة دهره؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن عبد الجليل بن عمر البرناوي الحميري. القاطن ببرنو من بلاد السودان، وكثيرا ما كان صاحب الترجمة يذكره ويحدث عن جلالة قدره وعظم أمره، وخرج لزيارته من فاس بعد صلاة العشاء من ليلة الإثنين سابع أو ثامن عشر شعبان سنة اثنين وتسعين وألف؛ فوجده قد مات، ثم رحل لفاس أواسط ربيع الأول سنة أربع وتسعين وألف.

وكان قد أدرك بها الشيخ سيدي قاسما الخصاصي، ورآه؛ إلا أنه لا يُحفظ له أخذ عنه. بل مقتضى عموم قوله فيما نقل عنه: «لا منة لأحد من صالحي المغرب علي إلا الشيخ ابن عباد – رضي الله عنه – فإنه قضى لي حاجة». أنه: لم يأخذ عنه ولا عن غيره من أهل المغرب.

وكانت له – رضي الله عنه – مواخاة عظيمة في الله مع الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي. ويقال: إن سيدي أحمد هذا أخذ عنه؛ لأنه كان يعظمه غاية التعظيم، ويجلس بين يديه كجلوس المتعلم بين يدي المعلم، خاضعا متأدبا، ويوده المودة العظيمة، ويؤثره على نفسه، ولا يواكله، ولا يرفع الصوت بحضرته. قال في "التقاط الدرر": «ولم نسمع بعد الصحابة والتابعين من تحابا في الله مثلهما». هـ.

وكان – رضي الله عنه – على ما منحه الله من العلوم اللدنية والإشارات الوهبية يتعاطى قراءة العلوم، ويعتني بدقائق الفهوم، وكانت له دراية حسنة في علم الفقه، يخالط خليلا وتوضيحه، و"المدونة". ودرّس العلم بالمخفية، وأخذ عنه بها الفقيه العالم سيدي إدريس بن علال القادري الحسني، وشقيقه سيدي مَحمد (بالفتح)، والفقيه العالم المؤرخ سيدي محمد العربي بن الطيب القادري، وشقيقه العلامة المشارك المؤلف لعدة كتب سيدي عبد السلام بن الطيب القادري؛ قرأ عليه جميعهم مختصر خليل من أول النكاح إلى الإجارة.

وكان من المتجردين عن الأسباب، الواقفين بالباب، ممن أوتي في التوكل قوة، وصار فيه علما وقدوة، وقد صرح مرارا بأن أمرين كفيهما لا يهمانه أبدا؛ وهما: هم الرزق وخوف الخلق.

وكان – رضي الله عنه – من جلة الزمان، وأكابر الأعيان، عارفا كاملا، متمكنا واصلا، ذاكرا عابدا، متنسكا زاهدا، له الكرامات الكثيرة، والأفاعيل الكبيرة، والتصريف العام، والكشف القوي التام، وكراماته أشهر من أن تذكر [336]، وأوضح من أن تشهر.

منها: أنه كان إذا تنكر لأحد؛ ظهرت عليه أمارات الخسران مكانه. وإذا أضر به أحد؛ أهلكه الله لحينه، وكان يقول: «إني إذا آذاني أحد ففاضت عيناي؛ أهلكه الله لا محالة». ولما سمع بهذا الكلام سيدي أحمد ابن عبد الله قال: «وأنا إذا آذاني أحد وضحكت؛ أخذه الله».

وقد شهد له الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله المذكور – رضي الله عنه – بالخصوصية الكاملة، والبصيرة التامة. وكان العالم الصوفي سيدي المهدي الفاسي إذا كتب اسمه؛ يعبر عنه بالعارف الكامل الراسخ. وأخبر هو عن نفسه بما يؤذن بعظيم المعرفة وحال الجذب.

وزهده وورعه، وكمال اتباعه للسنة المحمدية، وكرم أخلاقه؛ أدل دليل على ذلك. وقد تقدم لنا أن بعض أكابر أولياء طرابلس أثنى عليه وشهد له بالخصوصية الكبرى، وذكر مقامه الخاص به، وقال: «إن مقامه عيسوي؛ حكيم؛ يضع الأشياء مواضعها»، ثم قال فيه وفي سيدي أحمد ابن عبد الله: «إنه ليس في المغرب مثلهما». وفي رسائل العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وصفه بقطب الدائرة، وفي فهرسة تلميذه أبي العباس ابن عجيبة وصفه بالقطب الجامع. وكذا وصفه صاحب "جواهر المعاني" بالقطبانية.

بل أشار هو يوما لبعض أصحابه إلى أنه: كشف له عن جميع ما يقع في الوجود. قال أبو العباس الولالي: «وهذا حال القطب المحمدي». وذكر في "الإلماع" و"المقصد" وغيرهما أنه: كان يلقى الخضر عليه السلام، ويعرف اسم الله الأعظم. قال في "المقصد": «وهو قادري الطريقة؛ كما صرح به مرارا، شريف النسب، أصيل الحسب، له سلف في الخصوصية، إلا أنه لا يشيع نسبه، بل لا يذكره، وصرح لبعض الأصحاب أنه ترك ذلك لله. قال: وقد وصفه بالشرف والولاية والعرفان: الشيخ الولي الكبير، المجذوب الشهير؛ أبو حفص عمر بن الشيخ عبد الله البرناوي..»، ثم ذكر في "المقصد" نصه من كتاب أرسله إليه، ثم قال: «بيته بيت ولاية وصلاح، ويذكر أنه: من ذرية سيدنا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به». هـ.

ومن صرح بأنه شريف النسب: العلامة الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد المهدي الفاسي في "الإلماع"، والعلامة الدراكة أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري في غير ما كتاب من كتبه. قال في "الزهر الباسم": «ووصفُ ولد شيخه إياه بالشرف معتبر؛ لأنه أعرف به، وتصريح الشيخ اليمني أنه: ترك نسبه لله؛ هو: عين الانتساب». هـ.

ومن صرح بذلك أيضا: الشيخ العلامة المحقق؛ أبو العباس أحمد بن يعقوب الولـالي في "مباحث الأنوار"، ونصه: «أصله – رضي الله تعالى عنه – من اليمن، ومن [337] شرفاء الينبوع، وقومه صحح غير واحد أنهم من ذرية ولي الله الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني». هـ. وقال بعضهم: «صحح غير واحد من الأئمة العظام أن قومه من أعيان الأشراف باليمن؛ من نسل الإمام موسى الجون بن عبد الله الكامل، من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، من ولده داود». هـ. ولما ذكره العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي في رسائله؛ قال فيها ما نصه: «وهو شريف قادري». والله أعلم.

وقد ترجمه صاحب "الصفوة"؛ فقال ما نصه: «ومنهم: الشيخ الصالح، الخاشع العارف بالله؛ أبو العباس أحمد بن محمد اليمني، ولد – رحمه الله – باليمن، ولقي عدة من المشايخ، ثم تجول في الآفاق لزيارة الأولياء؛ فلقي ببلاد "برنو" من السودان الشيخ الإمام العالم الرباني أبا محمد عبد الله البرناوي؛ فتلمذ له، وانتفع بصحبته. ثم إنه قصد المغرب؛ فاستقر بفاس، وجاور بمسجد الأبارين منها، ولم يزل على أهبة وتشمير في العبادة، والناس يتعاهدونه بالزيارة، إلى أن استحكم وده مع الشيخ الصالح أبي العباس أحمد بن محمد ابن عبد الله معن الأندلسي، وصحت الأخوة في الله بينهما، فنقله إلى زاويته بالمخفية، وزوجه، وأجرى عليه ما يقوم به من سائر ضرورياته، فشاع صيت صاحب الترجمة، وتزاحم الناس على زيارته، وكثر غاشيته..».

«وكان أبو العباس يجله كثيرا، بحيث يبقى بين يديه كالمتعلم بين يدي معلمه، ولا يواكله، ولا يرفع الصوت بحضرته، وخاض الناس في ذلك؛ فمن قائل: إنه تلمذ له وصار له شيخا . ومن قائل: إنه عقد معه عقدة الأخوة في الله؛ فكان معه على قدم أهل المحبة في الله. ومع هذا؛ فإن صاحب الترجمة لما توفي وحمل فوق النعش؛ قال أبو العباس: والله ما قمنا بحقه، ولا عرفنا حق ما كان عليه! . أو كلاما هذا معناه».

«وكان صاحب الترجمة من أهل الرسوخ في المعرفة، ومن أهل الأحوال الربانية. نفع الله به خلقا كثيرا، وظهرت له كرامات. توفي - رحمه الله - في شعبان عام أربعة عشر ومائة وألف. ودفن خارج باب الفتوح، وقبره شهير هنالك». هـ.

ومن خط الفقيه العالم، البركة الثقة؛ أبي العلاء مولانا إدريس بن علال القادري بواسطة ما نصه: «الحمد لله؛ توفي شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا: الشيخ الإمام، العالم الهمام، العارف بالله، والدال على الله، والناصح لعباد الله، الشيخ الكبير، الولي الشهير، الجامع بين شرف التسبين؛ أبو العباس سيدي أحمد اليمني. قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس، مهل رجب عام ثلاثة عشر ومائة وألف، ودفن - رضي الله عنه - صبيحته؛ فحضر جنازته خلق كبير لا يحصى عددهم، من أهل فاس [338]، رجالا ونساء، وشبانا وقوادا، فلما أرادوا الصلاة على جنازته؛ افتتن الناس. فلما رأى ذلك حاكم البلد؛ بعث خدامه لتفرقتهم عنه، وصلوا عليه، وكسروا نعشه، ومزقوا حصيرته، ودفن بمطرح الأجلة، في الموضع المعروف بالجنان، خارج باب الفتوح، رحمه الله ورضي عنه، ونفعنا به. . .آمين». هـ. وهذا الذي ذكره في وفاته هو الصواب الذي ذكره غير واحد، ووجدته منقولا أيضا من خط المسناوي، خلاف ما تقدم عن "الصفوة".

وبنيت عليه - رضي الله عنه - قبة حسنة، توئق في بنائها، بناها عليه سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، وهي مشهورة معروفة، وقبره بها مزار معظم إلى الآن وحتى الآن. نفعنا الله به. وممن ترجمه: أبو العباس الولالي في "مباحث الأنوار"؛ أورده فيمن لقي من الأخيار، وكذا صاحب "المقصد"، و"الإلماع"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم". . .وغيرهم. ولم يذكره في "الروض"؛ لتأخر وفاته عنه وإن كان معاصرا له. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

ومعدن الأسرار والعرفان	شمس المعالي أحمد اليماني
كان إماما فاضلا نبيها	معظما مبجلا وجيها
محيي الطريقة إمام قومها	مجددا لما عفا من رسمها

[795- الإمام سيدي أبو بكر بن محمد الدلائي]
(ت: 1149)

ومنهم: ضجيعه الشيخ الإمام الكبير، العالم المشارك الشهير، العارف بالله، الدال بحاله ومقاله على الله، الولي الصالح، القطب[1] الواضح، علم الأعلام، وملجأ الأنام، المرجوع إليه في المعضلات، والمقصود في الأمور الدينية والدنيوية وحل المشكلات؛ أبو الجمال سيدي أبو بكر ابن العالم الكبير، القدوة الشهير؛ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي محمد – المدعو: الخديم ابن شيخ المشايخ سيدي أبي بكر الدلائي.

كان – رحمه الله – من الأئمة المهتدين، والأولياء المجتهدين، في العبادة والدين، والأشياخ العارفين الكاملين، والعلماء العاملين، سفارا جوالا، بقصد زيارة الأولياء ولقاء المشايخ، وله عجائب في العقل والدهاء والفراسة، وكان دؤوبا على الذكر والعبادة وسماع العلم، وتلاوة القرآن، ومطالعة كتب التصوف.

أخذ العلم عن جماعة من العلماء؛ منهم: الفقيه المشارك سيدي العباس بن عبد القادر ابن يحيى الفاسي؛ المتوفى سنة أربع وعشرين ومائة وألف. كان يقرأ عليه مختصر خليل بمدرسة الوادي، ولقي كثيرا من المشايخ وانتفع بهم، وتربى بالأحمدين: بسيدي أحمد اليمني أولا؛ وكانت له فيه محبة شديدة [339]، وتزوج ابنته السيدة حليمة بإشارة منه، وكان يرضيها أشد الإرضاء؛ لمكانة والدها.

وبعده بسيدي أحمد ابن عبد الله؛ وكان سيدي أحمد هذا يستشيره في الأمور المهمة، وصاحبه في خروجه إلى المشرق بقصد الحج إلى أن حج، ولما وصلوا المدينة؛ انفصل عنه سيدي أحمد ابن عبد الله راجعا إلى المغرب، وجاور هو بها، ثم جال في البلاد المشرقية، ورجع إلى المغرب بعد ثلاث سنين بخير كثير، وفضل غزير، وكان من خاصة أصحاب سيدي أحمد ابن عبد الله، وممن له التصرف في زاويته بالقيام بمصالحها ونصح أهلها، في حياته وبعد مماته، وكان عنده بمنزلة سيدي أحمد اليمني.

وكان له جاه عند ولاة الوقت؛ من السلطان فمن دونه، وله معرفة بسياستهم، وظهرت له الكرامات العظيمة، والمناقب الفخيمة.

منها: إحياؤه لرجل قد مات قبل دفنه. وبقي بعد إحيائه سبع عشرة سنة. وولد له أولاد، وقد ذكر قضية إحيائه له في "البدور الضاوية". فانظرها فيه إن شئت.

---

[1]. كذا في "البدور الضاوية" تحليته بالقطب. مؤلف.

توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الأولى عام تسعة وأربعين ومائة وألف عن أربع وتسعين سنة، ودفن بعد صلاة الجمعة بجوار شيخه اليمني، ملاصقا لظهره، داخل قبته، وجعل عليه دربوز مثل دربوزه، ولم يترك عقبا . وكانت له جنازة حافلة، حضرها كافة أهل المدينة، جلهم محزمون بالعدة من المدافع وغيرها؛ لأجل الخوف الذي كان بالوقت.

قال في "النشر" في بعض نسخه: «وسمعت والدي الطيب بن عبد السلام القادري الحسني يقول: إن صاحب الترجمة هو وارث حال سيدي أحمد ابن عبد الله معن» .هـ. ترجمه فيه، وفي "التقاط الدرر"، وفي "شرح درة التيجان"، وفي "البدور الضاوية". وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية" بعد ذكر والده سيدي محمد؛ فقال:

ولمحمد: أبو بكر الرضى	ضجيع سيدي اليماني المرتضى
كان وليا عالما مجابا	لما دعاه ربه أجابا
آياته كالبدر حين يظهر	على لسان العصر قطعا تذكر
ولم يزل بدرا منيرا يبهر	حتى غدا في الحي عنه يخبر
في عام تسعة وأربعينا	ومائة وعشرة مئينا

[796- العلامة الفقيه سيدي محمد الكبير بن محمد السرغيني]
(ت: 1164)

ومنهم: الفقيه الإمام، العلامة الهمام، الزاهد الورع الصوام القوام، الذاكر المسبح الساجد الراكع في تفرغ أوقاته على الدوام، المدرس المحصل النفاع، المنور التلامذة والأتباع، ذو الخشية والمراقبة، والدؤوب على الطاعة والمواظبة [340]، إمام مسجد الشرفاء بفاس وخطيبه؛ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد المدعو: الكبير بن محمد السرغيني العنبري.

كان - رحمه الله - أحد أعلام الزمان، المشهورين بالعلم والتحصيل والإتقان، والزهد والورع والولاية والعرفان، ذا هيبة ووقار، وسكينة وتودة ومقدار، وسمت بهي، وخلق سني، متين الدين، قوي الورع واليقين، مؤثرا الآخرة، أوقاته بما يعنيه عامرة، وكان من أهل المجاهدة في العلم والدين، والمحافظة على اتباع السنة وطريق المجتهدين، لا تراه إلا ذاكرا أو مصليا، أو مدرسا، أو مفردا خاليا.

مجلسه مجلس وعظ وتذكير، وإنذار وتبشير، وحفظ وتحقيق، وفهم وتدقيق، ولا يرضى لمتعاطي العلم خطة القضاء ولا الشهادة، ولا ما في معناهما من الرياسات المعتادة، ويقرر أن العدل مستحيل عادة في الخطط في هذه الأزمنة، ويقول: «وددت لو غسلت يدي على طالب العلم إذا تولى

خطة الشهادة أو خطة المخزن !)). يعني: موته أحسن من ذلك، ويقول أيضا: ((إن تولي الخطط في هذه الأزمنة هو بمجرده جرحة في دين متوليه !))، ولا يقبل عذرا في ذلك.

ويحض على تجنب الظلمة وأهل الدنيا، ويعيب على الطالب متابعتهم والميل إليهم، ويبالغ في التحذير من ذلك. ويقول: ((إنهم يصيبونك في أعز ما عندك – وهو: دينك – بأهون ما عندهم – وهو: دنياهم!)). ويقرر أنهم لا يهادون أحدا لدينه ولا لعلمه؛ وإنما يهادون لأغراضهم، ولا نجاة منهم إلا بحسم مادة الطمع.

ويذكر قول الشيخ زروق في التحذير من أهل الدنيا: ((إنهم لا يريدونك إلا لتكميل دنياهم، وإنهم إن فعلوا مع أحد معروفا؛ لا يريدون به إلا حوائجهم، وإن من تجنبهم نجا، ولا يدخل عليه ضرر بمجانبتهم، وضرر مخالطتهم أعظم من ضرر عقوبتهم في المجانبة)).

وكان يحض على الحلال، ويحذر من الوسوسة فيه، ويعيب قول من قال: ((إنه انقطع))، ويستدل على بقائه بحديث: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة)). ويقرر أن أسواق المسلمين محمولة على الحلال إلا بقرينة تؤذن بشبهة أو تحريم. فإذا ظهرت؛ عمل عليها، ويكتفي بهذا القدر تحرزا من الوسوسة المفضية للتضييق.

ويحض – أيضا – على قيام الليل واتباع السنة، وسيرة السلف، وينكر البدع، ويقول: ((من أظهر بدعة أخمد سُنة، وما شاعت بدعة إلا شاع شؤمها في الخلائق))، ويتعرض في مجلس درسه لما ظهر منها في الوقت، وينكر ذلك بلسانه جهرا. من ذلك: ما حَدَث من الدفن بجامع الأشياخ الذي قرب جرواوة من عدوة فاس الأندلس، وما حدث من الدفن بجامع الأشراف الذي هو محل ضريح [341] مولانا إدريس – رضي الله عنه – فكان يصرح بإنكار ذلك، ويُشهد الحاضرين أنه صرح بتحريمه وتبرأ منه.

وضرب الطبالون بصحن جامع الشرفاء مرة – وهو في مجلس درسه – فرحا بشيء مما أتي به لتزيين الجامع المذكور؛ فتغير لونه وقال: ((لعن الله الشيطان؛ فقد جاء بخيله ورَجله !))، وكان يوما على المنبر في خطبة الجمعة؛ فدخل بعض الأدارسة يتخطى رقاب الناس؛ فقطع الخطبة وجعل يقول: ((التخطي حرام!)). ويكررها. وخرج يوما من المسجد بعد فراغه من التدريس؛ فصادف سابع المولد بالمكتب الذي هناك، والمصابيح موقدة نهارا، والناس يزدحمون ليسمعوا المواليد من الولدان بأصوات حسان. فوقف عند ذلك وجعل يقول: ((هذا الفعل حرام!)). ويكررها بأعلى صوته، وبقي واقفا حتى تفرق الناس، وطفئت المصابيح.

وكانت له محبة قوية في آل البيت، ويحب لهم الخير كثيرا، ويتمنى لهم العلم والدين، ويقول: «هم أولى الناس بذلك». ولا يفتي إلا في نوازل الصلاة والصيام ونحوهما، فإذا سئل عما يتعلق بالنكاح والطلاق والبيع ونحو ذلك؛ امتنع من الجواب أصلا. وربما ظهرت الكراهية في وجهه، أو نطق بتعوذ ونحوه. ويرى أن في الوقت من يقوم بذلك سواه؛ فلا يتقلد عُهْدَتَه وبلواه.

وكانت له معرفة حسنة بأحوال الرجال ومراتب المحدثين وطبقاتهم، ممارسا للصحيحين و"الموطأ"، و"الشفا"، و"الشمائل"، ويعتمد في مطالعته للبخاري: شرح الحافظ ابن حجر.

وكان كثير الاعتناء بتدريس مختصر خليل و"الرسالة"، و"المرشد المعين"، وصغرى السنوسي، ويحفظ شرحها لمصنفها بلفظ، ودرس "جمع الجوامع" لابن السبكي، ويحفظ كثيرا من شواهد العربية، وله فيها عارضة كبيرة، ويعتني بكتب التصوف؛ "كالحكم"، و"القوت"، و"الإحياء"، وكتب الشيخ زروق. . .إلى غير ذلك.

وكان دخوله لفاس بقصد القراءة: حدود عام عشرة ومائة وألف، وانتفع بالوليين سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، وسيدي أحمد اليمني. وولي خطبة جامع الحمراء بفاس العليا، وسكن بها مدة، ثم ارتحل إلى فاس الإدريسية، وولي خطابة جامع الشرفاء بها، ودرس مختصر خليل مرارا، وتفسير القرآن العظيم.

أخذ العلم عن جماعة؛ منهم: مالك زمانه سيدي الحسن ابن رحال المَعْدَاني التادلي؛ وهو عمدته في الفقه، وتربى بالولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمن الصومعي التادلي، وأخيه سيدي العافية.

وقيد تقاييد نفيسة على المواق والحطاب، واختصر صحيح مسلم، وله تأليف في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾. [الحديد: 4]. وتآليف أخر غير ذلك [342].

وترجمته واسعة جدا؛ ذكر طرفا منها في "النشر"، وقال في "التقاط الدرر": «لو أفرد جزء في محاسنه؛ لكان حقيقا». هـ.

توفي – رحمه الله – زوال يوم الجمعة، أو قبله بقليل، خامس – أو رابع – جمادى الثانية عام أربعة وستين ومائة وألف، وحضر جنازته جم غفير، بل لا يعلم من تخلف عنها من أهل فاسين. ودفن بعد صلاة العصر من يومه بأصل الجدار الغربي الشمالي، داخل قبة سيدي أحمد اليمني، وراء ظهر سيدي أبي بكر الدلائي، وصلى عليه إماما: سيدي أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي،

ووقف في تدريس التفسير على قوله تعالى: ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾. [الأنعام : 54]، وفي سرد "الدر المنثور"[1] على قوله تعالى: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾.[النساء : 11].

وكان قد جُعل على قبره دربوز صغير؛ فأزيل لهذا العهد. وأخبر بعض الثقاة ممن كان يلازم مجلسه – وهو: الفقيه سيدي عبد الوهاب بن محمد الدرعاوي – أنه: رآه بعد موته في النوم؛ فقال له: « ما فعل الله بك يا سيدي؟ »، فقال له: « غفر لي ورحمني، وأدخلني الجنة أنا ومن اجتمع علي! ». وقد ترجمه – أيضا – في "الزهر الباسم"، وفي "سلوك الطريق الوارية"، وأبو العباس ابن عجيبة في طبقاته.

[797– سيدي محمد بن منصور التواتي]

(ت: القرن الثاني عشر)

ومنهم: الولي الصالح، الخادم الناصح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور التواتي. قال في "التقاط الدرر": « أخذ عن سيدي أحمد اليمني، وخدمه مدة. قال: وقبره هو الملاصق لجدار روضة سيدي أحمد اليمني القبلي، خارجها ». انتهى.

أورده في خاتمة من لم يقف له على وفاة وهو من أهل القرن الثاني عشر، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس بعد ذكر شيخه المذكور قائلا:

بقربه خادمه ابن منصور   وقبره بدا هناك مشهور

[798– العلامة المقرئ الشريف سيدي إدريس بن عبد الله البكراوي]

(ت: 1257، أو 1258)

ومنهم: الشريف الجليل، العالم العلامة الأصيل، الأستاذ المشارك الأحفل، البركة النحرير الأفضل، إمام المقرئين، وخاتمة المحققين؛ أبو العلاء مولانا إدريس بن عبد الله بن عبد القادر بن أحمد بن عيسى الحسني الإدريسي الودغيري، الملقب بالبكراوي. وجد بخطه – رحمه الله – رفع نسبه إلى

---

[1]. "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للحافظ السيوطي. طبع غير مرة.

الإمام إدريس من طريق الولي الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن يعلى بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إدريس - رضي الله عنهم.

كان - رحمه الله - حامل راية القراء في وقته؛ إليه المرجع في علوم القراءات كلها، عارفا بالتجويد، لا يضاهيه فيه أحد في وقته، حسن الصوت كثير التلاوة، متفننا في علوم شتى؛ من فقه ولغة ونحو وغير ذلك. وكان زاهدا متقشفا، محبا لأهل الدين والصلاح، كثير الذكر.

أخذ علم القراءات عن الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي عن [343] سيدي عبد الرحمن المنجرة عن والده سيدي إدريس. وأخذ غيره من العلوم عن الشيخ سيدي الطيب ابن كيران، وسيدي حمدون ابن الحاج. . . وغيرهما.

وألف تآليف في علم القراءات وغيره؛ منها: حاشية على الجعبري، وشرح دالية الفقيه العلامة سيدي محمد بن مبارك السجلماسي الفاسي في تخفيف الهمز كحمزة وهشام، و"التوضيح والبيان، في مقرئ نافع المدني ابن عبد الرحمن"، وخطب وعظية، ورجز في الفرائض، وطرر على فرائض خليل، وجدول في المقاصة. . .إلى غير ذلك. وأخبرني ولده شيخنا الفقيه العلامة البركة أبو محمد سيدي عبد الله أن تآليفه تبلغ ثمانية عشر تأليفا.

وكان - رحمه الله - خطيبا فصيحا بليغا؛ خطب أولا بالسلطان مولانا سليمان بفاس العليا، ثم بمسجد الرصيف، ثم بمسجد القرويين في أول خلافة مولانا عبد الرحمن، ثم تأخر عن ذلك في رجب عام سبعة وأربعين ومائتين وألف. وكان - رضي الله عنه - من أهل الولاية والصلاح، والخير والبركة والنجاح.

وقد أورده السيد الصالح الملامتي أبو عبد الله سيدي محمد بن القاسم القندوسي في كتابه الذي سماه "التاسيس"، ووصفه فيه بما يدل على أنه: الفرد المحمدي في وقته. وذلك أنه بعد ما ذكر أن جد الحسب هو: النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الناس في ذلك مراتب؛ منهم: من بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم جد واحد في الحسب، ومنهم: من بينه وبينه جدان. ومنهم: ثلاثة. ومنهم: عشرة. ومنهم: عشرون. ومنهم: ثلاثون. ومنهم: أربعون. وهو نهاية الأجداد للمتأخرين إلى قيام الساعة. قال ما نصه: «وقد رأينا من له أب واحد بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو بعصرنا هذا بقيد الحياة بعام أربع وخمسين ومائتين وألف؛ وهو: الإمام الأعظم، العالم الورع، الزاهد المحقق، الشريف النسبي والحسبي، شيخ القراء: مولاي إدريس البكراوي الإدريسي، قاطن فاس بدرب بوحاج - نفعني الله ببركته - آمين؛ فقد أطلعني الله على حسبه؛ ما بينه وبين سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سوى أب واحد؛ فإني رأيت تلك الواسطة نورا خارجا من ذات الشفيع،

ممدودا في تلك الذات ومن تلك الذات لذات السيد المذكور رضي الله عنه، وقد رأينا لهذا السيد كرائم لا تثبت لسماعها العقول القاصرات، وقد يظهر منها في آخر عمره ما يراه الخاص والعام، فمن كان بقيد حياته يرى ذلك بحول الله وقوته، وقد قيدنا هذا بأوائل صفر الخير عام أربعة وخمسين ومائتين وألف، وما حملني على ترك كرائمه هنا ورقمها إلا الحياء من الله؛ حيث رأيت أن الله أخمله إلى أن يريد [344] ظهوره؛ فلم أطق التعدي لرسم أسراره هنا؛ ففي ذلك سوء أدب. . .)) .هـ.

ثم قال بعد كلام: ((وأرفع الناس منزلة، وأعلاهم قدرا؛ من له أب واحد بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يكون هذا إلا لمن حصل له القدم المحمدي بوقته، وهذا لا يتعدد في الأعصار؛ فصاحبه فرد وقته)) .

وقد توفي — رحمه الله ورضي عنه — بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء سادس عشر المحرم فاتح سنة سبع – أو ثمان – وخمسين ومائتين وألف، ودفن قريبا من قبة سيدي أحمد اليمني، قبلة منها، مع صاحبه الحاج الطالب ابن جلون، وقبراهما معا مزدجان، وعليهما بناء خفيف للتمييز. وقد خُتم به فن القراءات؛ فلم يوجد بعده بفاس من يقوم فيه قيامه.

[799 – العالم المشارك الشريف سيدي محمد بن محمد الطيب شَقُّور العلمي]

(ت: 1194)

ومنهم: الفقيه النبيه، العالم المشارك النزيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله سيدي محمد الطيب شقور الحسني العلمي الموسوي.

قدم — رحمه الله — إلى فاس سنة أربع وستين ومائة وألف، واستوطنها، وأخذ عن جمع من الأعلام بها، وكان عالما مشاركا. أجازه: الشيخ أبو عبد الله محمد جسُّوس، وأبو العباس الهلالي. وبالغا في الثناء عليه.

توفي — رحمه الله — سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن بهذا الخارج أسفل قبة سيدي أحمد اليمني، قريبا منها.

[800 – النسابة الشريف سيدي أحمد بن محمد شقور العلمي]

(ت: 1234)

ومنهم: ولده الأديب، النسابة الأريب، الناظم الناثر؛ أبو العباس سيدي أحمد شقور العلمي.

كان - رحمه الله - فقيها أديبا، بارعا خيرا دينا فاضلا، أخذ عن قريبه أبي الربيع سليمان الحوات، والشيخ أبي الفيض حمدون ابن الحاج علوم العربية، واعتمد في الفقه: قاضي الجماعة أبا العباس أحمد ابن سودة.

وتوفي ضحوة يوم الخميس تاسع عشر رجب الفرد الحرام عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن مع والده. ترجمه - كوالده قبله - في "الإشراف"، إلا أنه لم يعين فيه محل دفنهما.

[801- المؤرخ النسابة الشريف سيدي العربي بن الطيب القادري]
(ت: 1106)

ومنهم: الفقيه العلامة المشارك المتفنن، المؤرخ النسابة الدراكة المتقن، الصالح البركة الأشهر، الشريف الصوفي الأنور؛ أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن الطيب بن محمد الحسني القادري.

كان - رحمه الله - من أهل التحصيل والإتقان والتحقيق، وممن خصته العناية بالتوفيق، علامة متفننا مشاركا، ثاقب الذهن، بصيرا بغوامض المدارك، خيرا مرضيا، تقيا زكيا، ذا حال سني، وقدر في الدين علي، قوالا للحق، معرضا عن الخلق، زاهدا ورعا عابدا، ملازما للجماعة والذكر في الخلوة والإقبال على الله، ضابطا لعلم التاريخ والأنساب، عارفا بالنحو والحديث، والفقه والبيان [345] والمنطق، والكلام والأصول والتصوف... وغير ذلك.

أخذ العلم عن جماعة من الفقهاء: وعمدته منهم اثنان: أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي، وأبو علي اليوسي. ثم صحب سيدي أحمد ابن عبد الله، ولازمه وانضاف إليه، وانجمع عليه، لا يشتغل بسواه، ولا يلتفت لمن عداه. ورافقه في الرحلة للحجاز، وشهد معه المشاهد بالحرمين ومزارات كثيرة؛ فشملته بركاته، وعمته نفحاته، وانتفع به كثيرا، ونال خيرا غزيرا، وحالا شريفا، ومنصبا منيفا، ولقي - أيضا - سيدي قاسما الخصاصي، وسيدي أحمد اليمني. وتبرك بهما.

وفي "الإبريز" نقلا عن سيدي عبد القادر حماوش - من أصحاب سيدي أحمد ابن عبد الله - قال: «كان سيدي العربي القادري ممن أدرك شيئا من طريق القوم، ولاحت عليه شواهد أنوارها». هـ. وذكر في "الزهر الباسم" أنه: كان تعتريه أحوال. قال: «وصاح مرة؛ فسمعه سيدنا أحمد ابن عبد الله ولم يره؛ فقال: هذه صيحة هاشمية!. وسمعت من بعض الأقارب أنه: كان يخرق ثيابه حين يُغلب بالحال. وربما يأتي بعض الأصحاب لداره يطلب له لباسا آخر من داره، ويأتيهم بالثياب المخرقة. وسمعت من أمي - رحمها الله - وكانت ابنته: أنها رأت شيئا من تلك الثياب المخرقة محفوظا عند أمها بقصد التبرك، وأنها شمت منها رائحة طيبة جدا لا تشبه المعتاد من الطيب». هـ.

وله – رحمه الله – تآليف؛ منها: "الطرفة في اختصار التحفة". أي: "تحفة أهل الصديقية". وتأليف صغير في أولاد سيدنا عبد القادر الجيلاني. وتقاييد كثيرة، وكناش جمع فيه غرائب العلم وشوارده؛ أعجب به الناس وكتبوا منه عدة نسخ.

ومن تآليفه: "الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس" المنسوب لابن عيشون؛ وذلك أن ابن عيشون طلب منه وضع تأليف مختصر في التعريف بصالحي فاس وأخبارهم. قال صاحب الترجمة في كناشه المذكور: «فأسعفته. ثم استأجرني على كتبه؛ فجعلت أنشئه في كراريس من القالب الرباعي، وكلما أعطيته كراسة ناولني أجرة كتبها حتى أتممته، وأعطيته بضعا وثلاثين كراسة بخطي، وذلك في نحو نصف شهر، ليس فيها تخليط ولا تشطيب، ولا تقديم ولا تأخير، كأنها كتبت من أصل واحد، وعدد من عرفت به فيه: ثمانون وليا إلا واحدا. أولهم: سيدي دراس بن إسماعيل، وآخرهم: سيدي مجبر. ولم يبق عندي من التأليف المذكور شيء».

« ثم عرض لي بعد ذلك بالقرب خروج إلى الحج؛ وذلك سنة مائة وألف؛ فخرجت وبقيت غائبا سبعة عشر شهرا وأياما، ثم قدمت؛ فعرض لي أمر عظيم ألزمني الفراش مدة من أربع سنين [346] شغلت فيه بنفسي، ثم حصلت لي بعد ذلك استراحة؛ فأنهى إلي بعض الفقهاء أن ابن عيشون نسب التأليف لنفسه، وذكر اسمه في خطبته؛ فعجبت كل العجب، واستغربت كل الاستغراب، ثم لقيته بعد، فرأيته عنده بغير خطي في سفر من القالب الكبير، فنظرت فيه؛ فإذا هو منسوب إليه، وزيد له فيه والده وشيخه سيدي حمدون الملاحفي، وبعض أصحاب سيدي مسعود الشراط، وبعض أهل الوقت من أهل فاس أربعة أو خمسة؛ فتحير عقلي من ذلك، ووالله ما علم ما فيه ولا فهمه فضلا عن أن يؤلفه. فقلت له: ما هذا؟!. فخجل وخرس ولم يجد جوابا. عفا الله عنه». انتهى المراد منه ملخصا.

قلت: وعدة تراجم التأليف المذكور الآن: تسعون ترجمة إلا واحدة، مبدوءة بمولانا إدريس، ومختومة بسيدي مجبر، وخلال بعض تراجمه تراجم أخرى نحو العشرة، فكان جملة من عرف به فيه: نحو المائة.

وسئل صاحب الترجمة: «هل تعرف ما زيد فيه وما نقص منه؟». فقال: «لا»؛ إلا إذا حضر الأصل، والأصل قد ضيعه لي هذا الظالم، وكان – رحمه الله – قد عزم على جمع آخر؛ فلم يتفق له ذلك؛ لاتصال المرض به إلى أن توفي.

ومن نص على أن "الروض" المذكور ليس لابن عيشون، وإنما هو لصاحب الترجمة: صاحب "نشر المثاني" فيه، وفي "الزهر الباسم". وصاحب "السر الظاهر"، وصاحب "الدر النفيس فيمن بفاس من أبناء محمد بن نفيس"... والله أعلم.

ولد صاحب الترجمة - رحمه الله - سنة ست وخمسين وألف، وتوفي أواخر المحرم سنة ست ومائة وألف، ودفن في وسط أصحاب سيدي أحمد ابن عبد الله، بجنانه الذي به قبة سيدي أحمد اليمني، قريبا منه، وهذا الجنان: اشتراه الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله - المذكور - لدفن أصحابه زمن الوباء الواقع في زمانه، وهو بأعلى روضة أبي المحاسن، وروضة سيدي محمد بن عبد الله.

ترجمه: أخوه آخر "المقصد"، وكذا في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"، و"السر الظاهر". وأشار له - أيضا - في "نتيجة التحقيق" مع أخيه سيدي عبد السلام الآتي، وأثنى عليهما فقها ومشاركة ونزاهة وديانة... وغير ذلك.

[802- الأديب الصوفي الشريف سيدي عبد القادر بن العربي القادري] (ت: 1179)

ومنهم: ولده الفقيه الأديب، الصوفي النجيب: أبو محمد سيدي عبد القادر بن العربي القادري.

ولد - رحمه الله - صبيحة يوم السبت ثاني وعشري ربيع الأول سنة مائة وألف، وتفقه وسمع من العلامة المسناوي وغيره، وأخذ عن الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله معن، وانتفع به، ولقي جماعة من الصالحين وتبرك بهم، حتى تهذب وتمكن.

وكان جليلا جميلا، صوفيا ناسكا سنيا صادقا نبيلا، جيد الفهم، قوي الإدراك، سيال القريحة في النظم، على البديهة يأتي في كلامه بالمعاني المبتكرة، والألفاظ المحبرة، وأكثر نظمه في الأمداح [347] النبوية، وقد جمع قريبه أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري من نظمه ديوانا في نحو مجلد، رتبه على حروف المعجم.

توفي - رحمه الله - ثامن عشر ذي الحجة متم سنة تسع وسبعين ومائة وألف، ودفن بقبر حفره لنفسه ملتصقا بقبر والده من أمامه، بالجنان المذكور، وذلك بوصية منه. ترجمه في "السر الظاهر".

[803- الإمام النسابة المشارك الشريف سيدي عبد السلام بن الطيب القادري]
(ت: 1110)

ومنهم: شقيق والده شيخ المشايخ، وطود العلوم الراسخ، فخر السنة والملة، وإمام الأئمة الجلة، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، العلامة الدراكة النسابة الأنور، الزاهد الورع البركة الأبهر، ذو الأفعال الحسنة، والأخلاق المستحسنة، السري الصالح، الساعي في المصالح، الحافظ الحجة، الموضح لمن بعده طريق المحجة؛ أبو محمد سيدي عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني.

ولد - رحمه الله - بفاس وقت صلاة جمعة اليوم العاشر من رمضان سنة ثمان وخمسين وألف، ونشأ في عفاف وصيانة، وتقى وديانة، مكبا على اقتناء العلوم حتى تضلع من رَوائها، وكشف عن مخدراتها؛ فسما مع تواضعه على الأقران، وقارن بين العلم والصلاح أحسن قران، وتصدى للتدريس والمناظرة والتأليف زمان شبابه، وكانت له في العلوم ملكة لا تجارى؛ خصوصا: النحو والبيان، والمنطق والحديث، والأصلين، وله في ذلك أبحاث نفيسة. وله مزيد اختصاص بمعرفة الأنساب؛ لا سيما قريش، لا يقاومه أحد في ذلك ولا يدانيه أصلا.

وكان فاضلا جليلا، شهما كريما جميلا، صالحا عالما، صائما قائما، عابدا مجتهدا، زاهدا مُزَهّدا، متين الدين مقتصدا، مؤثرا على نفسه، بماله ونفسه، حسن السيرة، منور السريرة، عارفا كبيرا، مقلا عن الدنيا غافلا عنها ويرى أمرها حقيرا، كاملا مكملا، واصلا موصلا، دراكا حافظا، محققا لافظا، ذا أوصاف حسنة، وأخلاق واسعة كريمة مستحسنة.

أخذ العلم عن غير واحد من الشيوخ؛ كسيدي عبد القادر الفاسي، وولديه: سيدي مَحمد وسيدي عبد الرحمن، والعلامة اليوسي، وسيدي العربي الفشتالي، وسيدي أحمد ابن الحاج.. وغيرهم.

ولقي سيدي قاسما الخصاصي، وسيدي أحمد اليمني، وأخذ عنهما، وانتفع بهما، وتربى بالشيخ العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله وانتفع به أتم انتفاع، ولزم زاويته، وشغف به، ونظم في حقه ونثر، وبث في الناس حديث فضله ونشر، وألف في محاسنه.

[804- استطراد بترجمة العلامة سيدي أحمد بن محمد الحبيب الفلالي]
(ت: 1165)

وانتفع به هو جماعة من الأعلام، وأيمة الإسلام، من أجلهم: العالم العلامة، الدراكة الفهامة، الورع الزاهد، التقي العابد [348] ذو الكرامات والبركات، والمآثر المستحسنات، العارف بالله، والدال

على الله، القطب الجامع، والنور الساطع اللامع؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الحبيب الفلالي اللمطي، المتوفى رابع المحرم عام خمسة وستين ومائة وألف، ودفن بداره بسجلماسة، وبني عليه.

وأبو العباس هذا؛ هو: أحد أشياخ العلامة أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، وقد أثنى عليه علما ودينا، وزهدا وورعا ويقينا - رحمه الله ونفعنا به.

[عودة لترجمة العلامة القادري]

وألف صاحب الترجمة تآليف عديدة؛ منها: "المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد"، و"مصابيح الاقتباس في مدائح أبي العباس"، و"الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني"، و"العَرْفُ العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر"، و"معتمد الراوي في مناقب ولي الله أحمد الشاوي"، وقد عد تآليفه في "المورد الهني"؛ فأوصلها إلى ثلاثين مؤلفا. ومن كلامه: القصيدة المسماة "بالتماس الرحمة فيما يقوله الصبيان عند الختمة"؛ ومطلعها:

احْبيبنا يا محمد   الصلاة على محمد   طابت الجنة وفاحت

وبسرّ الخلد باحت   وبها الأنوار لاحت   بالحبيب مولاي محمد

وهي قصيدة طويلة، كلها على هذا النقط، ولها بركة مشاهدة، وعارضها سيدي حمدون ابن الحاج بقصيدة أخرى يقول في مطلعها:

صلوات الله سَرْمَدْ   لحبيب الله أحمد   ذي البها والخلق لاحمد   خاتم الرسل محمد

من له الفتح المبين   والكتاب المستبين   وبه الختم يزين   خاتم الرسل محمد

إلى آخرها...

وكان - رحمه الله - زوارا للصالحين؛ وخصوصا مولانا عبد السلام بن مشيش، وزاره مرة في سنة خمس وتسعين وألف، واستوعب بالزيارة معه جميع ضرائح آبائه الذين هم بمداشر الحرم العلمي، مبتدئا فيهم بالشيخ سليمان؛ المدعو: سلام بن المزوار، وخاتما بالشيخ سليمان؛ المدعو: مشيش؛ والد القطب مولانا عبد السلام على ما هو المعروف في ترتيب زيارتهم بطريق التدلي.

وترجمته واسعة، وقد أطال فيها غير واحد، وألف فيها بالخصوص: الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، وأثنى عليه وعلى صريح نسبه، ورفع عموده، وذكر أشياخه وتلامذته، والفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي

متعرضا - أيضا - لذكر أحواله ومناقبه، وأشياخه وتلامذته، ووسم مؤلفه في ذلك "بالمورد الهني بأخبار الإمام المولى عبد السلام الشريف القادري الحسني". وقد وقفت عليه بخطه.

توفي - رحمه الله [349] - أذان صبح يوم الجمعة ثالث ربيع الأول عام عشرة ومائة وألف. قال في "المورد الهني": «ودفن عند رجلي شقيقه العلامة مولاي العربي الأكبر منه، بالجنان، قرب قبة ولي الله تعالى سيدي أحمد اليمني - رضي الله عنه ».هـ. وممن ترجمه: العلامة الهلالي في شرحه على منظومة صاحب الترجمة في المنطق، وصاحب "نشر المثاني" فيه. وفي "الزهر الباسم"، وصاحب "السر الظاهر"...وغيرهم.

والية مع شقيقه السابق ورجل آخر تأتي ترجمته بعد؛ وهو: الشريف الفقيه، الصالح القائم؛ أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر بن علي؛ المدعو: علال القادري الحسني؛ أشار المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

وشيخنا الشريف عابد السلام	القادري المحقق الحبر الهمام
علامة الزمان بحر فائض	قد راض نفسه ونعم الرائض
كذا أخوه العربي الحبر الجليل	ذكر مفاخرهما شيء طويل
والعابد الصوام نعم المفضال	أخو الرضى أحمدٌ ابن علال
فهؤلاء في الجنان أقبروا	أعني: الثلاثة الذين أخروا
قبابهم مشهورة معلومة	نار على علمها مضرومة

ومراده بقبابهم: أضرحتهم. إذ لا نعلم لهم قبابا. والله أعلم.

[805- العالم الشريف سيدي الطيب بن عبد السلام القادري]
(ت: 1157)

ومنهم: ولده الفقيه، العالم النبيه، الأمجد الأرضى النزيه، العدل الأثيل، الصدر الجليل؛ أبو محمد سيدي الطيب بن عبد السلام القادري.

كان - رحمه الله - فقيها نبيها، جليلا وجيها، ثبتا دينا، عدلا زكيا صينا، حافظا للمروءة عفيفا، مبرأ الجناب لطيفا، ذكي الجنان، فصيح اللسان، بهي المنظر، مليح المخبر، سمي الهمة، سني الهيبة، كثير الإشفاق، بديع الأخلاق، جميل المعاشرة، جليل المذاكرة، سريع الدمع، . ـيم القلب، محبا في العلم وفيمن يطلبه والصالحين.

تفقه على أبيه، وسمع منه ومن أضرابه، واعتمد بعدهم على الشيخ أبي عبد الله المسناوي ولزمه، وتربى بسيدي أحمد ابن عبد الله معن، وزار معه مولاي عبد السلام بن مشيش مرارا، وتبرك بسيدي أحمد اليمني ودعا له بخير، وفي آخر عمره أقبل على ختم "دلائل الخيرات" والتنفل نحو ثلاثين ركعة في كل ليلة.

إلى أن توفي فجأة ضحوة يوم السبت سابع عشرين من صفر عام سبعة وخمسين ومائة وألف. ودفن بجوار والده المذكور، قريبا من قبة سيدي أحمد اليمني، في جملة أصحاب سيدي أحمد ابن عبد الله، وكانت ولادته ضحوة يوم الثلاثاء حادي عشر رمضان عام اثنين وتسعين [350] وألف. ترجمه ولده في "النشر"، وفي "التقاط الدرر"، وكذا صاحبا "المورد الهني"، و"السر الظاهر".

[806- العلامة سيدي أحمد بن محمد المسناوي الدلائي]
(ت: 1117)

ومنهم: الشيخ الإمام الأواب، المتخلق بالسنة والكتاب، الولي الصالح، الكوكب الواضح، العالم العلامة الأجل، المحقق الأستاذ الأفضل، الفاضل الزكي، البهي العقل الذكي، المحدث الفقيه، المجود النبيه، شمس الدين، خاتمة المحققين، حاوي كمالات الفضائل وفواضل المدققين؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن العالم العلامة، البحر الفهامة، سيدي محمد الملقب بالمسناوي، بن مَحمد بن أبي بكر الدلائي.

كان - رضي الله عنه - من الأولياء الأكابر، والعلماء المشاهر، ولد بالزاوية الدلائية البكرية، وبها نشأ. وأخذ العلم عن والده وأعمامه، وعن غيرهم من الأيمة الواردين عليهم، ودرس بالزاوية، وخطب وأم، وانتفع به جم غفير، وخلق كثير.

ثم خرج من الزاوية عند الحادثة المشهورة، واستقر بفاس، وأقبل على تدريس العلوم، وإيضاح المنطوق منها والمفهوم. وكان الغالب عليه: الفرار من الظهور، وعدم مخالطة الجمهور. إماما فاضلا، عالما عاملا، أستاذا مجودا، حافظا لقراءة السبع، خيرا دينا، جوادا كريما، مفضالا حسن الأخلاق، كثير الصدقة، واسع المعروف، عظيم الاحتمال، كثير المجاهدة والصيام، داره مأوى للضعفاء والأرامل والأيتام، وهو والد الشيخ أبي عبد الله محمد المسناوي العلامة المشهور.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية في رابع ربيع النبوي عام سبعة عشر ومائة وألف. قال في "النشر" في بعض نسخه: ((ودفن بجنان أصحاب سيدنا أحمد ابن عبد الله، الذي اتخذه مقبرة لدفن موتاهم، الذي به قبة سيدي أحمد اليمني، خارج باب الفتوح، بينه وبين قبر والدي: قبر أخي)).هـ.

وقال في "التقاط الدرر": «دفن خارج باب الفتوح؛ قرب سيدي أحمد اليمني، وهو ضجيع لبعض إخوتي».هـ. ترجمه فيهما، وكذا في "البدور الضاوية"، وأشار إليه صاحب "حدائق الأزهار الندية"، بعد ذكر أول ولديْ سيدي المسناوي؛ وهو: سيدي الطيب. فقال:

والثاني: أحمد الفريد ذوقا ... الواسع الصدر البديع خلقا
قد كان في الإتقان للتنزيل ... من آية الإله ذي التنزيل
إذا تلا يستقتف القلوبا ... تكاد بالتحبير أن تذوبا

[807- المؤرخ النسابة الشريف الفقيه سيدي محمد بن الطيب القادري]
(ت: 1187)

ومنهم: الفقيه المشارك المتفنن، العلامة الدراكة المتقن، الحافظ الضابط الأريب، المؤرخ النسابة الأديب، الصالح البركة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن عبد السلام الحسني القادري.

ولد - رحمه الله - في سابع ربيع النبوي عام أربعة [351] وعشرين ومائة وألف، وتفقه على جماعة من أشياخ وقته؛ كأبي العباس ابن مبارك، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، وأبي عبد الله محمد بن الحسين المصمودي؛ المعروف بالجندوز، وأبي عبد الله محمد؛ المدعو: الكبير بن محمد السرغيني العنبري؛ وهو والذي قبله عمدتاه، وأبي عبد الله جسوس. . .وأضرابهم. وأجازوه باللفظ والخط.

وكان جليلا جميلا، مشاركا أديبا، مؤرخا صوفيا، واسع الحلم، كاظما للغيظ، زكيا ذكيا، غواصا على الدقائق في كل فن، معتنيا كثير الإفادة، قواما صواما ناسكا صالحا، وعلما للهداية واضحا، مقلا من الدنيا وحطامها، مباعدا لأهلها، غافلا عن جميع تعلقاتها، قانعا بالعيش، عظيم الصيت في مكارم الأخلاق، دائم الإطراق، مع رفع الهمة وعلو الدرجة، لم يل خطة إلا ما كان في آخر عمره من إلزامه الإمامة والخطابة بمسجد الأندلس العتيق عن تكلف من سلطان الوقت، ثم تخلى عن ذلك. وكان يجلس بسماط العدول للشهادة، فإذا حصل أوقية أو نحوها؛ نزل عن الحانوت، ويقول: «يكفينا هذا».

ولقي جماعة من الأشياخ المنسوبين إلى طريق القوم؛ كالشيخ سيدي أبي بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي، والشيخ أبي عبد الله محمد المدرع الأندلسي، والشيخ أبي محمد عبد السلام التواتي. . .وغيرهم. وانتفع بإرشادهم قولا وفعلا، واستدعى الإجازة من الشيخ أبي عبد الله محمد بن سالم الحفناوي؛ فأجازه بالإجازة العامة في جميع ما تجوز له وعنه روايته، وكانت له معرفة بضرائح العلماء والأولياء وأحوالهم، وكان قلمه أبلغ من لسانه.

وألف – رحمه الله – تآليف عديدة في فنون مختلفة؛ منها: "الزهر الباسم في الخصاصي سيدي قاسم"، و"المورد المعين في شرح المرشد المعين"، و"نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني"، في سفرين، وفي بعض نسخه زيادات وتراجم لا توجد في غيرها، واختصاره المسمى "بالتقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، في أخبار أعيان أهل المائة الحادية والثانية عشر"، و"الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج"، و"الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي"، الذي ألفه جده. . .وتآليفه كثيرة.

توفي – رحمه الله – عشية يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان سنة سبع وثمانين ومائة وألف، ودفن من الغد – وهو: يوم الجمعة – بعد صلاتها، بمقبرة أسلافه بأعلى الجنان؛ أعني: جنان سيدي أحمد ابن عبد الله المذكور. ترجمه في "السر الظاهر"، و"سلوك الطريق الوارية". . .وغيرهما. وأورده في "المورد الهني"، وكذا في "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي" لأبي الربيع الحوات.

[808– العدل الشريف سيدي يحي بن محمد بن الطيب القادري]
(ت: 1205)

ومنهم: ولده الفقيه الأنجب، الأفضل الأحسب، العدل الرضى، البركة الأحظى؛ أبو زكرياء سيدي يحيى بن محمد بن الطيب [352] القادري الحسني.

ولد رحمه الله – كما ذكره في "المورد الهني" وغيره – ثالث عشر صفر عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف، وتفقه – ما شاء الله – على والده وغيره. وكان خيرا فاضلا، دينا خاملا، طاهر الساحة من كل ما يشين، ظاهر التوفيق واليقين، علامة النجاح في غرته، وأنوار البركات في طلعته، جميل المعاشرة، قريب الإنصاف، جليل القدر بين أعيان الأشراف، بصيرا بالأخبار والنوادر، حسن المحاضرة مع الأكابر، بهي المنظر، سني المخبر.

توفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ربيع الثاني سنة خمس ومائتين وألف، ودفن عند رأس أبيه لناحية اليمين. ترجمه في "السر الظاهر".

[809– المجاهد المؤرخ العارف الشريف سيدي أحمد بن عبد القادر القادري]
(ت: 1133)

ومنهم: الفقيه الوجيه، الخير الدين النبيه، الصالح البركة الأديب، التاريخي النسابة الأريب، الناظم الناثر، ذو الأخلاق والمآثر، الخير الأشهر، الفارس الماجد الأنور، الجميل الأغر، الحاج الأبر؛ أبو العباس وأبو الفضل سيدي أحمد بن عبد القادر بن علي؛ المدعو: علال ابن أحمد بن محمد القادري الحسني.

ولد - رحمه الله - سنة خمسين وألف، ونشأ في مروءة ودين، ولم تكن له حرفة سوى طلب العلم ولقاء المشايخ. وكان ذا شجاعة وإقدام، ونجدة وفصاحة وإفحام، ولا يخلو عن سلاح الجهاد، وجاهد ورابط. صواما قواما، له قدم راسخ في العبادة، والذكر ولزوم الجماعة، والتنزه عن تعاطي الدنيا والأسباب والتجارة.

اشتهرت كنيته بأبي العباس، وكناه: أبو التخصيص سيدي أبو الوفا؛ لما قدم عليه بمصر قاصدا للحج، سنة ثلاث وثمانين وألف بأبي الأفضال، وأقام - رحمه الله - في هذه الحجة بمصر نحو سبع سنين، وفي هذه المدة قرأ على الشيخ عبد الباقي الزرقاني، وسيدي محمد الخرشي، وأخذ الطريقة القادرية بالديار المصرية عن شيخها في عصره الشيخ علي بن بدر الدين القادري عن والده بدر الدين عن آبائه واحدا بعد واحد إلى الشيخ عبد القادر، ثم رجع إلى فاس، وأعاد السفر للحج ثانيا عام مائة وألف مع الإمام العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله، وألف رحلة استوعب فيها جميع أحوال سيدي أحمد المذكور، في سفره المذكور، تضمنت فوائد نفيسة، مع اختصارها؛ سماه: "نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس".

وكان - أولا - يطلب العلم بفاس، وحصل له منه نصيب، وأخذ عن جماعة من شيوخه؛ كسيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي الحسن اليوسي، ثم إنه لازم زاوية سيدي محمد ابن عبد الله معن؛ الكائنة بالمخفية، وأكثر فيها من تلاوة القرآن وأنواع الأذكار، وتجرد للعبادة، وأكثر من مطالعة كتب القوم، واتباع سيرتهم، وسلوك طريقتهم؛ فنال منها قدما راسخا.

ولقي جماعة من [353] الصوفية وتبرك بهم؛ منهم: سيدي قاسم الخصاصي، ثم اقتصر على صحبة سيدي أحمد ابن عبد الله معن ولزوم زاويته إلى أن مات سيدي أحمد المذكور، وبه تربى وتهذب، وتكمل وتأدب، حتى صار من العارفين، وأولياء الله الصالحين.

وكان - رحمه الله - ذا قبول ووجاهة، وعقل ونباهة، وسيرة سنية، وحالة مرضية سُنّية، مواظبا على قراءة "دلائل الخيرات"، ويحفظه ويسرده عن ظهر قلب، كثير الصدع بالحق، والنصح للخلق، مع الزهد في الدنيا والإعراض عنها.

وكانت له سجية في نظم الشعر، وله أنظام جيدة؛ منها: نظم فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة. وأجوبة في علم التاريخ؛ منها: جواب تضمن فوائد تتعلق بأشراف العلم.

توفي - رحمه الله - يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بالجنان الموقوف لدفن أصحاب سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد ابن عبد الله

معن، خارج باب الفتوح، قرب مصلى العيد، بعدوة الأندلس ».هـ. وفي بعض نسخه ما نصه: « ودفن بقرب سيدي أحمد اليمني، خارج باب الفتوح من فاس ». انتهى. ترجمه فيه، وفي "الزهر الباسم"، و"التقاط الدرر"، و"السر الظاهر"، وأطال في "الزهر الباسم" وفي "السر الظاهر" في ترجمته، فانظرهما.

[810- الناسك الشريف سيدي مَحمد بن طاهر القادري]
(ت: 1181)

ومنهم: الفقيه العالم الأكمل، المشارك الأجمل، الثقة الأعدل، الناسك الصوفي الأمثل؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن طاهر بن أبي محمد عبد السلام القادري الحسني.

ولد سنة أربع عشرة ومائة وألف، وتفقه على أبي العباس ابن مبارك اللمَطي، وأبي عبد الله ابن عبد السلام البناني. .وغيرهما.

وكان ثاقب الذهن، قوي الإدراك، ظاهر السيادة، متصل العبادة، يتهجد من الليل أكثره بالصلوات والتلاوة، ويلازم مجالس الذكر والصلاة في الجماعة؛ وخصوصا الصبح، فإنه ما صلاها في غير الجماعة نحوا من ستة وعشرين سنة، وكان يغلب عليه الخشية من الله تعالى، حتى يغيب عن عالمه. ويطالع ويقيد، وربما يملي ويحدث؛ لاسيما في علوم القوم، مع نزاهة، وحسن محادثة، وجمال هيئة، ورأى له أكابر الثقات بعد موته مرائي تدل على سعادته عند ربه.

توفي – رحمه الله – ليلة الثلاثاء سابع عشر رجب سنة إحدى وثمانين ومائة وألف. قال في "السر الظاهر": « ودفن من الغد بمقبرة أسلافه، أعلى جنان الولي سيدنا أحمد ابن عبد الله معن، مسامتا لقبة الولي أبي العباس أحمد اليمني، من جهتها اليمنى ».هـ. ترجمه فيه.

[811- سيدي محمد بن محمد عاصم الأندلسي]
(ت: 1090)

ومنهم: الشيخ الصالح، ذو الحال الصحيح والهدْي الواضح، الخير المكين، الموصوف بالتقوى والدين المتين؛ أبو عبد الله سيدي محمد [354] ابن الرجل الصالح أبي عبد الله سيدي محمد عاصم؛ دعي به، الأندلسي. زوج السيدة عائشة بنت الشيخ سيدي مَحمد ابن عبد الله معن المتقدم ذكرها.

كان – رحمه الله – من أصحاب أبيها المذكور؛ صحبه أولا، ثم صحب بعده خليفته سيدي قاسما الخصاصي، ثم بعده خليفته سيدي أحمد ابن عبد الله إلى أن مات في حجره وهو راض عنه. وربما كان يثني عليه أيام حياته بظهر الغيب منه، ويصفه بالصلاح والدين.

وكان – رحمه الله – مقبلا على شانه، تاركا لما لا يعنيه، واقفا على حدود الله، متابعا للسنة، قوي الحال، كثير الذكر، يغلبه الوجد أحيانا؛ فيتحرك ويهيم، ويصيح صيحات.

توفي سنة تسعين – بتقديم الفوقية – وألف. قال في "المقصد": «ودفن بالجنان الذي اتخذه سيدنا أبو العباس مدفنا لأصحابه زمن الوباء الواقع في هذه الأعوام، وهو: بأعلى موضع روضة الشيخ سيدي يوسف الفاسي، وسيدي محمد ابن عبد الله رضي الله عنهما...».هـ. ترجمه فيه، وفي "النشر"، وذكره – أيضا – في "الروض"، في ترجمة زوجته المذكورة.

[812– سيدي عبد الرحمن بن علي المَقَّنا الأندلسي]
(ت: 1109)

ومنهم: الولي الصالح، الزاهد الورع الناصح؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن علي المَقَّنا. (بميم وقاف ونون؛ بوزن: معنى). الأندلسي.

أظنه من أصحاب سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي!. كان – رحمه الله – من أهل الفضل والدين، والمعرفة والصلاح المبين.

توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شوال، عام تسعة ومائة وألف، ودفن من الغد ضحوة بالجنان المذكور. ترجمه في "التقاط الدرر"، على ما وجدته ملحقا بهامش نسخة منه بخط المؤلف، وأشار إليه المدرَّع في منظومته؛ فقال:

كذاك مَقَّنا عابد الرحمن	الفاضل المبجل الرباني
ضريحه فوق القباب في الطريق	من منتهى الجنان فافهم يا صديق

[813– الأستاذ المدرس سيدي الطيب بن عبد الرحمن ابن القاضي]
(ت: 1124)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الأستاذ الصالح النزيه، العالم المدرس النبيه؛ أبو محمد سيدي الطيب ابن شيخ الجماعة أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي، المكناسي الأصل، الفاسي الدار والمنشأ والوفاة.

أخذ – رحمه الله – عن والده؛ وكان من أصحاب سيدي أحمد اليمني، وسيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي. وظهرت عليه بركتهما. وكان معتنيا بتقييد المسائل المهمات، متبعا لآثار الصالحين، سالكا سبيل أهل الخير والدين.

توفي في ثامن رمضان المعظم، عام أربعة وعشرين ومائة وألف. قال في "التقاط الدرر": «ودفن في جملة أصحاب سيدي أحمد ابن عبد الله وسيدي أحمد اليمني». هـ. ترجمه فيه، وفي "النشر".

[814– الخطيب الشريف سيدي محمد الأمين الزيزي العلوي اليوسفي]
(ت: 1259)

ومنهم: الشريف الفقيه الأريب، العالم الناسك الخطيب، المدرس الصالح، البركة الناصح [355]، أبو عبد الله سيدي محمد الأمين الزيزي؛ نسبة إلى: زيز. لإقامته مع أهله به، ابن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن يوسف الحسني العلوي؛ من العلويين اليوسفيين.

قدم – رحمه الله – من زيز إلى فاس واستوطنها، وأخذ عن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج ومن في طبقته، واتصل بالعارف بالله أبي العباس أحمد التجاني، وسلب له الإرادة، وكان من خيار طلبة وقته، عالما عاملا، مشاركا نحويا، لغويا ناسكا، عابدا كثير الأذكار، بادي الأنوار، ولي الخطابة بالمدرسة العنانية مدة.

وتوفي آخر جمادى الأولى عام تسعة (بُمْشَنَّاة) وخمسين ومائتين وألف، ودفن بالجنان المذكور. ترجمه في "الإشراف"، وفي "الدرة الفائقة"...وغيرهما.

[815– الخطيب سيدي محمد بن مَلُوك التلمساني]
(ت: 1284)

ومنهم: السيد الفقيه، العالم النزيه، المدرس الأنفع، الخطيب الأرفع؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج محمد ابن مَلوك التلمساني.

كان – رحمه الله – فقيها نبيها، مدرسا وجيها، يقرأ "المختصر" وغيره مع الطلبة بمسجد القرويين عمره الله بذكره.

وأخذ عنه وانتفع به جماعة منهم: كشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد المدني بن علي ابن جلون الكومي، وكان له شهر من السنة يخطب فيه بجامع أبي الجنود الذي بين فاس البالي والجديد.

حتى توفي - رحمه الله - بالطاعون، في خامس وعشري رجب الفرد عام أربعة وثمانين ومائتين وألف، ودفن أمام قبة سيدي أحمد اليمني، من ناحية رأسها، وبني عليه شاهد صغير، وكتب في وسطه تاريخه.

[816- العارف سيدي عبد الله بن العربي ابن عبد الله معن]
(ت: 1188)

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة الناصح، السُني الناسك، المسن السالك، ذو المناقب والكرامات، والكشف وخوارق العادات؛ أبو محمد ولي الله تعالى سيدي عبد الله ابن العارف بالله سيدي العربي ابن العارف سيدي أحمد ابن العارف سيدي مَحمد ابن عبد الله معن الأندلسي.

كان - رحمه الله - ممن أخذ من الشريعة بحظ وافر، وتبحر في الحقيقة حتى كان يتفجر بالمعارف، له ملكة في سرعة الجواب والاستشهاد في محله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكان مواظبا على قراءة القرآن بالمصحف الكريم، وقراءة "دلائل الخيرات"، مكبا على مطالعة شرح الشيخ ابن عباد على "الحكم"، ويتواجد كثيرا بما يلوح له من حكمه العرفانية، وإذا سأل عن بعض المسائل العلمية فأجيب بالصواب؛ يضطرب لذلك غاية، ويقول للمجيب: الله ينصرك. أو: الله معك، أو: الله كان. وإذا أراد إمحاض النصيحة لأحد؛ يقيم السبابة اليمنى، ويقول له: «لا تنظر إلا إلي، ولا تسمع إلا مني، ولا تعرف إلا أنا، والله ينصرك وأنت على خير».

وكان له ولوع بالسماع، ويتواجد منه، ويكره الآلات، ولا يقبل سماعها بحال، إلا ما كان من ذوات [356] الجلود من وجه واحد، وأكثر ما كان يتواجد: إذا سمع كلام الشُشْتري، وابن الفارض، وأضرابهما، ويشتد وجده حتى تكاد نفسه تزهق.

أخذ - رحمه الله - عن أبيه الشيخ أبي حامد سيدي العربي. وتوثر عنه كرامات وإخبار بمغيبات، وقد أورده الشيخ التاودي في فهرسته في جملة من لقي من صلحاء المغرب، وقال: «كان بيننا وبينه معرفة، ولقيته يوما برأس الشراطين؛ فقال لي: اعطني مُوزونة أو أكثر! . فقلت: ما عندي ما أعطيك! . فقال لي: ستكون عندك الدراهم، تكون كاتبا مع فلان. فقلت: حاشا الله ومعاذ الله. فقال: والله ليكونن ذلك. فقلت: والله لا يكون ذلك! . وافترقنا على خنق عظيم، ولم يدر أحد ما دار بيننا، وأصابني من ذلك غم، وذهبت في الوقت إلى مولانا إدريس وتوسلت به وتضرعت إلى الله من قوله، فلما كان بعد يومين أو ثلاث أو أكثر؛ بات عندي سيدي محمد الصنهاجي - المتقدم الذكر - يعني: دفين قبة سيدي دراس بن إسماعيل - مع جماعة من الأصحاب؛ فما شعرت به حتى

قال في جوف الليل: سِرْ عليك يا أبا فلان؛ كان سيكون كذا وكذا. للأمر الذي قال الرجل – أي: صاحب الترجمة – ومَدت الرجال أعناقها عليك وفدوك بفلان!. ثم ظهر مصداق ذلك في فلان المفدى به، وبان أن الرجل رأى شيئا، وغابت عنه أشياء من مواهب المتفضل المنان، الذي يمن من فضله على من يشاء بما شاء، لا أحرمنا الله فضله الواسع العطاء يوم اللقاء)).

((وكان بين سيدي عبد الله المذكور ورجل من بني عمه خصومات وبعض كراهية، وكان ذلك الرجل يحبني محبة عظيمة وأحبه أخرى، وكان يُذكر بأمر سوء ولا علم لي به، حتى كان قرب موته؛ تيقّنت الخبر، فأرسلت إليه ولمته في ذلك، فذكر التوبة ومر عني، فمرض عَقِبَهُ ومات رحمه الله، فوجدت عليه من أجل ذلك الأمر وبكيت وهو مدرج في كفنه وقبل أن يرفع من موضعه، حتى كاد القلب أن يتفطر من البكاء، ولا يعلم أحد ما بي إلا الله تعالى، فبينما أنا كذلك في ذلك الحال؛ جاءني سيدي عبد الله، وحنى علي وقال: لا بأس، هوّن عليك؛ فقد وقعت الشفاعة!. ففرحت، وقلت: ماكان ليقول هذا من قبَل نفسه مع بُعد ما كان بينهما. مات – رحمه الله – سنة نيف وثمانين – يعني: من القرن الثاني بعد الألف – ودفن بالقباب)). هـ.

ويحكى عنه شائعا أنه: كان يطوف على أصحابه صبيحة يوم وفاته، ويدعوهم لشهود جنازته، ويعبر عنها بالعرس قائلا: ((إيتوني اليوم ولابد للعرس)). أو نحوه. وكانت وفاته – رحمه الله – كما ذكره في "الروضة المقصودة"، و"سلوك الطريق الوارية": سنة ثمان وثمانين ومائة وألف. وكانت له جنازة عظيمة حضرها عامة الناس وخاصتهم، ودفن بالجنان فوق قبة سيدي أحمد اليمني، وجعل عليه حوش [357] صغير، وهو معروف عند بعض الناس، مزار متبرك به.

[817– المجذوب السالك سيدي عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الله معن] (ت: 1169)

وكان له ولد اسمه: عبد الوهاب. كان – رحمه الله – سالكا مجذوبا، والجذب أغلب عليه، ويتواجد عند السماع، ويرقص ويقسم في بعض الأحايين على الله تعالى، ويحلف بالحرام؛ فيبره الله تعالى ولا يحنثه.

وكان متجردا عن الدنيا وأسبابها، متقشفا. حج حجتين أو ثلاثا، وفي الحجة الأخيرة جاور بمكة، ثم وفد منها على المدينة، والناس بها محتاجون للمطر، فطلبوا منه الاستسقاء لهم؛ فاستسقى الله تعالى؛ فسقوا. ومات من يومه، وذلك سنة تسع وستين ومائة وألف، وحضر جنازته جل من بالمدينة، ودفن بالبقيع. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[818- سيدي العربي بن عبد الله ابن عبد الله معن (الصغير)]

ومنهم: ولده - أيضا - السيد الصالح، البركة الفالح؛ أبو حامد سيدي العربي - المدعو: الصغير - ابن عبد الله بن العربي (الكبير).

كان - رحمه الله - فيما أخبرت به، من أهل الصلاح والولاية، والخير والبركة والعناية، يخبر في بعض الأحايين بمغيبات، وتظهر على يده كرامات، ولم أقف له على وفاة ولا على ترجمة، وضريحه قرب من ضريح والده سيدي عبد الله، عليه بناء خفيف للتمييز.

[819- الشريف سيدي محمد المهدي بن عبد المجيد العراقي]
(ت: 1258)

ومنهم: الشريف الجليل، البركة الحفيل، الولي الصالح، النجم الواضح، الناسك العابد، الورع الزاهد، السيد الكامل، المربي الفاضل؛ أبو الفيض وأبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن عبد المجيد الحسيني العراقي.

كان له - رحمه الله - حال صدق ظاهر، من نسك وبهاء باهر، وله شهرة وصيت واتباع، وتلامذة صالحون وأتباع، يعتقدونه كثيرا، ويثنون عليه ثناء كبيرا، ويبالغون معه في الأدب، ولا يقطعون أمرا دونه مخافة العطب، وكان يجتمع معهم على الذكر بجامع الحجاج من حومة مصمودة، وظهرت له كرامات، وخوارق عادات، ولقي كثيرا من أهل الخير وانتفع بهم؛ وعمدته: الشيخ العارف بالله، الدال على الله؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن القطب مولانا أحمد الصقلي الحسيني رضي الله عنهما.

وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا. قال قريبه مولاي الوليد العراقي في "الدر النفيس": «أخبرني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا ولدي؛ من أحبك أو أحب من أحبك؛ فهو في الجنة!».

وأخبر - أيضا - أنه: رأى مرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرض أصحابه عليه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له في كل واحد منهم: «مقبول». إلا واحدا؛ كان يستعمل غبار العشبة المسماة بطاباق في أنفه، خفية من الشيخ. فقال - عليه السلام - فيه مخاطبا له: «ليس من أصحابك!»، فظهر بعد ذلك مصداق ما قاله عليه السلام؛ كان هذا الرجل يذكر مرة مع الفقراء؛ فسقط منه حُقّ [358] ذلك الغبار؛ فأخذه بعض الفقراء، وذهب به إلى الشيخ، فلما شعر بذلك؛ ذهب لحاله مختفيا، ثم لم يرجع إلى الفقراء والجمع معهم أبدا. نعوذ بالله من السلب، ومن ارتكاب ما يوجب العطب والثلب.

توفي - رحمه الله - يوم الأربعاء، بعد الشروق، سادس عشر رجب الفرد الحرام عام ثمانية وخمسين ومائتين وألف، ودفن بعد صلاة الظهر فوق قبة سيدي أحمد اليمني، بأعلى ما هناك من المقابر، وجعل عليه شاهد صغير، وبناء خفيف للتمييز.

[820- الشريف سيدي محمد بن المهدي العراقي]
(ت: 1276)

وترك - رحمه الله - ولدين؛ أحدهما: أبو عبد الله سيدي محمد؛ كان فقيها نبيها، بارع الخط، توفي من غير عقب، في سابع عشر ذي الحجة عام ستة وسبعين ومائتين وألف، ودفن قريبا من قبر والده، ودفن مع صاحب الترجمة - أيضا - أمامه من جهة القبلة جماعة من أصحابه، ممن أخذ عنه وانتفع به. ترجمه قريبه مولاي الوليد العراقي في "الدر النفيس"، إلا أنه لم يذكر وفاته؛ لكونه كان حيا إذ ذاك، وأشار له - أيضا - في "الإشراف".

[821- الشريف مولاي عَمْرو العمراني]
(ت: 1230)

ومنهم: الأستاذ الصالح، البركة الناصح، الأزهد الأورع، الشريف الأنفع؛ مولاي عمرو العمراني.

كان - رحمه الله - ملازما لمسجد الأندلس العتيق بفاس، وكان كثير التلاوة والصيام والتعبد والقيام، زاهدا في الدنيا، منقبضا عن أهلها، وكانت له معرفة بعلوم الأسماء وأسرار الحروف، وأخذ ذلك عنه جماعة، وانتفع به قوم، وظهرت له بركات وكرامات...

توفي ليلة الجمعة تاسع وعشري رجب الفرد الحرام عام ثلاثين ومائتين وألف، ودفن بالجنان المذكور.

[822- العارف سيدي الطاهر بن أحمد الحبابي]
(ت: 1220)

ومنهم: السيد العلي القدر، الكبير الشان والخطر، المهاب المحترم، البركة المعظم، الولي الصالح، الزاهد الناصح، العارف بربه تعالى؛ أبو محمد سيدي الحاج الطاهر ابن الأستاذ أبي العباس أحمد؛ المدعو: الحبَابي؛ من أولاد الحبابي المعروفين بفاس، الفاسي.

أخذ – رحمه الله – عن العارف الأشهر مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، وكان كثير الملازمة له، وأسند له التقديم على الفقراء أصحابه. وكان حسن السيرة، منور السريرة، من أهل الصلاح، والزهد والنصح، والخير والبركة، محفوفا بعناية الله في السكون والحركة، ونفع الله به وعلى يديه.

وكان قبل ملازمته لشيخه المذكور، كثير التوجه لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، حتى أدرك سبع حجات؛ كلها على البرّ صحبة الركب المغربي.

توفي – رحمه الله – في حياة شيخه المذكور، في حدود العشرين ومائتين وألف، ودفن بالجنان المذكور، قرب كُرْمة كانت هناك تقابل وجه الطالع من روضة أولاد ابن إدريس، وفي مقابلة سيدي أحمد اليمني بانحراف، وقبره هناك معروف عند [359] بعض الناس مزار.

[823– الفرضي الحسابي سيدي محمد بن الطاهر الحبابي]
(ت: 1267)

ومنهم: ولده الفقيه النبيه، الحسابي الموقت النزيه، المعدل الفرضي المشارك، المسن البركة الناسك؛ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن الطاهر الحبابي الفاسي.

كان – رحمه الله – من أهل الفقه والمشاركة في عدة علوم، ماهرا في الحساب والتوقيت، والتعديل والفرائض والهيئة، والسيميا وعلوم التدابير، والطبيعة والأوفاق. . .وغير ذلك. أخذه عن عدة مشايخ بالمشرق والمغرب، وله فيه تقاييد كثيرة في عدة كنانيش.

وحج وزار، وجال في كثير من النواحي والأقطار، ولقي أفاضلا أخيارا، وعلماء أبرارا، وانتفع بهم، ونال من بركتهم؛ كالشيخ المسن البركة، الدال على الله؛ الشريف مولاي إدريس ناصح، وتلميذه الشريف البركة العارف، دفين قَرَافَات مصر؛ مولاي إدريس بن علال الدباغ، والشيخ العارف أبي حفص سيدي عمر بن المكي بن المعطي بن الصالح الشرقاوي، والأستاذ المنور مولاي عمرو العمراني المتقدم قريبا، والفقيه البركة سيدي الحاج محمد الدريح. . .وغيرهم. وأخذ الطريقة الدرقاوية عن صاحبها شيخ والده: مولاي العربي، وتبرك بصحبته وانتفع به.

وولاه السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي توقيت المسجد الأعظم بفاس؛ وهو: مسجد القرويين، فقام به بعد امتناعه أولا: لكبر سنه، حتى أشار عليه شيخه المذكور بالقبول؛ ففعل.

وأخذ عنه كثيرا من العلوم التي يحسنها: جماعة كثيرة بالمشرق والمغرب، وعدد من الجيش السلطاني وبعض الوزراء، وممن أخذ عنه: موقت المسجد الأعظم بفاس العليا: سيدي أحمد التواتي،

وموقت المسجد الأعظم بمكناسة الزيتون: الفقيه الذاكر، الكثير الخير والبذل، والمعروف والصدقة؛ سيدي الجيلاني الرحالي، ومؤقت سلا: الفقيه العدل سيدي إدريس الجمايدي. . .وغيرهم.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية عشية يوم الجمعة سابع عشر شوال الأبرك عام سبعة وستين ومائتين وألف، ودفن بقرب والده المذكور، وهو الآن معروف عند بعض الناس مزلج عليه.

[824- المؤقت سيدي إدريس بن محمد الحبابي]
(ت: 1299)

وخلف - رحمه الله - ولدين؛ أحدهما: الفقيه الجليل، المؤقت النبيل؛ الذاكر أبو العلاء سيدي إدريس.

أخذ - رحمه الله - عن والده المذكور، وعن الفقيه العلامة شيخ الجماعة في وقته أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي، والشريف الفقيه العلامة الفرضي الحيسوبي أبي حامد سيدي العربي بن أحمد البلغيثي، والفقيه العلامة سيدي أحمد المرنيسي، والفقيه العلامة سيدي الحاج الداودي التلمساني، والفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بونافع. . .وغيرهم.

وكان عارفا بالحساب والتوقيت والتعديل، والهيئة والفرائض والأوفاق. . .وغير ذلك. كثير الذكر. وولي توقيت المسجد المذكور [360]، وكان قائما به بعد والده.

ولقي جماعة من الأخيار وتبرك بهم وأخذ عنهم؛ كالفقيه العلامة البركة الناسك أبي محمد سيدي عبد السلام الخصاصي؛ المتوفى يوم الجمعة ثامن محرم الحرام فاتح عام أحد وستين ومائتين وألف، والشريف العارف البركة سيدي محمد بن الحفيد الدباغ؛ المدعو: بوطربوش، والولي الصالح العارف سيدي الحاج محمد فَنْجيرُو. . .وغيرهم.

وتوفي - رحمه الله - ليلة الجمعة، قبيل الفجر بيسير، تاسع عشر ربيع الثاني عام تسعة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بالمحل المذكور، قريبا من والده.

[825- المؤقت سيدي عبد القادر بن محمد الحبابي]
(ت: 1298)

والثاني: الفقيه النبيه، العدل الوجيه، الحسابي الميقاتي؛ أبو محمد سيدي عبد القادر.

أخذ – رحمه الله – عن أبيه وأخيه المذكورين، وعن الفقيه سيدي أحمد المرنيسي وغيره. وكانت له – أيضا – يد في الحساب والتوقيت والتعديل ونحوها، وأخذ شيئا من علم الأسماء عن الفقيه الصالح البركة سيدي عبد السلام بن أحمد الفاسي، والفقيه البركة سيدي الحاج المختار البقالي؛ الذي كان ساكنا بدرب الحرة من طالعة فاس، وبه توفي بالطاعون في أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي، ودفن بوطن ابن فرقاشة في روضة سيدي محمد الحاج البقالي. .وغيرهما.

وكان كثيرا ما يلي أمر التوقيت مكان أخيه بمنار المسجد المذكور، حتى توفي – رحمه الله – قبل أخيه، بعد العشاء من ليلة الأربعاء مهل الحجة الحرام عام ثمانية وتسعين ومائتين وألف، ودفن مع والده المذكور، قريبا منه أيضا.

[826– المؤذن سيدي عبد العزيز بن محمد أغيول]
(ت: 1199)

ومنهم: الفقير المرابط الأجل، المؤذن المتجرد الأفضل؛ أبو فارس سيدي عبد العزيز بن محمد أغيول، الملقب بـ: يا أهل الله. لجريان ذلك كثيرا على لسانه.

كان – رحمه الله – أعزب متقشفا، لم يتزوج قط سوى امرأة باتت عنده ليلة واحدة؛ فطلقها ثم لم يتزوج بعدها، وكان محبا في أهل النسبة، وأهل البيت والعلماء، ويحب الاجتماع معهم، ويؤذن بمولانا إدريس رضي الله عنه ليلة الجمعة، وفي بعض الأحيان وقت طلوع الفجر، وبعض المرات بالقرويين، وكان عارفا بالدندنة؛ يحفظ طبائعها وصنائعها، ويغضب ممن يصفه بالصلاح، ولا يحب ذلك، وكانت له حرفتان: حرفة تسفير الكتب، وحرفة صنعة المناسج. تيارا. يخدم في هذه مدة ثم يتركها ويسيح، ثم يخدم في الأخرى كذلك. وكان موسوما عند الناس بالخير والصلاح، متبركا به.

ولقي جماعة من أهل الخير والصلاح، وتبرك بهم؛ كالشيخ سيدي العربي ابن عبد الله معن الأندلسي، وكان يحضر عند العلامة سيدي محمد جسوس في مجلس "الحكم" الذي كان يقرأه في الخميس والجمعة، وعند الشيخ سيدي عبد المجيد المنالي الزبادي في قراءة "النصيحة الكافية" وغيرها.

وكان في آخر عمره يشهر قبور الصالحين المندثرة، ويسأل في الأسواق، وما أفاء الله به [361] عليه يشتري به الحمص ويفرقه على الصبيان، ويشتري – أيضا – التمر ويبيعه للناس بالواحدة والاثنتين.

توفي - رحمه الله - سنة تسع وتسعين ومائة وألف. ودفن بالقرب من سيدي أحمد اليمني وسيدي يوسف الفاسي وسيدي أحمد ابن عبد الله. وكانت له جنازة عظيمة؛ حضرها الخاص والعام. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[827- العالم الصوفي الشريف سيدي محمد بن محمد النجار]

ومنهم: الفقيه العلامة، الصوفي المحقق الفهامة، البركة الصالح، الهُمام الواضح؛ الشريف أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد النجار الحسني الشفشاوني.

كان - رحمه الله - من أعيان الفقهاء، وأماثل النبهاء، وكان في أول أمره شديد الإنكار على الطائفة الدرقاوية، ثم إنه أخذ الله بيده وأخذ عن صاحبها الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وتربى به وتأدب، وتكمل وتهذب، وصار من الأولياء، وعباد الله الأصفياء.

توفي بعد الثلاثين ومائتين وألف. قال بعض من ترجمه: «ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنة، قبلة الأشياخ الفاسيين والعبدلاويين والخصاصيين واليمانيين» .هـ.

[828- العالم الصالح سيدي أبوزيان بن أحمد الإغريسي]

ومنهم: الشريف الفقيه الأجل، الولي الصالح الأفضل، العارف المحقق، الصوفي المدقق؛ سيدي أبوزيان بن أحمد المعسكري الإغريسي.

كان - رحمه الله - من جلة أصحاب العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وكبرائهم، وكان له أصحاب وأتباع أخذوا عنه وانتسبوا إليه.

وله "طبقات" في مناقب شيخه المذكور وبعض أصحابه، توفي قبل إكمالها يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة نيف وسبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة أولاد ابن إدريس التي في آخر الروضات الكائنة بهذا الخارج من ناحية القبلة.

[829- الوزير الشاعر سيدي محمد بن إدريس العمراوي (ابن الحاج)]
(ت: 1264)

وهي التي دفن بها قبله: الوزير الأسعد، الرئيس الأمجد، الفقيه الأديب الأشهر، الناظم الناثر الأبهر؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن إدريس بن محمد بن عبد الله العمراوي الفاسي؛ الشهير بابن الحاج.

قال فيه في "رياض الورد" ما نصه: «رقيق الإشارات، حلو الحكايات، له في النظم والنثر القلم الأعلى، والمورد الأحلى. لازم الجثو للتعليم بين يدي أكثر أشياخنا فمن فوقهم، ثم اتصل بمولانا السلطان عبد الرحمن بن هشام وأنشده قصيدة منها:

رُفِعَتْ لمجدك راية الإحسان ... وبدا بعصرك ساطع البرهان
وسَرت بسرك في الأنام مسرة ... سُر المحب بها وغص الشاني
يا مفردًا في الفضل غير مشارَك ... أقسمت مالك في البرية ثاني !

فاشتملت عليه دولته اشتمال الأكمام على الزهر، والهالة على القمر، حتى انتظم في سلك الرياسة وارتبط، وحل ما شاء بحكم اختصاصه بها وربط». هـ.

وكانت له - رحمه الله - معرفة [362] ببعض العلوم؛ كالحساب والتعديل، أخذهما عن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابي؛ رئيس الموقتين بمنار القرويين من فاس. وكالنحو واللغة والعروض والأدب؛ أخذها عن غير واحد. وكانت له أمداح عديدة سلطانية، وأخرى نبوية.. وغيرها، وأشعار كثيرة، ومقطعات.

وله - أيضا - صحبة كبيرة لأولياء عصره، ومحبة فيهم، وأخذ عن بعضهم؛ كالشيخ سيدي الطيب الكتاني، والشيخ سيدي عبد القادر العلمي - دفين مكناسة الزيتون - وغيرهما ممن يكثر، وانتماء إلى الخير وأهله، ويد بالغة في الأدب - رحمه الله تعالى بمنه وكرمه.

توفي يوم الاثنين رابع محرم الحرام فاتح عام أربعة وستين ومائتين وألف. ترجمه في "رياض الورد" إلا أنه لم يذكر فيه وفاته؛ لكونه - والله أعلم - كان حيا زمن تأليفه.

[830- العلامة المحدث سيدي محمد المدني بن علي ابن جلون]
(ت: 1298)

ومنهم: شيخنا العلامة المحقق، الدراكة الفهامة المدقق، الفقيه المحدث، النحوي البياني، الأصولي اللغوي المشارك؛ أبو عبد الله سيدي محمد المدني ابن الفقيه الصوفي أبي الحسن علي ابن جلون الكومي لقبا، الفاسي دارا ومنشأ وقرارا.

كان - رحمه الله - علامة ماهرا، ومحققا باهرا، له معرفة بالفقه والحديث، والنحو والبيان، والمنطق والأصول. . .وغيرها. جامعا مانعا، محصلا غواصا على الدقائق، بحاثا نظارا مع صغر سنه إلى بضع وثلاثين عاما. وكان شديد الإنصاف والتواضع، كريم النفس، زكي الأخلاق، كريم المعاشرة، عظيم النزاهة.

ولد رحمه الله - حسبما رأيته مقيدا بخط والده - في ربيع النبوي الأنور عام أربعة وستين ومائتين وألف.

وأخذ عن عدة من الشيوخ؛ كوالده المذكور، وسيدنا الوالد؛ واستجازه فأجازه إجازة عامة، والفقيه سيدي الحاج محمد كنون، والفقيه سيدي الحاج المهدي بن الطالب ابن سودة، وشقيقه الفقيه الصوفي سيدي الحاج عمر، والفقيه سيدي محمد الحمادي؛ الشهير بالمكناسي، والفقيه سيدي محمد التازي، والفقيه مولاي أحمد العراقي، والفقيه سيدي محمد بن ملوك التلمساني، والفقيه سيدي المهدي ابن الحاج، والفقيه سيدي محمد المقري التلمساني؛ الملقب بالزمخشري، والفقيه سيدي إدريس السنوسي، والفقيه سيدي الحاج أحمد ابن سودة. . .وغيرهم.

وانتفعت به أنا وغيري من نجباء طلبة الوقت في "المختصر" وغيره، وما رأيت قراءة أعجب إلي من قراءته، ولا أشد تحقيقا، ولا أعظم تلخيصا وجمعا.

وله - رحمه الله - تآليف عديدة مفيدة؛ منها: "الطرفة العتيقة المهداة لخير الخليقة" في المطالب السبعة التي ينبني عليها برهان حدوث العالم، و"نزهة ذوي العقل السليم في بعض علوم بسم الله الرحمن الرحيم"، و"حديقة الأزهار، المهداة لسيد الأبرار، في التحذير من تعاطي علم الكيمياء والكنوز والنار، والخط وخواص الآي والسور [363] والتنجيم والحروف"، و"اللآلي اليتيمة فيما يتعلق بالفاحشة العظيمة". و"الطيب العبق النشر، المتحف به من يقول: أنا لها. في موقف الحشر"، و"النشر" تمم به النوافل التي بقيت على خليل وصاحب "المرشد"، و"استنشاق الفرج بعد الأزمة، من حضرة المسمى: عين الرحمة"، في سفر صغير، وتقييد في المبشرين بالجنة، وآخر في الصحابة الذين غير المصطفى صلى الله عليه وسلم أسماءهم، وآخر في بعض الأحاديث المتواترة، وآخر في (لا) النافية للجنس، وآخر على قول "الخلاصة": «ونعت غير واحد إذا اختلف. . .». البيتين، وشرح على تقرير الشيخ الطيب في الاستثناء، وأجوبة متفرقة في علوم شتى، وطرر كثيرة على حواشي كتب متعددة في أنواع من العلوم، وتقاييد كثيرة.

وكان من عادته – رحمه الله – إذا سمع من يتذاكر في مسألة علمية لم يستحضر التحقيق فيها؛ يذهب إلى موضعه ويراجعها حتى يعرف وجه الصواب فيها، ويقيد ذلك. وشرع في جمع أربعين حديثا وسماها: "بأسباب النضارة بالأربعين المختارة"؛ فلم يكملها، ثم شرع في شرح عليها؛ فكتب منه عدة كراريس ولم يكمله أيضا. وله – أيضا – مراء نبوية وقفت على بعضها بخطه، وتركت ذكره مخافة الطول.

وولي في آخر عمره القضاء بثغر الصويرة، ثم بعد إعفائه منه صار يحضر قراءة البخاري مع السلطان الأمجد مولانا الحسن بن مولانا محمد وجماعته في مجلسه؛ فغبط به السلطان المذكور، وأرسله لبعض المصالح العارضة بناحية الغرب؛ فبقي هنالك مدة من أشهر، ورجع مريضا إلى فاس، فبقي بها يومين أو نحوهما.

وتوفي في نصف ليلة الرابع عشر من ربيع النبوي عام ثمانية وتسعين ومائتين وألف. ودفن بهذا الخارج بروضة كبيرة لبعض أولاد ابن جلون، يسار الهابط من روضة أولاد ابن إدريس، قريبا منها، وبني عليه بناء خفيف للتمييز، وكتب عند رأسه تاريخه.

[831- الإمام الفقيه سيدي محمد بن المدني گنون]
(ت: 1302)

ومنهم: الفقيه المجهذ الإمام، العالم العلامة الهمام، الكبير الصيت والباع، المخصوص بالحظوة التامة ومزيد الارتفاع، المشارك في كثير من الفنون؛ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن الحاج المدني بن علي جنون؛ من أولاد جنون المعروفين بفاس.

كان – رحمه الله – أحد الصدور الأماثل، والعلماء الأفاضل، كبير الصيت والقدر، عظيم الجناب والخطر، ذا مهابة ورفعة، وجلالة ومكانة ومنفعة، وكانت له معرفة بالفقه والحديث، والتصوف والتفسير، والنحو والأصلين. . . وغير ذلك.

ومهر في علم الفقه؛ فكان ممن انتهت إليهم رياسته، وكان له مجلس حفيل بالقرويين يقرأ فيه "المختصر"، كان ينتفع به فيه عامة طلبة فاس وغيرها، وآخر بضريح سيدي قاسم ابن رحمون؛ يقرأ فيه البخاري صباحا في مدة [364] الأشهر الثلاثة[1]، وغيره بين العشاءين دائما، كان ينتفع به فيه جمهور العامة والطلبة.

---

[1]. أي: رجب وشعبان ورمضان.

وكان كثير المطالعة والتقييد والمراجعة، وينقل في مجالسه من الأحاديث والنصوص، ما فيه مقنع للعموم والخصوص، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر المألوف، دؤوبا على الإرشاد، والنصح للعباد، وكانت له أسماء شريفة وأذكار، يستعملها بالليل والنهار.

أخذ عن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي، والشيخ المحدث مولاي الوليد بن العربي العراقي، والفقيه النحوي سيدي أحمد المرنيسي، والفقيه المشارك سيدي أبي بكر ابن الشيخ الطيب ابن كيران، والعلامة الصالح سيدي بدر الدين الحمومي، والعلامة الأصولي البركة سيدي عبد السلام بوغالب. . .وغيرهم.

[832- استطراد بذكر العارف الشريف مولاي المهدي بن علي العلوي السجلماسي] (ت: 1295، أو 1296)

ولقي بعض أهل الخير وانتفع بهم؛ كالشريف العارف، المكاشف الولي الصالح، ذي البركات والكرامات؛ أبي الفضل وأبي عيسى مولاي المهدي بن علي بن محمد العلوي السجلماسي؛ المتوفى بها أواخر شعبان – أو: أوائل رمضان – عام خمسة أو ستة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بداره بابار، وقبره بها شهير مزار.

[رجوع لترجمة الفقيه گنون]

وحج صاحب الترجمة وزار، ولقي هناك جماعة من العلماء والأخيار، وتبرك بهم، واستفاد من قربهم، وأخذ عنه وانتفع به جماعة كثيرة من الأعيان، وعلماء هذا الزمان.

وألف تآليف عديدة؛ منها: اختصاره لحاشية الشيخ الرهوني على الشيخ عبد الباقي الزرقاني، وحاشية على شرح بنيس على فرائض مختصر خليل، وتأليف في الأشراف آل البيت؛ سماه "بالدرر المكنونة، في النسبة الشريفة المصونة"، و"الزجر والإقماع في تحريم آلات اللهو والسماع"، و"نصيحة ذوي الهمم الأكياس، فيما يتعلق بخلطة الناس"، و"نصيحة النذير العريان، في التحذير من الغيبة والنميمة والبهتان"، و"التسلية والسلوان، لمن ابتلي بالإذاية والبهتان"، وحاشية على "الموطأ" انتخب جلها من شرح الشيخ سيدي محمد بن عبد الباقي الزرقاني عليها . . .إلى غير ذلك.

وولي – رحمه الله – مرة القضاء بمدينة مراكش ثم أعفي منه، وكان يخطب في شهر في السنة بجامع أبي الجنود الذي بين فاس البالي وفاس الجديد.

حتى توفي ليلة الجمعة أول يوم من شهر ذي الحجة الحرام، آخر سنة اثنين وثلاثمائة وألف، وصلي عليه إثر صلاة الجمعة بجامع الأندلس، ودفن بهذا الخارج إزاء كرمة بأسفل قبتي سيدي يوسف الفاسي وسيدي أحمد اليمني، قريبا من ضريح سيدي أحمد حُبَيِّب، وحضر جنازته خلق عظيم من أهل البلدين[1]، وخليفة السلطان بفاس مولاي إسماعيل ابن السلطان مولاي محمد العلوي، وكسر العامة أعواد نعشه تبركا، وبني عليه قوس صغير حسن البناء للتمييز.

[833- العلامة العارف سيدي أحمد بن علي حُبَيِّب]

(ت: 1013)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الولي الصالح النزيه، الإمام الكامل، والقطب الواصل، العارف بمعالم الطريق [365]، الراسخ القدم في المعرفة والتحقيق، من تأسست لديه طريقة الجذب والسلوك، بلا مرية ولا شكوك، حتى صار قدوة المجذوبين، ودليل السالكين؛ أبو العباس سيدي أحمد بن علي؛ وقيل: ابن محمد، الأندلسي الغرناطي الرندي، نزيل فاس، المعروف بِحُبَيِّب (بضم الحاء المهمل، وفتح الباء الموحدة، وكسر المثناة التحتية مشددة).

كان - رحمه الله - من الأولياء الصالحين، وعباد الله المتقين، أحد المشهود لهم بالخير والبركة، والمحظوظين بعناية الله في السكون والحركة، وليا كاملا، عارفا محققا واصلا، له تلامذة وأتباع، حصل لهم به تأدب وانتفاع.

وكانت له مخالطة في العلم، وزاوية بالمخفية من عُدوة فاس الأندلس، مشهورة به إلى الآن، ومكتب بحذائه كان يقرئ فيه الصبيان.

أخذ - رحمه الله - أولا عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الغماري المالقي الفاسي؛ صاحب الزاوية المذكورة قبله، المتوفى عام ثمانية وستين وتسعمائة، ودفن بالبقيع الشريف، عن أبي العباس أحمد الحساني الأندلسي؛ دفين روضة الأنوار بهذا الخارج عن أبي الحسن علي صالح الأندلسي؛ دفين الروضة المذكورة عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع عن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي.

---

[1] أي: فاس البالي وفاس الجديد. أو: عدوة فاس القرويين، وعدوة فاس الأندلس.

ولما قدم الشيخ أبو المحاسن إلى فاس؛ لازمه، وكان أول من بادر إلى صحبته، وأخذ - أيضا - عن الشيخ أبي النعيم سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي، وكان يتردد إليه بسبب رؤيا رآها ذكرها المرابي في "التحفة" وغيره، وقرأ عليه ختمة من القرآن باللوح في أربعة أعوام. قال: «وهي أول بركة رأيتها منه». وكان يحكي عنه أمورا من الورع والخوف والتحفظ في الدين.

وألف - رحمه الله - تآليف منها: "يواقيت الأحكام، فيما يتعلق بقواعد الإسلام"، و"شرح رموز ابن عقبة"، و"لامية" في التصوف لا بأس بها؛ وإن كانت من حيث النظم غير متقنة.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية نحو ست وتسعين سنة، ليلة سبع وعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وألف. قال في "المطمح": «ودفن من الغد بعد صلاة الظهر خارج باب الفتوح، مقابلا لضريح الشيخ أبي المحاسن، رمية بحجر، قريبا من حوش سيدي الحسن الجزولي». هـ.

وقال في "النشر": «هو دفين خارج باب الفتوح، مقابل حائط حوش سيدي يوسف الفاسي المستدير على القباب من أسفله، وعليه بناء قوس، ومقابر أصحابه أمامه عن يسار الطالع لقبة سيدي يوسف الفاسي، قبلة، برمية حجر أو حجرين، وبقوس ضريحه في زليج كتابة نصها: الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. هذا ضريح الولي الشهير، والصوفي الكبير؛ أبي العباس سيدي أحمد بن علي؛ المعروف بحبيب، الأندلسي الرندي. توفي - رحمه الله - سنة ثلاث عشرة وألف». هـ.

وما في هذه الكتابة من أنه: ابن علي؛ مثله في موضع من "التحفة" للمرابي وعند غير واحد، وفي موضع آخر منها أنه: ابن محمد. وعليه جرى في "المطمح"، و"الصفوة"... والله أعلم. ووقع في "الابتهاج" بعد ذكره لسيدي الحسن الجزولي ما نصه: «وبجواره ضريح الشيخ الفقيه الصالح أبي الحسن علي حبيب [366]. ومسجده بالمخفية، ومكتبه الذي كان يقرئ فيه الصبيان، وكان من أهل الخير والبركة. توفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة». هـ.

ولم أدر هل هذا هو صاحب الترجمة إلا أنه وقع له غلط في اسمه ووفاته، أو هذا آخر؟. وقد تردد في ذلك - أيضا - صاحب "النشر". وكتب بعضهم على هامش هذا المحل من "الابتهاج" ما نصه: «إنما هو: أبو العباس أحمد حبيب المذكور في مكاتبات ابن رضوان والقنطري، وكان ممن لازم الشيخ أبا المحاسن أول أمره، ثم استقل بزاويته المذكورة، وكانت لشيخه من قبل - أي: أبي عبد الله الغماري المتقدم الذكر - وقد ذكره المرابي - أيضا - ممن كان يتردد لسيدي رضوان رحمه الله». هـ. والله أعلم. ترجمه في "المطمح"، و"الصفوة"، و"النشر". وأشار إليه أيضا في "التنبيه".

[834- المجذوب الشريف مولاي التقي بن عبد الكبير العلوي]
(ت: 1290)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب السائح، صاحب الأحوال والكرامات، والأمور الخارقة للعادات؛ الملامتي مولاي التقي بن عبد الكبير الشريف العلوي.

كان – رحمه الله – طويل القامة، جليل الأعضاء، أسمر رث الهيئة واللباس، يلبس السلهام[3]، ويتقلد بكمية من حديد، وكان مجذوبا له أحوال خارقة، وأفعال ينكر الشرع ظاهرها؛ من الشرب ونحوه، فكان يتكلم فيه من أجل ذلك من لا علم له بحاله.

وكانت العامة تتبرك به، وتتحدث عنه بكرامات كثيرة، وذكر لي بعض الناس عن بعض المخالطين له أنهم: لم يروه قط يبول أو يتغوط!. ثم أخبرني بذلك – أيضا – رجل ممن عاشره سنين عديدة. وأخبرني بعض أشياخنا أنه: رآه مرة جاء لجامع القرويين، وعمد إلى بعض العلماء ممن كان هناك يدرس فوق كرسي له، وقال له: «انزل من هذا الكرسي!». وألح عليه في ذلك، فما أمكنه إلا الامتثال والنزول. قال: «فلم تمض عليه جمعة أو نحوها حتى توفي».

وأخبرني – أيضا – أنه: جاء مرة لعالم آخر كان هناك، وقال له: «اصعد فوق ظهري!». وألح عليه في ذلك حتى صعد فوق ظهره. قال: «فمن ذلك الوقت وذلك العالم في الصعود إلى أن مات!».

وحكى لي بعض الثقات من أهل الخير أنه: رآه مرة ذاهبا وشخص من الأشراف وراءه يسبه وهو ساكت لا يجيبه بشيء. قال: «فتبعتهما وهما كذلك إلى أن وصلا لضريح مولانا إدريس رضي الله عنه. فوقف مولاي التقي مقابل المزارة السعيدة سويعة، ثم ذهب ومعه الشريف المذكور على حاله، ثم إن الشريف دخل مصرية له هناك بجوار الحرم الإدريسي؛ فجاء صاحب الترجمة وامتد ببابها كهيئة الميت، وبقي كذلك سويعة، ثم قام وذهب لحاله... قال المحدث المذكور: فلم يخرج الشريف المذكور بعد ذلك من مصريته المذكورة حتى خرج ميتا!!». ولعله شكى به لجده إذ ذاك؛ فوقع له ما وقع.

وكان له – رضي الله عنه – أتباع وخدام، ظهرت بركته على غير واحد منهم ممن كان يقصده لالتماس الخير؛ كالشريف العلوي، صاحب الحقائق المحمدية والعوارف الأحمدية [367] مولاي المهدي بن السعيد؛ دفين طالعة فاس. فإنه لازمه مدة لالتماس بركاته، وكان يذكر أن ما أفيض عليه من الخيرات إنما هو بسببه وعلى يده، وينتسب له انتساب التلميذ لشيخه، وينسبه لمقام عال في الولاية.

---

3. مثل العباءة، رأسه منه، يلقى على الكتفين.

ودخل مرة لفندق من فنادق فاس القريبة من القرويين؛ فوجد بعض الأشراف العلميين يخدم في بيت له فيه صنعة الخرازة؛ فقال له: «أي شيء تعمل هاهنا ؟؛ قم! ». فقام وتبعه، ففقد عقله في الحين، ورمى حوائجه، وبقي مجذوبا إلى أن مات. فكان الناس يرون أنه حمّله شيئا من السر، فلذلك وقع له ما وقع، وتأيد ذلك بظهور بعض الكرامات على يده.

[835- استطراد بترجمة القاضي سيدي عمر بن عبد القادر الرندي]

ومن أصحابه الملازمين لخدمته: الفقيه الخامل، المتدرب في النوازل، القاضي بحضرة فاس؛ سيدي عمر بن عبد القادر الأندلسي الرندي.

وكان الرندي هذا يسكن بحومة العيون من فاس القرويين، وكان فقيها له معرفة بالنوازل، وله فيها تأليف جمع فيه فتاويه وفتاوي غيره.

أخذ الفقه عن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي، ولازمه مدة طويلة، وكانت به أهلية للتدريس؛ إلا أنه كان لا يدرس لضيق عبارته وانحباس لسانه. وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي قد طلب من القاضي العلامة مولاي محمد المدغري العلوي أن يعين له بعض الفقهاء من أهل الخير والمسكنة ليوليه القضاء معه بحضرة فاس، ويكون معينا له فيه؛ فعين له الرندي هذا؛ لخموله ومسكنته؛ فولاه القضاء، فكان فيه ذا حزم وعقد وإبرام، لا يبالي بأحد ولو كان من أكبر أكابر القواد والحكام، وبقي على ذلك غير ملتفت لمن يعارضه هنالك، إلا أنه يلاحظ صاحب الترجمة ويتأدب بين يديه، وينحاش بقلبه وقالبه إليه.

[رجوع لترجمة الشريف العلوي]

إلى أن توفي صاحب الترجمة أواخر محرم الحرام فاتح عام تسعين ومائتين وألف، ودفن بهذا الخارج أسفل من ضريح سيدي أحمد حُبيب، قريبا منه. فتوفي بعده الرندي المذكور في سابع وعشري صفر الخير عام تسعين ومائتين وألف، ودفن إلى جنب صاحب الترجمة، وراءه، وبني على كل واحد منهما قوس، وكتب بقوس صاحب الترجمة في زليج ما نصه: «الحمد لله وحده؛ هذا ضريح الولي الصالح، البركة الشريف؛ مولاي التقي بن سيدي عبد الكبير العلوي. توفي – رحمه الله – ضحوة يوم الخميس سابع وعشري محرم الحرام فاتح عام تسعين ومائتين وألف» . هـ.

[836- القاضي سيدي الحسن ابن فارس]
(ت: 1259)

ومنهم: الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، قاضي فاس الجديد؛ أبو علي سيدي الحسن ابن فارس.

كان - رحمه الله - من أهل العلم والفقه والدين بهذه الحضرة، وولاه السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام العلوي قضاء فاس الجديد.

وكانت وفاته - رحمه الله - يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع النبوي عام تسعة وخمسين ومائتين وألف، ودفن [368] بهذا الخارج، بناحية القباب.

[837- العلامة الخطيب سيدي محمد بن أحمد السنوسي]
(ت: 1257)

ومنهم: الفقيه العلامة، البركة الفهامة، ذو الأفعال الحسنة، والأخلاق المستحسنة، السري الصالح، الساعي في المصالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد؛ الشهير بالسنوسي.

كان - رحمه الله - إماما فاضلا، وعالما عاملا، تولى الإمامة والخطابة بالضريح الإدريسي، وكانت له فيه وفي مسجد القرويين مجالس للعلم انتفع به فيها جماعة من الأعيان، ونجباء ذلك الزمان.

ويحكى أنه: كان مرة يقرأ صحيح البخاري بالضريح الإدريسي؛ فجاء بعض الطلبة من الأخيار وحضر مجلسه، فذكر الشيخ كلاما قرر به بعض الأحاديث. فقال الطالب المذكور لبعض من كان بجنبه: «أخطأ الشيخ في هذا التقرير!»، فإذا بذلك الطالب أخذته سنة عقب ذلك، ثم استيقظ، فلما فرغ المجلس؛ تقدم إلى الشيخ وقال له: «إني قلت آنفا: كذا وكذا. وإنه أخذتني سنة، وإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فذكرت له كلامك وما قلت أنا؛ فقال لي: الصواب ما قاله الفقيه السنوسي!». فلما ذكر ذلك له؛ قال له: «أو ذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!». واصفر لونه، وصار يرتعد حتى كاد نعله يسقط من يده.

وكان من عادته - رحمه الله - إذا كبر أيام منى التكبير المندوب بعد الصلاة؛ يكبر مستقبل القبلة؛ فخاطبه في ذلك الفقيه العلامة أبو مالك سيدي عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري بقوله:

يا ابن السنوسي الجلي ... ذا الجاه والقدر العلي
تكبير أيام منى ... أقبل ولا تستقبل!

قلت: والنص في شرح مختصر خليل للإمام الحطاب - رحمه الله - أنه: «يكبر مستقبلا». كما كان يفعله صاحب الترجمة. فراجعه.

توفي - رحمه الله - سادس عشر ربيع الأول عام سبعة وخمسين ومائتين وألف، ودفن بهذا الخارج بأعلى روضة العلماء.

انتهى الجزء الثاني بحمد الله الكفيل، وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ويليه الجزء الثالث أوله: ذكر من وقفت على تسميته من أصحاب الروضة المعروفة بروضة العلماء. بتصحيح مؤلفه أدام الله النفع به [369].

الفهرس

فهرس الموضوعات للجزء الثاني

العنوان ... الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان الصفحة

العنوان الصفحة

العنوان	الصفحة



الدار البيضاء

الإيداع القانوني رقم : 2004/1198

ردمك 9981-02-544-5